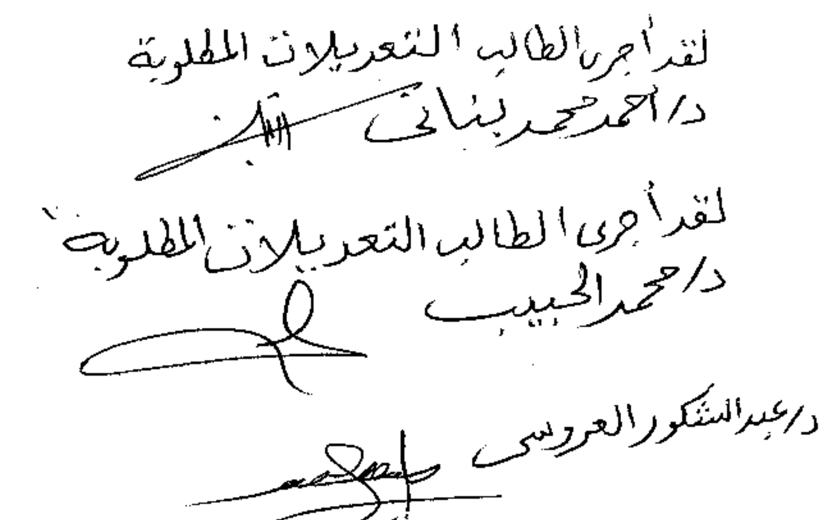


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

القادرية في موريتانيا

عرض ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير



<u>**إعداد الطالب**</u>

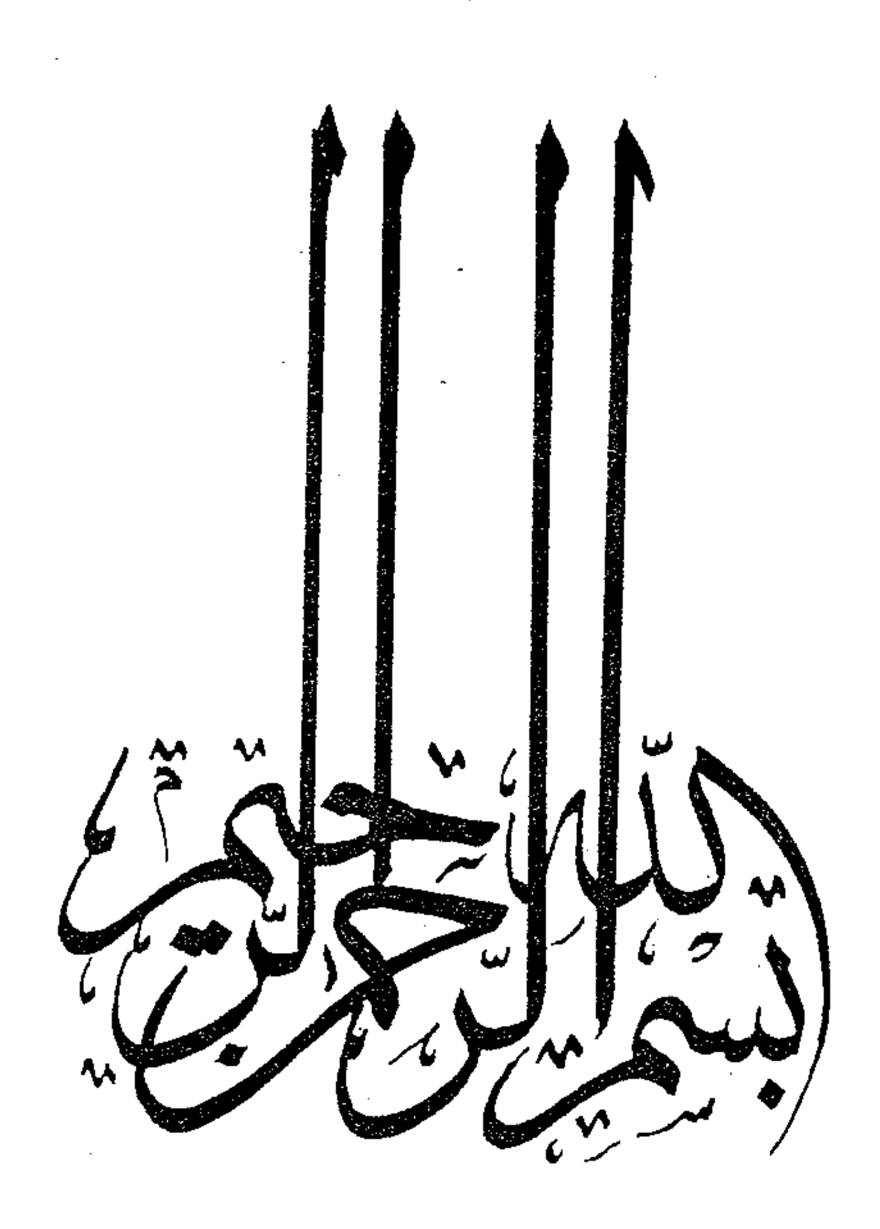
محمد الداه أحمد

<u>**إشراف الدكتور**</u>

عبد الشكور محمد أمان العروسي

الجزء الثاني

عام ١٤١٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الفصـــل الخامس

الفصل الخامس

عقيدتهم في الولاية وختمها

ويشتمل علي تمهيد وثلاثة مباحث .

التمهيد . مكانة الولي عند القادرية .

المبحث الأول: الولاية والعصمة وعلم الغيب وختم الولاية . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الولاية لغة وشرعاً ، وعرفا عند الصوفية .

المطلب الثاني : العصمة .

المطلب الثالث : علم الغيب .

المطلب الرابع : ختم الولاية .

المبحث الثاني : التصرف في الكون .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التصرف لغة واصطلاحا عند الصوفية .

المطلب الثاني : عرض نصوص القادرية في التصرف في الكون

ونقدها .

المطلب الثالث : التصرف في الكون بمعنى الحيل والاسباب .

المبحث الثالث : التوسل .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التوسل إلى الله بالبيعة لمشايخ الطريق .

المطلب الثاني : المدد والإستمداد .

المطلب الثالث : طلب الحوائج بالمخلوق .

التمهيد :

القاريء لكتب القادرية والمحاور لهم يجدهم يرددون كثيرا القول بعصمة الأولياء ووجوب تصديقهم والتسليم لهم ، وأن الأولياء يعلمون الغيب إما علما بلا واسطة أوبواسطة وأن سبيلهم في ذلك سبيل الأنبياء ، وفي هذا من عقيدة مساواة الأولياء بالأنبياء في العصمة ، وفي الوحي ووجوب طاعتهم واتباعهم والتسليم لهم ، دون من سواهم من البشر ما لا يخفى • وفيه كذلك من ادعاء الوحي بأي صورة كان ما يخدش عقيدة اختصاص الأنبياء بالوحي التشريعي الذي يجب اتباعه والتسليم له • ويجد الباحث كذلك من العقائد المبثوثة في كتبهم أو الدائرة بينهم أن الأولياء الذين هم عندهم الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال يعلمون الغيب ويدبرون الكون ويتصرفون فيه ويولون ويعزلون ويمنعون ويعطون ويسلبون (١) • وفي هذا المعتقد من التعدي على الربوبية ما لا يمكن لباحث مسلم إهماله في بحث في العقيدة •

ثم إنه ما دام هؤلاء الأولياء بهذه المكانة عندهم فيجب أو يجوز التوسل بهم وقصد زيارتهم والمجاورة عند قبورهم لطلب الحاجات والإهداء إليهم للفتح والحظوة وغير ذلك مما يعد صرفا للعبادة لغير الله تعالى وتعد على تفرده بالألوهية •

فلو كان هؤلاء من الشيعة لقيل هذه الأمور من معتقدات الشيعة من قديم الزمان، وقد رد عليهم العلماء فيها وبينوا لهم ما تنطوي عليه من الكفر والإلحاد وكان من أول الرادين عليهم الإمام علي رضي الله عنه (٢) ولكن هؤلاء يتبرؤون من معتقدات الشيعة والرافضة وغيرهم من طوائف أهل الأهواء (٣) فما هي علة انتشار هذه العقائد في كتبهم وبين أتباعهم ؟ إن لانتشار هذه العقائد أسباباً عامة للصوفية وخاصة بالقادرية التي يتناولها هذا البحث •

---

(١) سبق التعريف بهذه الألقاب •

(٢) انظر : العواصم من القواصم تأليف : القاضي أبو بكر بن العربي ، تحقيق وتعليق : محب الدين الخطيب ، ط مكتبه أسامة بن زيد ١٣٩٩ هـ ص ١٢٧ وما بعدها بهوامشه •

(٣) الكوكب الوقاد ص ١٥ و ١٣١ . ١٣٢ •

أما الأسباب العامة فهي أن الصوفية المنحرفين قد أخذوا عن الاسماعيلية والرافضة الدائنين بالحلول والهية الأئمة وغيرها من القول بالقطب وتوارث الأئمة ، وترتيب الأبدال فسرت فيهم هذه العقائد وانتشرت في البيئة الصوفية (١) .

وأما الخاصة :

ولما كانت القادرية كما تقدم تنقل مسلمة لما يصدر عن مشايخ الصوفية مهما كانت درجة انحرافهم دخلت إلى ساحتها هذه العقائد ولم تجد محررا ولا محققا ينبههم على خطورتها على العقيدة .

قال ابن خلدون بعد توضيحه لصلة الصوفية بالاسماعيلية والرافضة قال : (واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم) ثم نقل كلام ابن سيناء في كتاب الاشارات في وصف القطب . وهو قوله : (جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد ، أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد) إلى أن قال : (وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي ، وإنما هو من الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم) (٢) .

---

(١) التصوف المنشأ والمصدر ، إحسان الهي ظهير ، ترجمان السنة ط ١ ١٤٠٦ هـ ص ١٥٩ وما بعدها . و ١٢٨ . ٢٢٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٥ .

المبحث الاول : الولاية والعصمة وعلم الغيب وختم الولاية وفيه أربعة مطالب

المطلب الاول : تعريف الولاية لغة وشرعا وعرفا عند الصوفية ٠

الولايـة لغة : قال في القاموس (الولي : القرب والدنو والمطر بعد المطر وليت الأرض بالضم والولي الإسم منه والمحب والصديق والنصير) (وتولاه اتخذه وليا) (وتوالى تتابع) (١) ٠ ومثله في الصحاح وفيه قوله : (والولي ضد العدو يقال منه : تولاه ٠ والولاية : النصرة) (٢) وفي الفروق :(الفرق) بين العداوة والبغضة أن العداوة البعاد من حال النصرة ، ونقيضها الولاية وهي القرب من حال النصرة .) (٣)

هذه بعض تعاريف علماء اللغة للولاية واقتصرت على نقل ما يمكن فهم الولاية التي نريد تعريفها منه ٠

وعباراتهم دائرة على أنها القرب والدنو والحب والصداقة والنصرة (وليه) (يليه) وليا : دنامنه وقرب) (٤) ٠

---

(١) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٤٠١ . ٤٠٢ ٠

(٢) الصحاح الجوهري جـ ٦ ص ٢٥٢٨ . ٢٥٣١ ٠

(٣) الفروق اللغوية للعسكري . وهو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران اللغوي العسكري . تحقيق / حسام الدين القدسي . دار الكتاب العلمية . بيروت ص ١٠٦ و ١٥٦ ٠

(٤) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠٥٧ ٠

شروط الولاية عند أهل السنة والجماعة

الولي والولاية شرعا : ورد لفظ الولي والنصير في الكتاب والسنة كثيرا ، وجاءت الولاية على معان منها الخاص ومنها العام ، ومنها ما هو بين الأبرار ومنها ما هو بين الفجار ومنها ما هو للرحمن ومنها ما هو للشيطان (١)

والذي نقصد بيانه ولاية الله لعباده وتوليهم له جل وعلا .

قال الله تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولي الذين آمنوا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ (٦) .

وقد وردت أحاديث شريفة في وصف الولي والأولياء فمنها ما جاء فيه لفظ الولي مثل : (من عادى لي وليافقد آذنته بالحرب ..) (٧) وقد اشتمل هذا الحديث برواياته على معاني الولاية كلها من النصرة والقرب والمحبة وغيرها وقال ابن حجر (المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته) (٨) وقال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا يتقون ﴾ (٩)

---

(١) انظر : الشرك ومظاهره ، مبارك بن محمد الميلى . الجامعة الإسلامية ط ٢ سنة ١٤٠٨ هـ ص ١١٢ وما بعدها .

(٢) البقرة الآية ٢٥٧ .

(٣) سورة محمد الآية ١١ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٤ .

(٥) سورة هود الآية ١١٣ .

(٦) سورة المائده الآية ٥٥ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، الحديث رقم ٦٥٠٢ .

(٨) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٢ .

(٩) سورة يونس الآيتين ٦٢ . ٦٣ .

قال ابن جرير في بيان من يستحق هذا الإسم : (قال بعضهم : هم قوم يذكر الله لرؤيتهم ، لما عليهم من سيما الخير والإخبات) وساق الآثار الدالة على هذا القول بأسنيده . ثم قال : وقال آخرون في ذلك وساق بسنده عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب وأبي موسى الاشعري رضي الله عنهم الأحاديث الشريفة التي منها :

(عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله : قالوا : يا رسول الله أخبرنامن هم وما أعمالهم ؟ فإنا نحبهم لذلك ؟ قال : هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . وقرأ هذه الآية : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

ثم قـــال ابن حرير : (قال أبوجعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : (الولي) . أعني (ولي الله) هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها ، وهو الذي آمن وأتقى كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (١) .وتبعه على ما صوبه ابن عطية وزاد تحذيرا من الحاد بعض الصوفية في الولي فقال عند تفسير الآية المذكورة : (وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة ، وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن وأتقي فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي ، وإنما نبهنا هذا التنبيه حذرا من بعض الصوفية وبعض الملحدين في الولي) (٢) . وما حذر منه يأتي إن شاء الله بيانه . وقريب من كلام هؤلاء الائمة ما عرف به القشيري في رسالته الولي تحت باب الولاية فقال : (الولي له معنيان : أحدهما : فعيل بمعنى مفعـــول ، وهـو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال الله تعالى ﴿ وهـــو يتـــولي الصالحيـــن﴾ (٣) فلا يكله إلي نفسه لحظة بل يتولي الحق ، سبحانه ، رعايته .

---

(١) تفسير الطبري جـ ١٥ ص ١١٨ . ١٢٣ قال محمود شاكر في سند هذا الحديث : (فهو اسناد جيد إلا أنه منقطع .

(٢) تفسير ابن عطية جـ ٧ ص ١٧٤ . ١٧٥ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٦٦ .

والثاني : فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعبادته تجري على التوالي ، من غير أن يتخللها عصيان) (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (أولياء الله) هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) كما ذكر الله في كتابه وهم : (قسمان) : المقتصدون أصحاب اليمن والمقربون السابقون والولي : مشتق من الولاء وهو القرب ، كما أن العدو من العدو وهو البعد فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته ، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته) (٢) ثم قال : (والولي المطلق : هو من مات على ذلك) (٣) .

وبهذه النصوص يتضح أن نصوص الكتاب والسنة وما أخذه العلماء من دلالتها في معنى الولي والمولى تبين أن ولي الله عبد مطيع لله ناصرلدينه وأهل طاعته ، وأن المولى جل وعلا يعين أولياءه وينصرهم ويوفقهم لطاعته .

يقول العسكري : (الفرق) بين المولى والولي أن الولي يجرى في الصفة على المعان والمعين ، تقول : الله ولي المؤمنين أي معينهم والمؤمن ولي الله أي المعان بنصرالله عز وجل ، ويقال أيضا المؤمن ولي الله والمراد أنه ناصر لأوليائه ودينه ، ويجوز أن يقال : الله ولي المؤمنين بمعنى أنه يلي حفظهم وكلاءتهم ... ويجوز أن يقال معنى الولي أنه يحب الخير لوليه كما أن معنى العدو أنه يريد الضرر لعدوه . والمولى على وجوه : هو السيد والمملوك والحليف وابن العم والأولى بالشيىء والصاحب ، وتقول : الله مولى المؤمنين بمعنى أنه معينهم ولا يقال إنهم مواليه بمعنى أنهم معينو أوليائه كما تقول بأنهم أولياؤه بهذا المعنى) (٤) . وقد بحث الألوسي المراد بالولي لغة وشرعا وعرفا ثم قال : (وأحسن ما يعتمد عليه في معرفة الولي اتباع الشريعة الغراء وسلوك

---

(١) الرسالة جـ ٢ ص ٥٢٠ .

(٢) الفتاوي جـ ١ ص ٦١ ـ ٢٦ .

(٣) نفسه ص ٦٢ .

(٤) الفروق لابن هلال العسكري ص ٢٣٥ .

المحجة البيضاء فمن خرج عنها قيد شبر بعد عن الولاية بمراحل ، فلا ينبغي أن يطلق عليه إسم الولي ولو أتى بألف خارق ، فالولي الشرعي اليوم أعز من الكبريت الأحمر ولا حول ولا قوة إلا بالله) (١) •

وعلى هذا يكون الولي شرعا من آمن إيمانا صحيحا خالصا وواظب على الطاعات واستقام على ذلك مع صحة العقيدة حتى يتوفاه الله ، وإن وقع منه ذنب في حياته بادر بالتوبة والإنابة •

صفات الولي عند القادرية : لا يخفى أن الغلو في الدين والاعتقاد الفاسد في المخلوقات أو ادعاء علم الغيب والعصمة للأولياء من الأمور المبعده عن الولاية بمراحل كما قال الألوسي ، ولنستعرض الولاية والولي في مفهوم الصوفية من خلال كتب القادرية • يقول المختار الكنتي : (الأولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لأنه ولي لله ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما ويكون اسم مفعول لأن الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد إمداده وكرمه •

وضابط الولي أنه المداوم على فعل الطاعة واجتناب المعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات ويتجه هذا الضابط للولي الكامل •) إلى أن قال : (ومن علاماتهم رضي الله عنهم التي هي شرط في تحقيق ولا يتهم لزوم الأصول الثلاثة وهي : أداء الفرائض عسيرها ويسيرها واجتناب المحارم كبيرها وصغيرها وترك الدنيا على أهلها قليلها وكثيرها إلا ما لابد للمؤمن منه ••) (٢)

ويقول محمد فاضل بن الحبيب : (الولي وزنه فعيل من الولاية أي التولي وهي تحتمل أن تكون بمعنى فاعل فيكون بمعنى متول وأن تكون بمعنى مفعول فتكون بمعنى متولى • فعلى الأول يكون المعنى أن هذا الشخص تولى الله تعالى فكانت همته إليه واشتغال قلبه في شهوده وجوارحه في خدمته فكان الله له في مصالحه •

---

(١) روح المعاني جـ ١١ . ١٢ ص ١٤٦ . ١٧٩

(٢) نفسه ص ١٧٩ •

(٣) جذوة الأنوار ص ١٠٨ •

وعلى الثاني : (يكون المعنى أن هذا الشخص أعنى الولي تولاه الله تعالى أي كان متوليا لأمره قائما في مصالحه لا يكله إلى نفسه ولا إلى غيره ..) (١) .

ثم نقل من الآيات والأحاديث الموضحة لمن يستحق هذا الإسم وقد تقدم ذلك ، ثم قال : (الولي في عرف الصوفية من فنى في شهود ذات الله تعالى عن شهود غيره من خلقه وتأدب بالآداب الشرعية ..) (٢) .

فهذه النصوص تفيد بأن الولي عند القادرية هو من تولى الله بالايمان وإتيان الأوامر واجتناب النواهي وأنه بزيادة التقرب إلى الله تعالى بالنوافل يتولاه الله تعالى ويمنحه مزيدا من التوفيق يخرق له العادات إظهارا لمكانته ولكن عليه أن يزداد خوفاوعملاو إن خوطب بأنه ولي لله حتى يتيقن ذلك خوفا من أن يكون مستدرجا .

وليس من شرط الولاية عندهم حصول الخارق إذ إن الخارق يحصل للساحر والمشعوذ والدجال ، ولذا فالكرامة الحقيقية هي دوام الاستقامة ويرجح بعضهم أن الكرامة لا تصل إلى مثل معجزة النبي كإحياء الموتى أو الإتيان بقرآن .

ويكفرون من يدعي من الصوفية وغيرهم أن الولاية أفضل من النبوة . ولنورد نماذج من نصوصهم في هذه الأمور باختصار إذ إنها من المكمل لهذا المطلب . قال الشيخ سيدي المختار الكنتي : (وحقيقة الكرامات ظهور أمر خارق للعادات غير مقارن بدعوى النبوءة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته ، باتباع نبيه فيما جاء به وإلا فهي استدراج أو سحر أو إذلال ...) (٣) إلى أن قال :

---

(١) الضياء المستبين ص ٣ .

(٢) نفسه ص ٤ .

(٣) جذوة الأنوار ص ١٠٨ ويؤيده ما في الكوكب الوقاد لنفس المؤلف ص ١٢٣ .



(.. إلا أنها لم تنته إلى إحياء ميت أو إلى وجود ولد من غير أب) (١) ويضيف الشيخ سيدي محمد : قائلا : (... وبالجملة فالولاية متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أحكامه إذ هي الطريق الموصله إلى الحق ...) (٢) ويقول الشيخ محمد فاضل :

(كرامة الرجال الاستقامه أجلها أعظمها استقامه

والاستقامة بأن لا تختـار غير إله واحد وقهـار) (٣)

وفي معرض رد وبيان يضيف الشيخ سيدي المختار الكنتي :

(واعلم أن من الكفر الصريح ما حكي عن بعض الكرامية (٤) أن الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوءة بل ربما زاد عليها مستدلين بما وقع لموسي عليه السلام . مع الخضر رضي الله عنه : (لأن الولاية جزء من أجزاء النبوءة فهي داخلة في النبوءة إذ كل نبي ولي ولا ينعكس ... إلى أن قال : (ولقد جازف بعض المتصوفة الجهلة فقال : إن رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوءة وأن الولي قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف محتجين بقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٥) فقد حرفوا كتاب الله وكذبوا على أنبيائه وأوليائه جهلا منهم وتحريفا للكلم من بعد مواضعه وزيغا عن الحق والحادا في الدين ، فإن اليقين في هذه الآية إنما المراد به الموت فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعبده حتى يأتيه الموت وهو على ذلك بل لم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة من عبادته واجتهاده حتى قبض صلى الله عليه وسلم وهو على ذلك) (٦)

---

(١) نفسه ص ١٠٨ .

(٢) الغلاوية ص ٣٦ و ٤١ . ٤٢ .

(٣) الضياء المستبين ص ٢٤٥ .

(٤) الكرامية : نسبة إلى محمد بن كرام المتوفي سنة ٢٢٥ هـ ومع ضلالاتهم وجهالاتهم وتشنيع المتكلمين في الفرق عليهم لم نجد لهم مثل ما ذكر عنهم هذا الشيخ إلا أنهم يوجبون على الله أن يرسل من اتصف بصفات معينة عندهم وهذا يكفي في إخراجهم من الفرق الإسلامية كما فعل الشهرستاني في الملل ص ١٠٨ وما بعدها والبغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٥) سورة الحجر الآية ٩٩ .

(٦) نفس المرجع .

ثم يعتذر المختار الكنتي عن الشيخ عبد القادر الجيلي في كلام منسوب إليه يفهم منه أن الأولياء أفضل من الأنبياء فيقول :

(وليس من ذلك ما طالعته في مناقب الشيخ الجيلاني أنه لما مر بمقابر الأنبياء قال : معاشر الأنبياء لقد خضنا بحورا من العلم وقفتم بساحلها . فليس في ذلك ما يدل على تنقيصه إياهم ولا الغض من مناصبهم ولا إغماض قدرهم ، ولا ما يدل على أنه في ذلك مثلهم أو فوقهم لأنه قد يحصل للمفصول من العلوم ما لم يحط به الفاضل وليس ذلك قادحاً في منصب الفاضل ولا بزائد في رتبة المفضول لأنه معلوم ضرورة أن الأولياء أتباع الأنبياء وعيالهم وتحت سوط ولا يتهم وفي قبضة توليهم فكيف يظن بهم أن (يثلج) في أذهانهم عندما يغيبون عن شهودهم أنهم يخلون بأدب من آداب الأنبياء أو يعتقدون المساواة فضلا عن الرجحان) (١) ثم أخذ في توجيه الكلام المنسوب للشيخ عبد القادر فقال : (بل لم يقصد بقوله رضي الله عنه خضنا بحارا من العلم وقفتم بساحلها أنهم اختصوا بأمور ربانية أو فتوحات قدسية أو مقامات من النور والقرب من الله لم يحظ بها الأنبياء حاشاه من ذلك . وإنما أراد أن الأنبياء عليهم السلام شغلوا بمكابدات الأمم الكافرة ومقاساتهم ، وسياسة المسلمين ومعاناتهم ، والقيام بمصالحهم ، وإقامة أودهم ، عن أمور من مكايد النفس ومعانات الشيطان والكشف عن عيوب الدنيا ودسائس الأهواء ، وإنما ترك الأنبياء الاشتغال بمثل ما تقدم لتمام العصمة وكلاءة الله إياهم . فكيف يظن به ذلك وهو قطب أقطاب الوجود المشتهر بالمكافحة والشهود ، بل ينبغي أن يكون معنى قوله : خضنا بحورا وقفتم بساحلها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد سبقوهم إلى خوضها قبلهم حتى وقفوا بساحلها قبل خوض الأولياء لها فضلا عن أن يقفوا بساحلها لأن إشاراتهم رضي الله عنهم لا يفهمها غيرهم لكثرة عوصهم وعلو مقامهم وهو الأليق بهذا المحل الشريف) (٢) .

---

(١) جذوة الأنوار ص١١٠ . ١١١ يثلج : من ثلجت نفسه اطمأنت أنظر المختار الصحاح ص٨٦ .

(٢) جذوة الأنوار ص ١١١ . ١١٢ .

نقـــــــــــــد :

قلت : تقدم في ترجمة الشيخ عبد القادر أن أصحابه وأتباعه كتبوا في مناقبه الكثير ونسبوا إليه ما يعتذر عنه إلا أن هذه الكلمة لم نقف عليها في واحد من كتبه المنسوبة إليه نسبة صحيحة ، ولا في شرح شيخ الإسلام ابن تيمية لما ورد في كتاب فتوح الغيب للشيخ عبد القادر من كلمات تحتاج إلى شرح (١) ولا في اعتذرات ابن عزوز عنه في كتابه السيف الرباني (٢) ٠

ولذا فالأولى عندي الطعن في صحة نسبة هذا الكلام لمن عرف بالفقه والاستقامة بدلا من الاعتذار عنه ، خصوصا أنه ورد في هذه الكلمة ما يعرف به أنها موضوعة وهو عبارة : (لما مرعلى مقابر الأنبياء) وكأن للأنبياء مقابر معروفة يوقف عليها وتزار ، والمعروف أنه لا يعرف على وجه الصحة قبر نبي غير النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠ ثم إن الاعتذار عن الأنبياء باشتغالهم بمكايدات الأمم عن توضيح مكايد النفس والشيطان والكشف عن عيوب الدنيا غير صحيح إذ إن هذا من مهامهم الرئيسة ولا يعرف كثير منه إلا عن طريقهم ٠

والمقتصر على هذه النصوص يمكن أن يحكم بأن عقيدة القادرية في الولاية عقيدة صحيحة إلا أن الباحث يجد معها نصوصا أخرى وعقائد منحرفة عن المنهج العقدي الصحيح تصرفه عن ذلك الحكم تولى القادرية الترويج لها وتعميقها في البيئه العامة ٠ أماالنصوص المشار إليها فتأتي إن شاء الله في المطالب الآتية : وأما العقائد المنحرفة فلن منها ما يلي :

أن الولي عندهم هو الصوفي الذي يسلم له بجميع ما هو فيه ، ودليل ذلك أن كتبهم ملئية بتفضيل الصوفية على وجه العموم ، وعلومهم الوهبية واللدنية على العلوم الكسبية كما يقولون (٣) ٠

---

(١) انظرمجموع الفتاوى جـ ١٠ ص ٤٤٥ . ٥٤٩ ٠

(٢) رسائل ابن عزوز ص ١٧٨ وما بعدها ٠

(٣) الضياء المستبين ص ٢٤٣ - ٢٥١ ٠

ولا يخفى ما في ذلك من غمط العلم الشرعي وأهله وما يذكرونه من العلماء فإنما هو على سبيل تأيد كلامهم أو التغطية على ذلك المسلك المذكور وإلا فالعالم العابد عند الغالبية منهم إذا لم يأخذ أورادهم فهو إما زنديق أو محروم (١) .

ثم إنهم يحكمون للمنتسب إليهم بالولاية المطلقة التي لا يحكم بها إلا لمن مات على الايمان التام أو بنص من المعصوم إذ إنها في حكم الشهادة بالجنة لمعين وليس ذلك من قول أهل السنة .

قال القرطبي : (قال علماؤنا رحمة الله عليهم ومن أظهر الله تعالى على يديه ممن ليس بنبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالا على ولايته ، خلافا لبعض الصوفية والرافضة حيث قالوا إن ذلك يدل على أنه ولي ، إذ لولم يكن وليا ما أظهر الله على يديه ما أظهر .

ودليلنا أن العلم بأن الواحد منا ولي لله تعالى لا يصح إلا بعد العلم بأنه يموت مؤمنا ، وإذا لم يعلم أنه يموت مؤمنا لم يمكنا أن نقطع على أنه ولي لله تعالى ، لأن الولي لله تعالى من علم الله تعالى أنه لايوافي إلا بالايمان ولما اتفقنا على أننا لا يمكننا أن نقطع على أن ذلك الرجل يوافي بالايمان ، ولا الرجل نفسه يقطع على أنه يوافي بالايمان ، علم أن ذلك ليس يدل على ولايته) (٢) .

وما دام الحكم بالولاية المطلقة يتوقف على معرفة الخاتمة . ختم الله لنا ولإخواننا المسلمين بأحسن ختام . وهي غير معروفة للجميع فلا ينبغي الحكم بها لمعين . كما يفعل أهل الصوفية . إلا على سبيل حسن الظن لمن اتصف بالايمان الصحيح والعمل الصالح الموافق للسنة ، على أن شيخ الاسلام ابن تيمية أوضح عند مناقشته لهذه المسألة : أن للعلماء والصوفية فيها قولين وأن الأولى بالتحقيق الجمع بين القولين

---

(١) جذوة الأنوار ص ٧ . ١٠ والغلاوية ص ٢٤ . ٢٩ والضياء المستبين ص ١١٦ وما بعدها .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ٢٩٧ ٢٩٨ .

فيحكم لمن قام به الايمان والعمل الصالح بالولاية لله تعالى لمحبة الله تعالى لما قام به من الخير وإن كان في علم الله أنه يوافي كافرا مرتدا ، كما أنه يحكم لمن قام به الكفر والفسوق بعدم الولاية لله تعالى لبغض الله تعالى لما قام به وإن كان في علم الله أنه يوافي مؤمنا • وأن من كوشف بعاقبته من المكاشفين أو عاقبة غيره لا يجوز له القطع على ذلك : (لأن كثيرا ممن يظن به أنه حصل له هذا الكشف يكون ظانا في ذلك ظنا لا يغني من الحق شئيا) (١) •

ويتأكد عدم القطع إذا علمنا ما يترتب عليه من أمور عقدية لها أثر كبير في حياة الناس الدينية والدنيوية من الغلو في بعض الأولياء أو الذين تدعى لهم الولاية وهم في جانب العداوة لما هم قائمون عليه من تضييع أوامر الله والجهل به مع أكل أموال الناس واستخدامهم أسوأ استخدام هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن القادرية أنفسهم ينصون على أن الولاية أمر خفي لا يعلمه إلا الله ولهذا قد ظهر للناس تخليط كبير بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان من المشعوذين والدجالين وأصحاب علوم الشر بأنواعها ، ثم إن المعرفة أن فلانا بعينه ولي لله لا يترتب عليها أمر كبير في الاعتقاد أو العمل في الشريعة الإسلامية حيث إنه بمجرد الايمان يجب موالاته ومناصرته وقبول نصحه وإرشاده والتعلم على يديه إن كان من أهل العلم إلى غير ذلك من الأمور التي أوضحها الكتاب والسنة وعلماء الأمة (٢) •

اللهم إلا إذا كانت الولاية عند القادرية لها معنى خاص كما هو المفهوم من كتبهم والمنقول عن شيوخهم على ماسيأتي تفصيله إن شاء الله ولكن قد بين مبارك بن محمد الميلي الجزائري . وما عندنا من القادرية فرع عما عندهم . بين معنى الولي عند الناس وخصوصا في محيط المجتمعات الطرقية فقال : (أما الولي عند الناس اليوم ، فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ولو كان في جهله بدينه مساويا لحماره •

---

(١) الفتاوى جـ ١١ ص ٦٥ ونفس المرجع قبله ص ٢٩٨ •

(٢) جذوة الأنوار ص ٩٧ . ٩٨ والكوكب الوقاد ص ١٦٤ . ١٦٥ والطرائف ص ٨١ . ٨٢ والغلاوية ص٣٤ . ٣٥ و١٩ وما بعدها وجنة المريد ص ٢٤ . ٢٥ والضياء المسبتين ص ٢٨٢ . ٢٨٦ •

وإما من اشتهر بالكهانة وسموه حسب اصطلاحهم (مرابطا) (١) ولو تجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات .

وإما من انتمى إلى مشهور بالولاية ولوكان إباحيا لا يحرم حراما) (٢) .

قلت : ولا يخفى أن هؤلاء لا يستحقون الذكر ضمن عوام الناس فكيف بخواصهم فكيف بأولياء الله الذين هم خاصته من خلقه ، فكيف إذا عرف أن إثبات هذا الحكم لهم أو تسجيل هذا اللقب الشريف لأمثالهم يترتب عليه عند العامة وبعض الخاصة أمور خطيرة في العقيدة والشريعة من وجوب الطاعة في المعصية ، والميل الشديد للعصمة ، واعتقاد علمهم للغيب وتدبيرهم للكون على ما يتصل بيانه إن شاء الله .

---

(١) وفي بلاد موريتانيا لا يرغب أهل الصوفية أن يقال لأحد شيوخهم هذا اللقب مرابط لاشتراك غيره معه فيه ولكن يفضلون عليه الشيخ .

(٢) رسالة الشرك ومظاهره ص ١٢٢ . ١٢٣ .

المطلب الثاني : العصمة

التعريف : عصم : يعصم اكتسب ومنع ووقى وإليه اعتصم به

واعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية ، وقد عصم كفرح والإسم العصمة بالضم فالعصمـــة على هذا لغة المنع مطلقا . (وأصل العصم) المنع ، فكل مانع شئيافهو (عاصمه) والممتنع به (معتصم به) (١) والعصمة في لسان الشرع الحنيف هي من الله وقاية ولطف بعبده الذي اعتصم به من الوقوع في المعاصي وهي كذلك تفضل منه تعالى على عباده المكرمين من الملائكة والأنبياء المرسلين ، على أنه تقدم الحديث عن عصمة الملائكة وفيه قول بأن عصمتهم ذاتية بمعنى أنهم مضطرون للطاعة إلا أن قوله تعالى : ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ (٢) يدل على ما قاله القرطبي : (أنهم وإن أكرموا بالعصمة فهم متعبدون ، وليسوا مضطرين كما ظنه بعض الجهال) (٣) .

وتقدم كذلك الحديث عن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأن عصمتهم في التبليغ فضل من الله تعالى ، واتضح بالمقارنة أن مذهب القادرية في ذلك كله موافق حسب نصوصهم لمذهب أهل السنة والجماعة وأنهم يعتمدون في ذلك كله أو غالبه على القاضي عياض في الشفا (٤) .

عرض : ولم نجد للقادرية نصا يدل دلالة واضحة على أنهم يساوون بين الولي والنبي لا في العصمة ولا في غيرها كما تقدم بل الذي وجدتهم يقولونه : (إنه بين مرتبة النبوة ومرتبة الولاية بون ..) (٥) .

---

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٥١ والصحاح ج ٥ ص ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ والطبري ج ٧ ص٦٢ .

(٢) الأنبياء الآية ص ٢٩ .

(٣) القرطبي ج ١١ ص ٢٨٢ وشرح الشفا ج ٤ ص ٣٩٧ وما بعدها .

(٤) الشفا ج ٤ ص ٧٠ وما بعدها .

(٥) جنة المريد ص ٦٩ .

ويقولون : (وليحذر المريد غاية الحذر من ظن العصمة في الأشياخ . والأشياخ تعني الأولياء عندهم - لأن العصمة ليست إلا للأنبياء بعد النبوة إلا أن الغالب فيهم ولله الحمد الحفظ) (١) ومذهبهم في هذا هو مذهب القشيري حيث قال في رسالته : (فصل) فإن قيل : فهل يكون الولي معصوما ؟ قيل : أما وجوبا ، كما يقال في الأنبياء فلا ، وأما أن يكون محفوظا حتى لايصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم) (٢) . فإطلاق لفظ العصمة على أهل العلم والورع والتوفيق والسداد في القول والعمل على معنى الحفظ والصيانة لا محذور فيه (٣) إن كان على سبيل القول بجوازها في حقهم لا على الوجوب .

ما لم يقترن بما يفهم منه خلاف ذلك كالقول بوجوب أخذ قوله على كل حال ، وطاعته في كل ما أمر والانتهاء عن كل ما عنه زجر ، وأن له الوراثة من جميع الوجوه لخاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن من خالف أمره من الناس أو قال بأنه لا تجب طاعته كان من المحرومين أو من الزنادقة المارقين أو من أصحاب الأهواء والبدع الناكرين للأولياء وكراماتهم .

إلا أن القادرية وإن أطلقت لفظ العصمة على الأولياء بمعنى جواز عصمة الله لهم فإنها كما يأتي في نصوصهم أرادت ضمنا وتطبيقا المعاني السابقة الذكر (٤) هذا مع تجويزهم على الولي المعصية والكفر والأمر بذلك وتصريحهم بكثرة أهل الدعاوى والدجل والشعوذة وناشري الخرافات والإنحرافات مع كثرة الجهل بين صفوف المصدرين وقلة الورع الظاهر من المتصوفين الذين هم خاصة الأولياء عندهم (٥) .

---

(١) راتق الفتق على هامش نعت البدايات ص ٢١٥ . ٢١٦ .

(٢) الرسالة جـ ٢ ص ٦٦٥ .

(٣) المدارك جـ ١ ص ١٧٨ .

(٤) جذوة الأنوار ص ٢ و ٩ . ١٠ والكوكب الوقاد ص ٢ و ٢٣ . ٢٤ وكشف اللبس ص ١ . ٢ وهامش نعت البدايات ص ٢١٦ . ٢١٧ وغيرها .

(٥) جذوة الأنوار ص ٣٥ و ٦٦ و ٦٩ ونعت البدايات ص ٢١٥ وما بعدها والغلاوية ص ١٩٦ وما بعدها .

ولا يخفى أن في هذا مساواة بين أمر الله ورسوله وطاعة الله ورسوله وبين أمر غير المعصوم وطاعة من لا تعرف ولايته لله تعالى إذ إنه لا تجب الطاعة المطلقة إلا لله ورسوله فيما بلغ عن الله تعالى أو أولياء الأمور فيما أمر الله تعالى به ورسوله ٠

قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم٠٠) (١) ٠

قال القرطبي بعد أن بين معنى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في الآية قال في المعاني المذكورة في طاعة أولي الأمر هل المراد السلطان أم العلماء ؟ قال : (قال : ابن خويز منداد : وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان لله فيه طاعة ، ولا تجب فيما كان لله فيه معصية) إلي أن قال وقال جابر بن عبد الله ومجاهد (أولو الأمر) : أهل القرآن الكريم ، وهو اختيار مالك رحمه الله ، ونحوه قول الضحاك قال : يعني الفقهاء والعلماء في الدين) (٢) وقوى القرطبي هذا القول بدليل قوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ فأمر تعالى برد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد إلى الكتاب والسنة ، ويدل هذا على صحة كون سؤال العلماء واجبا ، وامتثال فتواهم لازما) (٣) ٠

إلى أن قال : (وزعم قوم أن المراد بأولي الأمر علي والأئمة المعصومون ولو كان كذلك ماكان لقوله : ﴿ فردوه إلى الله والرسول ﴾ معنى بل كان فردوه إلى الإمام وأولي الأمرفإن قوله عند هؤلاء هو المحكم على الكتاب والسنة وهذا قول مهجور مخالف لما عليه الجمهور(٤) ٠ وتقدم بيان الصلة بين الشيعة القائلين بعصمة أئمهتم والصوفية القائلين بعصمة شيوخهم بمعنى وجوب طاعتهم وتصديقهم في أقوالهم وعدم الأخذ عليهم في أفعالهم وإن كانت مخالفة للشريعة ومعصية

---

(١) النساء الآية ٥٩ ٠

(٢) القرطبي جـ ٥ ص ٢٥٩ . ٢٦٠ ٠

(٣) القرطبي جـ ٥ ص ٢٥٩ . ٢٦٠ ٠

(٤) نفسه جـ ٥ ص ٢٦١ ويقارن بما في فتح البارى جـ ٨ ص ٢٥٣ . ٢٥٤ ٠

ظاهرة كبيرة كانت أو صغيرة (١) وهذه بعض نصوصهم : قال المختار الكنتي في نقله عن الفضيل بن عياض في بيان حقيقة الولي ووجوب طاعته : (... فأيما رجل تيقن خصوصيته ولم يتبعه ولم يوافقه على أقواله وأفعاله وأحواله فلا حجة له عند الله يوم القيامة) (٢) .

قال ويشهد لذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الولي في قومه كالنبي في أمته) (٣) فكما يجب تصديق النبي كذلك يجب تصديقه والاقتداء به ..) إلى أن قال : (فالانبياء معصومون والأولياء محفوظون) (فالأنبياء حجج الله والأولياء أنصار الله) .

ويقول بعد مناقشته لمن يعارض القطع بصحة أقوال الأولياء كما يقول هو : (فيجب بذلك تصديق أولياء الله واعتقاد علو منصبهم وبراءتهم من جميع النقايص إذ هم لذلك أهل ...) ويستدرك بعد ضرب المثال بتصديق الله تعالى للخضر وإحالة الله تعالى لكليمه عليه السلام فيقول : (وقد ثبت وتقرر تصديق الله ورسوله للخضر رضي الله عنه وقد ثبتت وتقررت ولايته وكل ما جاز على المثل يجوز على مماثله فيجب حيئنذ تصديقهم إلا فيما خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشاهم من أن يأتوا بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ...) (٤) ثم يعرض تراجم بعض العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويقول : (فالعالم الرباني هو الذي ورث النبي صلى الله عليه وسلم علما وحالا ومقالاومعرفة واعتقادا وهداية وإرشادا

---

(١) نعت البدايات الهامش ص ٢١٦ .

(٢) جذوة الأنوار ص ٢ .

(٣) ورد هذا الحديث بألفاظ منها : الشيخ في أهله والشيخ في بيته . ولم نجد فيه هذا اللفظ الذي ذكره الشيخ سيدي المختار : الولي وهو عند أهل العلم بين الضعف والوضع انظر: إحياء علوم الدين ج ١ ص ٧٩ وعلم الحديث لابن تيمية ص ٥٢٨ وهامش المحقق ص ٥٢٨ . ٥٢٩ والمغني في الضعفاء للذهبي ج ١ ص ٤٩٦ .

(٤) جذوة الأنوار ص ٩ ـ ١٠ .

وموافقة وانقيادا وتسليما واعتمادا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ورغبة وزهدا) (١) وأن العالم الشيطاني بضده تماما ويأتي بخلاصة في الموضوع فيقول : (والحاصل أن اعتقاد تكذيب الأولياء وعدم وجوب الاقتداء بهم يجر مفاسد عظيمة تكاد تنقض الإسلام من قواعده ٠) (٣) إلى أن قال : (فالقوم ورثة الأنبياء في جميع مقاماتهم وحالاتهم وأحكامهم الشرعية والحقيقة لوراثتهم إياهم الوراثة التامة) (٤) ٠

وفي ختام بحثه لعصمة الأنبياء وأنها فضل من الله تعالى لاذاتية ولا واجبة عليه سبحانه وتعالى ٠ قال : (وسبيل الأولياء في ذلك سبيل الأنبياء إلا أن عصمة الأولياء يقال لها حفظ ، وعصمة الأنبياء عصمة مراعاة لتفاوت ما بين الرتبتين وتباين ما بين المرتبتين ، وليس بقادح في عصمة الأنبياء ثبوت عصمة الأولياء بل هي مثبتة لها ومؤكدة لشأنها ودليل صريح على ثبوتها كما أن كرامات الأولياء التي قد بلغت حد التواتر دليل على ثبوت معجزات الأنبياء ومؤكدة لها فالعصمة والكرامات للأولياء دلالتان مصرحتان بصدق الرسل ٠٠) (٥)

ويزيد رأيه بيانا في كتابه الكوكب الوقاد فيقول :

(لأن الولي إنما هو نتيجة النبي فكراماته دلائل على معجزات نبيه المتشبث بأذياله حتى قيل : كل ما صح أن يكون معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي لأن الأولياء ورثة الأنبياء فالأنبياء حجج الله على خلقه والأولياء أدلة على تصحيح ملته وصدقه فالأنبياء معصومون والأولياء محفوظون وقد اشتركوا في العصمة لأن عصمة الأنبياء واجبة وعصمة الأولياء جائزة) (٦)

---

(١) جذوة الأنوار ص ٤١ وما بعدها ٠

(٢) نفسه والصفحة ٠

(٣) نفسه ص ١٠ ٠

(٤) نفسه ٣٥ ٠

(٥) نفسه ٨١ ٠

(٦) الكوكب الوقاد ص ١ - ٢ ٠

وقد تبع المختار الكنتي على هذا المنحى في الاعتقاد في الولي الذي هو شيخ الصوفية عندهم كل المؤلفين المتمسكين بطريقته والمتأثرين بمسلكه من القادرية فهذا ولده الشيخ سيدي محمد يقول في أثناء حثه على صحبة المشايخ الطرقيين يقول :

(•• فمن لم يأخذ آدابه عن ارتياض على يدي مرتاض برياضات مشايخ الطائفة الصوفية على النحو المتوارث بينهم خلفا عن سلف إلى قرن الصحابة وهم عن المخصوص بالنبوة والنجابة صلى الله عليه وسلم ولم يرتضع من ثدي تربيتهم البان الحكم والأسرار فلاحظ له في الآدمية المعتبرة ••) (١) •

ويوضحه قوله في بيان كون الولاية التي يريد هي طريق الصوفية وأنهم هم الأولياء الذين تجب طاعتهم لأنها وراثة عن النبي صلى الله عليه وسلم •

(••• فعلم مما مر تعين الخلافة وكونها إرث النبوة وأنها لا تنقطع مادام حبل الاسلام ممتدا وأن القائم بها لايزال موجودا بنسبة الوارث خلفا عن سلف ثم لما كانت النبوة التي هي الأصل موهبة ربنانية ومنزلة صمدانية كانت خلافة الولاية كذلك ••) وأنه لما أنتهت الخلافة الراشدة انقسمت الخلافه إلى قسمين وكان من قسم (المتصوفة الكرامة والحال والسمت والمقام والعلوم اللدنية والفتح والإلهام) (٢) •

وهذا الشيخ ماء العينين يقول : (ويقال إن من حسن اعتقاد المريد أن يعلم أن الشيخ غير معصوم فلا يسقط من عينه بزلة ولا يزدريه بمعصية لكن الشيخ لايكون مصرا بل هو تواب والله يحب التوابين ومن حسن اعتقاد المريد أيضا أن يعلم أن الأولياء ورثة الأنبياء والأنبياء خطؤهم أن لو كان فهو صورة لا حقيقة لها وللوارث ما للموروث ، ومن حسن اعتقاده أن يظن بشيخه الخير في جميع المواطن ••) (٣)

---

(١) جنة المريد ٦٣ •

(٢) نفسه ٢٩ •

(٣) راتق الفتق هامش نعت البدايات ص ٢١٦ قلت : وراثة الأولياء للأنبياء لم نجدها في لفظ حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي السنن حديث في الحث على طلب العلم جاء فيه : (وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) حسنه بعضهم وضعفه آخرون • انظر : سنن أبي داود ، كتاب العلم ، الحديث رقم (٣٦٤١) • وهو تعليق في صحيح البخاري كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل •

ويقول الشيخ محمد فاضل في مطية المجد في بيانه لوجوب التسليم للولي :

(وإن رأيته على خــلاف   علمك فالزم نفسك التلاف

بالاستغفار والتعوذ وقـل   لعلني لحد هذا لم تصل) إلى أن قال :

ومنكرا عليهم فدعــه   فسوء خاتمة قد يحطه) (١) ٠

وتبعهم على هذه الاعتقادات محمد فاضل بن الحبيب فنقل من كتب الصوفية نصوصا كثيرة في وجوب طاعتهم والتسليم لهم (٢) ٠

ومن نصوصه التي يجزم هو بها قوله :

(وأن خبر الأولياء يجب تصديقهم فيه فيما تبلغه عقول أهل زمنهم مما لم يكن مستحيلا عقلا ولا عادة وإلا وجب التسليم لهم فيه يشير إلى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (الولي في قومه كالنبي في أمته) قال في نزهة الراوي وبغية الحاوي ما معناه: أنه كما يجب تصديق النبي يجب تصديق الولي فيما تبلغه عقول أهل زمنه والتسليم فيما لا تبلغه) (٣) ٠

نقد : هذا عرض لبعض نصوصهم في أن الولي الذي يريدون به الصوفي يجب على الناس قبول كلامه والقطع بأنه معصوم من الخطإ والمعاصي والذنوب وإن وقع منه شيىء فهو تواب ولذا يجب علينا اعتبار ذلك منه صورة لا حقيقة ، فتعين حسن الظن به ولو رأيناه يرتكب الكبائر وإن تجرأ عالم وأنكر عليه فهو متوعد بالسلب وسوء الخاتمــة ، إذ كيف ينكر على وارث النبوة والعلم اللدني والفتح والإلهامات ٠

---

(١) الضياء المستبين ص ١٤٠ ٠

(٢) نفسه ص ١٤ ٠

(٣) الضياء المستبين ١٢ وما بعدها ٠ وتقدم قريبا أن هذا حديث موضوع ليس من كلام النبي صــلى الله عليه وسلم والكتاب المذكور للشيخ سيدي المختار الكنتي وتقدم بيان قيمته العلمية ٠ وسبق كذلك أن نقلنا عنه هذا النص من جذوة الأنوار ٠

وظاهر في هذه النصوص أنها مستمدة من نصوص كبار غلاة الصوفية الذين أشربوا حب المكانة والاستظهار بالمظهر الزائد على الناس وهو داء مبطل للعمل ، ومعتقد فاسد يجر إلى مثل هذا أو أكثر منه ثم إنه تقدم أن القادرية كغيرهم من الصوفية متأثرون بعقائد الشيعة الموجبين للأخذ بأقوال وتعاليم أئمتهم إذ يدعون لهم العصمة كالنبي أو الحلول ٠

ولكن تقدم أن القادرية لا يوجبون العصمة كالأنبياء لمشايخهم ولا يقولون بالحلول ومع ذلك فهذه النصوص تعطي مقاصد القائلين بهذه العقائد ، والطاعة المطلقة لا تجب إلا لله ورسوله فيما هو نص صريح بالأمر والنهي أما غير النبي من البشر فإن طاعته بحسب المعروف وما يؤخذ من الكتاب والسنة وحسب الأمر والنهي والمصلحة والعرف فلا يقال تجب طاعة أولياء الأمور مطلقا ولا العلماء مطلقا ، ثم إن من أطاعهم من الناس إنما هو متبع ومطيع لمن له الطاعة المطلقة والأمر والنهي لا لذواتهم أو مناصبهم أو مكانتهم عند الناس ٠

فهذا علي رضي الله عنه الذي يعتبرونه رأس سلسلة الصوفية يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فيقول :

(بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ٠ فغضب فقال : أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى قال فأجمعوا لي حطبا فجمعوا فقال : أوقدوا نارا ، فأقدوها ٠ فقال : ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار ٠ فمازالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه ٠ فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ماخرجوا منها إلى يوم القيامة ٠ والطاعة في المعروف) (١) ٠

وعن نافع عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله علية وسلم قال : (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (٢) ٠

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي ٠ الحديث رقم (٤٣٤٠) ٠

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ، ما لم تكن معصية ، الحديث رقم : (٧١٤٤) ٠

فهذه نصوص من المعصوم صلى الله عليه وسلم تفيد بأن من وجبت طاعته من الناس لنص أو مصلحة تكون طاعته في المعروف • وانه من غير المعروف إيجاب القطع بصحة قول غير المعصوم سواء كان صالحا تحقق الناس من صلاحه وديانته فيما لا نص فيه أو غيره من أهل العلم والإمارة • يقول الحافظ بن حجر مبينا بعض فوائد هذه الأحاديث الشريفة : (وفيه . يعني الحديث الأول : (أن الأمر المطلق لايعم الأحوال لأنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يطيعوا الأمير ، فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب وفي حال الأمر بالمعصية فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية) (١) •

ومن هنا كان حكم القاضي وهو غصبان أو حكمه بعلمه غير جائزين عند المحققين لأنه غير معصوم وغير المعصوم عرضة للجور والتهمة (٢) •

والولي لا يخرج عن كونه عالما بين الحق فيجب اتباع الحق المبين ، أو قائلا من نفسه بكشفه أو إلهامه وقد تقدم أنه لا استقلال لمثل هذه الأمور بإثبات أمر من أمور الدين ، وأنه لابد لصاحبها من عرضها على نصوص الكتاب والسنة وهنا يكون الاعتبار للنصوص المعصومة لا لكشف الولي أو إلهاماته وكانت هذه سيرة من ثبتت له صفه الإلهام والحفظ ، ولزوم الحق بالنص من المعصوم صلى الله عليه وسلم (٣) •

وأما الوراثة التي يشير إليها القادرية فتقدم أن سندهم إلى الشيخ عبد القادر في الطريقة لا يثبت به شيىء لاضطرا به وظهور وضعه ، وأن السند من عبد القادر إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يثبت به أيضا شيىء لما فيه من الانقطاع فتبقى وراثة العلم التي يشير إليها الحديث الذي علقه الإمام البخاري في صحيحه وخرجه أصحاب السنن أو فيما في معناه ونصه :

---

(١) فتح الباري جـ ٨ ص ٦٠ •

(٢) انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ١٣٦ . ١٣٩ •

(٣) انظر الفتاوى جـ ١١ ص ٦٥ . ٦٧ •

(وأن العلماء هم ورثة الانبياء ورثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة) (١)

قال الحافظ بن حجر : (ومناسبته للترجمة . وهي باب العلم قبل القول والعمل . من جهة أن الوارث قائم مقام الموروث ، فله حكمه فيما قام مقامه فيه) (٢) وظاهر من قوله فيما قام مقامه فيه أن حكم العلماء الوارثين للعلم في حدود تعليم ذلك العلم الذي ورثوه والدعوة إليه بالبيان لا في وجوب العصمة ووجوب القطع بصحة أقوالهم وإلا لما قال الإمام مالك : (ما منا إلا من رد ورد عليه الإصاحب هذا القبر) يعني بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بسبب عصمته) (٣) ولما قال ابن حجر أيضا في معنى الحديث المشار إليه آنفا : (والمعنى ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء وورثتهم على سبيل التعلم) (٤) وتقدم بيان موقف القادرية من العلم وطلبه ، وأن عمدتهم فيما يوجبون على الناس الأخذ به هو علوم الخواطر والواردات والإلهامات والمكاشفات وغير ذلك مما يسمى عند بعضهم بالعلم اللدني ٠

وهذه هي الأمور التي قال ابن بون أن القائل بالقطع بصحتها ووجوب الأخذ بها كافر وذلك في قوله :

(وقطعنا بما به الولي أخبر كفر عكسه النبي) (٥) ٠

هذا مع قوله بجواز العصمة للأولياء وظهور الكرامات على أيديهم والكشف والعلم بلا تعلم ، ووجوب حبهم والرغبة في طلب الدعاء منهم إلى غير ذلك مما هو في بعضه أقرب إلى قول شيوخ الصوفية منه إلى قول المحققين من علماء أهل السنة (٦) ٠

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل : وتقدم تخريجة من سنن أبي داود ٠ وانظر كلام الحافظ ابن حجر فيه في فتح الباري جـ ١ ص١٦٠ ٠

(٢) فتح الباري جـ ١ ص ١٦٠ ٠

(٣) سبق وانظر المدارك جـ ١ ص ١٨٩ . ١٩٠ ٠

(٤) فتح الباري جـ ١ ص ١٦١ ٠

(٥) الوسيلة ص ٩ ٠

(٦) فتح الباري جـ ٨ ص ٦٠ ٠

ومع ذلك فالصواب معه فيما ذكر في البيت لما هو ظاهر من أن ادعاء وجوب القطع بما صدر عنهم هو كالصريح في إثبات العصمة لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم ، ونفي هذه العصمة عنهم بهذا المعنى هي التى يؤيدها الكتاب والسنة ولا يجوز القول بأن العلماء الذين صدر عنهم هذا النفي يحاولون الطعن في أولياء الله أو أنهم خالفوا الكتاب والسنة أو أنهم بذلك كفروا أو جاؤوا بما يمكن أن يكون هدما للشريعة ، أو أنهم أتوا ببدعة شنيعة تشابه بدع المعتزلة أو الخوارج أو الروافض إلا إذا كان واصفهم بذلك يريد إثبات عصمة الأولياء على سبيل الوجوب وإثبات تشريع جديد للناس يجب عليهم قبوله . وهذا في قربه للكفر أظهر من قول من أراد سد الباب الذي فتح في ختم النبوة بالنبوة المحمدية صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (١) ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية سادا لهذا الباب في وصفه لحال السلف مع شيوخهم مع حفظ الله لهم بالعلم والورع وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم . قال : (ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربا يستغيث به كالإله الذي يسأله ويرغب إليه ويعبده ويتوكل عليه ، ويستغيث به حيا وميتا ، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كل ما أمر ، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه) (٢) . ولكن القادرية إذا لم نقل إنهم أرادوا تأليه شيوخهم أو إثبات عصمتهم كالنبي لوجود نصوص لهم تخالف هذا المنزع فإنهم أرادوا عمليا مساواتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر ذلك جليا بما عرض من نصوصهم وبما أشاعوه في بثتهم وخصوصا ما تضمنه كتاب الطرائف والتلائد وكتاب الضياء المستبين من عرض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله وأقواله وإثبات نفس السيره و والأحوال والأقوال للمترجمين في الكتابين المذكورين (٣) .

وهذا عمل إذا قيل بأنه لقصد التأسي والتحقق بإثبات الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فإن ذينك المؤلفين بالغا ورفعا من قدر شيوخهم إلى مقام يصعب معه الاعتذار عنهما بل إن عملهما ذلك يمكن إدخاله في الوجه الخامس وما بعده من

---

(١) مشتهى الخارف ص ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) منهاج السنة جـ ٨ ص ٤٨ .

(٣) الكتابين المذكورين أنظر جذوة الأنوار ص ٧ - ١٠ و ١٥ - ١٦ و ٢٧ - ٢٩ .

الأوجه التي ذكرها القاضي عياض في الشفا فيما يأتى في بيان حكم الساب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يلحق بذلك مما يدخل بوجه فى هذا الباب من كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم للقياس عليه ومقارنة عمل أحد من الناس بعمله صلى الله عليه وسلم ولو كان ذلك العمل ليس داخلا في خصائصه صلى الله عليه وسلم وجائز في حقه وإنما أراد المرتكب لذلك الاحتجاج لنفسه وإظهار رفعة قدره حقا أو ادعاء قال القاضي عياض : (الوجه الخامس : أن لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقق بل على قصد الترفيع لنفسه أو لغيره ..) إلى أن قال بعد ضرب الأمثله : (.. فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا .. ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزز حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة حتى شبه من شبه فى كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها ...) (١) .

وهم وإن صرحوا بأنهم قصدوا بتدوين تراجم مشايخهم وذكر كراماتهم التأسي بالقرآن الكريم والسلف الصالح في ذكر قصص الأنبياء والأخيار لما في ذلك من العبر والموعظة (٢) فإنهم أخرجوا تدوينهم عن حد ما قصدوه بالمبالغات وذكرالمستحيلات والمتناقضات والحكايات المتضمنة لصريح الشركيات مما لا يقصد مسلم ذكره إلا للرد عليه وبيان ما فيه من العيوب ، يضاف إلى هذا أن الذاكر لمثل ما ذكروه لا يعمل على إفشائه بين العوام وسذج الأتباع الذين يكون لهم فتنة وضلالاً في العقيدة والسلوك وإن كان ولابد من ذكره يكون بين أهل العلم وأذكياء الطلاب الذين يميزون بين الحق والباطل وما يصح وما لا يصح ولذا فقد قال القاضي عياض في توضيحه لما يلزم الراوي لمثل هذه الأخبار والقياسات التي ارتكبها بعض القادرية في

---

(١) الشفا جـ ٥ ص ٢١٠ ـ ٢١١ و ٢٢٢ ـ ٢٢٣ منه .

(٢) انظر الطرائف مثلا ص ٥٠٩ .

شيوخهم قال : (فإن كان ذلك ممن تصدى لأن يؤخذعنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من يلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين ، وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته ...) (١) .

وإذا أخرجنا هم عن حد قصد الكفر لتصريحهم بأنهم أرادوا التأسي ولم يكن عندهم من التحقيق مايمنعهم من الوقوع فيما وقعوا فيه من المبالغات والطلب لشيوخهم المساواة بالمعصوم صلى الله عليه وسلم (٢) فإنه لا يمكن على منهج التحقيق إخراجهم ممن قال فيه القاضي عياض بأنه يتعين عليه إن أراد خيراً بما يحكيه في جانب النبوة وتدريس العلم والاعتبار : (أنه يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك ما عساه لا يفقه أو يخشي به فتنته) (٣) وهذا ما تجاوزته القادرية أيضا فإنه قد انتشر بين أتباعها ومحيطها ما يصعب معه مجرد إنكار مثل ما تضمنه الكتابان المذكوران ، ولو وجد من يقول عند حكاية شيىء مما نسبوه إلى مشايخهم من المبالغات أو المستحيلات : (هذا مما لا يجب الإيمان به) وهي عبارة مشهورة بين الناس تطلق عادة عند ذكر ما يخشى على الأطفال والعوام من الاعتقاد فيه . وإن وجد هذا القائل لوجد من يدافع ويجادل محتجا بأن الله على كل شيء قدير ولا يحتج على هذا بقدرة الله تعالى .

والله أعلم .

---

(١) الشفا جـ ٥ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .

(٢) ترتيب المدارك جـ ١ ص ١٣٧ .

(٣) الشفاء جـ ٥ ص ٢٦٣ .

المطلب الثالث : علم الغيب

التعريف : (الغيب الشك والجمع غياب وغيوب وكل ماغاب عنك).

وغيابة كل شيىء ماسترك منه ، ومنه غيابات الجب (١)

وقال القاضي ابن العربي في قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) (٢) وحقيقته ماغاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبردون النظر) (٣)

وقال القرطبي : (فالله تعالى عنده علم الغيب ، وبيده الطرق الموصلة إليه ، ولايملكها إلا هو ، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه ومن شاء حجبه عنها حجبه ، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله ، بدليل قوله تعالى : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) (٤) (وقال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) (٥)

حكم ادعاء علم الغيب :

وقد جاء الكتاب والسنة بأنه لايعلم الغيب الا الله تعالى وأن الرسل لايعلمون منه إلا ما علمهم الله تعالى .

ولذا فقد كفر الصحابة فمن بعدهم من العلماء مدعى علم الغيب على الاطلاق سواء كان متنبأ أو منجما أو عرافا أو كاهنا وما روي عنهم في ذلك كثير .

---

(١) القاموس المحيط جـ ١ ص ١١٢ قال : (الشك : خلاف اليقين ج شكوك وشك في الأمر وتشكك وشككه غيره ..) قلت : ولا يكون الغيب بمعنى الشك إلا إذا كان رجما بالغيب ، وإلا لما كان الايمان به نفسه : مدحا كما هو ظاهر من الآيات المذكورة .

(٢) البقرة الآية ٣ .

(٣) أحكام القرآن الكريم جـ ١ ص ٨ .

(٤) آل عمران الآية ١٧٩ .

(٥) سورة الجن ٢٦ و ٢٧ . القرطبي جـ ٧ ص ٢ .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن طلب منه مالا يقدر عليه إلا الله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى الى ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ﴾ (٢)

وقد قالت عائشة رضي الله عنها لمسروق (من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رآى ربه فقد كذب ، وهو يقول (لا تدركه الأبصار) (٣) ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهويقول ﴿ لايعلم الغيب إلا الله ﴾ (٤) (٥)

وقد دأبت الصوفية على طلب التميز عن الناس في العلوم والمعارف والأحوال حتى قالوا بنزول الملائكة عليهم ومحادثة الخضر عليه السلام لهم وأخذهم عن أرواح الأنبياء واطلاعهم على ما في الضمائر والكلام على الخواطر وأن إلهاماتهم ومكاشفاتهم حق يجب الأخذ به إذ إن ذلك من علم الغيب الذي خصهم الله به لولايتهم له ، وأنهم ينظرون إلى ما في اللوح المحفوظ ومابين الفرش إلى العرش (٦)

ومما قالت الصوفية تقول القادرية إلا أنه لم يدع أحد منهم أنه نبي أو أنه هو المهدي المنتظر (٧) بل إن بعضهم يشنع على من يأتي بالكلام الموهم لذلك (٨)

---

(١) الأنعام الآية ٥٠ .

(٢) هود الآية ١٢٣ .

(٣) الانعام الآية ١٠٣ .

(٤) ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ الآية من سورة النمل الآية ٦٥ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ الحديث رقم ٧٣٨٠ .

(٦) التصوف المنشأ والمصادر ص١٥٩ وما بعدها والصوفية معتقدا ومسلكا ص ٩٢ وما بعدها .

(٧) انظر الصوارم الهندية في حسم الدعاوى المهدوية .

(٨) الغلاوية ص ٣٨ .

وبعضهم يؤكد أن الوحي للأنبياء فقط وأنهم لايعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله تعالى (١) ومع ذلك يزعمون أنهم يتلقون من الملائكة ويلهمون العلوم بل ويعلمون الغيب ويتلقون عن الله بلا واسطة .

ولنورد إن شاء الله هنا بعض نصوصهم المصرحة بذلك ثم نتبعها بما يناسبها من نقد ودراسة :

عرض : قال المختار الكنتي في ترجمته لجده وهو الشيخ سيدي عمر الشيخ الذي يعتبر أول شيوخ القادرية في البلاد : (وما مات حتى بلغ القطبانية العظمى تواتر عنه أنه كان ينظر إلى ما بين العرش والفرش كما ينظر إلى الدرهم في كفه) (٢) .

وقال الشيخ سيدي محمد الكنتي في مجال الحث على الخوف من الخاتمة - نسأل الله لنا وللمسلمين حسنها - (وانظر إلى بلعام ابن باعوراء الذي كان إذا نظر نحو السماء أبصر العرش) وأن إبليس اللعين :(قيل إنه كان ينظر في اللوح المحفوظ) (٣)

ويقول في سيرة والده إنه قال له إنه كان إذا أشكل على شيخه الذي يدرسه العلوم شئ يخلو بنفسه . قال : (فيأتيني رجلان كأحسن ما أنت راء من الرجال صورة وسمتا فيفسران لي ويقرآني) (٤) وأن الخضر عليه السلام قال له إن بركة العلم إنما تحصل بقراءة الرسالة (٥) يعني رسالة ابن أبى زيد القيرواني كما تقدم في ترجمته إلى أن قال : (وأخبرني الشيخ الوالد رضوان الله عليه قال : اشتغلت بالنظر في علم الأوفاق فأتاني ملكان فقالا إن ربك يقرئيك السلام ويقول لك إن شئت ألهمتك من علم الجدول مالم أفتحه على أحد قبلك ثم وكلتك إليه وان شئت أغنيتك عنه بمجرد ذكري والحضور معي) (٦) .

---

(١) بذل الوسع في تفسير الآيات التسع ص ٣٠ - ٤٧ .

(٢) المنة ص ٤٣ .

(٣) الغلاوية ص ٢٦٩ انظر خبر بلعام في تفسيرالقرطبي جـ ٧ ص ٣٢١ عند قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها .. ﴾ الآية ١٧٥ من سورة الاعراف .

(٤) الطرائف ص ٩٩ .

(٥) نفسه ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٦) نفسه ص ٣٠١ .

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي : (فعلم القلب هو العلم اللدني الذي لم يسطر في الطروس ولم يحفظ بالدروس ، وإنما تلقين من الله بغير واسطة ملك ولا سمسرة رسول) (١) وقال ناقلا عن كتاب لطائف المنن على وجه الاستدلال والتسليم : (وأن الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الأدب لم يحتجب الغيب عنه ، والتطهير من العيب يفتح لك باب الغيب) (٢) وقال صاحب الضياء المستبين : (لما توفي سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم كانت بيده مفاتيح العلوم اجتمع الاولياء عنده وقالوا اطلبوا منكم رجلا نجعل هذه المفاتيح بيده فقال بعضهم : اجعلوها بيد الشيخ سيدي المصطف .

فقال بعضهم هو لها أهل لولا أن أجله قد دنا فقال قائل اجعلوها بيدالشيخ محمد فاضل بن مامين فهو أهلها وهو الحائز قصب السبق فيكم فلا يجاريه المجاري ولا يباريه المباري فأخذها كافة أهل تلك الحضرة من الأولياء والملائكة وأتوه بها وقالوا هذه مفاتيح كانت بيد هذا الرجل وليس لها بعده من أهل غيرك فأخذها واختص بها دون غيره فعلم كل علم بلا كد ولا نكد بل بتخصيص إلهي وعناية ربانية) (٣) .

ويحكي أيضا أن الشيخ محمد فاضل قال : (لما توفي ابني أبو الفتح حزنت عليه فقيل أتحزن عليه وقد ولد لك سيدي عثمان واحمد الهيبه : إلى أن قال فقيل لي إنه سيظهر فيه بروري) (٤) قلت : أظنه يقصد بذلك سيدي عثمان . ويستدل صاحب الضياء على ولاية أبناء الشيخ بمعرفتهم علم الغيب ومكنون الضمائر فيقول : (وفيهم من الكشف بأنواعه ، فما من نوع إلا وقد أظهره الله تعالى في بعضهم فلقد كان القوم يقولون الكشف أقسام فيه ماهو في المغيبات وخفايا الضمائر وأسرار النيات ومنه ماهو في علوم التحقيق وحقائق الأشياء محسوسة كانت أو معقولة إلى أن قال :

---

(١) جنة المريد ص ١٣٣ .

(٢) نفسه ص ١٣٥ .

(٣) الضياء ص ٢٤٣ .

(٤) نفسه ص ٢٥٩ .

(ومنه ماهو في التحقيق الالهي وهو أكمل أنواعه وأتمها وقد شاهدت هذه الأنواع بأسرها فيهم) (١) ثم أخذ يسمى لكل واحد نوعا من أنواع الكشف والاطلاع على المغيبات وكثرة لقاء النبي صلى الله عليه وسلم (٢) إلى أن قال : وكذلك زوجاته فمنهن المكاشفات بحقائق الغيب (٣) ويضيف صاحب الضياء بعد إيراده لطرق الوحي قائلا :

(وهى طرق وهب العلم لأولياء الله) وقال : قال الشيخ : (والله ما أخذت شيئا إلا عن الله تعالى بلا واسطة غير أن أبي علمني كتاب الله تعالى وما يعلم من علوم الأسرار ، وأما غير ذلك فوالله ما أخذته إلا عن الله بلا واسطة) (٤) . وأن الشيخ محمد فاضل عندما قرىء عليه كتاب الشيخ عبد الكريم الجيلي الذي يقول فيه إنه أسري به وأنه له معراج كمعراج النبي صلى الله عليه وسلم فقال الشيخ : (كلنا ولله الحمد أسري به) (٥) ويضيف هذا المؤلف ليوضح مايدعيه لشيخه على وجه العموم فيقول : (فرع : ومما منح الله تعالى هذا الولي مما يدل على تحقيق كونه الوارث للرسول صلى الله عليه وسلم المخصص بما يرجوه من ربه من كل سؤل ما أعطاه الله من كشف عالم الغيب فكان لا يخبر بأمر إلا رئي كما أخبر به فلقد كان يخبر بالأمر السماوى من مطر أو ريح أو ظهور غيم أو طلوع هلال في اليوم الفلاني فينزل كما أخبر ، ولقد كان يخبر عن الأمر الأرضي من حدوث مسرة أو دفع مضرة أو ضدهما أو ولادة مولود أو موت أو قدوم مسافر أو خصب يقع في العام أو عافية أو ضدهما ونرى ما أخبر به كما أخبر .

وأما ضمائر النفوس وخواطر القلوب وخفايا السر فلهو أعلم بها من الظواهر حتى كنا نرى أن لاستر بينه وبين شيء من الغيب قط ... وأنواع مكاشفاته وإخباراته بالغيب عجب لايوصف وأمر لاينشر كان أكثر ذلك منه في البدء وأما الآن فإنما إخباره بالغيب على وجه الإشارة) (٦) .

(١ ـ ٢) نفسه ص ٢٧٩ وما بعدها .
(٣) نفسه ٢٩١ .
(٤) نفسه ص ٢٩٩ .
(٥) نفسه .
(٦) نفسه ص ٣٤٨ .

نقد : هذه بعض نصوصهم في ادعاء علم الغيب بواسطة الولاية والباحث يجد في بعض هذه النصوص تجاوزا كبيرا لحدود الولي والولاية إلى حدود الربوبية والألوهية أو الرسالة والاصطفاء ذلك أن فيها ادعاء حيازة مفاتيح علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بها ، ولم يطلع عليها لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وفيها ادعاء الإحاطة بكل العلوم والأخذ عن الله تعالى بلا واسطة والإخبار بالأمور المستقبلية من نزول المطر والموت والولادة والاطلاع على مكنون الضمائر زيادة على الأخذ عن الملائكة . وأصحاب هذه النصوص عند الفحص تتراوح أحوالهم بين الأمور الآتية :

أولا : ادعاء الألوهية خصائص وهذا كفر بالاجماع ، قال تعالى في وصف عباده المقربين من الملائكة الكرام :(ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزي جهنم كذلك تجزي الظالمين) (١) قال الحافظ بن كثير :(أي من أدعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) أي كل من قال ذلك) (٢)

ثانيا: ادعاء النبوة والرسالة وهذا أيضا لاخلاف في كفر صاحبه .

ثالثا: دجل وطلب مكانة عند الناس مع الغفلة الزائدة في العلم والجهل وعدم المراقبة لله تعالى وهذه أمور كلها تخالف مقاصد الولاية وحقيقتها .

قال القاضي عياض : (وأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة - فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله - لكن تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته) (٣) وسواء ادعى ذلك لنفسه أو لغيره .

قال الله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (٤) .

---

(١) الانبياء الآية ٢٩ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٧٦ .

(٣) الشفا جـ ٥ ص ٤٧٠ - ٤٧١ نفسه مع شرحه لعلي القاري .

(٤) الأنعام الآية ٥٩ .

وقال تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تـــدري نفس ماذا تكســب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليــم خبيـــر ﴾ (١) (وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(مفاتيح الغيب خمس لايعلمها إلا الله : لايعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم مافي غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) (٢) .

وعن مسروق رضي الله عنه قال : (قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمتاه ، هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رآى ربه فقد كذب ثم قرأت :(لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أومن وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب ، ثم قرأت : (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت : (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك) الآية ولكن رآى جبريل عليه السلام في صورته مرتين) (٣) .

وفي خبر المنافق الذي قال عندما ضلت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم في طريق عودته من غزوة تبوك كما ذكرها ابن اسحاق في السيرة بسنده قال : (فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليـس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لايدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده :(إن رجلا قال هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لايدري أين ناقته وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله .

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، ...) الحديث رقم : ٧٣٧٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم الحديث رقم : ٤٨٥٥ .

وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها) (١) .

قال الحافظ بن حجر :(فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لايعلم من الغيب إلا ما علمه الله ، وهو مطابق لقوله تعالى : ﴿ فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) (٢) الآية وقد اختلف في المراد بالغيب فيها فقيل هو على عمومه وقيل ما يتعلق بالوحي خاصة وقيل مايتعلق بعلم الساعة وهو ضعيف) (٣) .

وقال ناقلا عن الطيبي : (وأما الكرامات فهي من قبيل التلويح واللمحات ، وليسوا في ذلك كالانبياء وقد جزم الاستاذ ابو اسحاق بأن كرامات الاولياء لاتضاهي ماهو معجزة للأنبياء وقال أبو بكر بن فورك : الأنبياء مأمورون بإظهارها ، والولي يجب عليه إخفاؤها والنبي يدعي ذلك بما يقطع به بخلاف الولي فإنه لايأمن الاستدراج . وفي الآية رد على المنجمين وعلى كل من يدعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك لأنه مكذب للقرآن وهم أبعد شيىء من الارتضاء مع سلب صفة الرسلية عنهم) (٤) وقد جاء أثر في مسند الطيالسي عن الزهري بلفظ : (أوتي نبيكم مفاتيح الغيب إلا الخمس) ثم تلا الآية . يعنى :(إن الله عنده علم الساعة) قال الحافظ بن حجر : وأظنه دخل عليه متن في متن ، فإن هذا اللفظ أخرجه بن مردويه عن طريق عبد الله ابن سلمة عن ابن مسعود نحوه) ثم قال : (وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال بأنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون ، وأن يوسف عليه السلام قال إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله تعالى :(إلا من ارتضى من رسول) فإنه يقتضي إطلاع الرسول على بعض الغيب والولي التابع للرسول عن الرسول يأخذو به يكرم ، والفرق بينهما

---

(١) السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام جـ ١ ص ١٣٧٥ . ١٣٧٦ .

(٢) سورة الجن الآيتين ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) فتح الباري جـ ١٣ ص ٣٦٤ .

(٤) فتح الباري جـ ١٣ ص ٣٦٤ . ٣٦٥ .

أن الرســول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها والولي لايطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام) (١) .

وقال القاضي البيضاوي : (يخصص الرسول بالملك في إطلاعه على الغيب ، والأولياء يقع لهم ذلك بالإلهام) (٢) قال الحافظ بن حجر :(ولم أقف في شيء من الأخبار على كون الإلهام جزءا من أجزاء النبوة مع أنه من أنواع الوحي) (٣)

وقال القاضي عياض في فصل خصصه من كتابه الشفا لتلخيص بعض ما أطلع الله نبيه عليه من الغيب : (ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب ، وما يكون من الأحاديث في هذا الباب بحر لايدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) (٤) وساق الأحاديث والآثار الدالة على ذلك ثم قال في فصل آخر خصصه للكلام على أن الله تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده : (اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى :

(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) (٥) وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل) (٦) .

وقال الحافظ ابن حجر معقبا على مانقله عن ابن التين عن الداودي في قوله في أحد طرق الحديث الذي قدمناه عن عائشة رضي الله عنها والذي هو :

---

(١) فتح الباري جـ ٨ص ٥١٤ .

(٢) نفسه جـ ٨ ص ٥١٤ .

(٣) نفسه جـ ١٣ ص ٣٦٤ .

(٤) الشفا جـ ٣ ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٥) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٦) الشفا جـ ٢ ص ٧٢٣ ـ ٧٢٥ .

(من حدثك أن محمدا يعلم الغيب) أنه قال : (ما أظنه محفوظا وما أحد يدعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من الغيب إلا ما علم .)

قال الحافظ ابن حجر : (ما ادعاه من النفي متعقب . فإن بعض من لم يرسخ في الايمان كان يظن ذلك حتى كان يرى أن صحة النبوة تستلزم إطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على جميع المغيبات) (١) . وقد اخذ ذلك رحمه الله من قصة المنافق التي ذكرناها سابقا في خبر ناقة النبى صلى الله عليه وسلم التى ضلت .

قلت : هذه نصوص من الكتاب والسنة الصحيحة وأقوال أهل العلم تنفي عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم علم الغيب على الإطلاق وتثبت لهم بدليل : (إلا من ارتضى من رسول) إطلاع الله لهم على بعض الغيوب لتبليغها وجعلها حجة وتكليفا من الله لخلقه .

وأن غيرهم من الخلق مهما كان صلاحه وتقواه واشراق روحه وذكاء فؤاده وصدق فراسته لايعتد بما صدر منه ولاما وقع له إلا بدليل من الكتاب والسنة .

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح بأنه لاسبيل للشيطان عليه وأنه محدث ومع ذلك لم يدع علم الغيب ولا معرفة مافي غد لأن ذلك من الكفر الصريح إطلاقه بل كان رضي الله عنه يعرض كل أموره على الكتاب والسنة وأهل مشورته من علماء الصحابة (٢) .

قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه : (والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجا إلاسلك فجا غير فجك) (٣) قال النووي قال القاضي عياض : (يحتمل أنه ضرب مثلا لبعد الشيطان وإغوائه منه وأن عمر في جميع أموره سالك طريق السداد خلاف ما يأمر به الشيطان .

---

(١) فتح الباري جـ ١٣ ص ٣٤٦ .

(٢) انظر الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية لابن القيم . تحقيق : محمد حامد الفقهي ، دار الكتب العلمية ص ١٦ . ١٨ و ٢٨ . ٣٠ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه .

إلى أن قال النووي : (ويحتمل أن الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان متى رآى عمر سالكا فجا هرب هيبة من عمر وفارق ذلك الفج وذهب في فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل به شيئا) (١) قلت : وصحح النووي هذا الاحتمال على الأول ، فكيف بمن يشهد على نفسه بصحبة الجن والشياطين واستخدامها وأن رجال الغيب يحدثونه هم في الواقع رجال من الجن يتشكلون لمن يريد الله تعالى إضلاله بسببهم ولم يكن عنده من العلم ما يعصمه الله به لشدة اعتقاده في نفسه أو في شيخه وترقبه للخوارق والكرامات والتميز أو التمويه على خلق الله (٢) .

وكذلك من يدعي إتيان الخضر عليه السلام له وإطلاعه على أمور غيبيه فإنه لايخرج عن كونه جنيا تشكل لصاحب هوى ليضله ويغويه وإلا فالخضر على ما رجحه الحافظ بن حجر - بعد البحث وذكر الآراء والآثار وأقوال من يدعي أنه رآه وأخذ عنه وأنه حي باق إلى الابد . رجح رحمه الله أنه نبي وأنه لاينبغي (التوقف في الجزم بنبوته) (٣) واستدل على نبوته بقوله تعالى على لسانه : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ (٤)

قال : (وهذا ظاهره أنه فعله بأمر من الله والأصل عدم الواسطة ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد ولا سبيل إلى القول بأنه الهام لأن ذلك لايكون من غير النبي وحيا حتى يعمل به ماعمل من قتل النفس وتعريض الأنفس للغرق : فإن قلنا بأنه نبي فلا إنكار في ذلك إلى أن قال وقال الثعلبى (٥)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، المجلد الثامن جـ ١٥ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) انظر : مجموعة الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ٦٦ .

(٣) الزهر النضرفي نبأ الخضر ، لحافظ ابن حجر ، مجموعة الرسائل المنيرية جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٤) سورة الكهف الآية ٨٢ .

(٥) قلت : لعل الثعلبي هذا هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق المفسر صاحب كتاب : (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء وبهذا الكتاب وبما أثنى العلماء عليه به من الثقة والحفظ رجحت كونه الذي نقل الحافظ كلامه . انظر : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ٤٠ . وفيه أنه توفي سنة ٤٢٧ هـ .

(هو نبي في جميع الأقوال وكان بعض أكابر العلماء يقول : أول عقدة تحل من الزندقه اعتقاد كون الخضر نبيا لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي) (١) وقال الحافظ : بأن جميع الآثار الواردة في استمرار حياته ضعيفة واهية وأضاف : (والذى تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما تعتقده العوام من استمرار حياته ... وأقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجيئه للنبي صلى الله عليه وسلم وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي) (٢) .

فالملائكة تختص بالنزول على الرسل بالرسالات على ما تقدم ، والخضر على هذا قد مات عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله على ما ظهر رجحانه .

فبقيت من طرق معرفة الغيب والتي يظن أنها طرق لمعرفته علوم السر والأوفاق وخصائص الحروف والأسماء الأعجمية وغير ذلك مما هو داخل في علوم العرافة والكهانة والدجل والشعوذة ـ ويأتي الكلام عنها في المبحث الذي يأتي بعد هذا ثم الكشف والمنامات والإلهامات والفراسة .

أما الكشف فقد تقدم أنه لايصح إدعاء علم الغيب به أو الاحتجاج به لعدم الوثوق باخبار غير المعصوم من الشياطين ويلحق به المنامات والمرائي وإن كانت جزءا من النبوة يراها الرجل الصالح أو ترى له إلا أن الشيطان أيضا قد يتسلط عليها (٣) .

قال الله تعالى لنبيه المعصوم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ (٤) .

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية جـ ١ ص ١٩٧ . ١٩٨ ولم نتمكن من معرفة هذا العالم الكبير الذي نسب إليه الثعلبي هذا القول النبيه .

(٢) نفسه ص ٢٣٤ .

(٣) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣٦١ وما بعدها .

(٤) الحج الآية ٥٢ .

قوله تعالى : ﴿ تمنى ﴾ أي قرأ أو تلا قال القرطبي قال ابن عطية : (وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) ثم قال : قال مسلمة ابن القاسم : وهو الراوي : (فوجدنا المحدثين معتصمين بالنبوة ـ على قرءاة ابن عباس رضي الله عنهما ـ لأنهم تكلموا بأمور عالية من أنباء الغيب خطرات ، ونطقوا بالحكمة الباطنة ، فأصابوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا ، كعمر بن الخطاب في قصة سارية وما تكلم به من البراهين العالية) إلى أن قال القرطبي بعد أن ساق بسنده في هذه القراءة ـ قال أبو بكر الأنباري : (فهذا حديث لا يؤخذ به على أن ذلك قرآن ، والمحدث هو الذي يوحى إليه في نومه لأن رؤيا الأنبياء وحي) (١) قلت : وكأنه يريد قصر وصف المحدث على الأنبياء ولكنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم إثبات هذه الصفة في الأمم السابقة على الإطلاق وإثبتها لعمر رضي الله عنه على شرط أنها في أمته صلى الله عليه وسلم أو على أنه أراد التأكيد على وجودها فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم . قال ابن وهب : تفسير محدثون ملهمون) (٢) قال الإمام النووي (واختلف تفسير العلماء للمرادبمحدثون فقال ابن وهب : ملهمون وقيل مصيبون وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيىء فظنوا وقيل تكلمهم الملائكة وجاء في رواية متكلمون وقال البخاري يجري الصواب على ألسنتهم وفيه إثبات كرامات الاولياء) (٣) .

قال الأبي : (قلت قال ابن العربي : وقيل إن قولهم محدثين من صفاء القلب لما يتجلى فيه من اللوح المحفوظ وإنها لدعوى عريضة وخرافة باردة ولو كان ذلك بالتجلى عند المقابلة بين القلب الصافي واللوح المحفوظ لكان مطلعا على جملة المعارف أو على جملة عظيمة لا على كلمة واحدة وإنما طريق ذلك أن الله تعالى

---

(١) القرطبي جـ ١٢ ص ٧٩ . ٨٠ وفتح الباري جـ ٧ ص ٤٢ و ٥٠ . ٥١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل عمر رضي الله عنه . وصحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ٣٦٨٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص ١٦٦ وأنظر فتح الباري جـ ٧ ص ٥٠ .

يخلق في القلب الصافي بواسطة الملك الكلمة التي يلقيها الشيطان إلى الكاهن وقد ينتهي إلى أن يسمع الصوت ويرى الملك ولم أعرف ذلك الآن وضرب مثالا لحادثة عمر مع سارية : وقال : وهي كرامة ظاهرة في الصالحين إلى يوم القيامة) (١) ٠

وبعد أن أثبت شيخ الإسلام ابن تيمية كون عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الأولياء المحدثين من هذه الأمة قال : (وليس في أولياء هذه الأمة من يأخذ عن الله سبحانه شيئا بلا واسطة نبي أفضل من عمر ومع هذا فكل ما يرد عليه بدون واسطة النبي ، عليه أن يعتبره بماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فإن وافقه قبله وإن خالفه رده كما كان عمر بن الخطاب يفعل ... وأما ما يرد على قلوب الأولياء فليس معصوما وليس عليهم تصديقه بل وليس لهم العمل بشيء منه إذا خالف الكتاب والسنة) (٢) ٠

قلت : ولما اعتبرنا ماصدر عن القادرية من دعوى أخذ العلم عن الله بلا واسطة أو بواسطة ـ اعتبرناه بالكتاب والسنة وجدنا فيه من مخالفة الكتاب والسنة ولازم الولاية مالا يخفى حيث إن فيه ادعاء علم الغيب على الاطلاق والاخذ عن الله تعالى بواسطة الملك أو الخضر أو بلا واسطة وفي ذلك كله من ادعاء الربوبية والنبوة ما كفر العلماء مرتكبه .

قال القاضي بن العربي في تفسيره لآيات الأحكام :

(المسألة السابعة : مقامات الغيب الخمسة التي لايعلمها إلا الله لا أمارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبى لاطلاع الغيب من أمارات الساعة والأربعة سواها لا أمارة عليها فكل من قال : إنه ينزل الغيث غدا فهو كافر ، أخبر عنه بأمارات ادعاها ، أو بقول مطلق . ومن قال : إنه يعلم مافي الرحم فهو كافر فأما الامارة على هذا فتختلف فمنها ماهو كفر ومنها تجربة... وأما من ادعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر ، أو أخبر عن الكوائن الجملية أو المفصلية فيما يكون قبل أن يكون فلا ريب في كفره أيضا فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا : يؤدب ويسجن ولا يكفر ، أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا :

---

(١) إكمال إكمال المعلم ، تأليف محمد بن خلفة الوشتاني الأبي . دار الكتب العلمية . بيروت جـ ٦ ص ٢٠٤ ٠

(٢) كتاب الصفدية جـ ١ ص ٢٥٣ ٠

إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسبما أخبر سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا : (والقمر قدرناه منازل) (١) فلحسابهم له وإخبارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم .

وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره فتشوش عقائدهم في الدين وتزلزل قواعدهم في اليقين فأدبوا حتى يسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به) (٢) وتبعه على ما حكم به القرطبي في تفسيره لنفس الآية من سورة الانعام : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) (٣) وقال الأبي في شرحه لاحاديث الفتن من صحيح مسلم وظهور الدجاجلة والمتنبئين والمدعين للألوهية (٤) قال : (قلت : دعوى النبوة لفظا أو معنى يدخل فيه ما يتفق من كثير أن يقول قد قيل لي أو أذن لي وكان الشيخ (٥) ينكر هذه المقالة كثيرا ويقول لا أقبلها ولا من المرجاني (٦) الذي صحت ولايته قال وقد اختلف بم يعرف النبي أن الذي يخاطبه ملك فكيف يصح لغيره أن يأتي بكلام فيه تعميه توهم أن الذي يقول له ذلك ملك) ٧) .

وبهذا يتضح أن مدعى علم الغيب طلبا للمكانة عند الناس يعامله الشرع بخلاف مراده متنبئا كان أو متدجلا أو متمصلحا .

ولولا انتشار هذه العقيدة بين اتباع المشايخ من هذه الطريقة إلى حد أنها تحرمهم من بعض أمورهم وهم في غيبة عن الشيخ خوفا من اطلاع الشيخ عليها كما تحرمهم من أن يطلبوا منه لأنفسهم صالح الدعاء ادعاء بأنه يعلم حالهم وحاجتهم وأنه غير خاف عليه أمرهم لولا أن هذه الأمور وأمثالها من هوادم أصول الدين لكان للباحث أن يكتفي بطرح سؤال واحد وهو : أين هذه العلوم التي استفادوها من الأطلاع على غيب الله تعالى ؟

والجواب تقدم فى عرض علومهم ومعارفهم وفي تراجمهم . والله أعلم .

---

(١) سورة يس الآية ٣٩ .

(٢) أحكام القرآن جـ ٢ ص ٧٣٨ . ٧٣٩ .

(٣) القرطبي جـ ٧ ص ١ . ٤ .

(٤) إكمال إكمال المعلم جـ ٧ ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٥) قلت : لعله يريد الإمام محمد بن عرفة الورغمي التونسي حيث لازمه وأخذ عنه كثيرا . انظر شجرة النور ص ٢٢٧ و ٢٤٤ .

(٦) لم نجد له ترجمة تميزه ولعله : محمد بن أبي بكر المرجاني المتوفي سنة ٨٢٧ هـ انظر : الاعلام للزركلي جـ ٧ ص ٢٠١ .

(٧) إكمال إكمال المعلم جـ ٧ ص ٢٥٨ .

المطلب الرابع : ختم الولاية

التعريف : يقول القاضي عياض في المشارق في بيانه لقوله صلى الله عليه وسلم : (وأنا خاتم النبيين) (١) قال ابن الأعرابي : الخاتم والخاتم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم قال ثعلب : فالخاتم الذي ختم به الأنبياء ، والخاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا) (٢) ويقول العسكري في فروقه : (والأصل في الختم ختم الكتاب لأنه يقع بعد الفراغ منه) ، (والفرق بين الرسم والختم أن الختم ينبىء عن إتمام الشيىء وقطع فعله وعمله ، تقول ختمت القرآن أي أتممت حفظه وقرأته وقطعت قراءته ...) (٣)

ومن هذا التعريف يعرف أن خاتم الأنبياء هو أفضل الأولياء إذ لاولاية أعظم من ولايته صلى الله عليه وسلم ولا من ولاية أصحابه بعده والقرون المفضلة . ولكن بعض الصوفية الناشئن على الأفكار الفلسفية أرادوا المساواة بين الأنبياء والفلاسفة في فلسفتهم الإشراقية ، وارتفعوا بشيوخهم وكبارهم عن مستوى النبوة وقالوا بأن النبي يأخذ عن الله بواسطة الملك وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة من هنا قالوا بتفضيل أوليائهم على أنبياء الله تعالى (٤) وكان من أول الخائضين في هذه الفكرة محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ على الراجح ، وألف في ذلك كتابه خاتم الأولياء أو ختم الولاية الذي يعتبر عمدة مؤلفاته (٥) وأخرج من بلده بسبب تأليفه له وكفر بما ضمنه كتابه هذا من تفضيل بعض الأولياء على الأنبياء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وفي هذا الكتاب من الكلام الباطل ما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام ، والذي فتح الكلام في ختم الأولياء ، حتى جاء هؤلاء

---

(١) تقدم الحديث ، وهو متفق عليه .

(٢) مشارق الأنوار ، للقاضي عياض ، نشر المكتبة العتقية بتونس جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٣) الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري ص ٥٦ .

(٤) انظر : كتاب الصفدية جـ ١ ص ٢٤٧ وما بعدها .

(٥) المنهيات للحكيم الترمذي ، دراسة وتحقيق / محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن ، القاهرة . المقدمة ص ١٣ وطبقات الصوفية ص ١٢٧ وما بعدها .

المتأخرون الذين يدعي كل منهم أنه خاتم الأولياء كابن عربي وابن حموية . وهو سعد الدين محمد بن عبد الله بن حمويه الحموي المتوفي سنة ٦٥٢ هـ وغيرهما وأتى بالعظائم التي لم يسبق إليها الترمذي ولا غيره ، وفي كلام هؤلاء ونحوهم تفضيل بعض الأولياء على الأنبياء أو بعضهم ، وشيوخ الصوفية متفقون على تفضيل الأنبياء على الأولياء ، كما اتفق على ذلك سائر علماء المسلمين) (١) .

والقادرية يتفقون مع شيوخ الصوفية وعلماء المسلمين على تفضيل الأنبياء على الأولياء عموما بل ويكفرون ويجهلون من يقول غير ذلك من الصوفية ، ويردون عليه في استدلاله بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام ويقولون بأن أقصى ماتدل عليه تأديب من الله لعبده ورسوله موسى (٢) .

يقول المختار الكنتي : (وغاية ما تدل عليه القضية أن الله تعالى أدب موسى عله السلام حين ادعى ما ليس له وهو الإحاطة بالعلم دون أن يضيفه إلى الله فأحاله إلى من هو دونه رتبة وهو ولي الله تعالى الخضرليريه سعة علم عبد من عباده فضلا عن علمه تعالى ...) (٣) وقد تقدم بعض نصوصهم في هذه المسألة في مبحث ختم النبوة ، وكلامهم فيها متفق إلى حد كبير مع مذهب أهل السنة (٤) إلا أنهم يرون كغيرهم من الصوفية أن الخضر ولي غير نبي ، خلاف ما تقدم عن ابن حجرمن أنه لا ينبغي أن يرتاب أحد في نبوته لوضوح القرآن في ذلك ، ومع أن القادرية لا يقرون صراحة بعقيدة ختم الولاية بمعنى تفضيل ولي على نبي إذ الولاية كما يقولون جزء من النبوة وأن كل نبي ولي ولا ينعكس (٥) فإنهم يضعون أكبر أصحاب هذه العقيدة

---

(١) الصفدية جـ ١ ص ٢٤٨ .

(٢) جذوة الأنوار ص ١١٠ وما بعدها .

(٣) نفسه ص ١١ .

(٤) انظر صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب ما ذكر من ذهاب موسى عليه السلام في البحر إلى الخضر رقم (٧٤) .

(٥) الصفدية جـ ١ ص ٢٥٢ ومابعدها . وعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ٩ وما بعدها . وفتح الباري جـ ١ ص ١٦٨ .

في سلسلتهم في الطريقة القادرية ويدافعون عنه ويرون أنه الشيخ الأكبر . وهو ابن عربي ثم إن عقيدة التسليم بمعارف الصوفية التي هي في الغالب تدور على ابن عربي والغزالي تلزمهم بكثيرمن العقائد المنافية لنصوص الكتاب والسنة بل وروح الشريعة الإسلامية وإن صرحوا في مواضع من كتبهم بردها فيمكن اعتبار ذلك تناقضا في المنهج يجب تصحيحه . هذا من جهة ٠

ومن جهة أخرى فإنه توجدلهم نصوص متعارضة في هذه العقيدة ، فبينما توجد لهم نصوص يؤخذ منها أدعاء أن بعض شيوخهم هو خاتم الأولياء وأن قرنه خير القرون من بعد القرون الثلاثة المفضلة وأن أصحابه أفضل من جاء من الصوفية بعد أهل الصفة ، وأن الله أعطاهم وخصهم بما لم يعطه لأحد من الناس . بينما يوجد لهم مثل هذا الكلام الذي هو في واقعه طلب للمكانة العالية عند الناس التي هي الفكرة الأساسية لدعوى ختم الولاية . يجد الباحث لهم نصوصا يردون فيها على من يذهب من الصوفية وغيرهم إلى انقطاع التربية الصوفية منذ عصور لقلة الشيوخ الصالحين للتسليك وهو أمر في حقيقته . إن أقروا به كان قولا بختم الولاية وذلك يؤدي إلى حرمان أحفادهم والناشرين لطريقتهم من مصدريهم من الاستمرار في وظيفة إيصال الناس إلى الولاية على طريقتهم في طلبها ٠ ومن هنا جاء التعارض المشار إليه ٠ ولنستعرض أولا النصوص التي تفيد الميل إلى القول بختم الولاية ببعض شيوخهم ثم نتبعها إن شاء الله بما يدل على فتح باب الولاية على طريقة الصوفية في التربية ، والوراثة الصوفية عندهم ٠

عرض :

يورد الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي في الطرائف والتلائد بعض أجوبة والده ورسائله لبعض مقدميه ومريديه الصادقين كما يقول ويذكر أنه جاءته رؤيا من أحدهم وهو : الصالح بن محمد الشيخ السوقي يقول فيها أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له : (أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحـد ٠٠٠) فأجابه الشيخ : فتأويله والله أعلم : أن هذا القرن الذي نحن فيه يشاكل قرنه عليه الصلاة والسلام من وجوه :

أحدها : أن فيه خاتم الأولياء كما أن قرنه عليه الصلاة والسلام فيه خاتم الأنبياء •

الثاني : أن أتباع هذا الولي المجدد الخاتم يدعون إلى الخير ••

الثالث : أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سوى القرون الثلاثة لورود النص بأفضليتها •••) (١) •

قلت : وقد اتخذ التيجانية كما تقدم في الحديث عن نشأة الطرق الصوفية في موريتانيا حديث المختار الكنتي عن خاتم الأولياء شاهدا لهم على القول بأن التجاني خاتم الأولياء • وهو استدلال يناقضه ما يأتي من أمور :

أحدها : أن المختار الكنتي يعتبر نفسه ويعتبره أتباعه هو مجدد القرن الثاني عشر، علما وتربية صوفية على ما تقدم في ترجمته ، وعلى هذا فهو يريد نفسه بهذا التأويل •

الثاني : أن هذا الكلام صدر منه في تعبير رؤيا لأحد المقربين لديه من مريديه ولا يظن أنه يؤوله على غير نفسه كما هو واضح من إيراد ابنه له في فضائله ومناقبه الحسنة •

ثالثا : أن المختارية لم يكن لها وفاق في المنهج والطريقة مع التجانية حتى يحصل منها ثناء على شيخها بل إن المختار الكنتي وصف من الأحوال ما ينطبق على بعض التيجانية ومن يقاربها في الشطح والرقص والعقائد وكفر أصحاب تلك الأحوال • (٢)

رابعا : استمرار المختارية في محاربة التيجانية بالقلم واللسان ، والمدفع والستان • (٣) وكل هذا يدل على عدم شهادتهم لهم بخير •

---

(١) الطرائف ص ٣٥٥ . ٣٥٦ •

(٢) انظر جذوة الأنوار ص ٩٧ وما بعدها •

(٣) انظر كنتة الشرقيون ص ١٠٢ . ١٠٦ •

ويقول صاحب الضياء : (فرع : ومما أكرم الله تعالى به هذا الولي من شواهد اختصاصه بهذا المقام أعني مقام الختام الذي ما مثله من مقام وهو تراث سيد الأنام) (١) ٠

فعقيدة ختم الولاية منتشرة في المحيط الصوفي لانتشارها عن ابن عربي وهو الشيخ الأعظم عندهم وهي عند القادرية تحتمل ثلاثة معان :

أولها : وهو الذي يريده ابن عربي أن النبوة ختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث التشريع ونزول الأحكام والعقائد ، ولكن بقيت مفتوحة للأولياء الواصلين من حيث الإلهامات والخواطر حتى يأتي خاتمهم الذي هو عند ابن عربي ابن عربي ولكن عند غيره من الصوفية كل يدعيها لنفسه أو لشيخه ، وبقي الباب الذي فتحه بهذا المعنى مفتوحا ودخلت منه القادرية كما رأينا في المباحث السالفة ٠

ثانيها : وهو المعنى الاصطلاحي في عرف العلماء إذا أرادوا وصف عالم بالانتهاء في فن معين قالوا : إنه خاتمة عصره أوفريد قرنه أو ما يؤدي هذا المعنى من عبارات السبق والتقدم على الأقران ، ولا يبعد أن يكون القادرية يريدون هذا المعنى عندما يصفون أحد علمائهم بأنه خاتم الأولياء ويؤيد هذا الاحتمال أن الموصوفين به عندهم غالبا ما يوصفون بالتجديد في العلم والطريقة ، وأن كل واحد منهم انتهت إليه الرئاسة في عصره على الأقل في بيئته ومحيطه ٠ (٢)

ثالثها : ما فهمه بعض العلماء في محيط القادرية من أن المراد بالختم في الولاية انقطاع التربية الصوفية لعدم وجود من يصلح في الشيوخة السنبة للأخذ عنه وهذا الاحتمال ترفضه القادرية لأنها مبنية في الواقع على التوارث النسبي أولا والسلوكي ثانيا ، وأي دعوى تحرمهم من هذا التوارث يكون ردهم لها وجيها في منطق الدفاع عن النفس والاستمرار في الوجود ٠

---

(١) الضياء المستبين ص ٣٣٢ ٠

(٢) انظر الطرائف ص ٢٦٩ والضياء ص ٢١٢ ٠

ولنذكر أولا بعض كلام من وقفت على كلامه من علماء موريتانيا في القول بانقطاع التربية الصوفية ، ثم نتبعه بما يوضح رده من جانب شيوخ القادرية • يقول الشيخ محمد الخضر بن مايأبى في مشتهى الخارف الجاني بعد بحث ونقول عن الولي ومن يستحق وصف الولاية (أن ابن دهاق قال : إن من شرط الولي أن يكون بحيث لو أذهب الله علماء أهل الأرض لوجد عنده ما كان عندهم ٠٠)

ثم قال :(قلت : ما ذكره ابن دهاق ومن وافقه يقل عليه أن يوجد ولي على وجه الأرض ولا سيما في زمننا هذا ، فإن رتبته في العلم على هذا أعلى من رتبة المجتهد المطلق ، وقد نص العلماء على انقطاعه في القرن الثامن كما حررناه في رسالتنا على الإمامة والفئة الباغية ، كما أن علماء الصوفية نصوا أيضا على انقطاع التربية في القرن التاسع وقد حررنا ذلك غاية التحرير في رسالتنا على التصوف) (١) •

ويوكدما ذهب إليه محمد الخضر ، الفقيه سيدي بن حين فيقول في نظمه (دمغ المريد) :

(قد حكمت مشايخ التصوف ... في دكظ (٢) بقطع سيرهم قف

إذ كثر ادعاء أصحاب البدع ... لها ولبسوا على أهل الورع

من يدعيها بعد ذاد جال ... طريقه لديهم ضلال) (٣)

وفي هذا المنظوم شبه كبير بما نظمه الأخضري في قد سيته حيث يقول في نفس المعنى بعد أن ذكر الطريقة الصحيحة حسب ما يراه :

---

(١) مشتهى الخارف الجاني ص ٤٨٣ ولعل الرسالة المحال عليها هي التي عنوانها : تصوف السادة والنجاح والرد على متصوفة الرقص والصياح • انظر كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري لنفس المؤلف الذي هو قادري من الفاضلية ، راجع المصدر المذكور ج ١ ص ٩ وقد طلبت الرسالة المذكورة من ابن المؤلف محمد الأمين قبل وفاته في المدينة المنورة بشهر تقريبا وذكر أن الموجود منها نشخة واحدة وقد أعطاها لمن يفكر في نشرها في الأردن فرحم الله المؤلف وابنه •

(٢) المقصود به رمز هذه الحروف بالحساب الجملي والدال أربعة والكاف عشرون والظاء ثمانمائة. أي بهذا التاريخ ٨٢٤ من الهجرة •

(٣) ملف الرحلة العلمية ص ٢٢ •

(فهذه طريقة الرجـــال ... وآل أمرها إلى الـــزوال

وكثـــر الملبسون فيهـــا ... وصار ذو البدعة يدعيها

وأسفا على الطريق السابلة ... أفسدها الطائفة الدجاجلـــه) (١)

وليس التحسر على انقطاع الطريق ودخول الانحراف عليها بحديث في مؤلفات الصوفية بل إن القشيري يقول في رسالته التي ألفها قبل ميلاد الشيخ عبد القادر بنحو ثلاثين عاما (٢) يقول فيها :

(ثم اعلموا ، رحمكم الله ، أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ، ولم يبق في زمننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم ، كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

حصلت الفتره في هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة ...) (٣)
وهذه النصوص وأمثالها تنقلها القادرية في كتبها وتؤكد اختلاط أمر الطريقه الصحيحه بأحوال أصحاب الحضرات والرقص والدجل (٤) ثم تصر على استمرار الطريقة وأن القادرية ستبقى إلى الأبد ، وأن التربية لا تنقطع وأن على المريد أن يصدق مع الله في طلبه للمربي فييسره الله له إذ إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته وذلك هو شيخ التربية عندهم .

---

(١) الطريقة الشرعية وبراءتها من الطرق المنحرفة وضلالتها (القدسية) نشر الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية . بتحقيق رئيسـها الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ص ٤٢ و ٥٦ .

(٢) الرسالة القشيرية جـ ١ ص ١٦ .

(٣) نفسه ص ٢٢ وما بعدها .

(٤) جـذوة الأنوار ص ٩٧ و ١٠٨ و ١١٣ والضياء ص ٢٨٦ والطرائف ص ٨٦ . ٨٧ والغلاوية ص ١٦٤ .

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي ناقلا عن غيره على سبيل الاستدلال والتمسك : (وفي كتاب السهروردي أن من قال من غلاة المتفقهة وأهل الكلام والمعتزلة أن الولاية قد انقرضت أو أن عدد الأولياء قد نقص أو أن علم الباطن قد فقد فإنه يوجع أدبا وينفى من الأرض فإن كف عن ذلك وإلا قتل لأنه كذب الكتاب والسنة وما انعقد عليه الإجماع • ولقد قدمت كثرا من ذلك صدر هذا الكتاب (هذا كلامه) • ثم قال : أما الاجماع فإجماع أهل السنة والجماعة على أن العلماء ورثة الأنبياء وأنهم أبدال الرسل ••) (١) وعندي أن نص القشيري الذي قبل هذا يدل على أنه يقول بما نسب هنا إلى غلاة المتفقهة وأهل الكلام والاعتزال ، ثم إن استدلال الشيخ عام ودعواه خاصة إذ لم ينازع أحد في كون العلماء ورثة الأنبياء ، وإنما النزاع في الوراثة الخاصة التى أشار إليها بعلم الباطن •

هذا مع أن ولده الشيخ سيدي محمد الذي ينادي باستمرار الولاية بالمعنى الخاص الذي قصده يوافق القشيري ومن جاء بعده في أن الأمر في الطريقة الصوفية أصبح مختلطا إلى حد يصعب معه التمييز بين الصادق والمدعي ويقول بعد وصف لمن سماهم بالمتشيخين والمتصدرين للتربية طلبا للحظوظ النفسية .: (وأما الصديقون فقلوا وغابوا فلا ظهور لهم إلا بعناية مع أنه لم يخل مكان من أهل الولاية إذ لم ينقص لهم عدد ولم ينضب لهم مدد بل والله ماخاب صادق الطلب لهم) (٢)

ويضيف في جنة المريد رادا على من سماهم بقراء الزمن في إنكارهم لطريقه الصوفية فيقول : (ولعمري لمن أعجب العجاب وموجب الحيرة للألباب التفات السالك إلى مثل هؤلاء من قراء الزمن المنكرين لهذه الطائفة ومن لم ينكرها منهم رأسا أنكر وجودها في هذا العصر وشنع على سالكيها ورآى أن الاشتغال بعلم الرسوم أولى من

---

(١) جذوة الأنوار ص١١٢ ويراجع كما أشار صاحب النص في نفس المرجع ص٢. ٥ و ٧ ، ٣٨ •

(٢) الغلاوية ص ١٧٤ •

الاشتغال بعلم الصوفية) (١) ويؤكد هذا المعنى في نفس الكتاب عدة مرات(٢) وفي غيره من كتبه (٣) وتبعه من جاء بعده من شيوخ القادرية حيث ينقل صاحب الضياء في عدة مناسبات توارث الطريقة والتربية إلى آخر الأبد ومن ذلك ما نقله : أن الشيخ محمد فاضل قال :

(قد أعطاني الله في أبنائي أن جعلهم خلفاء أولياء الله في هذه الأرض وأن لا تخرج منهم الخصوصية إلى منتهى الدنيا) (٤) ويقول الشيخ التراد موجها كلام من قال بأن التسليك على الطريقة الصوفية توقف ورادا لقوله ذلك على الإطلاق :

(فما التصوف يري منقطعـا ... ولم يخب داع إليه قد دعا

ومن بدا له انقطاعـه بمـا ... يقوله بعض فحول العلماء

فما درى خطا به الذي اصطفي ... فإنه حث على التصـوف

قد قال ذا توجعـا ورحمـه ... لما رآى قلة من قدأمـه

إلى أن يقول :

(فما إلى انقطاعه سبيل ... لوكـان لا يقبل ذا التأويل

لأن ما قطع ليس يستحيل ... تجديده من فضل مولانا الجليل) (٥)

---

(١) جنة المريد ص ١٢ .

(٢) نفسه ص ١١٦ و ١٢٩ و ١٧٤ . ١٨٥ .

(٣) الطرائف ص ٥١ . ٥٧ و ١١٧ . و ١٥٣ .

(٤) الضياء ص ٢٥٥ .

(٥) نيل المراد ص ٣٠ .

نقـــــــــــــد

فهذه بعض نصوصهم الدالة على تمسكهم بعدم ختم الولاية بالمعنى الذي أراده بعض العلماء وهو انقطاع التربية الصوفية منذ قرون وأنه إن حصلت فترة في التسليك والتربية الصوفية فإنه لا يمنع ذلك ظهور مجددين في هذا المجال وهم المجددون كما تقدم بيانه حسب دعواهم ثم إنهم لا يوافقون ابن عربي في اعتباره لنفسه خاتم الأولياء بالمعنى الذي تقدم أيضا توضيحه إذ إنهم هم ومن دخل في طريقهم وسلك مسالكهم سيصل بالجذب أو التسليك إلى الولاية وبالتالي يكون ملهما ومكاشفا ومطلعا على الغيب • وعليه فما قصده ابن عربي وغيره من الفوز بمنصب خاتم الأولياء لم يحصل لهم لكثرة المطالبين بهذا المنصب ، على أن بعض العلماء اعتبر هذه الدعوى وما ترتب عليها من باب الزندقة والتحايل على فتح باب النبوة بل والى تفضيل هذا المدعى على الأنبياء (١) •

ويضيف بعض الباحثين في ختم النبوة بعد أن وصف أصحاب هؤلاء الداعين لعقيدة ختم الولاية وفتح باب الوحي بأي صورة بأنهم من الغلاة وأن فكرتهم التي صوروها لا تكاد تستقيم من الوجهة الدينية النظرية أو العقلية فيقول : (والواقع أن لا وجه لتسمية ما يؤتاه الأولياء من الإلهامات والخواطر وحيا ، فمع ما فيه من الخلط بين مفهوم الولاية والنبوة فإن فيه مخالفة للواقع فوحي الأنبياء كان ينزل به ملك خاص لا مطلق الملائكه وكان للصحابة أحوال مع الملائكة في لقائهم والحديث معهم (٢) دون أن يسموا ذلك وحيا أو يسمو أنفسهم أنبياء على أي معنى حملت هذه التسمية وتنتهي المسألة كما قلنا إلى أن تكون مجرد تلاعب بالاسماء فتسمى الأولياء أنبيـــاء وتسمى إلهاماتهم وحيا وكم في مثل ذلك من إيهامات لا مبرر لها وعلى هذا

---

(١) الصفدية جـ ١ ص ٢٤٩ وما بعدها • ومجموع الفتاوى جـ ١١ ص ٢٢٦ وما بعدها •

(٢) ختم النبوة بالبنوة المحمدية ص ٩٦ . ٩٧ وانظر في الأحوال المذكورة للصحابة مع الملائكة ولقائهم والحديث معهم •

من المجاز لا حقيقة فيه ولا مبرر له ولا يقبله العقل لما فيه من الخروج عن الحقائق على ضرب والخلط بينها ولا يقبله الدين لما فيه من المخالفة الصريحة لصريح الكتاب والسنة في ختم الأنبياء مطلقا بالنبي صلى الله عليه وسلم) (١) وقد أدى فشو هذه العقيده في المحيط الصوفي إلى مخاطر كثيرة وأضرار جسيمة في الدين والأنفس والبلاد حيث قامت عليها البابية والبهائية والقادبانية وفروعها من عباد المادة وخدام الاستعمار والكفار بأنواع الأساليب والحيل على حساب هدم الشريعة الإسلامية من أصولها • لذا ينبغي للمسلم التوقف والحذر من كل ما تشم منه رائحة هذه العقيدة الفاسدة من الأقوال والأعمال والله أعلم •

(١) نفس المرجع عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ٩٨ وما بعدها •

المبحث الثاني : التصرف في الكون ٠

ويشتمل على تمهيد ومطلبين ٠

التمهيـــــد : في تعريف التصرف لغة ، واصطلاحا عند الصوفية

المطلب الأول : عقيدة القادرية في التصرف في الكون ٠

المطلب الثاني : التصرف في الكون بالحيل والأسباب ٠

التمهيـــــــد

التصرف لغة :

قال في القاموس المحيط : (وصرفته في الأمر تصريفا فتصرف قلبته فتقلب) (١) وقال في الصحاح : (الصرف : التوبة • يقال : لا يقبل منه صرف ولا عدل • قال يونس : فالصرف الحيلة • ومنه قولهم إنه يتصرف في الأمور وقال تعالى ﴿ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا) (٢) وقال الألوسي في تفسير الآية - بعد أن بين أوجه الإعراب فيها وأنها تتضمن تهكما بعبدة الأوثان الذين كانوا يظنون أنها تغني عنهم من الله شيئا بأن تصرف عنهم العذاب أو تنصرهم . قال : (فإن أصل الصرف رد الشيء من حالة إلى أخرى وإطلاقه على الحيلة أو التوبة مجاز ، والمراد : فما تملكون دفعا للعذاب قبل حلوله ، (ولا نصرا) أي فردا من أفراد النصر أي العون لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم بعد حلوله) (٣) •

وأضاف صاحب الصحاح : (وصرفت الرجل في أمري تصريفا فتصرف فيه) • فالتصريف بالنسبة للخلق نوع من التدبير والحيل التي في مقدور المخلوفات جبلة أو كسبا •

التصرف في اصطلاح الصوفية :

والتصرف في الكون عند الصوفية قد يشمل المعنيين المذكورين سواء ادعوا واسطـة أو لم يذكروا واسطة ، وسواء نسبوا التأثير إلى أنفسهم أو إلى الله تعالى بوسائط • ومن أعظم وسائطهم في دعوى التصرف في الكون القول بالقطبية أو القطبية الكبرى وقد تقدم تأثرهم بغلاة الشيعة في هذه العقيدة • ويعرف القطب كما في

---

(١) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٦١ . ١٦٢ •

(٢) الفرقان الآية ١٩ •

(٣) روح المعانى ج ١٨ ص ٢٥٣ •

(٤) الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٣٨٥ . ١٣٨٦ •

التعريفات للجرجاني بما يأتي : قال : (القطب : وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف (١) إليه وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنه والظاهرة سريان الروح في الجسد بيده قسطاس الفيض الأعم ، وزنه يتبع علمه ، وعمله يتبع علم الحق ، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة ، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ...)

إلى أن قال : (وأما القطبية الكبرى فهي مرتبه قطب الأقطاب وهو باطن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه عليه الصلاة والسلام بالأكملية ، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلاعلى باطن خاتم النبوة) (١)

تعقيب : هذا التعريف مع ما فيه من الألفاظ الغامضة والمجملة فإنه يجعل الغوث الذي هو القطب عند الاستغاثة به واحدا على خلاف عندهم في كونهما أعني القطب والغوث مترادفين أو متغايرين . ثم يقول بأنه يوجد قطب الأقطاب وهذا يعني وجود أقطاب آخرين غير القطب فبطل كونه واحدا . والذي يظهر من التعريف أنه يريد إعطاء عقيدة وحدة الوجود تعريفا معميا فلم يفلح . وهي فكرة كما تقدم عن ابن خلدون : لا تستقيم عقلا ولا حجة عليهاشرعا ، وللسيوطي رسالة سماها : الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال أورد فيها آثارا في مسند الإمام أحمد والطبراني وتاريخ ابن عساكر والخلال في كتاب كرامات الأولياء وغير هؤلاء من الجامعين للأخبار الذين لم يلتزموا الصحة فيما ينقلونه ، وما لم يتكلموا هم فيه بما يضعف روايته في أثناء سياقهم لروايته لم يسلم من إشارة من السيوطي نفسة تدل على ضعفه (٢) ونقل السيوطي أيضا في كتابه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة فيما نقله من كتاب السنة للألكائي قال : (وأخرج عن أحمد بن حنبل أنه قيل له هل لله أبدال في الأرض ؟ قال نعم ، قيل من هم قال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فلا أعرف لله أبدالا) (٣) .

---

(١) كتاب التعريفات لمحمد الجرجاني ص ١٧٧ . ١٨٨ وسيأتي في هذا الفصل إن شاء الله الكلام على هذه الاستغاثة وما في معناها .

(٢) انظر : الحاوي للفتاوي جـ ٢ ص ٢٤١ . ٢٥٥ .

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للحافظ السيوطي ، نشر الجامعه الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٩ هـ ط ٣ ص ٦٨ .

وهؤلاء الأبدال الذين أرادهم الامام أحمد ليسوا هم الأبدال الذين تقصدهم الصوفية ولذا يبقى قول الإمام ابن الجوزي إنه لا يصح شيء من أحاديث الأبدال بدون معارض يساويه حيث إنه جمع الروايات الورادة فيهم وبين أن طرقها لا تخلو من وضاع متروك أو متهم ضعيف أو مجهول لا يعرف (١) .

وقال الشيخ محمد الخضر : (وفي الزرقاني : قال الحافظ بن حجر في (فتاواه) الأبدال وردت في عدة أخبار ، منها ما يصح وما لا فلا ، وأما القطب فورد في بعض الآثار ، وأما الغوث بالوصف المشتهربين الصوفية فلم يثبت) . إلى أن قال الشيخ محمد الخضر : (وما ذكر من كون القطب ورد في بعض الآثار دون وصفه المشتهر لم أر التصريح به في أثر مرفوع ولا موقوف ، إلا ما رواه الخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق ...) ثم ذكر كلامهما المشتمل على ذكرالنقباء والنجباء .. وفيه : (ومسكن الغوث مكة) ثم قال بعد نقل ما قيل في القطب من أوصافه وتجواله ومسكنه وتصرفه . إلى أن قال : (قلت : وبما ذكر من صفاته وعزة الاطلاع عليه وانفراده تعلم بطلان دعوي المدعين للقطبانية في هذه العصور ، فإن الواحد منهم يكون ظهوره في الناس كالشمس ، وعنده أموال الملوك وسراريهم ، ويدعى القطبانية ويدعيها عشرون وأكثر في عصره ، كل واحد مثله في الصفة أو قريب منه ، وكل واحد من الجميع في مقر واحد يعلم مقره الجائي والماشي ، وهذا ليس فيه شيء من صفة القطب الذي قال أهل الصوفية ، وقد مر عن الحافظ بن حجر أنه لم يرد فيه أثر وأن أوصافه إنما هي عند أهل الصوفية فلا تمكن دعوى أحد من هؤلاء المدعين اللهم إلا أن يكذبوا الأقدمين من علماء الصوفية المنشئين لهذه الاصطلاحات ، وإذا كذبوهم بطلت القطبانية بالمرة ، لأنها لم تثبت أو صافها إلا عنهم ، وبالله تعالى التوفيق) (٢) . وما دامت القطبانية وما شاكلها من الألقاب التي

---

(١) انظر كتاب الموضوعات لابن الجوزي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة ط ١ سنة ١٣٨٦ هـ جـ ٢ ص ١٥٠ . ١٥٢ .

(٢) مشتهى الخارف الجاني ص ٥٠٥ . ٥٠٩ .

بها تدعى الصوفية التصرف في الكون بإنابة من الله تعالى للقطب أو الأقطاب باطلة فكذلك ما أثمرته من دعوى يكون باطلا أيضا .

ولكن نجد شيوخ القادرية القدماء والمحدثين كلا يدعى أو يدعى له أنه هو القطب بل إن بعضهم يأتي بالأسانيد ليبطل قطبانية غيره لتسلم له (١) ولم تسلم لأحد كما قال الشيخ محمد الخضر آنفا .

والذي يفهم من كلام الصوفية كما سيتضح إن شاء الله بنصوص من كتب القادرية في الآتي : أنهم يعتقدون أن الأولياء أعزاء على الله تعالى ومأمونون عنده على غيبه وأمره وملكه ، (ولذا فقد فوض إليهم التصرف وأنابهم عنه فيه فما قضوه للناس وافقهم الله عليه) (٢) وهذا أمر ظاهر في تعريف القطب ومن تحته من الالقاب المحدثة في الملة بأسمائها ونظامها .

---

(١) انظر الكوكب الوقاد ص ١٥ . ١٨ والضياء المستبين ص ٨ . ١٠ والطرائف ص ١٧٤ و ٣٥٥ و ٣٧٧ و ٤٢٥ وجنة المريد ص ٩٠ . ٩١ .

(٢) رسالة الشرك ومظاهره ص ١٣٤ .

المطلب الأول : عقيدة القادرية في التصرف في الكون

عرض : يقول محمد بن محمد ابن أحمد العلوي متوسلا بأربعين من أبناء الكنتي :

(فكم فيكم من سيد ذي تصرف لديه كأن الكون في قبضة اليد) (١)

وقال المختار الكنتي : (من أراد الله له الخير طوى عنه الصورة البشرية للولي وأشهده الحقيقة الربانية) (٢) ٠

ويقول صاحب الضياء في تعريفه بالشيخ محمد فاضل ومكانته : (ومن ذلك ما أخبرني الثقة العدل المأمون سيدي عيسى بن سيدي المختار بن سيدي محمد من أنه كان في زمن غائبا بأرض لادم (٣) فوجد فيهم الشيخ سيدي محمد بن أحمد الأسود فأتاه في جماعة من الناس فلما رآه الشيخ قادما قام إليه وهو يكرر الترحيب فلما وصل مجلسه أخذ سجادته وأرسلها معه هدية للشيخ حفظه الله ورعاه وقال له بمحضر الجم الغفير : ليس على ظهر الأرض اليوم من يعمر ويدمر إلا شيخك فسأله شيخ لادم جد بن الشين ، قال له : ما معنى يعمر ويدمر فقال : إن شاء أخذ تلك الأمة الحاملة لذلك الحطب وجعلها في مكاني هذا أو في مكانك أنت فصلحت لما تحن فيه وإن شاء أخذني أو أخذك فجعل من شاء منا في مكانها فلا يصلح بعد ذلك إلا لما تصلح له فتعجب جد بن الشين رحمه الله من ذلك وقال له : لقد أخفتني منه) (٤) إلى أن قال (وكان يهب من يشاء من مريديه العلم ويعلمه له بلا مشقة وكان كثيرا ما يقول لأحد المريدين قد أعطيتك الفن الفلاني من فنون العلم فيهبه الله له بلا تعب ولا نصب) (٥) وأنه أحيا الله على يديه من الأموات من صحت موته حتى إن بعض شيوخه يقوم له من قبره ويعانقه ، ومن بين من أحياهم الله على يديه من عاش وأنجب الأولاد ، وكما أحيا فإنه أمات الله بدعوته الكثير من الجبابرة وسلب من كان يطعن عليه ثم قبل توبته بعد أن ذكر له أنه يسمتثل أمره ٠ (٦) ٠

---

(١) المنة ص ٤٨ ٠

(٢) الكوكب الوقاد ص ١١٤ ٠

(٣) قبيلة من قبائل موريتانيا ٠

(٤) الضياء ص ٩ ٠

(٥) نفسه ص ٣٢٧ . ٣٢٨ ٠

(٦) نفسه ص ٢٤٣ و ٣٣٢ . ٣٤١ ٠

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي فيما نقله من سماعه عن والده في وصف الشيخ المربي الكامل : (أنه المحكم في الأكوان) (١) .

وأن والده الشيخ سيدي المختار الكنتي يعز ويذل وتقلب له الأعيان ويسلب صفة العلم عن العالم وصفة التدريس عن المدرس . إلى أن قال في نقله عن والده معبرا عن جميل عباراته وقوة غوصه على المعاني قال : (... بل يجيء ذلك في غير الألفاظ والمعاني من إعزاز الذليل من الأشخاص باعتنائه به ونظره إليه وإقباله عليه بهمة عاملة وعناية كاملة كما هو مشهور لا يحتاج إلى تمثيل منصور لا يحتاج عليه لدليل ، وإذلال العزيز من أولي المراتب والأقدار والولايات بصرف العناية عنه والإعراض ونفض يد الإقبال منه فينحط ذو المرتبة من مرتبته ويذل ذو العزة بعد عزته ويسلب ذو الأحوال بعد ولايته) . إلى أن قال : (كما شوهد ذلك كثيرا من أمثاله رضي الله عنه) . وضرب أمثلة من قلب الأعيان له وتذليل الأسد واللص كرامة له ... إلى أن قال : (قال شيخ مشايخنا الشيخ عبد القادر الجيلي :

وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي

وقال بعض المشايخ : يسم الله منك بمنزلة كن منه) (٢) يعنى من الله ويضيف في معرض التحذير من الاعتراض على الشيخ ظاهرا أو باطنا فيقول : (وقد كان لشيخنا مريد من بعض الأصحاب ممن له باع في العربية فاتفق أن أنشأ الشيخ قصيدة منها قولـــه :

أيا غارة المولى أجيبى وهلمي بنصر الإله ثم بالخيل والرجل .

فأعترض على لفظة (هلمي) وراجع فيها الشيخ رضوان الله عليه على سبيل الانتقاد وكنت أيا مئذ صبيا بالمكتب فغدا علينا الصاحب فزعا مذعورا وجعل يتصفح الألواح ولا يهتـدي إلى كلمـة بـل لا يميـز الحـروف وجعـل يبكـي بكـاء الثكلى ويتحـرق

---

(١) الطرائف ص ٤٥٧ .

(٢) نفسه ص ٤٥٩ . ٤٦٠ .

تحرق الحبة في المقلى وتوجه إلى البيت مستشفعا بالشيخة إلى الشيخ في رد ما سلب منه فلزم كسرالبيت أياما فشفعت له عند الشيخ فرد ما كان عنده وحجر عليه التعليم فكان لايعلم طلبته فأقام على ذلك زمانا ثم صدق في عقد التوبة وأهدى واستشفع فرد عليه الاقراء ..) (١) . وقد تقدم عند ذكر الخلاف بين المختار بن بون والمختار الكنتي في الولاية وحدها وما يجب عند الكنتي من القطع بصدق الأولياء في إلهاماتهم وغيرها مما لا يخالف الكتاب والسنة كما بين في جذوة الأنوار (٢) في رده على ابن بون في تكفير القاطع بصحة كلامهم في ذلك إذ إنه يفضي إلى الحكم لهم بالعصمة كالأنبياء . تقدم أن المختار الكنتي توعد ابن بون بالسلب ولعله سلب عام من إيمان وعلم وعمر ومال كما تشهد لذلك الروايات المتواترة عن ابن بون عند وفاته أنه أشهد من كان معه من التلاميذ على أنه لم يحصل له شيء مما توعده به الكنتي فقال لهم :

إنه توعدني بسلب العمر وقد نيفت على المائة .

وتوعدني بسلب المال وتعلمون أن أموالي طائلة .

وتوعدني بسلب الإيمان فاسمعوا مني كلمة الشهادة التي سأموت عليها إن شاء الله .

ويشهد لما نقل متواترا في هذا السياق إطلاق ابن بون نفسه للفظ السلب في قوله يخاطب الشيخ سيدي المختار الكنتي :

(وكوني لم أذكر كذكرك لم يكن ... ليمنعني التوفيق من مانح لعطا

أتسلبني والله ما شاء مثبت ... إذا كنت في تعظيم نفسك مفرطا) (٣)

---

(١) جنة المريد ص ١٥٣ .

(٢) جذوة الأنوار ص ١٠ .

(٣) الوسيط ص ٢٨٢ .

ويفهم من كلام الكنتي في حذوة الأنوار أنه أراد سلب الإيمان حيث إنه يقول : (يروى أنه من الذنوب ذنوب لا عقوبة لها إلا سوء الخاتمة . والعياذ بالله . : التكذيب بالولاية والطعن في المشايخ وادعاء الولاية) (١)

ويقول الشيخ ماء العينين بعد نقله لأدعية وتوسولات سماها: سر عبد القادر الجيلي (٢) ٠

قال : (وكتب لي شيخنا رضي الله عنه هذه الأبيات لما كمله لي وهي :

ولتقر سر الجيلي في المساء وفي الصباح تكف من أعداء

وإن تكن عليه قد سرمدتا صرفت في الكون بما أردتا) (٣) ٠

نقد :

هذه النصوص مصرحة بادعاء التصرف في الكون ، ومنها المطلق الذي ينسب التأثير في الفعل لنفس الشيخ دون ذكر لله تعالى ، ومنها ما ينسب التفويض من الله لذلك المدعي للتصرف بحكم ولايته وتسليط الله له ، ومنها ما ينسب ادعاء التصرف بالاستمرار على أدعية وأذكار زعم المدعي أنه جربها ولو لم تكن من الوارد عن الشارع ٠

وكل هذ الأقسام الثلاثة يشتمل على محاذير كبيرة تتراوح ما بين الكفر إلى سوء الأدب الذي يستحق صاحبه التأديب والتعزيز ذلك أنها أشتملت على التعدي على مقام الربوبية بادعاء الإحياء والإماتة وسلب ما هو هبة من الله لعبده من الإيمان والعلم والصفات الحميدة الأخرى ثم إنها اشتملت على ظلم ينزه الله أن يسلط صاحبه على شيء من كونه ومخلوقاته بتصرف إذ كيف يتصور في ميدان

---

(١) جذوة الانوار ص ١٠ ٠

(٢) مذهب المخوف على دعوات الحروف ص ٨١ وما بعدها ٠

(٣) نفسه ص ٨٤ ٠

الولاية والإنصاف التسبب في قتل رجل على أنه سرق بقرة أو ناقة ، أو سلبه الإيمان والعلم وصفة التدريس على أنه اعترض على لحن في اللغة أو حتى اغتاب شخصا ما .

الواقع أنها نصوص تسيء إلى من نسبت إليهم ومن نسبها إليهم عكس ما قصد منها ولا يرد كون جنس المذكور في هذه النصوص وقع بعضه لبعض الأنبياء إظهارا لمعجزته الواجب عليه إظهارها إبلاغا لرسالته ذلك أن أئمة الصوفية كما تقدم عن المختار الكنتي على خلاف قول القائل : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، إذ عندهم أن الكرامة لا تصل إلى إحياء ميت أو وجود ولد من غير أب (١)

قال القشيري : (واعلم أن كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء ، وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك ، فمنها حصول إنسان لا من أبوين ، قلب جماد بهيمة أو حيوانا ، وأمثال هذا كثير) (٢) ولننظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم لنرى هل التصرف خاص بالله تعالى أم أنه يمكن أن يوجد من يتصرف في كون الله من دون الله أو مع الله أو بتفويض من الله تعالى ؟

التصرف في الكون على ضوء الكتاب والسنة :

يقول الله عز وجل آمرا نبيه وصفيه من خلقه أن يقول للناس على سبيل التقرير والرد على من استبعد أن يذل الله العزيز بقدرته وتصرفه في خلقه والرد كذلك على من ظن أن أحدا من الخلق مهما أعطي من المعجزات والخوارق يكون له تصرف مع الله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ (٣)

---

(١) جذوة الانوار ص ١٠٨ والرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٦٦٠ وما بعدها .

(٢) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٦٦٤ .

(٣) سورة ال عمران الآية (٢٦) .

ورد في سبب نزولها روايتان :

أولاهما : أنها رد على المنافقين الذين استبعدوا فتح الروم وفارس على يد المسلمين المجاهدين استعظاما لقوتهما المادية •

ثانيهما : أنها نزلت ردا على نصارى نجران • قال القرطبي :

(وقيل : نزلت دامغة لباطل نصارى أهل نجران في قولهم إن عيسى هو الله ، وذلك أن هذه الأوصاف تبين لكل صحيح الفطرة أن عيسى ليس في شيء منها ، قال ابن اسحاق : أعلم الله عز وجل في هذه الآية بعنادهم وكفرهم وأن عيسى صلى الله عليه وسلم وإن كان الله تعالى أعطاه آيات تدل على نبوته من إحياء الموتى وغير ذلك فإن الله عز وجل هو المتفرد بهذه الأشياء) (١) •

---

(١) القرطبي جـ ٤ ص ٥٢ - ٥٣ •

وقـال الطبري في تفسيره لنفس الآية قال أبو جعفر : (يعني بذلك يـا مالك الملك ، يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره (بيدك الخير) أي كل ذلك بيـدك وإليـــك ، لا يقدر على ذلك أحد ، لأنك على كل شيء قديردون سائر خلقك) (١) .

وقال ابن كثير في نفس الآية : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ الآية أي لك الملك كله أي أنت المعطي وأنت المانع الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ٠٠ أي أنت المتصرف في خلقك الفعال لما تريد كمـا رد تعـالى على مـن يحكـم عليـه في أمـر حيث قال : ﴿ وقالـوا لولا نـزل هـذا القـرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ قال الله ردا عليهم ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ الآية أي نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع ٠٠) (٢)

وقال الألوسي : (تؤتي الملك من تشاء) جملة مستأنفة مبينة لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه عليه مالكية الملك) ٠

وقال :(بيدك الخير) جملة مستأنفة ٠٠٠وتعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص أي (بيدن) التي لا يكتنه كنهها وبقدرتك التي لا يقدر قدرها الخير كله تتصرف به أنت وحدك حسب مشيئتك لايتصرف به أحد غيرك ولا يملكه أحد سواك) (٣) ٠

وهذا رسول الله وأعز خلق الله على الله أوذي وهو يجاهد في سبيل الله فصدر منه ما يدل على استبعاد فلاح المشركين لقبح صنيعهم به صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى له أن ذلك المستبعد ليس لأحد سواه : (فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل : (ليس لك من الأمر شيء) (٤)

قال ابن جرير الطبري في تأويل هذه الآية : (ليس إليك يا محمد من أمر خلقي

---

(١) تفسير الطبري جـ ٦ ص ٢٩٩ و ٣٠١ ٠
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٥٦ ٠
(٣) روح المعاني جـ ٣ ص ١١٤ ـ ١١٥ ٠
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد والآية من سورة آل عمران ١٢٨ ٠

إلا أن تنفذ فيهم أمري وتنتهي فيهم إلى طاعتي ، وإنما أمرهم إلي والقضاء فيهم بيدى دون غيري ...) (١) قيل ذلك لمن يمسح الدم عن وجهه ويقول : (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (٢) فماذا يمكن أن يقال لمن يدعى سلب إيمان مسلم أو يهدد بذلك من يخالفه في مسألة أو طريقة في الحياة والسلوك ؟

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو على من طلب منه آية أو برهانا لا يقدر عليه إلا الله : ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾ (٣) .

قال القرطبي : (هذا جواب لقولهم : ﴿ لولا نزل عليه آية من ربه ﴾ فالمعنى : ليس عندي خزائن قدرته فأنزل ما اقترحتموه من الآيات ولا أعلم الغيب فأخبركم به ... وخزائن الله مقدوراته ، أي لا أملك أن أفعل كل ما أريد مما تقترحون فيها (٤)) وقال ابن كثير : (يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ أي لست أملكها) (٥) وقال تعالى لنبيه وصفيه من خلقه في شأن عمه أبي طالب : (إنك لا تهتدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (٦) بل وقيل أمر صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من أي حول لنفسه لا جلبا لخير ولا دفعا لضر أو علم ما لم يعلمه الله تعالى ، جاء ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٧) .

فإذا كان هذا الخطاب لأقرب الأولياء وأعزهم على الله تعالى فإن غيره أولى أن لا يقدر على هداية أحد أو جلب نفع أو دفع ضر عن نفسه أو غيره من دون الله تعالى إلا إن أراد الكفر والكذب وما يشابه هاتين الخصلتين الذميمتين مما يتنافى

---

(١) الطبري جـ ٧ ص ١٩٤ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير .
(٣) الأنعام الآية ٥٠ .
(٤) القرطبي جـ ٦ ص ٤٣٠ .
(٥) ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٤ .
(٦) القصص الآية ٥٦ .
(٧) الاعراف الآية ١٨٨ .

مع الولاية والقرب من الله تعالى · ثم إن نصوص الشريعة المحمدية مصرحة بكفر من نسب تأثيرا لمخلوق من دون الله تعالى أو مع الله تعالى إذ إن اعتقاد ذلك فيه من الشرك ما لا يخفى · وبيانه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال (صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافربي مؤمن بالكوكب) (١) .

قال الحافظ بن حجر : (وهذا من الأحاديث الإلهية وهي تحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أخذها عن الله بلا واسطة أو بواسطة · وقوله : (مؤمن بي وكافر) يحتمل أن يكون المراد بالكفر هنا كفر الشرك بقرينة مقابلته بالإيمان ··· ويحتمل أن يكون المراد به كفر النعمة ··· وعلى الأول حمله كثير من أهل العلم ، وأعلى ما وقفت عليه من ذلك كلام الإمام الشافعي ، قال في (الام) (٢) : من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوءكذا فذلك كفر كما قال رسول صلى الله عليه وسلم لأن النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا ، ومن قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرا ، وغيره من الكلام أحب إلي منه ، يعنى حسما للمادة ، وعلى ذلك يحمل إطلاق الحديث) (٣) .

وقال بن العربي : (··· من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة له دون الله فهو كفر ومن اعتقد أنها فاعلة بما جعل الله فيها فهو كافر لأنه لا يصح الخلق والأمر إلا لله كما قال : (ألا له الخلق والأمر) (٤) ومن انتظرها وتوكف المطر منها

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ الواقعة الآية ٨٢ الحديث رقم : ١٠٣٨ ·

(٢) الأم للإمام الشافعي ·

(٣) فتح الباري جـ ٢ ص ٥٢٣ ·

(٤) سورة الأعراف الآية ٥٤ ·

على أنه عادة أجراها الله تعالى فلا شيء عليه ...) (١) فهذه ثلاث حالات لمن نسب التصرف للمخلوق في كون الله تعالى بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فالكفر لمن اعتقد ذلك فيه من دون الله أو مع الله والثالثة من لم يعتقد ذلك وإنما أطلق اللفظ وأراد به عادة أو سببا من الأسباب المحصلة غالبا لأمرما فهذه الحالة أقل ما يقال فيها إنها سوء أدب منعه الشرع لما فيه من الايهام (٢) ويجوز إطلاق الشرك والكفر على صاحبها تبعا للحديث (٣) . وهذا الحديث وحديث المتألى على الله تعالى المخرج في صحيح مسلم وغيره وما في معناهما مما تقدم من الآيات المفسرة بالسنة وكلام الائمة نصوص واضحة في إبطال أي دعوى في تصرف في الكون من دون الله أو مع الله أو مع سبب وعادة على الأطلاق لكثرة تخلف ذلك تبعا لمشيئة الله وإرادته وهي كذلك نصوص واضحة في اختصاص الله تعالى وحده بالتصرف في الكون وهـي نصوص كذلك دالة على كفر معتقد خلافها ومشابهته لمعتقدات أهل الجاهلية (٤) وأن مدعى ذلك لنفسه أو لغيره أظهر جهله بالكتاب والسنة أو تعمد الكذب والافتراء على الله تعالى . ونسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعلى المسلمين حتى نصحح عقائدنا ومقاصدنا وخاصة في مثل هذه الأمور المتعلقه بجانب الربوبية والألوهية حيث إن كثيرا من خواص الناس الداخلين في حكم العوام بافسادهم لعقائد الناس وعدم تحرزهم من التلبيس والايهام يعتقدون لأنفسهم أو لشيوخهم ما يمكن الحكم عليهم به بالخروج من الملة . والخواتيم بيد الله تعالى .

قال الميلي : (ومن وقف على مقاصد الكثير من عوامنا في نسبة الأفعال إلى الأولياء ، وتصرفهم في الكون ، لم يشك في انطباق الحالة الثانية عليهم (٥) ... بل منهم من ينتهي به الأمر إلى الحالة الأولى ، فيعتقد في الولي أنه يفعل بقوته لا بقوة الله ، وتجد من المخذولين من يدعى ذلك لنفسه) (٦) .

---

(١) شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك جـ ١ ص ٣٨٩ .
(٢) انظر نفس المرجع .
(٣) أنظر فتح البارى ، جـ ٢ ص ٥٢٤ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٥٩ - ٦١ .
(٥) الحالة الثانية : وهي نسبة التأثير إلى المخلوق لكن بجعل الله وتفويضه لذلك الولي .
(٦) رسالة الشرك ومظاهره ص ١٣٤ .

المطلب الثاني : التصرف في الكون بالحيل والاسباب

وقد جاء في التعريف اللغوي السابق للتصرف أنه يأتي بمعنى الحيلة ، والحيل كثيرة ومنها الجائز شرعا ومنها ما يحرم ومنها ما هو من الكبائر ، ومنها ما هو شرك وكفر ، اعتقادا وعملا واكتسابا ومنها ما هو ادعاء مستحيل عقلا وشرعا ٠

والذي يهم في هذا المطلب بيان موقف القادرية من اكتساب العلوم التي بها تكون دعوى التصرف واستعمالها ونشرها ٠ ونقد مذاهبهم في ذلك على ضوء الكتاب والسنة وكلام أعلام الائمة ٠

يؤخذ من رسالة اللمتوني إلى السيوطي في أواخر القرن التاسع الهجري أن هذه العلوم التي يدعى بها معرفة الأمور الغائبة والتصرف في القلوب بالعزائم والرقيا وغير ذلك كانت موجودة في البيئة التي يتناولها هذا البحث حيث يقول صاحب الرسالة : (ومنهم من اكتسابه بالطلسمات والرقي لباب المحبة والنكاح والوجاهة عند العامة والخاصة ، ومن غضبوا عليه يفعلون به ما يقدرون من مكائد السوء فمرة يوافق فعلهم بالقدر ويقولون هذا فعلنا) (١) وذكر من حيلهم في الكشف عن السارق وغيره ثم قال : (ومنهم من يمشي بين العوام ويناجي كل من يلقاه : ألا أريك رقبة العين والنكاح ودخلة القلوب والوجه عند السلاطين ؟ وأمثال ذلك) (٢) .

قلت : وهذه المعارف لا تخلو أن تكون رقي مشروعة أو محرمة لما اشتملت عليه من الوسائل والعزائم والألفاظ المجهولة المعنى ٠ أو أن تكون من باب السحر والدجل والكهانة والعرافة وغير ذلك من معارف الجاهلية التي حرمها الإسلام وأبطلها وكفر معتقدها وجعل حده ضربة بالسيف (٣) أو أبطلها وأبطل عمل من جاء إلى متعاطيها ولو لم يصدقه إلى أن يتوب (٤) .

---

(١) الحاوي للفتاوي ج ١ ص ٢٨٨ بالقدر (والصواب . القدر)

(٢) نفسه ص ٢٨٩ ٠

(٣) إشارة إلى حديث الترمذي في كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد الساحر ، عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ (حد الساحر ضربة بالسيف) أنظر الكلام عليه في تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذي ج ٥ ص ٢٣ ٠

(٤) إشارة إلى حديث مسلم المخرج في كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة واتيان الكهان ، وهو عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أتي عرافا فسأله عن شيىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) .

أما الرقية المشروعة بشروطها المعروفة وهي أن تكون بكتاب الله أو بما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بكلام عربي طيب مفهوم المعنى لا شرك فيه فهذه لا يعترض عليها وليست داخلة في صميم هذا المطلب لأن النبي صلى الله عليه وسلم رقي ورقي وأقر عليها (١) وقال صلى الله عليه وسلم كما فى حديث عوف بن مالك الاشجعي قال : (كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف تري في ذلك فقال : أعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك) (٢) .

قال المازري : (جميع الرقي جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكر ومنهي عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر) (٣) وقال الحافظ بن عبد البر : (وكما أنه من أعطي الدعاء وفتح عليه فلم يكد يحرم الإجابة ، كذلك الرقى والتداوي من ألهم شيئا من ذلك وفعله ربما كان ذلك سببا لفرجه) (٤) هذا مع اعتقاد أنها لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ، كما هو واضح من كلام العلماء (٥) .

عـــــرض

وهذه نصوص القادرية الموضحة لموقفهم من هذه العلوم التي يسمونها علوم السر.

يقول المختار الكنتي في الشموس الأحمدية : (فصل في العاديات وما والاها وأن العين كسائر العادات وأن السحر تخيل ولا حقيقة له ، وأما علم التراكيب والأوفاق فليس من الدين في شيىء وينبغي النظر فيه بعد الفراغ بشرط الشيخ والتقوى وتمام القريحة مع تجنب أسماء الجن والطوالع والفاظ العجمية وإلا فشرك . والكيمياء والاسطرلاب واستخراج الكنوز حرام وآلات الوقت وبيت القطب عمل من لاخلاق له كالتصوير ، وقنية الكلاب لم يكن من عمل السلف والميسر والأزلام والأنصاب أمر جاهلي مستحله كافر) (٦) قلت : لعل العبارة (أن السحر تخيل ولا حقيقة له) نمله على صاحب النص .

---

(١) صحيح مسلم ، بشرح النووي جـ ١٤ ص ١٦٩ . وما بعدها . والتمهيد لابن عبد البر جـ ٢ ص ٢٦٦ وما بعدها و جـ ٨ ص ١٢٩ وما بعدها .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٤ ص ١٦٩ .

(٤) التمهيد ج٢ ٨ ص ٢٧٠ .

(٥) انظر شرح الزرقاني على موطإ مالك جـ ٤ ص ٣٢٣ .

(٦) الشموس الأحمدية ص ٢٠ . ٢١ قلت : هذه العلوم المذكورة في هذا النص شرحها ابن خلدون في المقدمة وأبطل الكيمياء وما في معناها إلا أن التجارب المادية في هذا العصر غيرت الكثير مما كان الناس يعتقدون استحالته أو قصره على الروحانيات فقط ، انظر : مقدمة ابن خلدون ص ٩٢٣ وما بعدها ، ويختلف المقصود بالكيمياء عندهم عن الكيمياء في عصرنا الحديث .

ولعل ما ذكر في ال تحريف النساخ من كون السمر للحقيقة له من إنه توجد له نصوص واضحة في كونه يذهب مذهب أهل السنة في كون السحر له حقيقة وأن ذلك مما صح شرعا ولا يستحيل عقلا إلا إن كان رجع عن أحد القولين إلى الآخر فمن نصوصه في ذلك قوله في الكوكب الوقا د : .

(واختلف علماء السلف في ثبوت السحر ونفيه فمذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على ثبوت السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر فيه أن مستعمله يكفر بارتكابه وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له ... ولا يستنكر في العقل أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين أقوال لا يعرفها إلا الساحر وأنه لا فاعل إلا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها على يد من يشاء من عباده) (١) .

ويقول في جواب لسؤال عن بعض صور الدجل المنتشر بين الناس : (وأما (البوتيات (٢) التي أولها أبادخي أبادخت فهذيان من العوام لا يلتفت إليه فإنما ذلك مختص بالأسماء الحسنى فإنه قد ورد وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن لله تسعة وتسعين . اسما . من أحصاها دخل الجنة وفي رواية من حفظها دخل الجنة) (٣) .

وأما هذه الأسماء المنظومة في (البونيات) فقد كانت اليهود والنصاري تحفظها ، وكلما لم يرد عن الله ورسوله وسلف الأمة فهو باطل لا يلتفت إليه ولا يعول عليه لقوله صلى الله عليه وسلم العلوم ثلاثة : آية محكمة وسنة قائمة وفريضة عادلة وما سوى ذلك فضل) (٤) وقد ذكر الشيخ سيدي محمد الكنتي أن والده الشيخ

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٠٣ . ١٠٤ .

(٢) لم تتضح لي هذه الكلمه هل هي نسبة إلى البوني صاحب أسرار الحروف أم إلى البيوتات .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحد . الحديث رقم : ٧٣٢٩ وفي كتاب الدعوات ٦٤١٠ .

(٤) الكوكب الوقاد ص ١٤٠ والحديث خرجه الحاكم في أول كتاب الفرائض من مستدركه . وضعفه الذهبي جـ ٤ ص ٣٣٢ .

سيدي المختار اشتغل بالنظر في علم الأوفاق وأن الله خيره بين الفتح عليه في علم الجدول والفتح عليه في الذكر والدعاء فاختار الذكر والدعاء بحضور (١) .

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي عن نفسه : (وقد أدركت أنا بفتح الله والهامه من علم الأوفاق والأشكال ما لم يدركه إلا من أمد بفتح من الله وإلهام تام ...) (٢) .

والذي يطالع كتاباته في هذه الفنون يجد أنه فائق فيها ويدافع كثيرا عنها ويفصل القول في بعضها ويعترض على من تقدمه في التأليف فيها تصويبا أو توضيحا (٣) .

فيقول بعد نقله لموقف والده منها : إن الأخ الفاضل (سيدي طلب منه تفصيل القول فيها فقال : اعلم أن هذه الأشياء تلتبس بالسحر من حيث فعلها في خرق العوائد وجزئياتها التراكيب المعبر عنها بالسيما والهيميا والطلسمات والأوفاق والخواص المنسوبة للحقائق والخواص المنسوبة للنفس والرقى والعزائم والاستخدامات فهذه عشرة حقائق ثلاث منها سحر) (٤) وفصل القول فيه قائلا :

(وليس الكلام في التكفير بالسحر من جهة ما يترتب عليه وإلا لوجب التفصيل فقد يكون كفرا في صورة واجبا في صورة أخرى ... وللسحرة فصول كثيرة في كتبهم يقطع من جهة الشرع أنها ليست معاصي ولا كفرا كما أن لهم ما يقطع بأنه كفر فيجب حينئذ التفصيل كما قاله الشافعي رضي الله عنه) (٥) .

وشرح الطلسمات وقال بأن (حقيقتها نفس أسماء خاصة لها تعلق بالافلاك والكواكب أنزلت على نبى الله إدريس عليه السلام ...) (٦) .

---

(١) الطرائف ص ٣٠١ .

(٢) نفسه ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

(٣) الطرائف ص ٢٨٥ ـ ٣١٩ .

(٤) نفسه ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

(٥) نفسه ص ٢٨٨ وانظر في التفصيل المشار إليه ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص ١٩٦ وما بعدها .

(٦) نفسه ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ، وقارن بما في الحاوي للفتاوي ج ١ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

وشرح الأوفاق وقال بأنها ترجع إلى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص ، قال : (أخبرني الشيخ أبو الفيض الوالد رضوان الله عليه قال الأصل في الأوفاق هو أن الله جلت قدرته ربط التدبيرات الكونية بأسمائه القدسيه فأثبت لها في عالم الملكوت حقائق عاملة في عالم الكون والفساد بالارتباط العادي إذ الاسماء عنوان الصفات ‥) وشرح ذلك مبينا أن للأسماء ثلاث قوى : (القوة الحقيقية والقوة العددية والقوة الرقمية) ثم شرح أنواع التطلع الى معرفة علم الغيب من كهانة وعرافة وزجر للطير والتنجيم والخط في الرمل (١) .

وهكذا يفتخر الشيخ سيدي محمد الكنتي بمعرفته بهذه العلوم ويفرد لها المؤلفات (٢) وتعتمد الفاضلية أيضا على كتبه (٣) فنجد الشيخ محمد فاضل يؤلف وينشرعلوم أسرار أسماء الله تعالى وخواصها وخواص آي الكتاب العزيز وأسرار الحروف والأدعيـة ويخلط ذلك بالأسماء الأعجمية وينظمها في أوراد وأدعية لمريديه (٤) ٠

قال صاحب الضياء : (وله في علم أسرار المناسبة في الحروف من العلم وما يقدر به على تخريج كل علم من أشكال هذه الحروف الهجائية) (٥) .

وهذا الشيخ ماء العينيين ينص على أنه تعلم هذه العلوم من والده ، وينشرها في كتبه جازما بآثارها وتأثيرها في أماكن كثيرة من مؤلفاته عازما على من وقف على شيىء منها أن لا يستعمله إلا فيما يرضى الله تبارك وتعالى (٦) .

---

(١) نفسه ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ ٠

(٢) نعت البديات ص ٢١٨ وكشف اللبس ص ٢٤ ـ ٣١ ٠

(٣) الضياء ص ٢١١ ـ ٢١٢ ونعت البدايات ص ٦٢ و ١٤٦ و ٢٤٤ ٠

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ص ٢١٢ ولعل المقصود : ما يقدر به ٠

(٦) مذهب الخوف على دعوات الحروف ص ٢ وما بعدها و ٦٤ ـ ٦٥ ونعت البدايات ص ٢٠٠ وهامشة فاتق الرتق ص ٢٦٤ ٠

وكذلك نجد الشيخ سعد أبيه يفتخر بحيازتها وإتقانها منزها أهل العلم عن الجهل بها أو القول بتحريمها ، ذاكرا نسبة الأسماء الأعجمية إلى النبي صلى الله عليه وسلم تارة وإلى غيره من الأنبياء والفلاسفة تارة أخرى في أسانيد منقطعة لايليق بأهل العلم ذكرها وأحرى أدعاء تواتر ما روي بها (١) .

ويقول الشيخ ماء العينين إنه قابل في حجته الشيخ عبد الرحمن أفندي في مكة المكرمة وأنه قال له فيما قال له : (إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنى أن عندك السر الذى به قامت السموات والأرضون وقال لي اني أقول لك إنك تعطينيه وتعطيني سر الحاء ...) (٢) ثم ذكر أنه امتثل تلك الرؤيا التي ذكر له ذلك الشيخ وأعطاه ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أدعية وأسماء حسنى قال بأنها مشتملة على سر الحاء (٣) الذي أمر بإعطائه للشيخ عبد الرحمن أفندي في زعم رؤياه المشار إليها ويقول الشيخ سعد أبيه : (قلت : ولولا ما وجب من كتم الأسرار لكتبت ها هنا من الأسماء الحسنى ومن الآيات المحكمة والأدعية المأثورة مالوتلي على جبل لذاب أو على ظالم لمات من حينه أوزال عقله أو ابتلعته الأرض أو وقع فيه غير ذلك مما أراده التالي من المهلكات والمصائب في النفس والأهل والمال والولد لكن أنشدوا :

من سارروه فأبدى السرمنكشفا لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا) (٤) .

---

(١) كشف اللبس ص ٢٤ ومابعدها وانظر جواب الإمام السيوطي عن هذه الأسماء وما رواه فيها ، الحاوي جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٢) نعت البدايات ص ١٩٩ . ٢٠٠ . ولم نجد لعبد الرحمن أفندي هذا ترجمة في الأعلام .

(٣) نفسه ص ٢٠٠ . ٢٠١ .

(٤) كشف اللبس عن المسائل الخمس ص ١٢ . ١٣ .

نقـــــــد :

هذه بعض نصوصهم التي يفهم منها ادعاؤهم للتصرف في الكون بهذه العلوم وما ادعوه بها داخل في مقدور المخلوقات ، على أنها منافية للولاية إذ هي تتراوح بين الكفر أو الكبيرة أو الحرمة أو الكراهة على خلاف في ذلك ، وقد جمعها الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم وسماها بعلوم الشر بدل علوم السر على أنه يوافقهم على وجود علوم السر وحصرها في أسماء الله الحسنى وعدم جواز استعمالها في غير مرضاة الله تعالى (١)

قال : (وبشرن ذوي علوم الشر بميتة السوء وذل الفقر) (٢)

وقال رحمه الله :(اعلم أن الباطل علوم الشر وهو ما فيه إيصال نفع أو ضر إلى من لا يستحقهما في الشرع أوالتشوف إلى الغيب أو التصرف باسم من أسماء الله تعالى في أمر دنيوي ... وكل اسم من أسماء الله تعالى له سر يخصه دون غيره فمنها ما يستنزل به المطر ، ومنها ما تسكن به الريح ، ومنها ما يمشى به فوق الماء ، ومنها ما يطار به في الهواء ، ومنها ما يبرأ به الأكمه والأبرص وهذا هو معنى قولهم : باسم الله منك بمنزلة كن من الله ... فاستعمال أسمائه سبحانه وتعالى في الحق يكون من علوم السر ولو في دنيوي دعت إليه الضرورة ، واستعمالها في غير الحق يكون من علوم الشر كما يفعله بعض الناس لنصر الظالمين في الحروب مع أنه ربما لم يحصل المراد منه ويفتضح عند الفئتين المتقاتلين) (٣) .

وقد اعترض الشيخ سيدي محمد بن الشيخ المختار الكنتي على تعريف الشيخ سيدي عبد الله لعلوم الشر هذا ، ووصفه بأنه غير جامع وغير مانع وحاول إخراج بعض السحر وبعض التشوف إلى علم الغيب من الحد المذكور (٤) . ويمكن إبطال هذه النصوص بالنقد الذاتي لها من خلال الأمور الآتية .

---

(١) رشد الغافل ص ٧ ـ ٤٢ .

(٢) نفسه ص ٩ .

(٣) نفسه ص ٧ ـ ٩ .

(٤) الطرائف ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

(١) أنهم عدوها بأسمائها أعني علوم السر أو الشر وقالوا بأنها ليست من الدين وليست من علوم السلف ولا يعول على ما خالف علوم السلف ٠

وعليه فلا معنى لتجويز النظر فيها بعد الفراغ بشرط الشيخ أو التقوى ، ذلك أن هذه العلوم منافية للتقوى فلا يعقل اشتراط المنافى للشيىء فيه ٠

(٢) أنهم بعد عدهم لها بأسمائها وشرحهم لها نصوا على أنها تلتبس بالسحر وحيث لا مفرق إلا ادعاء التقوى ، وقد انتفت التقوى بمجرد الاشتغال بهذه العلوم وبقي اللبس ، والشبهة قائمة وقد أمرنا من الشارع باتقاء الشبه في الكتاب والسنة (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ٠٠٠) (١) الحديث وهذه العلوم بما تبين دائرة بين الحرام والشبهة ٠

(٣) أنه وقعت لهم صور حكموا بكفر مرتكبها أو أن معتقد ما تضمنه ذلك العمل كافر لما اشتمل عليه من التوسل بأسماء الجن والأفلاك وكتابة القرآن الكريم بالنجاسات وغير ذلك مما ذكره الشيخ سيدي محمد الكنتي عمن وصفه بأنه على جانب من العلم والتقوى وأنه أخذ ذلك العمل المذكور عمن اشتهر وأقبل الناس عليه بالهدايا والعطايا (٢) .

(٤) أنهم أشترطوا للاشتغال بها ولتأثيرها شروطا نادرا ما تتفق لأحد من الناس ، لذا فهم مضطرون لتسميتها أسرارا ومنعوها عن غير أهلها على حد قول بعضهم فبطل كونها من العلوم النافعة التي يجب نشرها ويحرم كتمها ، ثم إنهم لم يفوا بعهدة هذا السر فخاطبوا بها العوام الذين دخلوا في طريقتهم ونشروها في كتبهم بجداولها ومنافعها وأضرارها على حد عرضهم لها ٠

---

(١) متفق عليه ، خرجه البخاري في كتاب الايمان ، باب فضل من استبرأ لدينه رقم ٥٢ ومسلم في المساقاة ، باب لعن آكل الربا وموكله ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٠ ولا شك أنه يعم الشبه المادية في المكاسب والعقديه والعلمية لأن الكل يفسد القلب الذي به صلاح الدنيا والآخره انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٢٧ وما بعدها ٠

(٢) جنة المريد ص ٢٤ - ٢٥ و ١٦٢ والطرائف ص ٣٠٤ وما بعدها ٠

(٥) وهم كذلك مصرحون بأن أثرها ومفعولها قد لا يقع لتخلف شرط أو وجود مانع وأنه إن وقع بها شيىء فلا يرقى لدعوى التصرف في الكون حتى في استخدام أسماء الله تعالى إذ هي لا تخرج في المنهج المستقيم عن كونها دعاء قد يعجل الله الإجابة عليه وقد يؤخرها أو يدفع بها ماشاء عن الداعي أو يدخر له من الأجر ما شاء سبحانه وتعالى (١) ومن اعتقد في عموم هذه العلوم أثرا من دون الله تعالى فلا خلاف عند العلماء في كفره (٢).

قال الله تعالى في اليهود ومن شابههم وأخذ بعلومهم : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ (٣) قال القرطبي : (من السحر ما يكون كفرا من فاعله ، مثل ما يدعون من تغير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهيمة ، وقطع مسافة شهر في ليلة ، والطيران في الهواء ، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه) (٤) .

وقد جاء في بعض النصوص التي أوردناها من كتب القادرية شيىء كثير من ذلك سواء ادعوا استخدام الجن في ذلك أو لم يدعوه فهو كفر من مدعيه عند العلماء (٥) ولعل في كلام بعض القادرية كالشيخ سيدي المختار وابنه والشيخ ماء العينين على ما تقدم عنه ما يدل على توبتهم من هذه العلوم والاشتغال بها أو ادعاء الولاية بواسطتها (٦) .

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي لمن ورد عليه في آخرعمره يريد هذه العلوم :

(يا طالبا سر الحروف ورمزه ... والشكل والأوفاق والتركيبا

دع كل شيىء غير ربك واستكن ... واخضع فإن جلاله محجوبا) (٧)

والله أعلم .

---

(١) الطرائف ص ٣٠٩ .
(٢) نفسه ص ٢٩٤ .
(٣) البقرة الآية ١٠٢ .
(٤) القرطبي جـ ٢ ص ٤٥ .
(٥) رشد الغافل ص ١٧ . ١٨ .
(٦) الطرائف ص ٣٠١ و ٣١٧ ص ٣١٣ وما بعدها .
(٧) جنة المريد ص ١٦٢ . وفيه نصب الجزئين بإن وهو مسموع في لغة العرب .

المبحث الثالث : التوسل

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : في تعريف التوسل لغة واصطلاحا ·

المطلب الأول : التوسل بالبيعة للمشايخ لحصول الولاية ·

المطلب الثاني : التوسل بالاستمداد من المشايخ ·

المطلب الثالث : التوسل في قضاء الحوائج بالمشايخ أحياء وأمواتا

تمهيد في تعريف التوسل لغة واصطلاحا مع بيان مقاصد بعض الصوفية به ٠

قال في القاموس المحيط : (الوسيلة) والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة ووسل إلى الله تعالى توسيلا عمل عملا تقرب به إليه كتوسل والواسل الواجب والراغب إلى الله تعالى) (١) .

وقال القرطبي (والوسيلة القربة التي ينبغي أن يطلب بها) (٢) .

وقال الألوسي : (وابتغوا اليه) أي أطلبوا لأنفسكم إلى ثوابه والزلفى منه (الوسيلة) وهي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي) (٣) .

فهذه المعاني اللغوية في تفسير الآية دالة على أن من اتقى الله تعالى وابتغى إليه الوسيلة بالأعمال الصالحة وترك المعاصي كانت وسيلته صحيحة وقربته مقبولة وله أن يطلب حاجته من المولى جل وعلا إذ ذلك من تمام الوسيلة إذ سؤاله تعالى ودعاؤه من أعظم العبادات وأجل القربات بل هوالعبادة قال ابن عطية عند تفسيره لهذه (اللفظة) من آية المائدة : ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ (٤) قال : (هذه الآية وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين ، وهذا من أبلغ الوعظ ، لأنه يرد على النفوس وهي خائفة وجلة ، وعادة البشر إذا رآي وسمع أمر ممتحن بيشيع المكاره . أن يرق ويخشع ، فجاء الوعظ في هذه الحال) (٥) ٠ ويظهر لي أن التوسل إلى الله تعالى بما لم يشرع التوسل به نوع محاربة ينبغي الاتعاظ عنه وتركه ومن ذلك أن بعض أهل التصوف يرى

---

(١) القاموس جـ ٤ ص ٦٤ ٠

(٢) القرطبي جـ ٦ ص ١٥٩ ٠

(٣) روح المعاني جـ ٦ ص ١٢٤ ٠

(٤) المائدة الآية ٣٥ ٠

(٥) تفسير ابن عطية جـ ٤ ص ٤٣١ ٠

أن الشيخ بذاته وسيلة إلى الله تعالى كما يفهم من بعض نصوصهم ونصوص العلماء الرادين ذلك عليهم قال الألوسي : (واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد ...) (١) ويقول الشيخ محمد الامين الشنقيطي في أضواء البيان : عند تفسير الآية المذكورة : (اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص في ذلك لله تعالى ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضى الله تعالى ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخره) (٢) .

وأخذ في تحقيق معاني الوسيلة ثم قال(... وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه ، أنه تخبط في الجهل والعمى وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالى . واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار ...) (٣) .

ويقول الشيخ محمد بن أبي مدين تحت عنوان : الوسيلة . وبعد أن حصل أقوال أهل اللغه والتفسير في معانيها ودلالاتها قال : (فإذا تحصل عندك هذا علمت أن ما يزعمه بعض المتصوفة من أن المراد بالوسيلة المذكورة في القرآن الكريم الشيخ الذي يكون واسطة بين المريد وبين ربه جهل باللغة العربية وخروج عنها وعدول عن أقوال جميع المفسرين وقول في القرآن العظيم بمجرد الرأي) هـ (٤) .

والتوسل والوسيلة من الألفاظ المشتركة التي يختلف فيها عند الإطلاق وخصوصا بعد أن حصل في المقصود بها الخلاف واستدل بعض المجوزين للتوسل بالمخلوقات بظواهر آيات وأحاديث ، وقد ظهر بما تقدم أن استدلالهم بالقرآن محض رأي لامستند لهم فيه من دلائل اللغة وأقوال المفسرين .

---

(١) روح المعاني جـ ١٦ ص ١٢٤ .
(٢) أضواء البيان جـ ٢ ص ٩٧ .
(٣) نفسه ص ٩٨ .
(٤) الوسيلة لمحمد بن أبي مدين مخطوط خاص ص ٢ .

وأما الأحاديث والآثار فإن ما استدل به في هذا الباب يتروح أمره عند المحدثين بين حديث موضوع أولا أصل له أو ضعيف (١) فالتوسل منه ما هو أصل الدين الذي لا يصح إيمان أحد إلا به وهو التوسل إلى الله تعالى بالايمان به والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم ومتابعته فيما جاء به عن ربه ٠

ومنه ما هو جائز وفضيلة لمن فاز به وأدركه وهو التوسل إلى الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وشفاعته والتماس بركته في كل ما يتصل به صلى الله عليه وسلم ٠

ومنه ما هو محرم لعدم ثبوت شيىء يجوز به ولعظم الإقدام عليه ولما فيه من مخالفة ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح (٢) قال شيخ الإسلام بن تيمية : (فلفظ التوسل يعنى بالنبي صلى الله عليه وسلم يراد به ثلاث معان :

أحدها : التوسل بطاعته ، فهذا فرض لايتم الايمان إلابه ٠

والثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته ٠

والثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته ولا عند قبره وغير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شيىء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة أو عن من ليس قوله حجة) (٣) .

وبهذا التمهيد يكون من الواضح أن حمل التوسل على الشيخ أو أي مخلوق آخر لا يسانده الكتاب والسنة ولا يفهم أيضا من لغتهما على ما في هذه النصوص وعلى ما سيتبين وبهذه النتيجة يمكن الربط بين هذا التمهيد وبين المطلب الأول من هذا المبحث وهو التوسل إلى الله بالبيعة للمشايخ علما أن ما تضمنته النصوص المذكورة في هذا التمهيد من طعن وتجهيل لمن يقول من الصوفية بأن الشيخ بذاته هو الوسيلة المذكورة في الآية . غير مراد هنا لما يأتي من نتائج البحث ٠

---

(١) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء على الامة ، محمد ناصر الدين الألباني المجلد الاول . المكتب الإسلامي ط ٥ سنة ١٤٠٥ هـ ص ٣٠ . ٤٧ ٠

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة . الرياض سنة ١٤٠٤ هـ ص ٤٨ وما بعدها ٠

(٣) نفسه ص ٥٠ ٠

المطلب الأول : التوسل إلى الله بالبيعة للمشايخ

تقدم أن الأسانيد التي ذكرتها القادرية لاتصال طريقتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخذها عنه لا تصح في شيىء من طرقها عند البحث ولذا يبقى البحث في قيمة البيعة ابتداء لغير النبي صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء والأمراء من بعده في الأمور العامة إلا أن ذلك لا يتضح إلا بالتعريف بالبيعة لغة وشرعا وبيان أنواعها ، فنعرفها : التعريف : قال في القاموس (باعه) يبيعه بيعا ومبيعا ••• والتبايع المبايعة) (١) وقال الحافظ بن حجر : (والمبايعة عبارة عن المعاهدة ، سميت بذلك تشبيها بالمعاوضة المالية) إلى أن قال و (بايع السلطان : إذا تضمن بذلك الطاعة له ، بما رضخ له • ويقال لذلك بيعة ومبايعة) (٢) •

البيعة شرعا : والبيعة في الشرع تكون على الايمان والسمع والطاعة ، وعلى الهجرة والجهاد وعلى الصبروعدم الفرار وتكون عامة للناس وخاصة وعلى أمور عامة أيضا وخاصة كما تشهد لذلك الأحاديث والأخبار والسير المتفق عليها(٣) ففي صحيح البخاري رحمه الله تعالى : (أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه • فبا يعناه على ذلك) (٤) فالبيعة المخرجة من الكفر إلى الايمان واجبة ولازمة لكل أحد ولا يجوز الرجوع عنها ولا إعطاء الاقالة فيها كما يؤخذ من قصة الأعرابي في صحيح البخاري (٥) فبيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام والطاعه

---

(١) القاموس المحيط جـ ٣ ص ٨ •
(٢) فتح الباري جـ ١ ص ٦٤ •
(٣) أنظر صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الامام الناس • وانظر : فتح الباري جـ ١٣ / منه / ص ١٩٢ وما بعدها وصحيح مسلم مع النووي جـ ٢ص٣٩
(٤) صحيح البخاري كتاب الايمان ، باب حدثنا أبو اليمان ، رقم الحديث : (١٨)
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الاحكام ، باب بيعة الاعراب . إلى باب من نكث بيعة •

المطلقة في المنشط والمكره وفي اليسر والعسر (١) •وقد بايع صلى الله عليه وسلم بعض الناس على أمور خاصة فكانت واجبة عليهم فيما يستطيعون كما كان صلى الله عليه وسلم يلقنهم عند مبايعته لهم كما في حديث جابر رضي الله عنه عند عند مسلم وغيره قال : (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقننى فيما استطعت والنصح لكل مسلم) (٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا : فيما استطعتم) (٣) .

وقد أجمع العلماء على وجوب نصب خليفة مستدلين بالشرع والعقل وأوردوا من وجوب طاعته بعد تمام الأمر له من النصوص الواضحة من الكتاب والسنة وأنه لايجوز الخروج عليه ما دام لم يظهركفرا بواحا • وأوردوا من النصوص في الوعيد على مخالفة أمره ما لم يأمر بمعصية الشيء الكثير •

أما بيعة غير النبي صلى الله عليه وسلم وبيعة الولاية العامة فلم نعثرفيها على نص صحيح صريح يوجبها لأحد من الناس مهما كان علمه وصلاحه ، ولا على نص مثل ذلك يوجبها على أحد من الناس له •

فعلى هذا يمكن حصر البيعة في : البيعة العامة على الإسلام والبيعة على أعمال الإسلام يقول الحافظ بن حجر عند قول الإمام البخاري : باب كيف يبايع الإمام الناس (٤) (المراد بالكيفية : الصيغ القولية لا الفعلية ، بدليل ما ذكر فيه من الاحاديث الستة (وهي البيعة على السمع والطاعة وعلى الهجرة وعلى الجهاد وعلى الصبر وعلى عدم الفرار ولو وقع الموت وعلى بيعة النساء وعلى الإسلام) (٥) فأي هذه البيعات تتوسل القادرية بها ؟

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب بيان أن الدين النصحية •

(٣) صحيح البخاري كتاب الأحكام الحديث رقم (٧٢٠٢)

(٤) فتح الباري وانظر : أضواء البيان مرجع سابق ، جـ ١ ص ٥٩ وما بعدها • جـ ١٣ ص ١٩٢ وما بعدها •

(٥) نفسه جـ ١٣ ص ١٩٤ •

عـــــرض :

بعض نصوص القادرية في البيعة للمشايخ :

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي : (وسبيل مشايخ الأوراد سبيل الصحابة لأنهم وارثوهم والآخذون عنهم والمقتفون آثارهم المهتدون بهديهم وليس هم إلا مشايخ هذه الأمة المربون النجباء ••• فهم الأولياء ورثة الأنبياء) (١) .

وقال (وأما حقيقة الأوراد فإنها عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشايخ ••• وأصل الأوراد البيعة الإسلامية التى أخذها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وكانوا يبايعونه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكسل والأثرة على النفس والمال والولد •••) ثم ذكر أن هذه بيعة الرجال ثم ذكر صيغة بيعة النساء وأورد بعض ماأثنى الله به على أصحاب هذه البيعات ثم قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : (من لم يمت تحت بيعة مات ميتة جاهلية) (٢) وأن المشايخ استنبطوا من هذا الحديث قولهم : (من لا شيخ له فالشيطان شيخه) (٣) .

وقال : (ولا ريب أن الشيخ أعظم حقا من الوالد لأنه المتسبب في الحياة الباقية والوسيلة إلى الله والواسطة بينكم وبين الرسول ومن عظيم حقهم أنه لا جزاء لعقوقهم إلا سوء الخاتمة والعياذ بالله) (٤) .

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي (فالشيخ باب فتحه الله تعالى إلى جناب كرمه ، منه يدخل واليه يرجع فلينزل به سوانحه ومهماته الدينية والدنيوية ، إذهو الوسيلة بينه وبين ربه) (٥) .

ويقول يعد بحث في انقسام الولاية إلى ظاهرة وباطنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين (••• فجرت البيعة فيما بينهم على نحو ما جرت بين

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٥ •

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتجريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة • بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة •

(٣) الكوكب الوقاد ص ٢٤ •

(٤) نفسه ص ١٦٤ •

(٥) جنة المريد ص ١٥٣ •

الصحابة والنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم الوارث فأول بيعة بيعة العقبة ثم بيعة الرضوان بالحديبية ثم بيعة العامة بمكة ثم بيعة الخاصة وهي بيعة جعفر رضي الله عنه بالحبشة للنجاشي وقومه ثم لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وفشا الإسلام وانقطعت النبوءة ورثه خواص أمته وهم العلماء الأولياء فورثوا بعد الخلفاء الأربعة التربية وإعطاء الأوراد وأخذ العهود ، فهي مستمرة إلى يوم القيامة والكل بإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم •••) (١) ويضيف في شرحه لأنواع الولايات وأنها تورث مع سابق العنايه من الله تعالى . قائلا : (وأما البيعة الباطنية ففائدتها ثلاثة أمور :

(١) هي أنها عمدة الطريقة •••

(٢) ولما فيها من التعاون على البر والتقوى •

لما فيها من إشادة عماد الدين برسم الاجتماع على سائس خلفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(٣) ولما يحصل بها من الاجتماع الذي به تعود بركة الكامل على الناقص والمودود على المطرود • وقد انفسم الناس في أخذ البيعة إلى أقسام منها :

(أن منهم من يأخذ البيعة على الرسم المتعارف من المصافحة وتقبيل اليد والتزام العهود وتقرير الشروط القادرية والشاذلية ، ومنهم من تعقد له البيعة بلفظ الولاية والرقبة وتمليك النفس والمال مع التأكيد بمؤكدات يعينها مشايخ الطريقة) (٢) .

وهم في هذا الباب من التوسل يقيسون أمور الآخرة والعبادات على أمورالدنيا وما يحصل فيها من طلب الشفاعات والوسائط التي هي في مقدور البشر (٣) وهكذا نجد من جاء بعد هذين الشيخين من علماء القادرية ومؤلفيهم وشيوخهم يسيرون على نفس المنهج في كون البيعة للمشايخ وسيلة للولاية وأن الشيخ واسطة ووسيلة إلى الله تعالى ، وأن المريد محجوب عن الوصول إلى الحق إلا عن طريقه أعني الشيخ إلى غير ذلك من الاقوال المرسخة لهذا المعتقد (٤) فيقول الشيخ ماء العينين بعد

---

(١) جنة المريد ص ١٧٤ •

(٢) نفسه ص ١٩٦ . ١٩٧ •

(٣) جذوة الأنوار ص ١١٤ . ١١٥ وجنة المريد ص ٦٢ •

(٤) نعت البدايات ص ٤ وما بعدها وفاتق الرتق بهامشه ص ٢١٠ . ٢١٣ وكشف اللبس ص ٨١ وما بعدها والضياء المستبين ص ٢ و ١١٣ والغلاوية ص ٢٤ . ٢٦ .

عرضه لبعض واجبات الشيخ على المريد (··· إذ هو الوسيلة بينه وبين ربه) (١)

ويقول صاحب الضياء المستبين في المشايخ :(إنهم الوسيلة الكبري) (٢) ويقول : (وهذه الطائفة هم أولياء الله وأهل وداده وخاصته من خلقه لأنهم إما التلاميذ المجتمعون عند الشيخ على رسم المباعية للشيخ على السمع والطاعة وحسن الأخوة مع الإخوان ··· وإما مشايخ كمل وهم حقيقة الأولياء) (٣) .

نقد : هذه بعض نصوصهم المبينة لمرادهم من البيعة ، ويمكن للباحث الجزم من خلالها بالأمور الآتية ·

١) أنهم يعتقدون أنها بيعة على الإسلام لما رتبوا عليها من وجوب الطاعة المطلقة للمشايخ وتقديم البر بهم على الوالدين · ويؤكد هذا بالإضافة إلى ما تضمنته النصوص السابقة أن بعضهم يقول للمريد عند البيعة أن عليه استحضار نية أداء الواجب من النطق بالشهادتين ·

فيقول الشيخ سيدي المختار الكنتي (فكما يجب على المريدين الاقتداء بالسلف الصالح في تعظيم المشايخ واحترامهم ظاهرا وباطنا يجب استحضار النية حالة تلقيه من شيخه وسمعه عنه أنه إنما يتلقى ويسمع من الله ورسوله إذ الشيخ وارث الرسول ونائبه والله تعالى يقول له (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٤) ويقول محمد الكنتي أيضا (··· وكذلك اعطاء التلقين وهو أن ينوى الملقن يعني بالفتح أخذ كلمة الجلالة على الوجه الواجب ناويا أداء الفريضة من نية تخصها وإلا بقي الوجوب متعلقا بذمته ···) (٥) وهذا وإن صح في الكفار والمشركين فإنه

---

(١) نعت البدايات ص ٧ ·

(٢) الضياء المستبين ص ٢

(٣) نفسه ص ١٣٤ . ١٣٥ ·

(٤) سورة التوبة الآية ٦ الكوكب الوقاد ص ١٦٨ ·

(٥) جنة المريد ص ٢٠١ ·

لا يصح أن يشترط فيمن نشأ في الإسلام وتعلم الضروري من أحكام دينه أو حتى وإن كان بقي على جهله مع سلامة فطرته في بيئه إسلامية فإن مثل هذا الشرط والاستدلال بالآية لا يصح في مثله ، والمسلمون هم أكثر الداخلين في الطرق الصوفية هذا مع أن بعضهم يرى أن الكافر والمسلم الجاهل والمقلد في اعتقاده يمكن أن يدعوهم ويفيدهم كل مسلم لديه علم بالاسلام أماالمسلم أو المؤمن أو الصالح فإنه لا يفيدهم إلا واصل مقرب (١) فكيف يستقيم هذا مع ماقبله من اشتراط استحضار نية الدخول في الإسلام عند البيعة للشيخ الذي يمكن أن يكون المبايع له أعلم منه بالاسلام وأعماله ؟

فإن أراد بعبارة التلقين أو البيعة لفظ الكلمة الشريفة بطرفيها فان المؤمن بالاصالة لا يجب عليه استحضار نية أدائها عند البيعة كما يجب على الكافر عند آدائها للدخول في الإسلام إذ إنه قد أدى واجب ذكرها في العمر مرة كما شرطه العلماء وصلى وأدى الواجبات عليه غيرها فلا يسوى بالكافر (٢) .

٢) أن هذه النصوص مسوية بين الشيخ والرسول صلى الله عليه وسلم في التوسل إلى الله بمبايعته على الإسلام وأعماله وغير ذلك من الأمور المقربة إلى الله تعالى .

وقد تقدم أن نصوص الكتاب والسنة ترد دعوى أي أحد ينسب لنفسه أو لغيره المساواة مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أمور الدين من وجوب بيعته ولزومها ، وسوء خاتمة من مات مشاققا له أو كافرا به أو وجوب طاعته المطلقة .

٣) أنهم يسوون بين البيعة للشيخ وبين ما وقع من الصحابة رضوان الله عليهم من بيعات للرسول صلى الله عليه وسلم ومبايعات الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة وإن كان بعضها لازما لجميع المسلمين وفي عنق كل مسلم بيعة لله ورسوله من جهاد في سبيل الله وطاعة تامة فإن بعضها قد وقع على أمور محددة ولأشخاص بأعيانهم فلا يؤخذ من تلك العامة للمسلمين إيجاب المبايعة لشيخ ، ولا يؤخذ من تلك الخاصة

---

(١) الضياء ص ١١٨ . ١١٩ .
(٢) ميارة على ابن عاشر ص ٥٢ .

أيضا لتعلقها بأمور خاصة ۰ ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبايع أصحابه على الجهاد في سبيل الله تعالى وضامن لمن قتل منهم في ذلك الجنة لما أوحى الله إليه في كتابه تعالى من قوله : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١)

فهذه الآية عامة في المؤمنين يقول ابن جرير(إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة) (٢) وعنه أيضا وعن القرطبي ما يدل على أن سبب نزولها بيعة العقبة الثانية قال القرطبي : (ثم هي بعد ذلك عامة في كل مجاهد في سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم) (٣) وقال الحسن : (والله ما على الأرض مؤمن الا يدخل في هذه البيعة) (٤) ويقول جل وعلا في حق أصحاب بيعة الرضوان بالحديبية : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) (٥)

ويقول جل وعلا في الترضى عنهم في نفس السورة : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذيبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (٦) .

فهذه البيعات للنبي صلى الله عليه وسلم إما على الجهاد العام الذي يدخل فيه كل مؤمن وإما على جهاد خاص فاز به أصحاب بيعة الرضوان ، ثم إن من تقدم من القادرية للجهاد في سبيل الله وقيادة جند الله نشرا لدين الله وأطاعه الناس كانت

---

(١) سورة التوبه الآية ١١٢ ۰
(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٤٩٨ ۰
(٣) نفسه ج ١٤ ص ٤٩٩ ۰
(٤) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٦٧ و ٢٦٩ ۰
(٥) سورة الفتح الآية ١٠ .
(٦) الآية ١٨ من نفس السورة ۰

طاعته ومبايعته لأجل الجهاد لا أنه شيخ أو ولي على المعنى الخاص ، وليس له أن يوجب طاعته على أحد إلا في حدود صالح الجهاد المبايع عليه وليس له أن يعد أحدا الجنة أو يوعده سوء الخاتمة إذا خالفه في أمر ولكن يبين له ما في الكتاب والسنة مما أوجبه الله على نفسه للمطيع من ثواب وما توعد به جل وعلا الكفار والمنافقين والعصاة من عقاب .

فتبين بهذا أن ما استدلوا به على وجوب التوسل إلى الله بالبيعة مع ما فيه من الفاظ مشتركة موهمة كالواسطة والوسيلة الكبرى لا يصح به الاستدلال ولا يجب لأحد به طاعة مطلقة ولا مقيدة إلا في حدود واجب الصحبة والعشرة بين المسلمين جميعا ، وقد تتأكد بسبب شرعي كبر الوالدين الذي قدموا عليه طاعة وخدمة الشيوخ وهم في ذلك مخالفون لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ... ﴾ (١)

قال القرطبي وغيره بأن الله قرن بتوحيده وعبادته البر بالوالدين كما قرن شكرهما بشكره ، وقدم برهما على الجهاد في سبيله ، وجعلهم أحق الناس بحسن صحابته ولو في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عقوقهم أو التسبب فيه من الكبائر القبيحة . (٢)

وهذا ما تؤيده الأحاديث المتفق عليها(٣) كحديث عبدالله بن عمررضى الله عنهما(قال:سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال الصلاة على وقتها . قال : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين . قال : ثم أي ؟ قال الجهاد في

---

(١) الآيتان من سوؤة الإسراء ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) القرطبي جـ ١٠ ص ٢٣٧ ـ ٢٤٦ وابن كثير جـ ٣ ص ٣٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب البر والصلة . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب .

سبيل الله قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني) (١) (وعن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال : أحي والداك • قال : نعم قال : ففيهما فجاهد) (٢)

ومن الاجماع ما حكاه الاما م النووي عن غير واحد من العلماء على وجوب تقديم برهما وإحسان صحبتها على الجهاد الذي هو ذروة سنام الدين ما لم يتعين فما دونه من القربات والنوافل بدليل هذه الأحاديث المذكورة وحديث جريج الراهب المخرج في الصحيح (٣) وعلى هذا فما حكاه بعضهم من إجماع على تقديم حق الشيخ على حق الوالدين مردود بهذه النصوص الواضحة والإجماع المتسند عليها مع أن صحتها تغني في الرد على من ادعى خلافها • ثم إنهم عللوا تقديم حق الشيخ على حقوق الوالدين بأنه : (هو المتسبب في الحياة الباقية) (٤) وهذا التعليل مع عدم صواب إطلاقه هكذا فإنه لا تعارض به نصوص الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة •

والهداية إلى الإيمان والعمل الصالح بيد الله تعالى ، فمن أراد الله تعالى هدايته الهداية التوفيقية التي لا يملكها أحد سواه هيأ له الأسباب ويسر له من يهديه إلى الخير والعلم والعمل هداية دلالة وإرشاد وهذه عند كثير من المسلمين ممن ليسوا من الصوفية ولا من القادرية ، ومع ذلك فإن هذا الدال والمرشد إلى الحق والخير لا تكون له طاعة أو حقوق أكثر مما نص عليها الكتاب والسنة وعلماء الأمة من تعين التزام الأدب والاحترام للعالم من المتلعم أولا ومن احترام عام من الناس لما أعطاه الله من علم وورع ونفع للناس •

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب البر والصلة ، الحديث رقم (٥٩٧٠) •

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به •

(٣) صحيح مسلم نفسه : باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها •

(٤) الكوكب الوقاد ص ١٦٤ •

ولذا لاينبغي لأحد من المريدين أو غيرهم أن يطيعوا أحدا في معصية الله تعالى بمفارقة الوالدين والأهل الذين تجب عليهم رعايتهم ونفقتهم بدعوى التزام البيعة للشيخ الذي ينقذه بدعواه أو المتسبب في نجاته في الحياة الباقية ٠

وإن أخذ عليه العهود والمواثيق التى عرضناها في نصوصهم من تمليك الرقبة والمال والنفس وغير ذلك مما هو مذكور آنفا ذلك أنه : (لا وفاء لنذر في معيصة ولا فيما لا يملك العبد) (١)

٤) أنهم يشترطون على المريد ما لا يملك من عدم الاعتراض على الشيخ المبايع ولو بقلبه وإن رآه على معصية ظاهرة ٠

والقلوب والخواطر بيد الله لا يملك أحد التحكم فيها ، وعندهم أنه إذا لم يتحكم فيها فهو هالك ولا يشم رائحة القرب من الله إلى غير ذلك من عباراتهم التي تقدم نقلها وهذا الذي اشترطوه لشيوخهم تجاوز الله تعالى عن مثله لعباده في حقه يوضح ذلك أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ شق ذلك على الصحابه رضوان الله عليهم ، ورأوا أنه من باب التكليف بما لا يطاق . فراجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فأمرهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ولا يكونوا مثل اليهود الذين قالوا سمعنا وعصينا فلما قالوها راضية بها نفوسهم نزل قول الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا عل القوم الكافرين ﴾ (٢)

قال الله تعالى كما في الحديث ﴿ قد فعلت ﴾ (٣)

---

(١) صحيح مسلم كتاب النذر ٠

(٢) سورة البقرة الآية ص ٢٨٦ ٠

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر وبيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ٠

وعن أبي هريرة رضي اللـه عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به) (١) وقد تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يبايع الناس يقول لهم فيما تسطيعون •

٥) ثم إن السيوطي الذي هو إمام السلسلة القادرية المذكورة في كتب القادرية كما تقدم عندما سئل عن لزوم هذه العهود • قال

(إذا المريد أخذ العهد عـلى شيخ له ورام أن ينتقـلا

لغيره هل عهد الاول تـراه أحق باللزوم أم عهد سواه

جوابه لا يلزم العهـد ان لاذاك الأول ولاذا الثاني

وانما ذا منكر من البـدع فالتزم السنة والبدع دع) (٢)

وقد قاس الشيخ التراد هذه البيعة على التزام شخص بمذهب من مذاهب أئمة الاجتهاد وأنه يجوز الانتقال عنه إلى مذهب آخر وذكر كثيرا من العلماء انتقلوا من الانتساب إلى مذهب عرفوا به إلى مذهب آخر (٣)

ولا يخفى أن الانتساب إلى المذاهب الفقهية ليس في حكم البيعة ولا يساوي بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كما رأينا في نصوص القادرية ، ولا يعطى لإمام حقوقا لم تكن له على المسلمين ، مع أنه لا حرج في الانتساب لأهل الخير والعلم والصلاح كمذهب السلف الصالح في الاعتقاد ومذاهب الأئمة الأربعة في الفروع مع البعد عن التعصب الصاد لصاحبه عن تجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديم الدليل على كلام البشر ، وانما يقتدى بهم كلهم لحسن اقتدائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم •

---

(١) نفسه جـ ٢ ص ١٤٧ •

(٢) الرحلة العلمية . نقلا عن الشيخ بيه بن السالك •

(٣) جواز الانتقال من طريقة شيخ إلى آخر . مخطوط خاص . في خمس صفحات كتبه الشيخ التراد جوابا لمحمد فال بن محمد محمود ص ١ ـ ٤ •

المطلب الثاني : المدد والاستمداد من المشايخ

تعريف المدد والاستمداد :

قال في القاموس (المد) السيل وارتفاع النهار والاستمداد من الدواة وكثرة الماء والبسط وطموح البصر إلى الشيء ٠٠٠ ومد النهار ارتفع وزيد القوم صارلهم مددا ٠٠٠ وما مددت به السراج من زيت ونحوه ٠٠٠ والإمداد تأخير الأجل وأن تنصر الأجناد بجماعة غيرك والإعطاء والإغاثة أو في الشر مددته وفي الخير أمددته وأن تعطي الكاتب مدة قلم ٠٠٠ والمادة الزيادة المتصلة ٠٠ والاستمداد طلب المدد) (١) وكل هذه المعاني جاءت في آيات من كتاب الله تعالى ٠

يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة : (ويمدهم) (٢) أي يطيل لهم المدة ويمهلهم ويملي لهم ، كما قال : (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) (٣) وأصله الزيادة ٠ قال يونس بن حبيب : يقال مدلهم في الشر ، وأمد في الخير ، قال الله تعالى : ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين) (٤) وقال : ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ (٥) وحكي عن الأخفش : مددت له إذا تركته ، وأمددته إذا أعطيته ٠ وعن الفراء واللحياني : مددت ، فيما كانت زيادته من مثله ، يقال : مد النهر ، وفي التنزيل : (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) (٦) وأمددت ، فيما كانت زيادته من غيره ، كقولك : أمددت الجيش بمدد ، ومنه : ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) (٧) وأمد الجرح ، لأن المدة من غيره ، أي صارت فيه مدة) (٨) والمدد نوعان : حسي ومعنوي ٠

---

(١) القاموس المحيط جـ ١ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ٠

(٢) سورة البقرة ﴿ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) الآية ١٥ ٠

(٣) من سورة آل عمران الآية ١٧٨ ٠

(٤) من سورة الاسراء الآية ٦ ٠

(٥) من سورة الطور الآية ٢٢ ٠

(٦) من سورة لقمان الآية ٢٧ ٠

(٧) من سورة آل عمران الآية ١٢٥ ٠

(٨) القرطبي جـ ١ ص ٢٠٩ ٠

فالمدد على هذا يكون في الأمور الحسية والمعنوية وفيه ما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، والذي يعنيه القائلون من الصوفية وغيرهم بالمدد من النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم قد يشمل الأمور الحسية والأمور المعنوية ، ويظهر أن هذه العقيدة المتضمنة للاعتداء على حقوق الربوبية من عطاء ومنع وجلب نفع ودفع شر وتقسيم رزق وفيض علم قد انتشرت بين الصوفية انتشارا واسعا (١) ومن بين من قال بها منهم القادرية وهذه العقيدة مرتبطة بدعوى التصرف في الكون وأخذ العلم عن الله تعالى بلا واسطة وغير ذلك مما تقدم في هذا الفصل ، غير أن الباحث وجد للقادرية نصوصا صريحة في القول بهذه العقيدة في المعاني خاصة وقد يفهم من إطلاقاتهم للعبارة القول بأن الولي يملك مددا حسيا كتقسيم الأرزاق والمعارف وغير ذلك مما تقدم بيانه في الكلام على الغوثية والقطبية والتصرف في الكون

عرض : وهذه بعض نصوصهم في هذه العقيدة

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في سياق ترجمته للمغيلي وخبر لقائه بالسيوطي أن المغيلي اختبر السيوطي ليعرف مكانته في حفظ السنة وأنه كان إذا حدثه بالحديث (يقول له لم يبلغني ثم يقوم حتى يجاور سارية من سوار مسجده ثم يقبل إليه ويقول صدقت حتى أفاده خمسمائة حديث فقال سيدي عمر الشيخ للمغيلي ما له لا يصدقك في الحديث حتى يطوف بالسارية فقال له : إنه لا يقدر على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم . يعني حتى يفعل ذلك فيرى النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله عن الحديث فيقول له عني ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يغيب عني طرفة عين لما عددت نفسي من المسلمين) (٢)

ويلاحظ على هذه الرواية أمور :

١) أنه قد تقدم ضعف رواية لقاء المغيلي مع السيوطي في ترجمة المغيلي في الباب الأول .

---

(١) انظر : السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني ص ١٩٠ . ٢٠١ و ٢٣٤ وما بعدها

(٢) المنة في اعتقاد أهل السنة ص ٤١ .

٢) أن السيوطي اشتهر بالحفظ ومعرفة أسباب ضعف الحديث من علوم الحديث التي هي عمدة العلماء في الحكم على الأحاديث .

٣) أن الحكم على الحديث بمثل هذه الحكاية يساوي التقول على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يخفي بطلانه وحرمة قوله وحكايته إلا لإبطاله (١)

٤) أنه يؤخذ من حكاية الراوي لها وسكوته عليها جواز الاستمداد عنده من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته العلوم وهو المقصود من إيراد النص أصلا ويقول المختار الكنتي أيضا : (واعلم أنه لا تثبت لعبد محبة الله حتى يحب أولياءه حبا زائدا على المعتاد مقرونا بالطاعة والتبجيل وحسن الطوية والتبتل حتى تنطبع روحانية الشيخ مع روحانيتك بحيث تستهلك الكل في الكل ...) (٢)

ويقول : (ويبلغ بالمريد من الاستغراق في ذات الشيخ حتى لا يعرف غيره بعد الله ورسوله وتلك غاية الانتفاع فما دخله بعد ذلك دخله لا بنفسه بل بربه وواسطة شيخه فأعانه الله عليه سواء كان ذلك من أمور الدنيا أو من أمر الآخره) (٣)

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي في معرض بيانه لأصول تلقي الأوراد والمعارف : (ومن القوم طائفة إذا لم يجدوا لذلك العمل دليلا من السنة الثابتة في كتب الشريعة يتوجهون بقلوبهم وهممهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حضروا بين يديه سألوه عن ذلك وعملوا بما قاله لهم) (٤)

ويقول في الكلام على الخلافة ومرتبة الغوثية الباطنية :

(وهذه الخلافة هي المعبر عنها في اصطلاح القوم بالغوثية إذا الغوث هو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من تجيب ونقيب وبدل ووتد) (٥)

---

(١) مشتهي الخارف الجاني ص ٩١ وما بعدها .

(٢) الكوكب الوقاد ص ١٦٣ .

(٣) نفسه ص ١٦٦ .

(٤) جنة المريد ص ٦٧ .

(٥) نفسه ص ١٧١ .

ويؤيد هذا النص بنص آخر يقول فيه بعد أن ذكر : (أن الشيخ مرآة المريد ووسيلة المزيد) قال في أثناء الحديث عن آداب الذكر (... ثم الإستمداد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه إذ في استحضاره صورة شيخه في قلبه عند ابتداء ذكره استمداد منه اذ قلب شيخه يحاذى قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبي صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الالهية فالذاكر إذا تصور شيخه واستمد منه فاضت الأمداد من الحضرة الإلهية إلى قلب سيد المرسلين ومن قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم إلى قلوب المشايخ على الترتيب حتى تنتهي إلى شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه ...) (١)

وله في نشر هذه العقيدة نصوص أخرى (٢) وتبعه عليها من جاء بعده من المؤلفين القادرين .

فيقول الشيخ ماء العينيين (... ثم لتعلم أنه ينبغي للمريد قبل هذه الشروط كلها والآداب ومعها أن يتصور صورة شيخه في ذهنه ويجعله في جميع ذلك نصب عينه وسلما لقربه من ربه عن بينة لأنه إذا استمد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه ناله المدد على قدر الاستمداد .. ثم نقل نص الشيخ سيدي محمد الكنتي السابق .
وقال : (فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لا محالة ، قال الله تعالى : (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) (٣) ثم يرى أن استمداده من شيخه هو استمداد من نبيه صلى الله عليه وسلم) (٤)

وعن هؤلاء انتشرت هذه العقيدة بين أتباعهم وعوام مجتمعاتهم .

---

(١) نفسه ص ٢٠٣ . ٢٠٤ .

(٢) انظر الغلاوية ص ١٨٨ ومابعدها .

(٣) سورة الأنفال الآية ٧٢ .

(٤) نعت البدايات ص ١٨ . ١٩ .

نقـــــــد :

وهذه النصوص صريحة في الأمور الآتية :

١) الإيمان بعقيدة الإستمداد من المخلوقات كالأنبياء والأولياء والمشايخ ويأتي نقده إن شاء الله .

٢) القول بالفيوضات المتسلسلة إلى الآخذ عن الله تعالى وقد تقدم أن الصوفية تأثرت في هذا القول بالاسماعيلية وأشباههم : (وقد دخل في كثير من أقوالهم في العلوم ، أو في العلوم والأعمال ، طائفه من المنتسبين إلى التصوف والكلام) (١)

٣) إطلاق لفظ المدد والاستمداد من المخلوقات وهذا من باب القول بالتصرف في الكون للأولياء وقد تقدم الكلام فيه .

٤) حث الذاكر من الصوفية على استحضار صورة شيخه ليصل إليه المدد بتلك المراقبة ويأتي نقده إن شاء الله .

٥) أنه لا استدلال على ما ذكر بكتاب ولا سنة ، وما استدل به إما أن يكون لا دليل فيه لصدوره ممن لا حجة في كلامه كالفلاسفة القائلين بالعقل الفياض وترتيب العقول وإما خارجا عن محل الاستدلال المطلوب في المحل (٢) كما سيأتي نقد ما يحتاج إلى نقد منه .

٦) أن هذا الاستمداد والمدد يكون من الحي حال اليقظة منه ومن الحي حال يقظته ونومه ، ومن الميت أيضا . ويأتي نقده إن شاء الله .

هذه أبرز دلالات هذه النصوص الواضحة منها . ولتعلق هذه العقيدة بالأرواح والتوجه بها إلى أرواح أخرى يكون البحث فيها من الأمور الصعبة لأن الله تعالى يقول

---

(١) الصفدية جـ ١ ص ٥ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٥ وما بعدها وكتاب الصفدية جـ ١ ص ٦٢ وما بعدها .

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (١) ولكن يسهله أن البحث لا يتناول حقيقتها أي الأرواح وإنما يتناول أحد متعلقاتها ، وهو الاستدلال بما يقع فيها من علوم ومعارف نتيجة صفائها بالمجاهدات والرياضات ونسبة ذلك إلى طريق معين لا يشهد له الكتاب والسنة بل إن فيه ما يخالف ظاهرهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله ٠

أولا : الإيمان بعقيدة الاستمداد من المخلوق الميت : إما أن يكون بتصرف منه وحركة وهذا باطل لمخالفته لنصوص الكتاب والسنة والاجماع والواقع ٠

أما الكتاب فلقوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ (٢) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لألا يختلف في موته ٠ (٣)

وفي سنن ابن ماجه عن أبي موسى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس ؟ قال : إذا عاين) (٤)

قال القرطبي : قوله (إذا عاين يريد إذا عاين ملك الموت أو الملائكة والله أعلم) (٥) وقال تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٦) وإذا مات المخلوق انقطع بدنه عن الحركة والانتقال وبقي على من يحضره من الناس تجهيزه هو نفسه إذ لا حول له ولا قوة حتى لنفسه (٧) وإذا دفن أخذت الأرض في أكل بدنه إن لم يكن نبيا أو شهيدا أو من ورد النص باستثنائه من غيرهما تذكر النصوص ٠

---

(١) سورة الاسراء الآية ٨٥ ٠
(٢) سورة الزمر الآية ٣٠ ٠
(٣) القرطبي جـ ١٥ ص ٢٥٤ ٠
(٤) سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر ، جـ ١ص ٤٤٤ ٠
(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخره ـ دار الكتب العلمية ط ٢ سنة ١٤٠٧ ص ٥٢ ٠
(٦) سورة آل عمران الآية ١٨٥ ٠
(٧) القرطبي جـ ٤ ص ٢٢٢ وما بعدها ٠

قال صلى الله عليه وسلم : (ليس من الإنسان شيىء إلا يبلى إلاعظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامه) وفي رواية (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) (١)

ومما يؤكد توقف الحس والحركة عن بدن الميت ما ورد في الصحيح من انقطاع عمله وتوقف الزيادة والنقصان في سجل اعماله حسنة أو قبيحه إلا ما كان عمله في حياته أو تسبب فيه فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقه جارية او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) (٢)

قال الإمام النووي : (قال العلماء معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد التواب له إلا من هذه الاشياء الثلاثة لكونه كان سببها فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة ...) (٣)

هذا من الكتاب والسنة والواقع الذي لا يحتاج إلى دليل كاف في توضيح انقطاع أي كسب بدني للإنسان بنفسه بعد موته ، ويبقي الحديث عن كسبه بروحه التي تحصل الوفاة والموت بمفارقتها لبدنه .

والأرواح بعد فراقها للأبدان مختلف في مستقرها باستثناء أرواح الأنبياء والشهداء حيث وردت نصوص تخصصها وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون في الجنة على أن الخلاف وارد في كيفية تلك الحياة ، وحتى لو عرفت حياتهم فإنه لا دليل على تخصيص الأخذ عن أرواحهم في الجنة من الأخذ عن أرواح غيرهم ممن روحه محبوسة أو ملقاة على شفير قبره وحتى لو قيل بأن الأخذ يحصل من الأرواح المطلقة السياحة ، فإنه لا يكون فيما أخذ عنها دليل على عمل من أعمال الإسلام سواء قلنا

---

(١) سنن ابن ماجه باب ذكر القبر والبلى ، رقم (٤٣٣٤) واللفظ الآخر لمسلم في صحيحه كتاب الفتن ، باب ما بين النفختين .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي جـ ١١ ص ٨٥ .

بأن ذلك الأخذ أو المد حصل يقظه أو مناما (١) قال ابن أبي العز الحنفي (إن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت فمنها : أرواح في أعلى علين ، في الملا الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وهم متفاوتون في منازلهم • ومنها أرواح في حواصل طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا كلهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه ••• ومن الأرواح من يكون محبوسا على باب الجنة ، ومنهم من يكون محبوسا في قبره ومنهم من يكون في الأرض ••) (٢) فأي هذه الأرواح على تفاوت درجاتها يستمد منه القائل من القادرية بالاستمداد من الأنبياء وغيرهم فيما لم يجد فيه نصا من كتاب أو سنة ، وما الذي يستمد منها زايدا على الكتاب والسنة ؟ وإن ادعى الاستمداد من بعضها فما الدليل على الاختصاص ؟ وقد كمل الدين وختمت الرسالات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم •

قال الله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا •••) (٣) وبعد أن قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته) (٤)

قال الزهري (من الله عز وجل الرسالة ، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ وعلينا التسليم) (٥)

وجاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في صحيح البخاري وغيره :

(ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية فما الذي يطلبه المسلم من علوم ومعارف من أرواح المخلوقات بعد هذا ؟ ثم انه اذاكان القائل بالاستمداد من الأرواح من القادرية يكتفى بأنه يحصل فى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٣ .

(٢) نفسه ص ٣٩٤ . ٣٩٥ •

(٣) سورة المائدة الآية ٣ •

نفسه شيىء لا يعرف مصدره ولا سببه وبدون قصد منه أو أنه تحصل له منامات ومراء تلتقي فيها روحه مع روح فلان أو فلان من الأحياء أو الأموات لكان الأمر في هذه سهلا (١) حيث تقدم أن مثل هذه الأمور يعرض على الكتاب والسنة وبذلك لا يكون العمل أو الحجة في شيىء بعد الكتاب والسنة ، ولكن نصوصهم دالة على أنهم يقصدون التوجه وطلب المدد من النبي صلى الله عليه وسلم أو من الشيخ فلان مثلا في حال اليقظة منهم وأن هذا العمل لا يكون إلا من كبار الرجال ۰ ولا يخفى أن كبار الرجال من عهد الصحابة إلى آخر الزمن لا يطلبون المدد إلا من الله تعالى لا في الأمور الحسية ولا المعنوية وحتى عند الخلاف والتنازع وعدم ظهور الدليل والاحتياج إلى الاجتهاد والاستنباط لإقامة الحدود وغيرها من الأمور العظيمة ۰

قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٢) قال ابن كثير : (قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ۰۰۰ يعني بعد أن لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى . وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيىء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة ۰۰۰) (٣)

وعند رد هذا المعتقد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة وشهادة الواقع لم نجد له مستندا في ذلك كله ، ومعتقده واقع لا محالة في موافقة الفلاسفة وغلاة الشيعة في عقائدهم الفاسدة ومنازع لله تعالى في خصائص ربوبيته ۰ والله أعلم ۰

ثانيا : حث المريد على استحضار صورة شيخه حال الذكر طلبا للمدد منه والقوة على التلقي من روحه إلى غير ذلك مما ذكر في النصوص السابقة من القول بمحاذاة روح شيخه إلى روح شيخ شيخه ۰۰۰

---

(١) الروح لابن القيم دار في العلوم الحديثة ص ٢٠ . ٣٤ ۰

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ ۰

ففي هذا الإرشاد من المحاذير العقدية ما لا يخفى علاوة على أنه مناف لما تقدم عن صاحب المنهل الروي الرائق من أن القادرية يقوم سلوكهم في البداية على استحضار جلال الله تعالى وعظمته ٠ (١)

وهذه النصوص التي نقلت عنهم ترشد المريد أن يستحضر صورة شيخه وهذا الذي أمروه به هو مقام المراقبة الذي هو من أعلا درجات الإحسان ، ويؤيد ذلك أنهم أمروه به حال العبادة وهذا المقام لا يصرفه لغير الله إلا منافق أو مراء بعمله ، وخصوصا فيما يتعلق بالقلب وأعماله من إيمان ومراقبة ٠

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٢)

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (٣)

قال القرطبي : (اعلم أن علماءنا رضي الله عنهم قالوا : الشرك على ثلاث مراتب وكله محرم ٠ وأصله أعتقاد شريك لله في ألوهيته ، وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ٠٠٠) (٤) ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل ، وهو قول من قال : إن موجودا غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلها ٠٠٠ ويلي هذه الرتبة الإشراك في العبادة وهو الرياء ، وهو أن يفعل شيئا من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغيره) (٥)

والآيات والأحاديث في أن الشرك بأنواعه كلها محبط للعمل كثيرة جدا ٠

---

(١) المصدر المذكور ص٦٤ ٠

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠ ٠

(٣) سورة النساء الآية ٣٦ ٠

(٤) سورة النساء الآية ٤٨

(٥) القرطبي جـ ٥ ص ١٨١ ٠

والذي يراقب في العبادات والأعمال كلها هو المعبود المطلع على الإنسان في جميع الأحوال ولا يكون ذلك إلا الله تعالى الذي يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم ﴾ (١)

وفي حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة ما يدل دلالة واضحة على أن هذه الأمور لا يجوز صرفها لأي أحد كائنا من كان وهو حديث متفق عليه (٢) وجاء في هذا الحديث (قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) هذه رواية البخاري وراوية مسلم : (قال : أخبرني عن الإحسان • قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (٣)

قال الإمام النووي : (هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه لظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به فقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للأطلاع عليه وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغي أن يعمل بمقتضاه) (٤)

قال الحافظ بن حجر: (وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود) (٥)

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٢١٧ . ٢٢٠ •

(٢) صحيح البخاري كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة • الحديث رقم (٥٠) •

(٣) نفس الكتاب والباب في صحيح مسلم •

(٤) النووي على مسلم جـ ١ ص ١٥٧ . ١٥٨ •

(٥) فتح الباري جـ ١ ص ١٢٠ •

ومراقبة المريد حال الذكر للشيخ بتخيل صورته أو استحضاره تعظيما له أو استمدادا من روحانيته ينافي هذه المراقبة والفراغ المطلوب من المؤمن حال العبادة من كل شاغل لتتم له لذة المناجاة وحلاوة العبادة فلا يجوز لمسلم أن يعمل على إبطال عمل مسلم آخر مهما كان الدافع لذلك .

يقول صاحب أضواء البيان عند قوله تعالى : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك تجزيه جهنم ... ﴾ (١) الآية دليل قاطع على أن حقوق الله الخالصة له من جميع أنواع العبادة لا يجوز أن يصرف شيء منها لأحد ولوملكا مقربا أو نبيا مرسلا) (٢)

ومقام المراقبة أجل مقامات الإحسان وتأول ماأرشدوا إليه على ما قاله النووي ونقله عنه ابن حجر قائلا : إن القاضي عياض سبقه إليه من قوله : (وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته) (٣) بعيد عندي لأن النووي قصد المجالسة الحسية بالاجتماع والاشتغال بالخير والعلم عما يناقضه مما يخالف حال المجالس ولا يرضى به ، وهذا من باب صحبة الأخيار المطلوبة شرعا ، وما أرشدوا إليه من باب طلب مراقبة المخلوق الغائب واستحضاره في الذهن طلبا على ما يظهر من نصوصهم إلى مزيد القرب من الله تعالى ، ولا يخفى أنما ذكروه مناف لمقصد الذكر لما فيه من رائحة الإشراك بالله في العبادة وما ينافي الشيء لا يكون من أسباب تحصيله . والله أعلم .

---

(١) سورة الانبياء الآية ٢٩ .

(٢) أضواء البيان جـ ٤ ص ٥٦١ . ٥٦٢ .

(٣) النووي جـ ١ ص ١٥٨ والفتح جـ ١ ص ١٢٠ .

ثالثا : والآية التي ذكرت في النصوص السابقة وهي قوله تعالى :

﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾ (١) استدلالاً على أن المريد إذا استحضر صورة الشيخ حال الذكر مستمدا منه ومستنصرا به أن المدد يأتيه بواسطته لا محالة . لا دليل فيها على المقصود من إيرادها لاجماع المفسرين وأئمة التأويل على أنها فيمن آمن وبقي بين المشركين ولم يهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في دار الهجرة والجهاد .

يقول الطبري : (وإن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين) يعني : بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين (فعليكم) أيها المؤمنين من المهاجرين والانصار (النصر) (إلا) إن استنصروكم (على قوم بينكم وبينهم ميثاق) يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لايحاربه) (٢)

رابعا : أن هذه العقيدة مع أنها لم تصدر ممن في كلامه حجة ولا دليل عليها من الكتاب والسنة بل تبين بما تقدم أنها تخالف عقائد المتمسكين بهما فإن نصوص القادرية التي ذكرت تشتمل في طياتها على ما يبطل الاستدلال بها على المراد لعدم قناعة المستدل بها على كونها من الحق الذي يعتمد عليه مما سبب تناقضا في كلامهم

من ذلك أننا نجد نصا يقول فيه صاحبه : (ومن القوم طائفة إذا لم يجدوا لذلك العمل دليلا من السنة الثابتة في كتب الشريعة يتوجهون بقلوبهم وهممهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حضروا بين يديه سألوه عن ذلك وعملوا بما قاله لهم لكن مثل ذلك خاص بأكابر الرجال وإلا فمبنى أمرهم فيما يكاشفون به ويفاتحون على العرض لذلك على الكتاب والسنة وعمل السلف فما وافق من ذلك اعتمدوه وشكروا الله تعالى ومالارفضوه وعملوا بمقتضى الشريعة مما لم يتناوله مطلق الإذن) (٣)

---

(١) سورة الانفال الآية ٧٢ .

(٢) تفسير الطبري جـ ١٤ ص ٨٢ .

(٣) جنة المريد ص ٦٧ . ٦٨ .

ففي هذا النص الامور الآتية :

١) توجه لطلب أمر غير موجود في الكتاب والسنة أو لم يعرف مكانه فيهما ٠

٢) عرض هذا العلم الزائد عل الكتاب والسنة عليهما ٠

٣) قبول ما شهدا له ورفض ماخالفهما وقد سبق أن هذا التوجه المذكور غير جائز

ويكفي من هذه الأمور كلها الاقتصار على ما نص عليه الشارع أو فهم من نصه وسد باب طلب ما زاد عن ذلك لأن طلب ما ليس في الكتاب والسنة أول عمليات الخروج عنهما ، وعرضه عليهما والعمل به إن شهدا له ، أو رفضه إن لم يشهدا له عملية لا يقدر عليها كل الصوفية القائلين بهذه العقيدة والمدعين لحصول المعارف عن طريقها ، ثم إن العمل يكون بالكتاب والسنة على ما قاله صاحب النص ، والكتاب والسنة كانا موجودين ومعصومين قبل هذا التوجه المذكور وما ينتج عنه ، فبقي أنه عمل لا فائدة منه وجهد معطل عن النظر في الكتاب ، والسنة وأقوال الائمة من أول مرحلة البحث ٠ ويؤكد أنه لا فائدة منه ما قاله صاحب النص نفسه :

(فإن قيل ألصاحب هذا المقام أن يأمر الناس بما أمره به رسول الله صلى عليه وسلم بفعله أو قوله ؟

فالجواب : لا ينبغي له ذلك لأنه زائد على السنة الصحيحة الثابته من طرق النقل ومن أمر الناس بشيىء زائد على ما ثبت بالنقل فقد كلف الناس شططا وأشبه الناصب لنفسه مشرعا) (١)

ولا يرتكب مثل هذه الأمور الغامضة إلا من يحاول أن ينصب نفسه مشرعا ٠ والله أعلم ٠ وقد نقلت عن ثقات من تلاميذ الشيخ عبد الله بن داداه أنه كان يقول لهم : (إنمايريد بعض المشايخ والفقهاء المتعصبين لبعض الأقوال من غير دليل أن ينصبوا أنفسهم حجابا بين الله ورسوله وبين الخلق حتى لا يرى الناس إلاهم) (٢)

---

(١) جنة المريد ص ٦٨ ٠

(٢) الرحلة العلمية . مقابلات مع محمد الحسن بن عمر ومحمد عبد الله بن عمار٠

المطلب الثالث : طلب قضاء الحوائج بالمخلوق

تقديم :

من الواضح أن عقيدة التوسل إلى الله تعالى بالمخلوق مصدرها الحقيقي كما ظهر فيما تقدم من مباحث هذا الفصل هو تعظيمه وإعطاؤه مكانة فوق مكانة البشر العادين من المؤمنين ، وهذه المكانة الرفيعة تتدرج بمعتقدها إلى أمور كثيرة منها محبته محبة زائدة والدفاع عنه بدون شعور والتعصب له بدون دليل ، واعتبار أي لون من ألوان النصح أو الارشاد أو التوجيه له أو النقد البناء . حطا من قدره وتعديا على حرمته وطعنا في مقامه العالي ، ولا يزال الأمربمعتقد هذه المكانة للمخلوق حتى يسوغ لنفسه التبرك والتمسح بذات ذلك المخلوق أو ما تيسر من أشيائه الخاصة إن فقد هو أو بقراباته أو خواص أتباعه أو حتى تربته وبلاده فإذا صارت هذه الأمور عقيدة جاء دور الشيطان وأوحى لذلك المحب المتبرك بعقيدة التوجه إلى ذلك المخلوق لمكانته عند الله . في نفسه هو . أن يتوسط به عند الله تعالى في قضاء حوايجه وتفريج كرباته والتوسعة على عياله ونشر البركة على بلاده ٠ وهو في توسله بهذا المخلوق لتحصيل ذلك المطلوب لا يفرق بين ما يقدر عليه المخلوق وبين ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، وما يطلب من الحي الحاضر وما لا يجوز طلبه منه في حال غيبته حيا كان أو ميتا وما ذلك الا بسبب ما استقر في عقله من زيادة التعظيم لذلك المخلوق ٠ ثم هو في توسله هذا يغفل أمورا مهمة ويرتكب محاذير عديدة ٠ فمما يغفله أنه طلب حاجاته ممن لا يملكها ، ونسي الأدلة على ذلك ، ونسي أيضا أسباب قضاء الحوائج ، وفاته أن أولها توحيد الله تعالى والايمان بأنه وحده النافع الضار ومما يرتكبه كثرة النداء للمخلوقات من الأحياء والأموات وصرف الأموال في غير وجوهها على حساب الواجبات الشرعية والفروض الذاتية ٠

ثم استعمال عبارات غير مشروعة في الدعاء مثل بجاه فلان، أو يا رسول الله ، أو ياصالحوه مكان كذا وكذا يا شيخنا وتلاميذك إلى غير ذلك من التوسل الذي لا يذكر الله فيه وإن ذكر فمع غيره والمستغاث به ذلك الغير لا الله تعالى ٠ وهذه أمور اعتبرها القرآن الكريم والسنة النبوية ومن تمسك بهما من علماء الأمة دائرة بين الشرك الأكبر أو الذريعة إليه أو أنها من الكبائر والمحرمات الصارفة عن ذكر الله وعن الصلاة ، وأن المسلم غني عنها بما فتح له من أبواب الخير والتوسل

المشروع (١) وقد كتب العلماء في مسألة التوسل قديما وحديثا وبينوا مايجوز منه وما لا يجوز ومع ذلك بقي في الأمة من يخالف المنهج الصحيح في هذه العقيدة ويجوز منها ما لا دليل على جوازه أو ما لا دليل له فيه إلا بقياسات بعيده وتكلفات لا ترتكب في ميدان العقائد : (فاضطرب الناس في مسألة التوسل ، وحكمها في الدين اضطرابا كبيرا ، واختلفوا فيها اختلافا عظيما ، بين محلل ومحرم ، ومغال ومتساهل ، وقد اعتاد جمهور المسلمين منذ قرون طويلة أن يقولوا في دعائهم مثلا :

(اللهم بحق نبيك أو بجاهه أو بقدره عندك عافني واعف عنى) أو (اللهم إني أسالك بحق البيت الحرام أن تغفر لي) أو (اللهم بجاه الأولياء والصالحين ، ومثل فلان وفلان) أو (اللهم بكرامة رجال الله عندك ، وبجاه من نحن بحضرته ، وتحت مدده فرج اللهم عنا وعن المهمومين) أو (اللهم إنا قد بسطنا إليك أكف الضراعة، متوسلين إليك بصاحب الوسيلة والشفاعة أن تنصر الإسلام والمسلمين ...) (٢)

هذه بعض الأمثلة على توسل جمهور المسلمين (ويدعون أنه يعني . هذا التوسل . سائغ ومشروع ، وأنه قد ورد فيه بعض الآيات والأحاديث التي تقره وتشرعه ، بل تأمر به وتحض عليه ، وبعضهم غلا في إباحة هذا حتى أجاز التوسل إلى الله تعالى ببعض مخلوقاته التي لم تبلغ من المكانة ما يؤهلها لرفعة الشأن ، كقبور الأولياء ، والحديد المبني على أضرحتهم ، والتراب والحجارة والشجر القريبة منها ، زاعمين أن ما جاور العظيم فهو عظيم ، وأن إكرام الله لساكن القبر يتعدى إلى القبر نفسه حتى يصح أن يكون وسيلة إلى الله ، بل قد أجاز بعض المتأخرين الاستغاثه بغير الله) (٣) ولا حجة في قول أحد ما لم يعتمد على الكتاب والسنة فيما يقول ويفعل ، وقد تقدم بيان وجه الحجة في الوسيلة وأنه لا حجة فيما احتج به المحتجون على التوسل بالشيخ أو غيره من ذوات الأشخاص . ولنورد هنا بعض نصوص القادرية في التوسل بذوات الاشخاص الأحياء منهم والأموات لنرى مذهبهم في التوسل وطلب الحوائج من المخلوق من خلال عباراتهم وندرس إن شاء الله تعالى ما يصح ممانصواعليه مما لايصح .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية والتبرك المشروع والتبرك الممنوع على بن نفيع العلياني دار الوطن . الرياض ط ١١ سنة ١٤١١ هـ ورسالة الشرك ومظاهره للميلي والتوسل انواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الالباني . المكتب الإسلامي ط ١١ سنة ١٤٠٦ هـ .

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه ص ٩ .

(٣) نفسه ص ٩ . ١٠ .

عـــــرض

بعض نصوص القادرية في التوسل بالمخلوق في قضاء الحوائج :

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في أثناء ترجمته لأحد أجداده وهو الشيخ سيدي عمر الشيخ أنه جاء إلى الروضة الشريفة وأنشد قصيدة منها :

(فطب وغب عن هموم كنت تحملها — وسل تنل كل ما ترجوه مـن كرم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيــدى — يا مــن لقاصده أمن من النقــم

إني فقير إلى عفو ومكرمــــــة — وأنت أدرى بما. في القلب مـن ألم

وقد أتيتك أرجو منك مكرمـــــة — فأنت أهل التقى والوجود والكــرم

فالحال يغني عن الشكوى إليك وقد — عرفت حالي وإن لم أحكه بفــمي

فاشفع لعبدك واجبر كسـره فلقـد — أودي به الكسر مما نال من جرم

يارب يارب يا مولاي عبــــدك في — بـاب الرجا يرتجى أمنا من النقم

فجد عليه بما يرجوه من كــــرم — فقد توسل في الدنيا بحقهـم) (١)

وواضح تأثر هذا النص ببردة البوصيرى الشاذلي المتوفى سنة ٦٩٦ هـ (٢) وخصوصا في قول البوصيرى :

(إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض — من النبي ولا حبلي بمنصـــرم

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ بــه — سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهـك بي — إذا الكريم تجلى باسم منتقـم) (٣)

---

(١) المنة ص ٤٢ وضمير الجمع يريد به النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وأهل بقيع الغرقد .

(٢) البوصيرى المادح الأعظم للرسول ، عبد العال الحماطي ، دار المعارف كتابك عدد ٣٤ ص ٣٧ . ٣٨ .

(٣) نفسه .

ويقول الشيخ سيدي المختار الكنتي أيضا ناقلا عمن توسل بالأربعين وليا من ذرية الكنتي :

(ولذ بحمى المختار إن كنت خائفا ... تجده حمى في حرز سور مقرمد

كذلـك سل بالشيخ أمنا فكـم به ... يفرج حقـا كل أمـر معقـد

إلى أحمد وجهت كـل مـآربي ... وأحمد لا يرضى بحرمان مجتد

ألا يا بني الكنتي إني بجاهكـم ... توسلت للمولى فهل من تـزود

ليقضي تباعتي ويذهب فاقتـي ... ويصلح أحوالي وينجح مقصـد

فكم فيكم من سيد ذي تصـرف ... لديه كأن الكون في قبضة اليد) (١)

ويحكى المختار الكنتي عن نفسه أنه زار جده الشيخ سيدي أحمد البكاي بولاته يريد قضاء حاجة لهم ملحة وهي إخبارهم عن قافلة لهم فيها جميع أهل حلهم وعقدهم قال : (فأتوني بجماعتهم فقالوا : إنا نعتقد فيك ما نعتقده في جدك هذا) وأنه ذهب إليه وجاءهم بالخبر عنها ، ثم إنه حكى من مشاهداته في ذهابه إليه ما يوحي بالقول بالرجعة وقيام الموتى من قبورهم ، وختم تلك الحكايات متمثلا بقول القائل :

(فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر)

ثم (قال : يروى أنه أرى أصحابه يعني جده حجرا كان يجالس عليه الخضر فحملها أصحابه إلى بيوتهم فاقتسموها فلا يبلع أحد منها قليلا إلا أكرمه الله بالفهم والذكاء ...) (٢)

ويقول صاحب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ٠ وهو شاذلي ركاني (٣) يقول في ترجمة الشيخ سيدي أحمد البكاي : (إنه مشهور متبرك به

---

(١) المنة ص ٤٧ . ٤٨ ٠

(٢) المنة ص ٤٨ . ٥٠ ٠

(٣) المصدر المذكور ٢١ و ١٠٠ . ١٠١ ٠

يزوره الناس من كل فج في كل ساعة وأنهم رأوا من بركاته كثيرا ويأتون بالفتوحات وينحرون عند قبره ويتصدقون به على الفقراء والمساكين) (١)

وقد ذكر صاحب هذا الكتاب تراجم لمن ليسوا من الأعيان في العلم والفقه ولكن ذكرهم ليقول بأنهم صلحاء ويتبرك بهم ويستجاب الدعاء عند قبورهم وينتفع أهل البلد المدفونون فيه بهم ثم ليسأل الله تعالى بجاههم وبكل جاه من له جاه عند الله تعالى (٢)

وللشيخ سيدي المختار قصائد فيها الدعاء والتوسل بالإيمان والعمل الصالح وفيها كذلك التوسل بالمخلوقات ومن ذلك :

(وبالمشرف بالاضافة من لوح — ومن قلم وعرش مجيـــد

وبرسلـــك بالملائكة الغـــر — وبالأوليـــا بكل شهيـــد

وجمال الأعيان حيـــا وميتـــا — ووسيط العقود بيت القصيد

وبطه الأمين من لان في اللـــه — وأرغم فيه أنف الحســـود) (٣)

ولابنه الشيخ سيدي محمد أدعية وتوسلات شعرية في حال اشتعال بعض الفتن في منطقته دعا فيها بالدعاء الحسن كالتوسل بأسماء الله الحسنى وتوسل فيها بالمخلوقات كثيرا من ذلك قوله فى التوسل بالمخلوقات :

(يا مصطفى الله من الأكوان — غوثا أبـــا القاســـم في الأوان

يا عصبة الآل الكرام الخيـــره — والخلفاء الراشديـــن البـــرره

يا أهل بيعة الرضى والعقبـــة — وأهل بدر شيبهم والشببـــــه

يأهل أحد يا رجال الصفـــه — من كل ندب ذي صفا وعفه

---

(١) فتح الشكور ٣٠ . ٣١ .

(٢) نفسه ص ٦٨ ، ١٢٨ وغيرها كثير .

(٣) الطرائف ص ٥٧٠ .

إلى أن يقول :

يا غوث يا أقطاب حزب الله	يا بـدلا ياعصمة التـلاه
يا جملة الاخيار والاوتـاد	من ذي ارتياض زين بارتياد
يا ذا المزايا الجمة الجميلـه	وواسط السلسلـة الجليلـه
غوثا عوثاه رجال السلسه	من كل دائم الهيام والولـه
يا حاملا لواء هايا جيـلى	ومن نحا طريقة من جيـل) (١)

ويقول الشيخ ماء العينين في أثناء كلامه على آداب زيارة المريد للشيخ ناقلا ومستدلا (... يعنى وإذا زرته بحسن هذا القصد وبحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى فإنه لابد لك من المدد الأوفر فإن الله تعالى قد وكل بقبور الأكابر ملائكـة يقضون حوائج الزائريـن لا سيما وأهل اللـه محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتا ...) (٢)

وتبعه على ذلك أبناؤه في أنظامهم وأشعارهم فقد ، نظم (محمد المصطفى مربيه ربه) أسماء الرسل متوسلا بجاههم فقال فيها :

(وبمحمـد رسول الله أتمم لنـا الخير بلا تناه

رب بجاههم وجاه من له جاه أنلني الشكـر منك كله) (٣)

وللشيخ التراد من القصائد والمدائح التي يتوسل بها لقضاء حوائجة شيء كثير منها :

---

(١) نفسه ص ٥٧٣ .

(٢) نعت البدايات ص ١١١ . قلت : لم نجد مايدل على ما حكاه صاحب هذا النص إلا حكايات أهل الصوفية التي نقلها هو مصدقا بها .

(٣) منظومة عدد الرسل مربيه ربه مكتبة الشيخ ماء العينيين الساقية الحمراء . المغرب ص ٤ .

(كقطب الورى سعد السعود ملاذنا | أيا حبذا القطب المعظم والسعد
ووالده جدى المؤمـــل فضلـــه | فلا والد حاكاه فضلا ولا جد
وأشياخنا الســادات غر أفاضـل | بدا منهم الجيلى هل مثله يبـدو
ألا إنه قطب الوجـــود وفـــرده | ولا قطب إلا في حماه ولا فرد
ومن في حمى الجنيد راح مؤمنـا | بطلعته تهدى المشيخة والمـرد
أبو حسن حلف السماحة والندى | وسيلتنا من فضله ذاع والمجد
ألم أذكر الكرخي وهـو وسيلتـي | فكم أمه يرجو مواهبه وفد) (١)

ويقول في مديحية له :

(يا خير من أمسى بطيبة ثاويا | ومقامه فوق السماء الأبعد
هذى حوايج مادح قـد أسندت | لجنا بكم ولغيركم لم تسند(٢)

ويقول في غيرها :

(يارب بالمختار كن لي راحما | وقني عذابك لا أراه متى يرى)

ويقول في غيرها :

(تشفعت بالمختار أعظم شافع | وماخاب من يدعو بأحمد في أمر) (٣)

وهو أكثر الشيوخ توسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم وشيوخه في الطريقة (٤)

نقد :

وما زال الناس يرددون هذه التوسلات ويدعون بها عند أعظم البليات ولهم في ذلك من النظم الدارج والنثـرما لا يحصى يرددونـه عند زيارة القبور والحضرات الصوفية ، ويتكسبون به .

---

(١) نيل المراد ص ٦ .

(٢) نفسه ص ٦ .

(٣) نفسه ص ١٤ .

(٤) نفسه ص ٢١ و ٣٦ .

ويظهر جليا من هذه النصوص الأمور الآتية :

١) الخلط بين دعاء الله تعالى والاستشفاع بخلقه عليه ٠

٢) إطلاق عبارة التوسل وطلب الحوائج من المخلوق الميت والاسغاثة به ٠

٣) مخاطبة الموتى ونداؤهم لطلب أمور لا يقدر عليهاإلا الله تعالى كالعفو عن الذنوب والزلات والحماية من الشرور ٠

٤) نسبة علم ما في الضمائر للأموات ٠

٥) الحث على الأحتماء واللياذة والسؤال بهم ٠

٦) اعتقاد تفريج الكربات بهم وبزيارتهم والذبح والتصدق عند قبورهم ٠

٧) تجويــز شـد الرحال إلى القبور وأن أهل البلدة ينتفعون بالصالحين المدفونين عندهم ٠

وتتبع كل فقرة من هذه المسائل يطول جدا ويمكن الاكتفاء عنه بنقد عام يشملها جميعا ثم بيان التوسل المطلوب والمباح والتوسل الممنوع المفضي بصاحبه للشرك الصراح ٠

نقد عام

تقدم أن الله تعالى أمر نبيه صلي الله عليه وسلم أن يقرأ على الناس نصوصا تتلى إلى الأبد وهو أكرم الخلق على الله تعالى أنه لا يملك لنفسه نفعا ولاضرا وأنه ليس له من الأمر شيىء ، هذا في حياته صلى الله عليه وسلم وهو قادر على الدعاء وعلى ما يقدر عليه البشر من أمور هو أكملهم فيها صلى الله عليه وسلم وقد دعى لقوم ونهي عن الدعاء لهم وصلى على آخرين ونهي عن الصلاة عليهم وقال لأقرب الناس منه وأحبهم إليــه : (يا فاطمة سليني من مالي مــا شئت فإنى لا أغني عنك من الله شيئا ٠٠) (١) وخصوصا فيما يتعلق بأمور الآخرة وعفو الذنوب وتكفير السيئات

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير(وأنذر عشيرتك الأقربين) ، الحديث رقم : (٤٧٧١)

والأمن والحماية من ارتكاب المنهيات أو تسليط الآفات (١) قال الله تعالى :﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (٢) قال القرطبي : (يقول : وهل يغفر الذنوب أي يعفو عن راكبها فيسترها عليه إلا الله) (٣)

ويقول بن كثير في تفسير هذه الآية : (أي لا يغفرها أحد سواه كما قال الإمام أحمد . وروى بسنده عنه عن الاسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بأسير فقال : اللهم أني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم (عرف الحق لأهله) (٤)

ويؤيد هذا قصة الإفك بكاملها وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيها لأمها عندما قالت لها قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بشرها بالبراءة من الله تعالى قالت:(لا والله لا أقوم إليه ، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل) (٥) ثم إن الدعاء من أعظم العبادات وأجل القربات فلا يجوز صرف شيء منه لغير الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٦)

قال القرطبي : (نقلا عن أكثر المفسرين أن المعنى وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم) (٧)

وجاء في الحديث المخرج في السنن عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الدعاء هو العبادة) (٨)

---

(١) أنظرفتح الباري جـ ٨ ص ٢٢٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٥ .
(٣) تفسير الطبراني جـ ٧ ص ٢١٩ .
(٤) تفسير بن كثير جـ ١ ص ٤٠٧ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، الحديث رقم : (٤١٤١) .
(٦) سورة غافر الآية ٦٠ .
(٧) القرطبي جـ ١٥ ص ٣٢٦ . ٣٢٧ .
(٨) أبو داود جـ ٢ ص ١٤١ .

وقال في الأدب المفرد للإمام البخاري في فضل الدعاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء) وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أشرف العبادة الدعاء) (١) وما دام الدعاء بهذه المكانة من العبادة كان صرفه لغير الله تعالى من أي أحد من باب الشرك الذي أرسلت الرسل لمحاربته ودعوة الناس لاجتنابه وتوحيد الله تعالى وحده في العبادة والمسألة التي لا يقدر عليها إلا هو جل جلاله .

قال صاحب الرد على القبورين : (فدعاء العبادة ودعاء المسألة كلاهما عبادة لله لا يجوز صرفها إلى غيره فلا يجوز أن يطلب من مخلوق ميت أو غائب قضاء حاجة أو تفريج كربة ، بل ما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز أن يطلب إلا من الله . فمن دعى ميتا أو غائبا فقال : يا سيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارحمني أو اكشف عني شدتي ونحو ذلك فهو كافر مشرك يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء فإن هذا هو شرك المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ...) (٢)

فالتوسل على هذا يمكن أن يكون قمسين اثنين :

- توسل مشروع ومرغب فيه بأنواعه .
- وتوسل ممنوع لأنه إما شرك أو يفضي إليه .

أما التوسل المشروع فإنه يشمل الإيمان والأعمال الصالحة كلها . فمن القرب التي يتوسل بها وحث الشارع عليها بعد الإيمان بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به عن الله تعالى . ما تقدم في تفسير آية المائدة ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) (٣)

---

(١) الادب المفرد ، عالم الكتب ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ تقديم كمال يوسف الحوت ص ٢٤١

(٢) النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبورين ، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم ، دار العاصمة الرياض ط ١ سنة ١٤٠٩ ص ٢٦ .

(٣) المائدة الآية ٣٥ .

وقال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ (١) وفي سبب نزولها ما بين معناها : فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن ، فأسلم الجن ، وتمسك هؤلاء بدينهم) (٢) ٠ فالمتقرب إليهم صاروا مؤمنين يتقربون إلى الله تعالى بالإيمان والطاعات ٠

قال الحافظ بن حجر : (أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا ، وهم الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة) (٣) ويدخل في هذه القرب التي شرع التوسل بها إلى الله تعالى العبادات الواجبة والمندوبة والأدعية المأثورة والأعمال الصالحة وطلب الدعاء من الرجل الصالح (٤) وهذه بعض النصوص الدالة على مشروعية ذلك وأنه من أعظم الوسائل نفعا فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فأغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامه إنك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ٠٠٠ ﴾ (٥) وفي الكتاب والسنة من الأدعية والتعوذات مايغنى المسلم عن طلب غيرها من التوسلات ، وقد خصص العلماء كتبا للأدعية الصحيحة وبينوا معانيها وما ورد في خصائصها وفضائلها وأوقاتها (٦) ٠

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥٧ ٠

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب (وآتينا داود زبورا) الحديث رقم : (٤٧١٤) ٠

(٣) فتح الباري جـ ٨ ص ٣٩٧ ٠

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه ص ٣١ وما بعدها ٠

(٥) سورة آل عمران الآيات ١٩١ ـ ١٩٥ ٠

(٦) أنظرفتح الباري جـ ١١ ص ٩٤ ـ ٢٢٨ ٠

فعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال : لله تسعة وتسعون اسما . مائة إلا واحدة . لايحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتريحب الوتر) (١) وفي رواية له أيضا رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنه) أحصيناه : حفظناه (٢)

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل بإسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (٣)

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم إني إسالك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فقال : لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب) (٤) ويقول تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (٥) ويقول تعالى : (الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى) (٦) .

فهذه نصوص صحاح مصرحة بأن لله تعالى اسماء وأن له تعالى اسما أعظم إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب وهو تعالى يدعو عباده إلى التوسل بهذه الأسماء المباركة والاستعاذة بها مما أخذ العلماء منه أنها غيرمخلوقة وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق (إذ لو كان مخلوقا لم يستعذ بها إذ لا يستعاذ بمخلوق) (٧)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات ، باب لله مائة اسم غير واحدة ، الحديث رقم :(٦٤١٠)

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحدة الحديث رقم :(٧٣٩٢)

(٣) نفسه باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ، الحديث رقم : (٧٣٩٣)

(٤) سنن أبي داود كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، الحديث رقم : (١٤٩٣) .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(٦) سورة طه الآية ٨ .

(٧) فتح الباري جـ ١٣ ص ٣٨١ .

ومن التوسل المشروع توسل المؤمن بصالح عمل أخلص فيه لله تعالى كقصه الرهط الثلاثه الذين سدت الصخره عليهم الغار الذي أووا إليه ٠

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخره إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم ٠ فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا ، فشربا غبوقهما ٠

اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخره ، فانفرجت شيئا لايستطيعون الخروج ٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخره غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم ، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلي أجري ، فقلت له : كل ما ترى من أجلك ، أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بي ٠ فقلت : إني لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك شيئا ٠ اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه٠ فانفرجت الصخره فخرجوا يمشون) (١)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل ، الحديث رقم (٢٢٧٢) ٠

وهكذا نجاهم الله تعالى لأنهم توسلوا إليه بقرب شرع التوسل بها ويحب الاخلاص فيها ابتغاء وجهه تعالى ، ومن عرف الله في الرخاء نجاه في الشدة وعرف له إخلاصه ٠

فأول هؤلاء الرهط توسل إلى الله تعالى ببره وعطفه على والديه ابتغاء وجه الله تعالى ، وبر الوالدين واجب في كل دين منزل ومقرون بعبادة الله في الكتاب الكريم ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾ (١) ومرغب فيه ومرهب من ضده في الكتاب والسنة ٠

والثاني : توسل إلى الله تعالى بإخلاصه في ترك شهوته في مرغوب له ابتغاء وجهه تعالى مع توفر الدواعي ٠

والثالث : توسل إلى المولى تعالى بمراعاته ومحافظته على حق الأجير الذي لايملك دليلا على أن هذه الأموال كلها من أصل أجرته الزهيدة فكان إخلاصه لله تعالى في مراعاة أصل الأجرة وإتقان الرعاية لها وتنميتها ثم الصدق والتسليم لنمائها في أنواع الأموال مع أنه لا يلزمه إلا أصل الأجرة (٢) فمن توسل إلى الله تعالى بمثل أعمال هؤلاء وإخلاصهم ، فالله تعالى أكرم من أن يخيب رجاءه ومن التوسل المشروع طلب الدعاء من الرجل الصالح لرفع بلاء أو كشف غمة أو استنزال خيرأو نصرة مظلوم أو دفع ظالم إلى غير ذلك مما هو مشروع لا إثم فيه ولا قطيعة رحم ويشهد لمشروعية ذلك والترغيب فيه الكتاب والسنة وعمل الصالحين من السلف الصالح ومن بعدهم ٠

قال الله تعالى عن قول قوم موسى لموسى : ﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ٠٠ ﴾ (٣) أي (بما أوصاك وأمرك) (٤) وقال القرطبي : (ما) بمعنى الذي ، أي بما استودعك من العلم ، أو بما اختصك به فنبأك) (٥)

---

(١) سورة النساء الآية ٣٦ ٠

(٢) فتح الباري جـ ٤ ص ٤٥٠ والتوسل أنواعه وأحكامه ص ٣٥ . ٤١ ٠

(٣) سورة االأعراف الآية ١٣٤ ٠

(٤) الطبري جـ ١٣ ص ٧٢ ٠

(٥) القرطبي جـ ٧ ص ٢٧١ ٠

وقال القرطبي أيضا عند قول الله تعالى : ﴿ وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ﴾ (١) . بعد أن بين بما نقل من آثار عن كعب الأحبار ما اختصت به هذه الأمة من أمور لم تعط إلا للأنبياء من كون النبي يقال له وحده دون أمته : (ادعني أستجب لك) (وما جعل عليك فى الدين من حرج) (وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيدا على قومه) وقد خوطبت هذه الأمة على العموم بمثل ما كان يخاطب به النبي خاصة في الكتاب الكريم . قال بعد ذلك : (وكانت الأمة تفزع إلى أنبيائها في حوائجها حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك) (٢) وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمورهم العامة والخاصة وكان صلى الله عليه وسلم يدعو لهم ويشفع لهم ويدلهم على الأسباب الموجبة للإجابة له ولهم ومن أوضح توسلهم بدعائه صلى الله عليه وسلم في أمورهم العامة أحاديث الاستسقاء الصحاح (٣) ومن أصرح ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه : (أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو باب دار القضاء . ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب . فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس ستا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة ورسول الله قائم يخطب فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر . قال فأقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس قال شريك سألت أنس بن مالك : أهو الرجل الأول فقال : ما أدري) (٤)

---

(١) سورة غافر الآية ٦٠ .

(٢) القرطبي جـ ١٥ ص ٣٢٧ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الاستسقاء .

(٤) صحيح البخاري كتاب الاستسقاء باب الإستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، الحديث رقم : (١٠١٤) .

قال الحافظ بن حجر في فوائد هذا الحديث : (وسؤال الدعاء من أهل الخير ومن يرجى منه القبول وإجابتهم لذلك ، ومن أدبه بث الحال لهم قبل الطلب لتحصيل الرقة المقتضية لصحة التوجه فترجى الإجابة عنده) (١) وهو ما سلكه هذا الرجل هنا وسلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في حديث أنس رضي الله عنه (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا إستسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال فيسقون) (٢) .

وهكذا لما توسل الصحابة بالعباس رضي الله عنه قام وقدم بين يدي دعائه واستسقائه ما ترجى الإجابة به من الاعتراف بالذنوب وإعلان التوبة لله تعالى (٣) .

ولاتعد الأمثلة على مثل هذا النوع من التوسل في الأمور العامة بدعاء الرجل الصالح وكذا لا تعد الأمثلة على توسل الصحابة بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمورهم الخاصة . ويجمع ما تقدم جميعا توسل الأعمى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في رد بصره كما في الحديث المخرج في السنن والمرموز له بالحسن والصحة ونصه كما في سنن ابن ماجه : (عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله لي أن يعافيني ، فقال : إن شيئت أخرت لك وهو خير وإن شئت دعوت فقال أدعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة ، يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى ، اللهم فشفعه في ، قال أبو إسحاق : هذا حديث صحيح) (٤) .

---

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا أقحطوا ، الحديث رقم : (١٠١٠) .

(٣) انظر : فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٧ .

(٤) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤١٨ . ٤١٩ وعمل اليوم والليلة للنسائي . أحمد بن شعيب النسائي دراسة وتحقيق فاروق حمادة ط ١ سنة ١٤٠١ هـ الرباط ص ٤١٧ . ٤١٨ .

وقد تتبع طرق هذا الحديث وزياداته شيخ الاسلام ابن تيمية في القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة وبين توجيهات أهل العلم له (١) وتبعه على ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه ٠ (٢)

ومحصل الكلام في هذا الحديث الذي صححه الألباني تبعا لمن سبقه (٣) أن هذا الضرير جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدعاء منه كما كان يأتيه أمثاله فيدعو لهم فيكشف الله ما بهم من ضر أو يخيرهم بين الدعاء لهم والصبر مبينا أن الصبر أفضل لهم في الآخرة كما خير هذا الرجل في ذلك ففضل أن يدعى له فأرشده صلى الله عليه وسلم لأمور مشروعة ترجى بركتها وقبول الدعاء إثرها من طهارة وصلاة وهيئة استرحام ، ثم علمه دعاءً ايدعوبه فدعابه مع شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم له فرد الله له بصره وعاد إلى المجلس الذي كان فيه كأن لم يكن به ضر ٠ وهذه أمور واضحة في نص الحديث برواياته المختلفة المشار إليها ٠

وبهذا يتبين أن التوسل إلى الله تعالى إنما يكون بعد الايمان بالله تعالى بالأعمال الصالحة الخالصة الموافقة لنصوص الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم من أهل القرون المفضلة ٠

---

(١) المصدر المذكور ص ٩٢ . ١٠٥ ٠

(٢) المصدر المذكور ص ٧٥ . ٨٣ ٠

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه ص ٧٥ ٠

أما التوسل الممنوع فهو ما خالف التوسل المشروع الذي سبق بيانه بنصوص من كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بأن يتوسل بذوات العباد وجاههم أو دعائهم أو ندائهم أحياء أو أمواتا .

واعتقاد أن ذلك ينفع أو يدفع ، أو شد الرحال إلى القبور والمزارات تعظيما لها أو اعتقاد حصول خير أو دفع ضر بجاه المقبورين فيها . لا من أجل زيارتها والتذكر والدعاء لأهلها . والله لا يتوسل إليه بذوات الأشخاص مهما كان فيهم من خير وصلاح ، وحفظ لكتاب الله وحدود الله تعالى . وبما أن هذه المعتقدات وما يتفرع عنها من تصرفات من باب الشرك الذي لا يغفره الله تعالى حرص العلماء على سد هذه الأبواب ، والتمسوا لمن يدخل في بعضها لشبهة كالتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم وجاهه العظيم عند الله تعالى وكذا من قاس عليه غيره في ذلك من الصالحين فقالوا :

١) إنه لا يصح حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أو يجوز التوسل بذاته الشريفه (١)

قال الشيخ ناصر الدين الألباني عند الكلام على قولهم : (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) قال . لا أصل له . ثم قال : (ومما لا شك فيه أن جاهه صلى الله عليه وسلم ومقامه عند الله عظيم ، فقد وصف الله تعالى موسى بقوله : (وكان عند الله وجيها ..) (٢) ومن المعلوم أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من موسى ، فهو بلا شك أوجه منه عند ربه سبحانه وتعالى ، ولكن هذا شيىء والتوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم شيء آخر ، فلا يليق الخلط بينهما كما يفعل البعض ، إذ إن التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم يقصد به من يفعله أنه أرجى لقبول دعائه وهذا أمر لايمكن معرفته بالعقل إذ بأنه من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في إدراكها ، فلابد فيه من النقل الصحيح الذي تقوم به الحجة ، وهذا مما لا سبيل إليه البتة ، فإن الأحاديث الواردة في التوسل به صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٢٩ وما بعدها .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦٩ .

قسمين ، صحيح وضعيف أما الصحيح فلا دليل فيه البتة على المدعى مثل توسلهم به صلى الله عليه وسلم وتوسل الأعمى به صلى الله عليه وسلم فإنه توسل بدعائه صلى الله عليه وسلم لا بجاهه ولا ذاته صلى الله عليه وسلم ، ولما كان التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير ممكن كان بالتالي التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته غير ممكن وغير جائز ..) (١)

ومادام أهل العلم حققوا أن الاحاديث التي ورد فيها التوسل بذات الرسول صلى الله عليه وسلم باطلة أو لا أصل لها وما صح كحديث الضرير لا حجة فيه على المدعي كان كلام الفقيه أبي محمد العز بن عبد السلام : (أنه لا يجوز أن يتوسل إلى الله بأحد من خلقه إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم إن صح حديث الأعمى) (٢) لا حجة فيه أيضا لما تقدم أن الضرير جاء يطلب الدعاء والاستشفاع وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه الدعاء وأسلوب التوجه المطلوب ولو أشتمل على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به (٣)

مع أنه مسموع كما قال شيخ الاسلام عن طائفة من السلف منهم الإمام أحمد تجويز السؤال بالنبي صلى الله عليه وسلم وأن ذلك إن حمل على أن قائله أراد بقوله أسألك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أي بإيمانه به أو محبته له أو غير ذلك من المعاني الصحيحة كان ذلك جائزا ولا نزاع فيه (٤) . ثم قال : (ولكنّ كثيراً من العوام يطلقون هذا اللفظ ولا يريدون هذا المعنى، فهؤلاء الذين أنكر عليهم من أنكر) (٥) أنه لا يقاس أحد من الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما بلغ من الصلاح والبركة . ويشهد لذلك الاحاديث الصحاح والحسان وتحقيقات أهل التحقيق فلم يعرف عن أحد من الصحابة أنه يسوى بين أحد منهم ولو أبا بكر

---

(١) سلسلة الاحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٣٠ .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٤٧ .

(٣) سنن ابن ماجه مع حاشية السندي جـ ١ ص ٤١٩ .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٦٢ و ١٤٤ .

(٥) نفسه ص ٦٢ .

الصديق رضي الله عنه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في عظيم بركته وتعظيم شأنه والتبرك بكل ماله صلة به والتوسل بدعائه ، فهذا عروة بن مسعود يقول لقريش (أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاقط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له ...) (١) رواه البخاري . وأحاديث رقيته ودعائه صلى الله عليه وسلم ومسحه بيده الشريفة الطاهرة لنفسه ولمن طلب منه ذلك أو تفضل هو عليه بذلك كثير جدا (٢) ومنها ما خرجه البخاري في باب المرأه ترقي الرجل . قال (عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات ، فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بهن ، فأمسح بيد نفسه لبركتها) (٣)

والظاهر أنها رضي الله عنها فعلت ذلك لمكانتها في الفقه وأنه لا يقاس أحد على الرسول صلى الله عليه وسلم في البركة والطهارة وهي الطاهرة المباركة رضي الله عنها وعن أبيها .

وهذا الفهم يؤيده قول القاضي عياض في الشفا فصل (وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره) (٤) ومع ذلك فإن تقوية منع التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم أحوط كما قال الميلي : (التوسل بالجاه شرك أو ذريعة إليه : والذي نقوله : إن هذا الضرب من التوسل إن لم يكن شركا فهو ذريعة إليه) (٥)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط من الحديث رقم (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الطب ، أبواب الرقيا .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب المرأة ترقي الرجل . الحديث رقم : (٥٧٥١)

(٤) الشفا مع شرح القاريء ج ١ ص ٣٧٣ وما بعدها .

(٥) رسالة الشرك ومظاهره ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فالتوسل بالأنبياء والصالحين : يكون بأمرين ، إما بطاعتهم واتباعهم ، وإما بدعائهم وشفاعتهم ٠) (١) وما ذهب إليه الإمام الشوكاني من التوسع في التوسل والحاق أهل الفضل والعلم كما قال بالنبي صلى الله عليه وسلم وأن المتوسل بهم إنما يتوسل بأعمالهم الصالحة وأن من قال : (اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم . وأن من فعل ذلك لم يدع إلا الله وإنما وقع منه التوسل إليه بعمل صالح عمله بعض عباده) (٢) فله كلام آخر في الاستغاثة يدل على منعه وتشديده في ذلك حيث قال في بيان مقاصد الناس في توسلاتهم ، واعتقاداتهم في مقبوريهم وشيوخهم قال :(وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات أوحي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالا أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة ٠٠) (٣) وأما التوسل إلى الله بعمل الغير فهو : (غير مقبول في الطبع ولا منقول في الشرع) (٤)

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في هامش كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان مانصه : (إن من المعلوم من حال هؤلاء المتوسلين بالأشخاص أنهم يتوسلون بذواتهم الممتازة بصفاتهم وأعمالهم المعروفة عنهم ، لاعتقاد أن لهم تأثيرا في حصول المطلوب بالتوسل ٠ إما بفعل الله تعالى لأجلهم ، وإما بفعلهم أنفسهم ، مما يعدونه كرامة لهم ٠٠) (٥)

---

(١) أقتضاء الصراط المستقيم ، دار الفكر ص ٤٢٢

(٢) الرسائل السلفية في احياء سنة خير البرية دار الكتب العلمية سنة ١٣٤٨ هـ كتاب الدر النضيرضمن الرسائل المذكورة ص ٥ وما بعدها ٠

(٣) المصدر نفسه ص ٦ وما بعدها ٠

(٤) رسالة الشرك ومظاهره ص ٢١٢ ٠

(٥) المصدر المذكور ص ٢٠٨ ٠

وانطلاقا من هذا الاعتقاد والتعظيم يكون شد الرحال إلى القبور والمزارات وتقديم الذبائح عندها وإظهار الخشوع والسكينة إجلالالها ٠ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (فالزيارة للقبور التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي من جنس الصلاة على الجنائز ، سواء كان الداعي فاضلا أو مفضولا ، فليس المقصود بها الخضوع للميت والتواضع له كما يقصد بتصديق الأنبياء وطاعتهم ، ولا شرعت لكون المزور ذا جاه عند الله ومنزلة ، بل هي مشروعة في كل مؤمن ٠٠٠) (١) .
ويتأكد النهي عن شد الرحال إلى القبور عند اعتقاد التعظيم وارتكاب الأمور المنافية لمقاصد الزيارة التي قد تصل إلي نداء الأموات والاستغاثة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم مما هو من عمل الجاهلية وأهل الشرك (٢) .

ولذا قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم : (لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى) (٣) (بصيغة النهي) (٤) كما هي مضبوطة في الصحيح ٠

وفي الموطإ عن أبي هريرة رضي الله عنه : (٠٠ لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام ، وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيلياء ، أو بيت المقدس (٥)

---

(١) كتاب الرد على الاخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية ط ١ الرياض سنة ١٤٠٤ هـ ص ٥٣ ٠

(٢) الدر النضير ص ١٩ وما بعدها ٠

(٣) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره متفق عليه ٠

(٤) كتاب الرد على الأخنائي ص ١٥٨ ٠

(٥) الموطأ دار أحياء العلوم ط ١ سنة ١٤٠٨ ه بتحقيق: سعيد محمداللحام وزملائه ص ٩٤ . ٩٥

قال الإمام النووي : (واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة كالذهاب إلى قبور الصالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ أبو محمد الجويتى من أصحابنا : هو حرام ٠ وهو الذى أشار القاضي عياض إلى اختياره ٠٠) ٠ (١) وعلى رواية النهي التى ضبطت عليه لفظة (لا تشدوا الرحال) لا يسع أهل العلم إلا ترجيح التحريم خصوصابعدما ما ظهر من انتهاك عقيدة التوحيد وآداب الشريعة في الزيارة المشروعة من كثير من الناس ٠

والله أعلم ٠ وبهذا نختم باب العقائد لنصله بباب السلوكيات والعبادات عند القادرية حيث إن العمل في هذا مبني على العقائد في ذاك ٠

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٩ ص ١٠٦ ٠

الباب الثالث

الباب الثالث

السلوكيات والعبادات عند القادرية

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول :

التمهيد :

الفصل الأول : مكانة الشيخ وأداب الطريق .

الفصل الثاني : العبادات والاوراد عند القادرية على ضوء الكتاب والسنة والمأثور .

الفصل الثالث : المقامات والأحوال .

فصل الختام : الصحوة السلفية في الطريقة القادرية .

التمهيد :

يعتبر كثير من العلماء من الصوفية وغيرهم كالسلمي (١) والقشيري (٢) والغزالي (٣) وابن الجوزي (٤) وابن تيمية (٥) أن التصوف كان امتدادا للسلوك الشرعي وأن أوائل الصوفية صحبوا العباد والزهاد من التابعين ومن بعدهم وأخذوا عنهم العلم والعمل ، ثم إن الصوفية بمرور الزمن وتطاول السنين أحدثوا لأنفسهم سننا وآدابا تميزوا بهاعن غيرهم وصنفوا في ذلك المصنفات المشهورة ، وبما أحدثوه من سنن وآداب تختص بهم وبما ضمنوه كتبهم من علوم وعبارات غامضة أو موهمة كان ذم العلماء لهم من قديم ، وما زالوا يطعنون في كثير من مسالكهم وعلومهم حتى تكلم فيهم بعض من يشاركهم في أذواقهم وأحوالهم (٦) ٠

قال ابن الجوزي : (فالتصوف مذهب معروف يزيدعلى الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف) (٧) ٠ وما زال التصوف سننا وآدابا خاصة تقترب من السنة والسلوك الشرعي تارة وتبتعد عنهما تارة أخرى حتى دخلته عقائد كثيرة واختلطت فيه ديانات عديدة منزلة وغير منزلة غيرته تماما وانحرفت به عن المنهج الإسلامي بعيدا إلا من رحم الله (٨) ٠ وكان الباب السابق مخصصا لبحث العقائد والتعرف على ما وقع فيها من انحرافات ، ويأتي هذا الباب للبحث في السلوكيات والعبادات وعرض نصوص القادرية في هذا الباب على الكتاب

---

(١) انظر: طبقات الصوفية المقدمة ص ١ وما بعدها ٠

(٢) انظر: الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٢٧ ـ ٥٣ ٠

(٣) انظر: الإحياء جـ ٤ ص ٢٠٣ وما بعدها ٠

(٤) أنظر: تلبيس إبليس ص ٢٠١ وما بعدها ٠

(٥) انظر: الفتاوى جـ ١١ ص ١٦ وما بعدها ٠

(٦) أنظر: طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٩٥ ٠

(٧) انظر: تلبس إبليس ص ٢٠٤ ٠

(٨) أنظر: التصوف المنشأ والمصادر ص ٤٩ وما بعدها ٠

والسنة ومنهج السلف الصالح في السلوك والتربية والتعبد إذ لا ميزان للمسلم يعتبر به الحق من الباطل إلا هذان الميزانان المعصومان وما استنبط منهما أو شهدا له بالصحة ، على أن ميدان التخصص يقتضي الاقتصار في هذا الباب على ما له صلة واضحة بالعقيدة أو البدع المفضية بصاحبها إلى الانحراف عن المنهج القويم ، ولذا لا نعترض على أصل الصحبة للمشايخ إذ إنه من المتفق عليه تعين الصحبة وطلب العلم والتأدب ، وإنما نقتصر على نقد مازيد من القول بوجوب صحبة شيخ مخصوص أو ادعاء مزية لمعين بدون دليل ، ومازيد في آداب الصحبة مما لم يكن عليه السلف الصالح (١)

وكذلك لا نعترض على الانتساب إلى المشايخ على الإطلاق حيث إنه يجوز الانتساب إلى من ثبتت سنيته واستقامته كالشيخ عبد القادر مثلا (٢)

ولا نعترض كذلك على ما شرع أصله من العبادات بالبحث وإنما نقتصر على الزيادات التي هي من البدع في أصلها أو وصفها بما يصاحبها (٣)

---

(١) أدب الامـلاء والاستملاء ، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، دار الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤٠١ هـ ص ٣ وما بعدها و ص ١١١ . ١٤٦ وكتاب الفقيه والمتفقه لأبي بكر بن ثابت الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ جزءين في مجلد واحد جـ ١ ص ٤٣ و جـ ٢ ص ٧٦ . ١١٤ .
وجامع بيان العلم لأبي عمر يوسف ابن عبد البر ، دار الكتب العلمية جـ ١ ص ٧ و ٢١ و ٤٤ و ١٢٥ .

(٢) أنظر: مجموعة الرسائل الكبرى . الوصية الكبرى جـ ١ ص ٣٠٩ . ٣١٠ .

(٣) انظر: الغلاوية ص ١٨٣ وما بعدها .

الفصـــل الأول

الفصل الأول

مكانة الشيخ وآداب الطريق

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الشيخ ومكانته في الطريق وما يجب علي المريدين له ولما ينسب إليه .

المبحث الثاني : آداب الشيخ مع المريدين .

المبحث الثالث : آداب المريدين فيما بينهم .

المبحث الأول : الشيخ ومكانته في الطريقة وواجب المريدين نحوه وما ينسب إليه . وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشيخ في عرف الصوفية .

المطلب الثاني : مكانته .

المطلب الثالث : واجب المريدين نحوه .

المطلب الرابع : واجبهم نحو ما ينسب إليه .

المطلب الأول : تعريف الشيخ في عرف الصوفية

عندما يبحث الباحث في مراجع الصوفية عن تعريف للشيخ في اصطلاحهم يجد أقوالا كثيرة متعددة قد يغني بعضها عن بعض في تقريب مرادهم بالشيخ في الطريق إلا أنه لا يجد تعريفا جامعا مانعا ، وهذا واقع في تعريف التصوف نفسه كما تقدم ولذا فإن اختيار الأمثل والأقرب للمطلوب يكون أنفع من تتبع الآراء الكثيرة ، فتختار بعضا ممارسموه :

قال الشيخ عبد القادر في الغنية : (وأما الفرق بين المتصوف والصوفي ، فالمتصوف المبتديء ، والصوفي المنتهي ، المتصوف الشارع في طريق الوصل ، والصوفي من قطع الطريق ووصل إلى من إليه القطع والوصل ...) (١) فالمنتهي الواصل إلى منتهى الطريق هو الشيخ على هذا التعريف .

وقال ميارة : (الشيخ العارف بالمسالك) (٢) وقال الشيخ محمد الخضر : (هذا اللفظ من مصطلح القوم ، والذي يظهر من كلامهم أنه أخص من الولي المطلق فهو الواصل إلى مقام الفناء ...) (٣) قال في عوارف المعارف في شرح رتبة المشيخة :(ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لئن شئتم لأقسمن لكم ، إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحببون الله الى عباده ، ويحببون عباد الله الى الله ويمشون على الارض بالنصيحة) (٤) وهـذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى ، لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة ، ويحبب عباد الله إلى الله) (٥) . وقد نقل شيوخ القادرية عمن سبقهم تعريفات كثيرة للشيخ منها هذا التعريف (٦) ومنها : (الشيخ من هذبك باخلاقه ، وأدبك بإطراقه ، وأنار باطنك بإشراقه ..) (٧)

ويقول الشيخ ماء العينين : (اعلم أن المربي في اصطلاح القوم هو الشيخ وهو الاستاذ ، ويعرفون كلا بتعاريــف مختلفة فمن تعاريفهم للمربي قولهم : المربي هو من

---

(١) الغنية جـ ٢ ص ١٦٠ .
(٢) شرح ميارة لابن عاشر ص ٤١٩
(٣) مشتهي الخارف الجاني ص ٥٠١ .
(٤) لم يذكر له سندا وبدأه بصيغة التمريض : (ورد في الخبر) وأقرب خبر للفظه ما خرجه البيهقي في شعب الايمان عن أبي سنان القسملي قال : (وجدت في بعض الكتب : أن أحب عبادي إلي من حببني إلى عبادي ، وأخبرهم بسعة رحمتي ...) شعب الايمان جـ ٢ ص ٢٢ . وأبو سنان هو : عيسى بن سنان أبو سنان القسملي الفلسطيني : (ضعيف الحديث . وقواه بعضهم) المغني في الضعفاء للذهبي جـ ٢ ص ٨٤ رقم (٤٨٠٠ . ت ق) .
(٥) عوارف المعارف للسهرودي ص ٨٣ .
(٦) جنة المريد ص ٦١ .
(٧) جذوة الأنوار ص ٣٢ .

انكشف له طرق النجاة فسلك عليها ، ثم أذن له بالتسليك والدعاء إليها ... وفي تعاريفهم للشيخ قولهم : من علمك بقاله ، ونهضك بحاله ، الشيخ من أفاد الطالب ، وفتح المطالب ، الشيخ من كمل في ذاته وكمل في صفاته ..) (١)

هذه التعريفات يؤخذ منها أن الشيخ في عرف الصوفية هو العالم الذي فرغ من تعليم نفسه وتهذيبها بمصاحبة المشايخ وسلوك طريق المجاهدة والرياضة حتى صار قدوة صالحة وأسوة حسنة ، وهذه التعريفات وغيرها كثير، مقبولة نظريا ولكنها مفقودة عمليا على الغالب مع أنهم لم ينصوا على تحصيله لعلوم الكتاب والسنة حتى يصير شيخا في العلم والتربية السنية .

فالواقع لا يؤيد وجودها عند التطبيق إذ إن الطرق الصوفية تسير على نظام الوراثة للأبناء أولا إن وجدوا أو من أخلص في خدمة الشيخ والتجرد لأموره الخاصة والعامة حتى يفوز برضى الشيخ فيأذن له بالتصدر وإعطاء الأوراد الطرقية وغالبا ما يكون أبناء المشايخ مغمورين بالأموال والخدم والترف وغير ذلك مما لا يترك طريقا لطلب العلم حقيقة أو سلوك طريق الرياضة والمجاهدة واقعا ولذا فلا ينطبق على هذا المترف تعريفات الصوفية المتقدمة ولا يمكن أن يدخل فيها أيضا ذلك المتجرد الذى شغلته مكابدة مهام الحضرة عن تحصيل أي منفعة ، وبهذا ضاعت مرتبة المشيخة بين وارث مترف وكادح لا يفقه .

يقول الميلي في وصف مرتبة المشيخة التي تساوي عند أصحاب الطرق الصوفية درجة الولاية : (أما الولي عند الناس اليوم ، فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ولو كان في جهله بدينه مساويا لحماره . وإما من اشتهر بالكهانة وسموه حسب اصطلاحهم (مرابطا) ولو تجاهر بترك الصلاة ، وأعلن شرب المسكرات . وإما من انتمى إلى مشهور بالولاية ولو كان إباحيا لا يحرم حراما .) (٢) ولا يرضى مسلم صادق بصحبة أحد من هؤلاء أو اعطائه صفة المشيخة عليه . فبان من هذا أن أوصاف الشيخ المطلوب لا توجد في واقع الطرقين بما وضع من نظام الوراثة أولا وعدم وجود المسلك الذي يقتدى به في الحق ثانيا .

وتعترف القادرية بأن الولاية أو المشيخة لا تنال إلا بالاكتساب والعمل مهما كان المدعي لها ، وعلى ذلك فإنه لا معنى للقول بالوراثة فيها كما تقدم بيانه في ترجمة الشيخ عبد القادر وذريته .

---

(١) نعت البدايات ص ٦٩ وما بعدها : ولم أفهم المراد بكمال الذات في هذا التعريف إذ إن كمال الذات والصفات لله وحده . والذات بالنسبة للبشر لا يملكون كمالها .

(٢) رسالة الشرك ومظاهره ص ١٢٢ - ١٢٣ .

المطلب الثاني : مكانة الشيخ في الطريقة

تقدم في باب العقائد عرض ما ينسب إلى الشيخ من أمور كونية مخلة بالتوحيد ونقده ويراد هنا دراسة مكانة الشيخ من حيث اعتباره قدوة يحتذى أثره وتطاع أوامره وتجتنب نواهيه ومكروهاته ٠

وتوجد نصوص كثيرة في الكتاب والسنة وكتب العلماء تأمر بإكرام وتوقير الشيوخ وتعظيم شأن أهل العلم والفضل خصوصا من كان منهم في منزلة الأستاذية ومنصب التربية ٠ وأول كبير يجب توقيره ، وإكرامه وطاعته هو النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو أول شيخ يجب تعظيمه وأعظم مرب يجب اتباع هديه ٠

قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ (١) قال القاضي أبو بكر بن العربي بأن الآية الأولى : (أصل في ترك التعرض لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وإيجاب اتباعه والاقتداء به) (٢)

وقال القرطبي في معنى الآية الثانية : (معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته ٠٠٠) (٣)

وقال ابن العربي :(وحرمة النبي صلى الله وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه ، وإذا قرىء كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به ٠٠٠) (٤) ٠ ولعظم قدره وكفر من اعترض على أمره قصدا أو استهان بشيء مما جاء به نص القرآن والسنة على ذلك ليحذر المؤمن ويجتنب ما يمكن أن يفسر على شيىء من أوجه عدم التعظيم والتوقير والطاعة وليس كذلك غيره صلى الله عليه وسلم (٥) وقد ألحق العلماء من باب الأدب والصيانة للعلم ومجالسه وأهله تعين توقيرهم وتوقير مجالس العلم وخصوصا التفسير والحديث الشريف وهذا ما كان عليه السلف وما عليه أهل التوفيق والصلاح من الخلف (٦)

---

(١) سورة الحجرات الآيتان الأوليان ١ . ٢ ٠

(٢) أحكام القرآن جـ ٤ ص ١٧١٣ . ١٧١٤ ٠

(٣) القرطبي جـ ١٦ ص ٣٠٦ ٠

(٤) أحكام القرآن جـ ٤ ص ١٧١٤ . ١٧١٥ ٠

(٥) الشفا جـ ١ ص ١٧ وما بعدها ٠ و جـ ٢ ص ٣٠٨ وابن كثير تفسيرجـ ٤ ص ٢٠٥ . ٢٠٧ ٠

(٦) ترتيب المدارك جـ ٢ ص ١٣ وما بعدها ٠

ومع ما خص الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من المكانة فإن الصوفية من قديم ألحقوا به شيوخهم في وجوب طاعة الأمر والتسليم وحفظ الخواطر ، والأدب الزائد والتعظيم ، وحملوا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحث على إكرام المشايخ على مشايخهم خاصة ، وقاسوا مريديهم على الصحابة تارة وعلى قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام حيث اعتبروا موسى مريدا (١) وهكذا سارت القادرية على هذا المنهج كما سيتضح من نصوصهم الآتية :

عرض :

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في معرض بيانه لمكانة المشايخ أهل العلم عند السلف وتقدير الخلفاء لهم وما أمرنا به من الدعاء لمن سبقنا من أهل الايمان : (.. إذ على قدر التعظيم تكون البركة) ، (ولأنه تعالى أمر بالدعاء لمن سبقنا بالايمان والترضي عنهم بأي لفظ شئنا خصوصا المشايخ) (٢)

ويقول : (ومن نظر الولي إليه نظرة واحدة بعين التحقيق والتخصيص لا يشقى بعدها أبدا) (٣) ويقول : (ولا يفلح المريد ما دام له مع شيخه اختيار) (٤) ، (ومتى أمرك بأمر ترى العطب فيه فاقتحمه فإن فيه النجاة ..) (٥)

قال : (وأجمع السلف وإجماعهم حجة أنه لا يجوز الاقتداء بمن لم يلازم المشايخ ويمارسهم ويمارسونه وتطول صحبته لهم حتى يجربوه فيجيزوه وعليه درج السلف من لدن آدم إلى يومنا إذلولا الاسناد لقال كل إنسان ما شاء ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه ..) (٦)

---

(١) انظر الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٦٣٣ وما بعدها والغنية جـ ٢ ص ١٦٤ . ١٦٥ .

(٢) الكوكب الوقاد ص ١٤ .

(٣) نفسه ص ١١٤ .

(٤) نفسه ص ١٦٣ .

(٥) نفسه ص ١٦٧ .

(٦) جذوة الأنوار ص ٢٥ .

وقال : (فكل من زعم أنه غني عن هذه الطائفة المحمدية بعلوم يدعيها أو رسوم يقتنيها ، فاعلم أنه شيطان مضل أو فاسق بما معه من العلوم مدل فإن مالكا والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم مع وفور فضلهم وغزارة علمهم وثبوت ولايتهم ، كانوا لا يستغنون ولا يأنفون عن الجثو بين يدي المشايخ المنقطعين لله تعالى على وجه التبرك بهم وأخذ الحكم الربانية مثل شيبان الراعي ..) (١) . وتبعه على هذا المنهج ابنه سيدي محمد ومن جاء بعدهما من مؤلفي القادرية (٢)

قال الشيخ سيدي محمد : (ففي الخبر الشيخ في قومه كالنبي في أمته) (٣) (ومن لم ير شيخه نائبا عن الحق فيما يأمره به لا يصل إلى الحق) (٤)

نقد :

وتوجد لهم نصوص كثيرة عندهم تؤكد طاعة الشيخ في الطريقة وعظيم مكانته فيها حتى قالوا : بأنه يجب تعظيمه والتسليم له وأن من أسباب سوء الخاتمة الاعتراض عليه ظاهرا وباطنا ، وأنه يجب اعتقاد أن طريقة الشيخ هي أفضل الطرق وأنه هو أعظم المشايخ الموجودين ..) (٥) قال ابن تيمية : (ومما يروونه (سب أصحابي ذنب لا يغفر) وهذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٦) والثابت في الصحاح والسنن : (لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل

---

(١) نفسه ص ٣٨ وشيبان الراعي : -

(٢) جنة المريد ١٤٨ وما بعدها .

(٣) الغلاوية ص ٢٥ قال شيخ الإسلام بن تيمية :(ومما يروونه أيضا (الشيخ في قومه كالنبي في أمته) ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يقوله بعض الناس) علم الحديث ، ص ٥٢٨ وقال المحقق : (وقال في المقاصد : رواه ابن حبان ص ٥٢٨ . ٥٢٩ . وتقدم تخريجه .

(٤) الطرائف ص ٣٨٣ .

(٥) الضياء ص ١٣٥ . ١٤٠ والطرائف ص ٨٤ . ٨٥ و ٣٥٧ ومابعدها . ونعت البدايات ٨٦ وما بعدها والغلاوية ص ١٥ و ٢٤ . ٢٦ و ١٩٢ وما بعدها . وجنة المريد ٢ و ١٠ و ٩٠

(٦) سورة النساء الآية ٢٤٨ .

أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) (١) .

ويؤخذ على هذه النصوص عدة أمور منها :

١) الاحتجاج بما لاحجة فيه من أقوال البشر .

٢) ايراد أدلة لا يعرف لها سند .

٣) القول بوجوب الطاعة والتسليم لغير المعصوم .

٤) الاستدلال بأدلة عامة مع أن الدعوى خاصة على ما سيأتي توضيحه إن شاء الله .

٥) اتباع أقوال الصوفية والتسليم بها كالقشيري والغزالي والسهروردي وغيرهم دون نظر إلى مستنداتهم إن كانت لهم مستندات غير تجاربهم الخاصة .

٦) نسبة صحبة الائمة المقتدى بهم لشيوخ الصوفية للتبرك بهم وأخذ الحكم منهم ، مع أن المعروف عنهم عدم الرضى بحال الصوفية وما احدثوه ، ومن لقي منهم أحدا ممن عاصره من أهل الزهد والعباد فإنه لا يكون ممن ينتسب إلى الصوفية وما عرف عنهم في ذلك العصرمن التميز بالسماع والبعد عن العلم والعلماء .

وقد تقدم نقد هذه المسالك التي هي صبغة عامة في أهل التصوف على مايبدو ويبقى عرض النصوص التي يمكن أن تكون القادرية أخذت منها بعض ما تنشره في كتبها وبيئتها من الحث على تعظيم وتبجيل المشايخ وهي آثار بعضها غير صحيح وبعضها عام في أهل العلم أو كبيري السن ولا يفهم منها تخصيص لمشايخ معينين كما دل عليه إيراد القادرية لتلك الآثار أو الآراء أو لمعانيها .

٧) ادعاء أن نظر الشيخ إلى المريد يجلب له سعادة ومع أن صاحب هذا القول وجهه بأن النافع للمريد الذي أراد الله سعادته هو : (أن نظر العقل والتوفيق لمن أراد الله به الخير هما اللذان ينفعان ..) فإن فيه اجمالا أستند عليه بعض الناس وأطلق القول وقد نظر النبي صلى اللـه عليـه وسلم لكثيرمن الناس كانت عاقبتهم الشقاوة والعياذ بالله - والمعول عليه هو صحبة أهل الخير كما في صحيح

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كنت متخذا خليلا) الحديث رقم ٣٦٧٣

كاعقبتهم الشقاوة واليعاذ بالله والمعول عليه هو صحبة أهل الخير (كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم ٠٠) (١) قال النووي (ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حضرا وسفرا للتأدب بآدابه وتعلم الشرائع وحفظها ليبلغوها وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته ومنه قول عمر رضي الله عنه ألهاني عنه الصفق بالاسواق) (٢) ٠ فهذا هو الذي ينفع صاحبه لامجرد نظر الشيخ ولاهمته العاملة كما يقول بعضهم ٠

قال الخطيب البغدادي : باب تعظيم المتفقه الفقيه وهيبته إياه وتواضعه له وساق بسنده إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر ، فأؤخره سنتين من هيبته ولقد كنت ألقاه كل يوم) وقال بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبة) (٣)

وقال السمعاني (ويبالغ في تعظيم المملي وتبجيله - وساق بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بجلوا المشايخ فإن تبجيل المشايخ من إجلال الله عز وجل) (٤)

وخرج أبو داود عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من إجلال الله : إكرام ذي الشيبه المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط) (٥) وخرج السمعاني بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من أكرم ذا شيبة فكأنما أكرم نوحا في قومه ومن أكرم نوحا في قومه فكأنما اكرم الله عز وجل) (٦)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل النظر إليه صلى الله عليه وسلم وتمنيه ٠
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١١٨ . ١١٩ ٠
(٣) كتاب الفقيه والمتفقه ج ٢ ص ٩٨ . ٩٩ ٠
(٤) أدب الإملاء والاستملاء ص ١٣٤ موضوع سلسلة الاحاديث الضعيفة : (٨٢٤) ج ٢ ص ٢٢٦
(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في تنزيل الناس منازلهم رقم : (٤٨٤٣)
(٦) أدب الاملاء والاستملاء ص ١٣٤ . ١٣٥ سلسلة الاحاديث الضعيفة الحديث رقم (٨٢٤) ٠

وخرج الخطيب عن الشعبي قال ذهب زيد بن ثابت ليركب ووضع رجليه في الركاب فأمسك ابن عباس بالركاب ، فقال : تنح يا ابن عم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : لا • هكذا نفعل بالعلماء والكبراء) (١) قال الحافظ بن عبد البر : (وزاد بعضهم في هذا الحديث أن زيد بن ثابت كافأ ابن عباس على أخذه بركابه أن قبل يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا • وهذه الزيادة من أهل العلم من ينكرها) (٢) •

وبسنده إلى أبى بكر محمد بن على الأدموني النحوي قال : (إذا تعلم الإنسان من العالم واستفاد منه الفوائد فهو له عبد قال الله تعالى:(وإذ قال موسى لفتاه) (٣) وهو يوشع ابن نون ولم يكن مملوكا له وإن كان متلمذا له متبعا له فجعله الله فتاه لذلك) (٤) وفي أحاديث القصاص التى يرونها بسند وبغير سند (من علم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقه) قال ابن تيمية هذا كذب ليس في شيىء من كتب أهل العلم)

قال المحقق (ولكن ذكر نحوه صاحب كشف الخفا ولفظه : (من علم عبدا آية من كتاب الله تعالى فهو له عبد) ثم قال : رواه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعا ، لكن بلفظ (فهو مولاه) ونحوه ما جاء عن شعبة أنه قال : (من كتبت عنه أربعة أحاديث أو خمسة فأنا عبده حتى أموت) والمشهور على الألسنة (من علمني حرفا كنت له عبدا) (٥) •

فالمراد بالشيوخ هنا في هذه النصوص أهل العلم المقتدى بهم في لزوم السنة ونشر العلم والصبر على طلابه . وموقف الصوفية عموما من أهل العلم لا يشجع على

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه جـ ٢ ص ٩٩ •

(٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٢٨ •

(٣) سورة الكهف الآية ٦٠ •

(٤) كتاب الفقية والمتفقه جـ ٢ ص ٩٩ قال ابن العربي (مظاهر القرآن يقتضي أنه عبد ، وفي الحديث أنه كان يونسع بن نون ، وفي التفسير أنه ابن اخته • وهذا كله ما لا يقطع به ، فالوقف فيه أسلم) أحكام القرآن جـ ٣ ص ١٢٤٤

(٥) علم الحديث تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية بتحقيق موسى محمد ، نشر عالم الكتب ط ٢ ١٤٠٥هـ . ص ٤٧٧ . ٤٧٨ و ص ٥٣١ •

أن القادرية أرادت بالشيوخ شيوخ العلم لما تقدم من بيان موقفهامن أهل العلم وتنفير اتباعها من مصاحبتهم على أن من كان منهم ملتزما بالكتاب والسنة حاملا لاتباعه على هديهما وكان على جانب من العلم يلحقه بالعلماء كان توقيره وتبجيله متعينا على المسلمين عموما وعلى طلاب العلم خصوصا وعلى المستفيدين منه على وجه أخص ولا يغمط حقه ما دام على الصفة المذكورة ولا يرفع عن درجة أهل العلم في التعظيم المفضي إلى الغلو المذموم شرعا كما هو صريح مقاصد الصوفية في عباراتهم قال السمعاني :

(أنشد أبو محمد عبد الله بن نصر الأزدي من لفظه لنفسه برزيق :

وقر مشايخ أهل العلم قاطبـة   حتى توقر إن أفضى بك الكبـر

واخدم أكابرهم حتى تنال به   مثلا بمثل إذا ما شارف العمر) (١)

ومن السنة توقير العالم (٢) وذي الشيبه من المسلمين كما هـو واضح من هذه النصوص وغيرها كحديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أكرم شاب شيخا من أجل سنه إلا قيض الله له عند سنه من يكرمه) (٣) وهذا الحديث وإن كان ضعيفا فإنه توجد أحاديث شريفه صحيحة في موضوعه ٠

وقد أورد مشايخ القادرية بعض هذه الآداب المشيرة إلى هذه الآثار وذكروا بعضا منها في كتبهم وأجمعهم لها الشيخ ماء العينين في كتابه نعت البدايات (٤) ويكفي في نهاية هذا المطلب أن يقال بأنه لا دليل لهم يخصهم بالتوقير والتبجيل في هذه الأحاديث والآثـار الشريفة ٠ فمشايخهم ليسوا أهل علم في الغالب ، وليسوا كبارا في السن دائما ، ومريدوهم ليسوا طلاب علم إلا على النادر ٠ والله أعلم ٠

---

(١) أدب الاملاء والاستملاء ص ١٣٥ . ١٣٦ ٠ ورزيق كأمير أو زبير نهر بمرو . انظر القاموس جـ٣ ص ٢٣٥ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٢٩ ٠

(٣) شرح السنة لإمام البغوى جـ ١٣ ص ٤٠ قال المحققون للكتاب : إسناده ضعيف

(٤) نعت البدايات ص ١٢٧ . ١٧٠ ٠

المطلب الثالث : واجب المريدين نحو الشيخ

تمهيد :

من طبيعة الإنسان الدالة على نقصانه حبه لأن يكون آمرا ناهيا مطاعا وهو مع ذلك يرى هذه الطبيعة من صفات الكمال ولذا يرتكب في سبيلها أمورا كثيرة بدون دليل واضح في كثير من الأحيان .

فمرة يدعي أنه وارث لمن تجب طاعته بالشرع وتارة يدعي أن له بيعة في عنق الناس توجب عليهم طاعته وغيرهما كثير من الادعاءات .

إلا أن القادرية اقتصرت في الغالب في إيجاب طاعة شيوخها على هذين الادعاءين وما تفرع عنهما من قريب .

وقد تقدم نقد مسالكهم في البيعة والوراثة بما يوضح أنه لا يعتمد على شيء من ذلك في الشرع الحنيف إلا أنهم بنوا على ذينك الأدعاءين مع ما ذكر أنه يجب على المريد إذا سلم نفسه لشيخ وبايعه على اتباعه في طريقته واتخاذ أوراده أن يطيعه طاعة مطلقة ويخدمه بنفسه وماله ويجند نفسه للدعاية له ، ويحب فيه ويبغض فيه ، ولو والديه وذوي قراباته وأرحامه ومن أوجبهم الله عليه من زوجة وأولاد ويهجر في سبيل خدمة الشيخ الأهل والأوطان ويقدم له الهدايا ولو على حساب الفروض المتعلقة به من نفقة الزوجة والأولاد إن كان ممن تقدم له أن تزوج قبل صحبة الشيخ ، أو كان شيخه من الذين يسمحون لأتباعهم باتخاذ الزوجات أو لم يكن هو نفسه قد نوى التجرد والانقطاع لخدمة الشيخ .

ونصوصهم في هذه الأموركثيرة وتطبيقهم لها ظاهر وماعلى المريد الصادق الذي قيل له وهو غير مزود بشيء من سلاح العلم ليدافع عن نفسه، ولا يؤذن له حتى في الاستشكال أو الاستيضاح لبعض الأوامر أو النواهي الغامضة أو المجملة إلا أن يطيع وإلا فإنه غير صادق يخدع نفسه ويسير في طريق الهلاك ولا يأتي منه شيء ولا يبلغ مبلغ الرجال ويخشى عليه من السلب وسوء الخاتمة لأنه بعدم تقديمه لمثل هذه

الأمورخرج عن الطاعة ونكث عهد البيعة (ومن نكث فانما ينكث على نفسه) (١) وتتبع هذه المسائل واحدة واحدة يطول كثيرا وخصوصا أن مصدر إيجابها وهو البيعة والوراثة قد تبين عدم ثبوتهما أصلا فكيف بإيجاب أمور كبيرة عليهما فالمبني على الباطل باطل ولذا فالاقتصار على مسألتين عظيمتين من هذه المسائل يعظم ارتكابهما بدعوى الدين دينا ودنيا وهما : الحب في الشيخ والبغض فيه والهدية وجمع الأموال (٢) ٠

(١) الفتح الآية ١٠ ٠

(٢) الكوكب الوقاد ص ١٣٢ . ١٤٣ و ١٦٣ . ١٦٧ والضياء ص ١٧١ . ١٧٦ و ص ٣٣٠ . ٣٣٢ وجنة المريد ص ١٥١ . ١٦١ و ص ١٩٣ . ١٩٩ ٠ ونعت البدايات ص ١٠٧ . ١١٢ وهامشه فاتق الرتق ص ٨ . ١٤ و ص ١٢١ . ١٢٧ ٠

المسألة الأولى : الحب في الشيخ والبغض فيه

عرض نصوص القادرية الدالة على ذلك ونقدها :

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي (ومن الآداب النافعة احترام كل ما ينسب إليه يعني الشيخ ولو طلبا ، وحب مريديه وقرابته وأحبابه بل ومحبوباته حتى من المطاعم والمشارب ...) (١) ويقول الشيخ سيدي محمد (وإذا عرف له عدوا فليهجره في الله ولا يجالسه ولا يعاشره وإذا رآى من يثني عليه ويحبه فليحبه وليقض حوائجه ويتابع ويخدم ويحترم كل من قومه عليه وإن كان أقل علما وعملا ...) (٢)

تعقيب قلت : ومما ورد في السنة من حب محبوبات النبي صلى الله وسلم في الطعام حديث أنس رضي الله عنه . عند البخاري في الأطعمة باب الدباء ومسلم في باب الأشربة باب أكل اليقطين . والترمذي وأبي داوود والنسائي قال أنس رضي الله عنه : (إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه . قال أنس فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام ، فقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير ومرقا فيه دباء وقديد ، قال أنس فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء حوالي القصعة ، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ) . (٣)

قال الحافظ بن عبد البر (ومن صريح الإيمان ، حب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ، واتباع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ، ألا ترى إلى قول أنس ، فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم) (٤) ويقول صاحب الضياء (ولا يسير لأمر إلا بإذنه ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره ... ولا يغاضب أحدا بحضرته إلا إذا كانت مغاضبته مناقشة عن جانب الشيخ) (٥) ونقل الشيخ ماء العينيين هذه النصوص وغيرها في باب آداب المريد مع شيخه (٦) وما نقلته عن

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٦٨ .

(٢) جنة المريد ص ١٥٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب المرق ، الحديث رقم : (٥٤٣٦) .

(٤) التمهيد جـ ١ ص ١٧٧ .

(٥) الضياء المستبين ص ٣٢٥ .

(٦) نعت البدايات ص ٤ وما بعدها .

الثقات لتطبيق الشيوخ والمريدين لهذه النصوص كثير ويدل على عدم تمكن نفوس كثير من الشيوخ واتباعهم من الكتاب والسنة وعلومهما .

ولذا فإن المريد يطيع شيخه ويسافر في خدمته ومصالحه حبا له ولوكان عاصيا ومخالفاً لأبيه وأمه ويمكث الأعوام مهاجرا لمن تجب عليه طاعته كالوالدين لعدم رضاهما بما هو فيه . وقد تقدم بيان أن أولى الناس بالطاعة والبر هما الوالدان وأن حبهما واجب في الله تعالى قبل كل شيخ إن كانا مسلمين ..

وتقدم كذلك أن هذا الحب للشيخ قد يصل بصاحبه إلى حد الغلو والتعصب الأعمى وكل ذلك مخالف للكتاب والسنة ودلائلهما .

فقد يجر إلى العقوق المتوعد عليه في الدنيا والأخرى وقد يؤدي إلى تضيع الحقوق الواجبة :(وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت) (١)

وقد يؤدي إلى التفرقة والنزاع بين الأهل والإخوان فيفضي إلى قطع الأرحام وكذلك مقاطعة أهل العلم الذين قد ينصحون مرتكب هذه المحذورات فيبقى على جهله فيزداد تعصبا وعنادا بل وغلوا وبعدا من الخير وهو يحسب أنه على شيء وكل هذه الأمور مخالفة للمنهج الإسلامي الصحيح في الحب والبغض والموالاة والمعاداة .

يضاف إلى هذا أن الشيخ غير معصوم على ما تقدم ، فقد يأمر المريدين بمثل هذه الأمور التي هي من الكبائر القبيحة وخصوصا إن كان جاهلا وليس أمامه إلا كتب الصوفية التى يتعصب لها ويمنعه تسويده من التعلم والاستماع لغيره ، هذا إذا

---

(١) هذا لفظ من حديث عن عبد الله بن عمر وعند أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب في صلة الرحم رقم (١٦٩٢) وهو عند مسلم في كتاب الزكاة ، باب فضل النفقه على العيال ، بلفظ : (كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته) وسببه كما في المسند عن وهب بن جابر قال : إن مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص قال له إني أريد أن أقيم هذا الشهر ها هنا ببيت المقدس فقال له تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر ؟ قال لا ، قال فأرجع إلى أهلك فاترك لهم ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله صى الله عليه وسلم : (يقول : كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت) الفتح الرباني ج ١٧ ص ٥٧ .

كان جاهلا فقط . أما إذا انضاف إلى الجهل الفسق وحب الرئاسة وتكثير الخدام والمتجردين فإن الأمر يكون أعظم والإثم يكون أكبر .

والحب والبغض بين الكتاب والسنة من يستحقهما على الإطلاق ومن يستحقهما على التقيد ولم يتركهما الشرع الحكيم لتشريع أحد من الناس أولهواه قال الله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١)

ولما كان الميزان الإسلامي للحب والتقديم والموالاه هو التقوى وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو أتقى الناس وأعلمهم بالله تعالى لحديث البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول (... إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا) (٢) لما كان ذلك كان حبه صلى الله عليه وسلم من أعظم الإيمان ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان من كان يحب المرء لايحبه إلا لله ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه) (٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) وفي رواية أنس . (والناس أجمعين) (٤)

وعن أبي معقل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال :

(كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (انا أعلمكم بالله ، وأن المعرفة فعل القلب ، الحديث رقم : (٢٠) .

(٣) صحيح مسلم النووي كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان وصحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، الحديث رقم (١٦)

(٤) نفسهما .

فقال له عمر : يارسول الله ، لأنت أحب إلى من كل شيىء إلا نفسي • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك • فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي • فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر) (١) وخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الايمان : الموالاة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله)

هذه نصوص من الكتاب والسنة نصت على أن الحب في الله تعالى والبغض فيه ، وأن أولى الناس بالحب والمتابعة والتقديم على النفس والمال والولد والناس أجمعين هو النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله تعالى ثم من كان بالتقوى ملتزما بعده صلى الله عليه وسلم الأتقى فالأتقى ومن خالف ذلك وقدم هواه وأحب الرجال وأحب لهم فقد جاء بما يخالف هذه النصوص واتخذ لنفسه ميزانا غير ميزان الكتاب والسنة ، وإن ادعى أنه إنما يحبهم في الله تعالى كان عليه أن يلتزم بميزان الكتاب والسنة ولا يفرق بين أهل التقوى والصلاح في المحبة ولا يقدم محبة أحد منهم على محبة آخر حتى يعاديه فيه فيجب في غير الله ويبغض لغير الله تعالى (٢) قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك ، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الايمان ، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحدا بمزيد موالاة ، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ويقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله) (٣) ثم قال : (وما أكثر من يدعي حب مشايخ لله ، ولو كان يحبهم لله لأطاع الله الذي أحبهم لأجله ، فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الايمان ، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم الحديث رقم (٦٦٣٢)

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٣ . ١٧ وفتح الباري جـ ١ ص ٥٦ . ٦٣ وعلم الحديث لابن تيمية ص ٤١٣ وما بعدها •

(٣) الفتاوى جـ ١١ ص ٥١٢ •

ذلك الغير) (١) • فمن حكم هذا القانون الشرعي لا يقدم محبة شيخ جاهل على محبة عالم تقي أو حتى محبة شيخ على شيخ مثله لأنه هو أخذ عليه الأوراد أو صحبه فإن هذا مما تبينت مخالفته للكتاب والسنة وعمل سلف الأمة خصوصا إذا علم أن التعصب يكاد يكون الصبغة العامة لمشايخ الطرق الصوفية ، ويحملون عليه من أطاعهم •

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيىء من الجور وتبغض على شيىء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض • قال الله عز وجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (٢)

خرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : (هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٣)

وبهذا نختم الكلام على مسألة الحب والبغض لنصلها بمسألة الهدية والمسألة من أجل الشيخ وحضرته • والله أعلم •

---

(١) نفسه ص ٥٢٠ . ٥٢١ •

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١ •

(٣) المستدرك جـ ٢ ص ٢٩١ • قال الذهبي ، قلت : (فيه عبد الأعلى قال الدراقطني : ليس بثقة) •

المسألة الثانية : الهدية وجمع الاموال للشيخ

تقديم : الهدية مرغب فيها شرعا وعرفا وهي من الدين ومكارم الأخلاق وخصوصا الهدية للأهل والأرحام والجار ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها (١) .

وقد ورد في الحث عليها ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (تهادوا تحابوا) وأن أنساً رضي الله عنه كان يقول : (يا بني تباذلوا بينكم فإنه أود لما بينكم) (٢) وروى البزار عنه رضي الله عنه (تهادوا ، فإن الهدية تسل السخيمة) .

قال الصنعاني : وله طرق كلها لا تخلو عن مقال وفي بعض الفاظه تذهب وحرالصدر بفتح الواو والحاء المهمله وهو الحقد ، والأحاديث وإن لم تخل عن مقال فإن للهدية في القلوب وقعا لا يخفى) (٣) وقد روى البيهقي في شعب الإيمان هذه الآثار وغيرها موضحا أن المواصلة والمهاداة بين الناس مرغب فيها جدا وأن عاقبتها حسنة (٤) . ولكن من رفعها فوق المشروع منها وفيها بحيث يوجبها لنفسه على الناس حتى يضيع الناس من أجل الإهداء له أعراضهم وعيالهم أوفرائضهم وجمعهم وجماعاتهم فإنه يكون بذلك قد اختار للهدية مذهبا من عنده لصالح حضرته وعائلته وبذلك يكون فوت على نفسه وعلى الناس المقصود من الهدية والأصل فيها وهو أن تكون اختيارية تفضلا من المهدي إلى المهدى إليه وأن لا يحصل بها ضرر على أحد من المتهاديين كأن تفقره حتى يضيع من يعولهم ، أو يذهب في البلاد متسولا وباذلا ماء وجهه للعباد لتحصيل ما يهديه إلى شيخه مضيعا في أسفاره الفرائض والجمع والجماعات وهذه بعض النصوص التي تبين مكانة الهدية وجمع الأموال في سبيل خدمة الحضرة .

---

(١) فتح البارى جـ ٥ ص ١٩٧ وما بعدها .

(٢) الادب المفرد الباب (٢٦٩) ص ٢٠٥ .

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام جـ ٣ ص ٩٤٤ .

(٤) شعب الايمان للإمام البيهقي . بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤١٠ هـ جـ ٦ ص٤٧٩ . ٤٨٠ .

عـــــرض

إنهم يقولون كما تقدم (١) أن الشيخ أعظم حقا من الوالدين وعلى هذا يكون الشيخ أولى بمال الرجل من أبيه الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه : (أنت ومالك لابيك) (٢) يقول الشيخ سيدي المختار : (ولقد بلغني أن عطايا المشايخ هلاك المريدين بخلاف المريد فإن عطاياه دليل صدقه ما لم يستعظمها فإذا استعظمها صارت عليه وبالا) (٣) • ويشتكي الشيخ سيدي المختار وابنه الشيخ سيدي محمد من بعض المريدين أو المصدرين الذين صار لهم قبول بين الناس وأخذوا في جمع الأموال لأنفسهم وأكلوا (ربعة القادرية) وهذا يعني أنه يعيب عليهم عدم إيثارهم له على أنفسهم (٤) وللقادرية سنة في التجوال وجمع الأموال معروفة لدى الناس عموما وصرحوا في كتبهم بأن ذلك العمل من شأن أهل بثتهم ، والذي يظهر أنه من سننهم التي نشروها في البلاد وما زال بعضهم مستمرا عليها ويستخدم فيها الرجال الأقوياء حتى انتهزها من لا يعرفه فصار يسأل الناس باسمه وينفق ما جمعه في غير ما وجه شرعي (٥) فخرجت كما دخلت •

قال في الضياء (فصل : كان بعض تلاميذ الشيخ أطال الله حياته في العافية وأفاض علينا جزيل بركاته السابغة الضافية : ربما ركبوا إلى العامة لأخذ الأموال وربما يقبلون الهدايا ممن أتى بها من الخاصة وهو لاينهاهم عن ذلك) •

ثم أخذ يوضح أن هذا عمل مشروع ردا على بعض الزهاد المنكرين : (ممن لم يقف على حقيقة فقهها إما لحال أذهله عن طلب تحقيق فقهها أو لأنه لم يكن ممن له في العلم حظ) (٦) •

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٦٤ •

(٢) جزء من حديث رواه أبو داود في السنن ، كتاب البيوع والاجارات ، باب في الرجل يأكل من مال ولده ، الحديث رقم (٣٥٣٠) •

(٣) الكوكب الوقاد ص ١٦٣ . ١٦٤ •

(٤) نفسه ص ١٦٥ والغلاوية ص ١٥ (والربعة) أو : (ربعة القادرية) يريدون بها مالا يأخذه الشيخ على أتباعه كهدية سنوية ، أو لعلها المرابعة التي كانت في الجاهلية فردها الإسلام إلى الخمس انظر : القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٤ . ٢٦ •

(٥) المنة ص ٤٩ والطرائف ص ١٦٤ . ١٦٥ و ٤٢٤ . ٤٢٥

(٦) الضياء المستبين ص ١٧١ . ١٧٦ •

ومخلص ما حققه هو فيها :

١) أنه يجوز للمرء أن يأخذ لحاجة نفسه إن كان محتاجا •

٢) وأنه إذا لم يكن بيت مال للمسلمين أو لم يستطيع المرء استخراج حقه منه (فإنه يجب على الناس أن يجمعوا مالا ليرتبوا منه للجند وحملة العلم يعنون علم فرض الكفاية •

٣) وأن الناس إذا لم يفعلوا ذلك باختيارهم (وأمكن بعض حملة العلم من المسلمين به انتفاع أن يتوصل لبعض ذلك على وجه لا بأس به فذلك جائز)

ونقل في تأييد جواز ذلك نصوصا وقال(وبالجملة فعلماء أرضنا هذه وأولياؤها جرت عادة أكثرهم بالركوب إلى الناس ليأخذوا بعض ما أوجب الله لهم على الناس ٠٠) (١)

نقد : إن الاعتراض هنا ليس على هذه الحالات التي ذكرت في هذه النصوص من جواز السؤال للفقير المحتاج الذي يعيش في مجتمع ضيع حقوقه ، أو طالب علم في بيئة تجهل قيمة العلم وأهله ووجوب إعانة طالب العلم على التحصيل فأمكنه استخلاص بعض حقوقه بدون إخلال بمروءته ، أو عالم يعلم أن كثيرا من الناس لا يعرف حقوق الله في المال ولا يخرج زكاة ماله الواجبة عليه فعرض لهم يريد دلالتهم على خير واجب عليهم وهو من مصارف الزكاة إما لفقره واشتغاله بالعلم عن التكسب وخصوصا من كان ينفق على الطلاب كما هو معروف في تلك البلاد فمن كان بهذه الصفات سواء من القادرية أوغيرها فلا ينبغي الاعتراض عليه إلا في حدود توجيهه إلى ما هو الأفضل له من ذلك •

وعندي أنه لم تكن هناك حاجة كبيرة في تلك البيئة إلى السؤال حيث إنه من المعروف أن المجتمع كان متراحما ومتكافلا في الجملة وقد اشتهرت فيه المنيحة للمحلوب من الحيوان والسلف في المطعومات •

وكان كذلك مجتمعا يعرف قيمة العلم وأهله ويعني كثيرا بالاهداء إلى العلماء مع

---

(١) الضياء المستبين ص ١٧١ . ١٧٧ •

زهدهم وتعففهم والإنفاق على الغرباء من طلبة العلم (١)

إنما الاعتراض على من وصفهم الأخضري في قدسيته بقوله :

(وظهرت في جملة البلاد   طائفة البلع والازدراد) (٢)

وعلى من قال فيهم سيدي بن حين بعد تكفيره لبعضهم :

وغير من طوائف الأوراد   طوائف البلع والازدراد) (٣)

وحتى لا نعترض على بعض شيوخ القادرية الذين انتصبوا لتدريس العلم ونشره وأنشأوا المراكز وهيئوا المرافق وأنفقوا ما أهدي إليهم على ذلك أو حتى الذين أخذوا من الناس الزكاة لهذه الأغراض وما في معناها (٤) وإن دخلوا في نقد هذا المنهج فإنما يدخلون فيه بقدرما زادوه من اشتراط الهدية على المريدين وتركهم لتلاميذهم الحرية في التجوال وجمع الأموال خروجا عن المنهج المستنى من النقد ٠

ويمكن تلخيص نقد هؤلاء في المسائل الآتية :

١) أنهم يكادون يوجبون الهدية لهم على الناس أو الصدقة مع أن بعضهم ينتسب لآل البيت ولا تحل الصدقة لهم ٠

والهدية وصدقة التطوع من الأمور الاختيارية الطوعية مهما كان فيهما من اسباب الالفة والمحبة قال الله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ءأشفقتم أن

---

(١) الوسيط ص ٥١٧ . ٥٢٠ ٠

(٢) الطريقة الشرعية ص ٥٨ ٠

(٣) أجوبته للشيخ محمد عبد الله آده ص ٤

(٤) الوسيط ص ٢٤٢ وما بعدها و ص ٣٦٥ وما بعدها ٠

تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا

الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ﴾ (١)

قال ابن العربي في هاتين الآيتين مسألتان :

الأولى : نسخ العبادة قبل فعلها .

الثانية : وساق ما رجح أنه هو السبب لنزول الآية الأولى . ثم قال : وهذا الخبر يدل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال : ﴿ ذلك خير لكم وأطهر ﴾ ثم نسخه مع كونه خيرا وأطهر) (٢) ولذا لا تجب الصدقة أو الهدية لأحد على أحد .

٢) وهم لا يدعون أن الذي يأخذونه من الناس زكاة ولا أن الذين يرسلونهم سعاة لأن الذي يرسل السعاة لأخذ الزكاة هم الولاة العامون (٣) وهم يقتصرون في ولايتهم على ماقالوا : على الولاية الباطنية فولايتهم أخص كما تقدم .

٣) ثم إن هذه الأموال التي يجمعونها تحتكر غالبا لصالح الشيخ وذويه حتى إن بعضهم يقتر على مريديه الذين جمعوا هذه الأموال ولا يستبيحون الاكل منها أو لايباح لهم فقد يكون أحدهم خازنا للأقمشة وهو في عري قبيح أو قائم على تجارة أو زراعة أو مواشي وهو يعيش عيشة المعدمين والشيخ وذوه في بحبوحة من العيش والترفه ومن نظر في موارد الأموال ومصادرها في الإسلام يعلم يقينا أن الله جل وعلا لم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم : جابيا وإنما بعثه داعيا وهاديا (٤) .

٤) وإن أعطى أحدهم من تلك الأموال شيئا فإنما يخص به من يظن أنه سيردها أضعافا مضاعفة أو غير ذلك من أنواع الفوائد المعنوية .

٥) ثم إنهم شغلوا من تبعهم ممن يصلح للعلم بجمع الأموال وحراستها وتنميتها حتى أماتوا فيه غريزه حب العلم وصلاحيته ولم يعوضوه عن ذلك مالا في الدنيا أو جاها والآخرة ليست بيد أحد من الناس .

---

(١) سورة المجادلة الآيتان ١٢ ـ ١٣ .

(٢) أحكام القرآن جـ ٤ ص ١٧٦١ ـ ١٧٦٢ .

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني جـ ٩ ص ٣٠ .

(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ، صاحب أبي حنيفة ، تحقيق قصي محب الدين الخطيب ، ط ٦ سنة ١٣٩٧ هـ المطبعة السلفية انظره كاملا ، وخاصة ص ١٣١ ـ ١٦١ .

٦) ثم إن المريدين المشتغلين في مثل هذه الأمور يضيعون في سبيلها شهود الجمع والجماعات ، وقد تكون فيها أسفار هي معصية لله تعالى فلا يجوز الدخول فيها ابتداء ولا الوفاء بها انتهاء ٠

ويدخل في ذلك إذا كانت فيها مخالفة للوالدين أو تضيع لحقوق واجبة أخرى كما تقدم أو كان فيها أكل لأموال الناس بالباطل أو بالشفاعة أو بالدين كما قال الأخضري في مختصره الفقهي في العبادات ٠

ومن ذلك ارتكاب المسألة المنهي عنها شرعا ٠ فعن قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال :

يا قبيصه إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ما له فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبه سحتا) (١) هذا بالإضافة إلى ما جاء من الترغيب في التكسب والوعيد في تركه اتكالا على سؤال الناس (٢) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي به يحمله على ظهره فيبيعه فيأكل خير له من أن يسأل الناس ، ولأن يأخذ ترابا فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله) (٣) والله أعلم ٠

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب من تحل له المسألة ٠ وانظر توضيح هذه الرواية في صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٧ ص ١٣٤ ٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٧ ص ١٢٣ . وما بعدها والمسند جـ ٩ ص ١٠٦ . ١١٦ ٠

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني دار أحياء التراث العربي ط ٢ ص ١٠٦ ٠ مصدر سابق ٠

المطلب الرابع : واجب المريدين نحو الشيخ وما ينسب إليه

تقديم :

من آداب صحبة الشيوخ المستفاد منهم في العلم والتربية أن يعتقد المصاحب لهم أن فيهم من الخير والصلاح وبركة العلم والعبادة ما يجعلهم قدوة له في ذلك حتى تحصل له الثقه بهم وبما يأخذه عنهم وأن يلاحظهم ويبادر إلى تلبية طلباتهم ما دامت مشروعة وتطييب خواطرهم مما يعطيه مكانة في نفوسهم حتى تتسع له صدورهم وتزول عن العالم والمتعلم الوحشة والنفور (١) فهذه أمور من مكارم الأخلاق المتعارف عليها بين أهل العلم قاطبة ومن وسائل تحصيل الهدف الأساسي وهو العلم والعمل والتربية على ذلك .

ولكن أن تؤخذ على هذه الأمور ومثلها ويزاد فيها العهود والمواثيق وإن حصل بها إخلال كان ذلك خروجا عن العهدة ومروقا على الطاعة ويتوعد الطالب المتربي بالهلاك والبوار فهذا يكفي عندي في الانحراف عن الهدف من أول خطوة إلى هدف آخر وهو طلب تعظيم الشيخ لذاته واكسابه درجة من القداسة والبركة تحتاج إلى دليل .

والدليل العام الذي يستدل به القادرية من قياس الشيوخ على النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح الاستدلال به لوجود الفارق وعدم اتحاد السبب الشرعي ولوجود نص فى النبي صلى الله عليه وسلم وعدم وجود نص في غيره وخصوصا في التماس البركة الذاتية من شخص معين ، ولكن كثيرا من الناس ينسى هذه الفوارق الأساسية ويطلب العلة ويقيس ويبنى على ذلك أمورا طلبها من البداية بذلك القياس من الخطإ الواضح المفضي بصاحبه في الغالب إلى الغلو الفاضح .

ويوجد من نصوص القادرية في كتبها وأقوال أتباعها أن الشيخ وذويه كالنبي صلى الله عليه وسلم في وجوب التعظيم والتوقير والبركة ومن ذلك ما يأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظركتاب الفقيه والمتفقه جـ ٢ ص ٩٨ . ٩٩ وأدب الإملاء والاستملاء ص ١٣٤٠ . ١٣٦ .

عرض : بعض نصوص القادرية في اعتقاد البركة في الشيوخ وذويهم

يقـول الشيخ سيـدي المختـار الكنتي : (وسبيـل مشايخ الأوراد سبيـل الصحابة ٠٠) (١) يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ذلك أنهم هم الوارثون للنبي صلى الله عليه وسلـم (٣) وقال الشيخ سيدي محمد ملخصا بعض ما يجب على المريد بعد البيعة :

(ويجب عليه الوفاء بكل ما يشترطه عليه الشيخ صعبا كان أو سهلا ويعتقد أن شيخه عارف بالله ناصح للخلق ، ولا يدخل عليه إلا قبل يده بإطراق ، ولا يديم النظر إليه ، ويمضي لأمر الشيخ وإن كان فيه ضياعه ، وإن مرعلى مسجد تقام فيه الصلاة فليمض إلى أمر شيخه ، ويراعي حرمته في غيبته ما يراعيه في حضرته ، وينبغي له أن لا يمني نفسه بمنزلة فوق منزلة الشيخ ٠٠٠) (٤)

ويقول صاحب الضياء (بأن على المريد مراعاة الأدب الكامل عند مجالسة الشيخ ، وتقبيل يد الشيخ عند الدخول عليه والإطراق ولزوم الوقار والسكينة ٠٠) إلى أن يقول : (ومما اختص الله به هذا الشيخ من التعظيم أن لا يقبل أحد يد أحد بحضرته) (وأن الطعام والشراب واللباس يزداد ببركته) (٥) .

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي عن والده : (ومما شاع من بركته وذاع وملأ الأبصار والأسماع أنه كان رضي الله عنه إذا حل بموضع حلت به البركة فدرت أنعامه واستمرأته سوامه كثر مرعاه أو قل حتى كان يقول بعض الجيران إنما ترعى سوامنا الذكر والبركة ونحلبها ٠٠) (٦) .

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٥ ٠
(٢) نفسه ١٦٧ - ١٦٨ ٠
(٣) جنة المريد ص ٦٣ ٠
(٤) نفسه ص ١٥٤ . ١٥٩ ٠
(٥) الضياء المستبين ص ٢٧١ و ٣٢٥ ٠
(٦) الطرائف ص ٥٨٠ .

وهكذا دعى إلى مثل هذه الاعتقادات ونشرها بين الناس هؤلاء ومن جاء بعدهم فيقول الشيخ ماء العينيين : (ومن حق المريد على الشيخ أن يصافحه كلما لقيه بنية التبرك) (١)

نقد :

فهذه بعض نصوصهم التي تشتمل على بعض الآداب المطلوبة شرعا وعرفا من كل صاحب مع صاحبه على ما تقدم بيانه ، ولكنها مع ذلك تشتمل على الدعوة إلى الاعتقاد في المخلوق والتماس البركة منه وحصولها له ولمن صحبه بدون دليل واضح يلحق المدعى له ذلك بدون إخلال بالعقيدة بمقام النبي صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته الكرام الذين فازوا بصحبته والاقتباس من بركته .

ونشر هذه المعتقدات أدى إلى ضرر كبير في العقيدة حيث يشاهد من يتمسح بالأضرحة وينقل ترابهاويضعه في ماء ويشربه ، ومن التبرك بالأحجار المنصوبة عليها واعتقاد البركة في ثوب الشيخ وسجادته والتمسح بما له صلة به ، واعتقاد البركة في بلدته وأشجارها وأحجارها ودوابها وتوسع الناس كذلك في التفاؤل بقربهم ممن يوصف بالشيخوخة أو ذويه أو بمقدم أحد منهم عليهم ، حتى إن بعضهم إذا أصابته مصيبة لا يتذكر ذنوبه وما أقترفه في جنب الله تعالى وانما يقول بأن خاطر الشيخ تغير عليه وبادر بالتمسح والهدية وإخراج النذور ، وإن نجاه الله تعالى قال : جرت علي بركة الشيخ الفلاني أو الصالحين الفلانيين وغير هذا مما هو مسطور نثرا ونظما ومسموع قولا (٢) .

وهو ظاهر في أن الانحراف قد تسلل إلى عقائد كثير من الناس في تلك البيئة بواسطة تكرار مثل هذه الأمور عليهم حتى اعتقدوا أنها من الأمور الجائزة ولم ينظروا في أسباب ظهورها ولا خطر اعتقادها وانتشارها حتى أخذ بعضهم يدافع عنها أو يلتمس لها الأدلة وكأنها من أمور العقيدة التي تجب حمايتها والذود عن حياضها .

والواجب على المسلم أن يعرف حكم الله تعالى فيما يأتي وما يترك في القرب إلى الله تعالى أو في غير ذلك من أموره، وأن لا يقدم على أمر يرجو به الخير والنفع لنفسه

---

(١) نعت البدايات ص ١٠٧ وانظر هامشه راتق الفتق ص ٢١٠ . ٢١٣ .

(٢) الضياء ص ٢٧٢ والطرائف . ٥٨١ . ٥٨٢ .

دينا وأخرى وهو جاهل بحكم الله فيه أو متبع لهواه أوهوى غيره فيه • إن التبرك من الأمور التي اختلط على الناس الأمر فيها من قديم ولم يميز الكثيرمنهم ما هو حد المشروع منه النافع وما هو الضار منه المحرم •

ومن أبرز مظاهرهذا الخلط اعتقاد البركة في بعض ذوات الأشخاص لمجرد أنهم على منهج معين أو ينتسبون لمن اشتهر بالولاية والعلم والصلاح ولا تكون البركة إلا حيث يضعها الله تعالى ولا تكون بالادعاء أو الأنتساب فقط • ويمكن أن يجمل القول في ذلك في النقاط الآتية :

أولا : قد جعل الله البركة في نبيه صلى الله عليه وسلم وكل ما يتصل به وعرف ذلك أصحابه رضوان الله عليهم له خاصة دون غيره من كبار أصحابه فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع ما أعطاها الله تعالى من الفضل تقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعوذات في مرضه الذي قبض فيه وتقول : (فأمسح بيد نفسه لبركتها) (١) .
وهذه أم سليم بنت ملحان رضي عنها من حرصها على الحصول على بركة عرق النبي صلى الله عليه وسلم لتطيب به طيبها ترتكب أمرا يوقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه في القيلولة (٢) ولم تصنع ذلك مع أحد من الناس •

بل وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم في جيش كبير يتدافعون ويتزاحمون في مواطن عديدة كل يريد الفوز بشيء مما له صلة بجسده الشريف أو جاء بسبب دعائه أو من إكرام الله له بدون دعاء (٣) ولم تجدهم فعلوا ذلك مع الصديق رضي الله عنه حيث ظهرت على يديه بركات عديدة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبان من هذا أنه لا يقاس أحد على النبي صلى الله عليه وسلم •

ثانيا : جعل الله تعالى البركة في كتابه وما شرع من دعائه وذكره فهو تعالى واهب البركة ﴿ فتبارك الله رب العالمين ﴾ (٤) ﴿ كتاب انزلناه اليك مبارك ﴾ (٥) وقد بارك

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب المرأة ترقي الرجل ، الحديث رقم (٥٧٥١)
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرقه صلى الله عليه وسلم والتبرك به •
(٣) مرويات عزوة الحديبية (جمع وتخريج ودراسة) الشيخ حافظ بن محمد عبد الله الحكمي نشر الجامعة الإسلامية ص ٢٥٨ وما بعدها و ص ٢٩٤ وما بعدها
(٤) سورة غافر الآية ٦٤ •
(٥) سورة ص الآية ٢٩ •

الله تعالى في بعض مخلوقاته وذكر ذلك في كتابه الكريم : مثل : البيت ، والأرض المباركة ، والمطر ، والشجرة المباركة وتحية مباركة وليلة مباركة إلى غير ذلك مما ذكر الله تعالى أنه جعله مباركا ٠

ثالثا : وجعل سبحانه وتعالى البركة في اتباع هدي كتابه والاستنان بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

فمن ادعى لنفسه البركة ومنحها لغيره من أبنائه وأتباعه أو أنه يعطي البركة للمكان والزمان الذي هو فيه من دون اعتماد على كتاب أو سنة واضحة في ذلك كان هذا من أدلة قلة البركة فيه ، وجرأته على الله واهب البركة ٠

فالبركة في الايمان والعمل الصالح الخالص لله تعالى ، الموافق لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

فمن آمن بصدق وعمل بإخلاص وحفظ كتاب الله تعالى وحافظ على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ودعى الناس إلى ذلك كان مباركا بما جعل الله فيه من خير وبركة وبما كتب الله على يديه من خير وبركة ، ولكنه لا يملك جعل غيره مباركا إلا بحسب ما يأخذه من علم وخير وعمل صالح ٠

أما أن يورث أبناءه البركة في ذواتهم وأتباعه الجاهلين بأمور دينهم البركة لمجرد أن هؤلاء أبناوه وأولئك أتباعه فهذا لا يقوله أحد في الأنبياء وأحرى غيرهم بأن لا يقال فيهم ذلك ٠

وقد دفع هذا الاعتقاد كثيرا من الناس إلى اعتقاد البركة فيمن حظه منها لا يعد أولا حظ له فيها ٠

فيمنحوا البركة لما قام في نفوسهم من تعظيم شيوخهم إلى من لا يحفظ شئيا يذكر من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسول الله صلى الله علية وسلم وهو مقصر في تحصيل فرض عينه ، وقد يكون مع ذلك يرتكب الكبائر والصغائر جهارا لجهله بدينه وقلة علمه بآداب دينه (١) .

---

(١) انظرروح المعاني جـ ١١ ص ١٤٩ ٠

وهؤلاء وأمثالهم قد تحقق فيهم ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أمته كما في حديث رواه أبو واقد الليثى قال : (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينيطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر إنها السنن ، قلتم ، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسي اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون) إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة ...) (١) ويظهر على أصحاب هذه النصوص من الغلو المذموم ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم . روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ (٢) قال: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت) (٣) .

وهكذا يفضي التبرك الممنوع بصاحبه إلى عبادة غير الله تعالى وهذا ما خشيه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد أن يقبل الحجر الأسود وكان يعلم أن أهل الجاهلية من العرب كانوا يعظمون الحجارة وينزلفون بعبادتها والسجود لها ويتمسحون بها تبركا فقال : (والله إني لأقبلك وأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك) في روايات متفق عليها (٤) .

---

(١) الفتح الرباني جـ ١ ص ١٩٨ . ١٩٩ الحديث رقم ٢٧ .

(٢) سورة نوح الآية ص ٢٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب (ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق) الحديث رقم (٤٩٢٠) .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح ج ٣ ص ٤٦٢ رقم الحديث ١٥٩٧ كتاب الحجج باب ما ذكر في الحجر الأسود ج ٩ ص ١٦ وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف .

فاتباع السنن ولو لم تعرف العلة فيها واجب والقياس عليها بدون علة واضحة بدعة ظاهرة كما بينه الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى (١) إذ قال :

(ولقد حكى الفرغانى مذيل تاريخ الطبري عن الحلاج أن أصحابه بالغوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته . حتى ادعوا فيه الالهية تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) (٢) وخوفا من هذا التبرك الذي هو أصل العبادة والاعتقاد قطع عمر رضي الله عنه : الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان كما في القرآن الكريم قال الحافظ بن حجر بعد ذكره لاختلاف الناس في عين مكان هذه الشجرة : (... ثم وجدت عند ابن سعد باسناد صحيح عن نافع أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ، ثم أمر بقطعها فقطعت) (٣) وهكذا يجب سد أبواب الشرك . والله أعلم .

---

(١) الاعتصام ج ٢ ص ٩ . ١١ .

(٢) نفسه ص ١٠ .

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٤٤٨ وانظر : الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصرى ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ج ٢ ص ١٠٠ .

المبحث الثاني : آداب الشيخ مع المريدين

الموجود في كتب القادرية عن آداب الشيخ مع مريديه في الغالب منقول من كتب الصوفية وهي مرجعهم في مثل هذه الأمور إلا أنهم يقولون بأن شيوخهم أخذوا آدابهم من آداب النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ثم من آداب الصحابة رضوان الله عليهم مع أصحابهم من التابعين وهكذا • (١)

وهذه بعض نصوصهم الموضحة لآداب الشيوخ وواجباتهم نحو المريدين :

عرض : قال الشيخ سيدي المختار الكنتي : (لا يجوز للشيخ التجاوز عن زلات المريدين ما لم يتنسم ريح إكراه لأن ذلك تضييع لحق الله تعالى ويجب أيضا على المشايخ نصح المريدين ولين الجانب لهم والإغضاء عن زلاتهم غير القادحة في أصل البيعة والتجاوز عن هفواتهم على الوجه الذي يليق بما اختل عليهم من آداب الصحبة وما التبس عليهم من أحوال الطوية كل على قدر مقامه وذوقه من زجر صحيح وإشارة وتلويح وتنبيههم متى غفلوا وإرشادهم إذا ذهلوا مع إرضاعهم لبان المعارف وإمالتهم عن المشارب المخوفة •••) (٢)

ويقول الشيخ سيدي محمد : (اعلم أن أصل هذه الطريقة ومبناها إنما هو سيرته صلى الله عليه وسلم من أقواله وأحواله وأفعاله وتقريراته المفسرة لنص الكتاب الذي جاء به من ربه ثم ما مضى عليه عمل أصحابه من بعده ثم ما انعقد عليه إجماع سلف أمته من بعدهم) (٣) • وينقل عن والده قوله : (ما تمت الأسوة الحسنة بعد الصحابة وأعيان التابعين إلا لهذه الطائفة المتميزه باسم الصوفية •••) (٤) ويروي في الطرائف أن والده كان متخلقا باخلاق ربه المنبئة عن وراثته لنبيه وقدوته وحبه وأنه كان أدبه القرآن الكريم (٥) • ويقول صاحب الضياء : (إن الشيخ محمد فاضل كان يربي مريديـه بمقتضى الكتاب العزيزوالسنة المحمدية) وأنه كان يربي

---

(١) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٥٧٤ وما بعدها • وعوارف المعارف ص ٤١٥ وما بعدها • والكوكب الوقاد ص ١٥ وما بعدها وجنة المريد ص ٦٧ وما بعدها • ونعت البدايات

(٢) الكوكب الوقاد ص ١٦٩ •

(٣) جنة المريد ص ٦٧ •

(٤) نفسه ص ١١٧ •

(٥) الطرائف ص ٢٤١ و ٢٦٣ و ٣٢٢ وما بعدها • والمراد بأنه كان يتخلق بأخلاق ربه هو : ما يصح من تمثيل أسمائه الحسنى مثل الرحيم الكريم العفو اللطيف ، الرفيق انظر : الفتح الباري جـ ١٣ ص ٣٧٨ •

البليد المغفل والمخالف له كما يربى من صح اعتقاده فيه (١) ويتابعه على ما ذكر الشيخ ماء العينيين في نعت البدايات ويقسم إن دعوة والده كانت دعوة إلى الله تعالى على سنن الأنبياء (٢)

ويذكرأن من آداب الشيخ الاعتناء بهئيته والتزام زي يعرف به مناسب لحاله ، وأن عليه أن يأمر مريديه بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويعفو عن زلاتهم ، ويظهر محاسنهم ويستر عوراتهم ، ويتلقاهم بالترحيب وطلاقة الوجه ويمكنهم من زيارته ومصافحته وتقبيل يديه ويستعمل معهم من التودد إليهم ما يحببهم إليه ويحببه إليهم ما لم يخشى عليهم من العجب أو يؤدي ذلك إلى مخالفة سنة أو ارتكاب محرم ٠ (٣)
ويضيف الشيخ سيدي محمد ان من آداب الشيخ مع المريدين أن يكون حسن الخلق كثير التواضع لهم ولا يسمح بالتنازع والخلاف في حضرته ويطرد عن حضرته من يعترض عليه، ويمنع مريديه من زيارة شيخ آخر سداً لباب التشويش عليهم ٠ (٤)

ويوافقه الشيخ سعد أبيه على مثل هذه الآداب فيقول بأن المريد الذي يعترض على الشيخ في التسليك يكون ذلك دليلاً منه على مصادقته لنفسه ورضاه عنها ٠ قال : (فهذا لا يفلح ولا يشم للطريقة رائحة فيجب على الشيخ أن يقول له إذهب إلى حرفتك لئلا يضيع عليه سائر أصحابه فإن الطبع يسرق الطبع اللهم إلا أن يكون الشيخ من أهل التمكين والتصرف في القلوب فلا بأس أن يقيمه خادما للفقراء فمن بركة خدمته مع قوة الشيخ يفتح الله عليه وينعش عزيمته لقبول السلوك ، ومن شروط الشيخ أن يكون ستارا لأسرار الناس لاسيما المريدون وأن يكون غني النفس حسن الخلق لا يغضب إلا لله وأن يكون أكبرهمه تسليك السالكين لا جمعهم لتنصرف إليه وجوه الناس ٠) (٥)

نقد : هذا بعض مما نصوا عليه من آداب الشيوخ وواجباتهم نحوالمريدين ، ويمكن تناول ما اشتملت عليه هذه النصوص بالنقد والرد في المسائل الآتية إن شاء الله ٠

---

(١) الضياء المستبين ص ١٤٠ . ١٤١ و ٣١٧ . ٣٣١ ٠
(٢) نعت البدايات ص ٩٤ . ٩٥ ٠
(٣) المصدر نفسه ص ٩٧ وما بعدها ٠
(٤) جنة المريد ص ١٦١ . ١٦٣ ٠
(٥) كشف اللبس ص ٨١ . ٨٢ تقدم بيان المراد من عبارة التمكين والتصرف في باب العقيدة ٠

أولا : يدعون فيها لأنفسهم ولشيوخهم أنهم على خلق القرآن الكريم ، وأنهم الوارثون لأخلاق النبوة والمقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في آداب الصحبة وهذه الدعوي على ما فيها من تزكية النفس المنهي عنها شرعا ، والصارفة عن صاحبها عرفا لمنافاتها لمكارم الأخلاق والتواضع الذي هو قمة الأخلاق الحميدة لأمر الشارع به ونصبه لنفسه قدوة فيه ولم يمتدح صلى الله عليه وسلم نفسه بشيء إلا ليقتدى به فيه ولم يمتدح لأمته شيئا إلا للأخذ به والتأسي به فيه (١) فعلى ما فيها . تحتاج إلى دليل . فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أثنى الله عز وجل عليه بالخلق العظيم قال تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم) (٢) فهو صلى الله عليه وسلم الممتثل لتأديب الله له في كتابه العزيز ﴿خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٣) وقوله ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمرفاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (٤) ولذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم . وكان السائل لها سعد بن هشام ابن عامر قال :(فقلت يأم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : ألست تقرآ القرآن قلت : بلى : قالت : فإن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن ..) (٥) قال النووي : (معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته) (٦)

فخلقه صلى الله عليه وسلم معجز على هذا المعنى فلا يليق بمن يدعى التواضع أن يرفع نفسه بالادعاء لنفسه أو لشيخه أنه كان خلقه القرآن الكريم مساواة للنبي صلى الله عليه وسلم في الخلق العظيم وعليه أن يقول كما قال الإمام علي رضي الله عنه لما انتهى من وصفه صلى الله عليه وسلم: (لم أر قبله ولا بعده مثله) (٧) ويضع نصب

---

(١) انظر الشفا جـ ٢ ص ١٣٧ وما بعدها .

(٢) سورة القلم الآية ٤ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥) صحيح مسلم . كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٦ ص ٢٦ .

(٧) الشمائل المحمدية للإمام الترمذي ص ٢١ .

عينيه قول معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه عندما شمت عاطسا أثناء الصلاة ونهره من يعرف منع الكلام أثناء الصلاة قال : (فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ...) (١) . هذا بالإضافة إلى أنه صلى الله عليه وسلم قال لنا في الحديث الشريف الصحيح : (وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) (٢)

فمن عرف شمائله وفضائله وما كان عليه من الخلق العظيم يعترف بالتقصير لنفسه ولشيوخه عن الحومة حول ذلك الحمى ويكتفي بالقول : الحمد لله الذي جعلني من أمته صلى الله عليه وسلم مهما كان عليه من العلم والأدب وحسن المعاشرة (٣) أما إذا لم يكن على شيىء من ذلك فلا يحفظ القرآن حتى يتخلق بشيىء من أخلاقه ولا يعرف السنة حتى يتأسى ببعض ما فيها كغالبية المصدرين من الشيوخ فإنه بعيد من مضمون هذه الدعوى إذ فاقد الشيىء لا يعطيه ولذا نجد هديهم يخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أمورهم .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يعمل دائما على حمى جانب التوحيد في الأفعال والأقوال وهم يستبيحون ميدانه ليدخل من يريد إحداث الثغرات في ذلك الحصن الحصين حتى إنهم يقرون ويشجعون بعض المادحين لهم على الغلو الظاهر ، ويفسحون المجال لهم حتى يرتكبوا من التجاوزات مالا يليق بمسلم أن يقره مع الجهل فضلا عن شيخ يقتدى به في الدين .

وواجب الصحبة والنصح يحتم على الشيوخ حمل المريدين على الحق مهما كان الحال ولكن بعض الشيوخ يقبل الواردين إليه على جهلهم بالدين وواجبات الأخلاق فلا يعلمهم ولا يكلهم إلى من يعلمهم بل ربما فهموا منه التنفير من أهل العلم وهذا

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت في الجنة أو النار عليه .

(٣) الشفا جـ ٢ ص ٨٣ وما بعدها .

إما لجهله هو أو لحرصه على أن يبقوا في جهلهم حتى يتمكن من استخدامهم في أغراضه كما حدثني بذلك من كان له ببعض شيوخهم صلة من أهل الثقة والعلم ، ومضمون كلامه أن أحد المتنورين في الطريقة بعد أن حج بيت الله الحرام ورجع إلى البلاد وهو ابن شيخ في الطريقة أراد أن يعلم بعض مريدي والده (شيخه) بعض الواجبات والسنن فناداه والده الشيخ وقال له : الذي تريد عمله مع هؤلاء هو الحق ولكن إن تماديت فيه تركوك ومضوا إلى سبيلهم (١)

ثانيا : أنه جاء في هذه النصوص أن من آداب الشيخ التزام هيئة أهل العلم والوقار وهذا يقتضي العناية بمظهره في اللباس والسكينة والوقار في الحركات والسكنات ·

فهذا الشيخ إن كان من أهل العلم فلا خلاف أن على العالم العناية بمظهره من نظافة وطهارة وتجمل وتحسين هيئته حتى يكون قدوة في ذلك وحتى يحبه الآخذون عنه ويحترمه ويجله الآخرون (٢) حتى يؤلف ويبتعد عن الصفات المنفرة .

وهو ما كان عليه أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وما خالف هذا المنهج إلا بعض الصوفية (٣)

أما إن كان اتخاذ الهيئة الحسنة المتميزة يراد بها الشهرة والتميزعلى خلق الله فهذا من المنهي عنه شرعا وصاحبه لا يقتدى به فيه على أنه دين أو أدب حسن ، (ثم إن طالبنا كل مصدر في القادرية باتخاذ شعار العلماء نكون ظلمناه وجعلناه متشبعا بما ليس فيه وإن اتخذ مثل ذلك قد يوقعه في الحرج الذي يسلم منه في حال عدم تشبهه بأهل العلم ودخوله في عامة الناس ، وهذا ما لايرضاه أيضا مصدر لنفسه ، وبهذا يظهر أن للنفس في حب الظهور والرئاسة مدخلا كبيرا ، على أن من حصل من العلم من المصدرين في القادرية أو من اشتهر بالمشيخة منهم ما يعرف به كيف يضع

---

(١) إحدى مقابلاتي مع الشيخ المذكور في شوال سنة ١٤١١ هـ في مكة المكرمة ·

(٢) انظر أدب الاملاء والاستملاء ص ٢٥ . ٣٦ ·

(٣) ترتيب المدارك جـ ٢ ص ١٣ وما بعدها وتلبيس ابليس ص ٣٢١ ومابعدها ·

الأمور مواضعها لايعاب عليه اتخاذ هيئة حسنة لا شهرة فيهاحيث إن التشبه بأهل العلم والفضل مطلوب وباعث على تحصيل ما هم فيه ، ولكن الغالب على المصدرين تحسين ظنهم بأنفسهم حتى يقع من بعضهم خلط ودفاع عن النفس والتأويل المذموم حفاظا على مكانته كما وصفهم أبو بكر ين محمد بن أبى بكر ضمن من حمد الله تعالى على أنه لم يجعله واحدا منهم فقال :

(ولم أك ياسم (الشيخ) لفظا ملقبا   مسماه عنه غايـــة في التباعـــد
ولاذا مقـــام في الـــورى متشبشـــــا   بما ليس فيه من خصال الأماجد
تـــراه يحامي دائمـــا عن مقامــــــــه   لخوف انحطاط القدريين المشاهد) (١)

ثالثا : جاء في عرض نصوصهم في هذا المبحث أن من واجبات الشيخ نحو المريدين حسن المعاشرة والصبر والتواضع لهم وتحسين الظن بهم وستر عوراتهم والتغاضي عن زلاتهم ٠

وهذه أمور واجبة بين المسلمين عموما شرعا وعرفا وتتأكد في حال دوام الصحبة والملازمة والمجاورة ٠

والمعروف عن علماء موريتانيا تحمل الطلاب والنصح لهم والإنفاق عليهم سواء عندهم في ذلك القريب والبعيد وعلى هذا فلا مزية لشيوخ القادرية على غيرهم من شيوخ العلم في هذا الميدان ٠ (٢)

على أنه يشهد لبعض شيوخ القادرية الذين جمعوا بين التصوف وتدريس العلم بحسن الصحبة ورعاية حقوق الطلبة والإخوان ، وقد صدرت عن بعضهم دعوات تدل على مكانتهم في هذا الميدان من ذلك قول الشيخ سيديا في أبيات له يحض على حسن المعاشرة واجتناب ما يشغل عن التحصيل العلمي :

---

(١) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ص ٥٧٦ ٠

(٢) انظر الوسيط ص ٥١٨ ـ ٥٢١ ٠

(أيا معشر الإخوان دعوة نادب ... إلى الحق والمعروف ليس بكاذب

أعيروني الاسماع أهد إليكم ... وصية مصفى النصح غيرمخالب

فمن كان منكم ذا وداد وخلة ... لمرتفع الأخلاق جم المناقب

ليسحب على عيب الخليل ذيوله ... ويستر فشأن الخل ستر المعايب

خليلي لا أبدى إلى من يذمه ... طلاقة وجهي بل عبوسة حاجبي

أحب الذي يهوى وأبغض ما قلا ... ولست عليه إن يزل بعاتب

وماذا دعا يوما لصدمة حادث ... ألم عليه كنت أول واثب .) (١)

وللشيخ ماء العينيين في نفس الموضوع ما يأتي :

(تغافل عن الإخوان في كل زلة ... وإياك والتبصير في زلة الأخ

وكن راحم المسكين واصل رحمه ... وإياك أن تبدو له بالتبلخ

وإياك والتقصير فيما أحبه ... وساو زمان العسرفي ذاك والرخي

وداوم على تقوى الإله وعلمه ... تفزوتنل مما رجوت بخ بخ) (٢)

فهذه نصائح من بعض الشيوخ الذين كابد واطلاب العلم حسبما اشتهر عنهم وهي نصائح موجهة على العموم ولكن يدخل فيها المريدون دخولا أوليا وقد تقدم في مطلب الحب في الشيخ والبغض فيه معاني ما تدعوا إليه هذه النصائح .

ولكن عند التطبيق العملي على الواقع نجد أن كثيرا من شيوخ القادرية لا يباشرون مكابدة طلاب العلم وحتى مريديهم والمتجردون لخدمتهم ذلك أن كثيرا

---

(١) الوسيط ص ٢٤٢ .

(٢) نفسه ص ٣٦٨ .

منهم لا يصل إلى مرتبة المشيخة في العلم وقد تكون له به عناية ولكن يتركه لبعض أهل حضرته أو النابهين منهم يتولى مكابدة ذلك عنه ، ضمن خدمته للشيخ ، وقد يفسر ذلك من بعض من له حظ في العلم أنه تكبر على منصب الفقهاء والقراء وخصوصا إذا عرف عن صاحبه عناية بدراسة وتدريس كتب الصوفية (١).

كما أنه يحتمل أن يكون المقصود منه إضفاء نوع من القداسة والاحتجاب عن الأنظار دائما وهذا مكسب عند بعضهم ومن ثماره صيانة النفس عن الامتهان ومكابدة أخلاقيات مختلفة قد يكون بعضها مستعصيا وبعضها معترضا إلى غير ذلك من أنواع التغطية والتعمية حتى ولو على الجهل وهذا حال كل من تصدى للسيادة قبل التعلم وبالتالى يكون الشيخ في هذه الأحوال هو المخدوم ومقابلاته للناس محدودة وفي أوقات معينة لإعطاء الورد لمريد جديد أو لتصدير مصدر .

رابعا : وفي نصوصهم ، أن من واجب الشيخ منع مريديه عن شيخ آخر .

ويظهر أن هذا مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح حيث إنه من المعروف أن المتعلم والمتأدب يأخذ العلم ممن لديه علم ويتأدب بهذا الشيخ ما دام يليق به ويتحول إلى غيره إذا رأى أنه أصلح لحاله ووضعه (٢) ووجه المصلحة في منع المريدين من الشيوخ الآخرين كما ذكر هو خوف التشويش عليهم وهذا معارض بأن المنع قد يدفع إلى مزيد التشوف والرغبة في الممنوع فيزداد التشويش ولا يزول .

ثم كيف يكون من الأدب الواجب منع مريد عن الأخذ من العلماء والأدباء وغيرهم ممن يصلح للأخذ عنه وقصره على شيخ واحد قد لا يكون عنده من العلم والأدب والتربية ما يلبي رغبته وحاجته وقدرته على الاستيعاب والتحصيل . اللهم إلا إن قصد بذلك دفن مواهبه وكبت غريزة العلم فيه كما قالوا بأن المريد لا يجوز له أن يمنى نفسه بمكانة الشيخ أو مكانة فوق مكانته وهذه أنانية لا أدب وإلا فمن الذى يحجر على فضل الله الذي يؤتيه من يشاء وقديما قالوا : إنك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره والله أعلم .

---

(١) الطرائف ص ٢٨٠ وجنة المريد ص ٨ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٩٢ وما بعدها .

المبحث الثالث : آداب المريدين فيما بينهم

عرض : درجت القادرية على مقارنة شيوخها بالنبي صلى الله عليه وسلم كما سبق بيانه وقياس أتباعها على صحابته صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم فكما أن النبي صلي الله عليه وسلم آمن به أفراد من قبائل شتى وشعوب مختلفة كذلك أتباعهم هم وإذا كان الصحابة هاجروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرارا بدينهم فكذلك من التحق من الناس بشيوخ القادرية فإنما يطبق نفس السنة ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم بايع أصحابه على السمع والطاعة وآخى بينهم في الله حتى كان الأخ يرث أخاه في الدين دون أخيه الكافر في النسب حتى نزل القرآن بنسخ ذلك فكذلك يبايع شيوخ القادرية مريديهم على السمع والطاعة كما تقدم ويوجبون عليهم بالبيعة الموالاة والمصافاة فيما بينهم دون غيرهم من الناس ولو كان في أولئك الناس أقرب إليهم كالوالدين والإخوة والأزواج ٠ (١) ويستدلون على ما يذهبون إليه من وجوب الأخوة الخاصة بين مريديهم : (أنهم تجمعوا من كل ناحية ومن كل قبيلة) (٢) وينصون على أنهم هم المرادون في الاحاديث التي تذكر الغرباء ونزاع القبائل وأنهم كذلك هم الطائفة الظاهرة التي لا تزال على الحق لا يضرها من خالفها إلى قيام الساعة (٣) والأحاديث التي يشيرون إليها هي قوله صلى الله عليه وسلم كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء) (٤) وزاد في مسند الإمام أحمد بعد روايات هذا الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (بلفظ) : (إن الإسلام فذكر مثله وزاد قيل ومن الغرباء قال : النزاع من القبائل) (٥) وقوله صلى الله عليه وسلم كما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر

---

(١) الكوكب الوقاد ص ٢٢ . ٢٧ والضياء ص ١٧٧ ونعت البدايات ص ٢١ وما بعدها وجنة المريد ص ٩٨ . ٩٩ ٠

(٢) الكوكب المريد ص ٣٠ ٠

(٣) جذوة الانوار ص ١٠٧ وجنة المريد ص ١٧١ والضياء المستبين ص ١٣٤ ٠

(٤) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسعود غريبا ٠

(٥) الفتح الرباني جـ ١ ص ١١٥ وقد جمع زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي أحاديث الغربة وتوجيه العلماء لها في كتابه كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ٠ قدم له وعلق على أحاديثه بدر البدر ٠ الناشر : دار الأرقم ط ١ الكويت ، سنة ١٤٠٤ هـ انظر : ص ١٣ وما بعدها ٠

الله وهم ظاهرون) (١) • فهذه بعض النصوص التى يذكرونها على سبيل الاستدلال بها على أنهم هم المرادون بها دون غيرهم من المسلمين ، ويريدون بها أن الإسلام إذا كان بدأ في غربة وعلى أيدي الغرباء ونزاع القبائل وأن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار أو آخى بين أصحابه جميعا حتى آخى بين نفسه الشريفة مع علي رضي الله عنه (٢) فإنه بذلك تكون سنة الإخاء جار ية بين مريديهم :

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي : (وسبيل مشايخ الأوراد سبيل الصحابة لأنهم وارثوهم والآخذون عنهم •••) (٣)

وأنه : (من الآداب النافعة للمريد حب مريدي الشيخ وقرابته وأحبابه ••) (٤) ويقول الشيخ ماء العينيين (واعلم أن المؤاخاة أمر مسنون من لدن النبي عليه السلام فإنه آخى بين المهاجرين والأنصار •••) (٥)

(وأن الأخ حيث أطلق عند القوم فالمراد به إخوان المريد الطالبون ما طلب وهم المواريد الذين هم قاصدون ما قصده من الوصول إلى الله •••) (٦)

وهذا المعنى كثير في كتب الشيخ سيدي محمد الكنتي (٧)

نقد : ويفهم من نصوصهم وما استدلوا به الأمور الآتية :

أولا : الاستمرار في الحاق شيوخهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في سيرته الشريفة وخصوصا في تأديبه لأصحابه ومعاملته لهم •

ثانيا : قياس المريدين على الصحابة رضوان الله عليهم وادعاء اتباع آثارهم والاقتداء بهديهم مع النبي صلى الله عليه وسلم • وقد تقدم نقد هذه المسالك •

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم •

(٢) الكوكب الوقادص ١٥ وما بعدها •

(٣) نفسه ص ١٦٨ •

(٤) نعت البدايات ص ٢٤ •

(٥) نعت البدايات ص ٢٤ •

(٦) نفسه ص ٢٥ . ٣٠ •

(٧) جنة المريد ص ٥ . ٧ و ٩٥ . ١٠٦ و ١٢٧ وما بعدها • والطرائف ص ٣٧٠ وما بعدها •

ثالثا : ادعاء أنهم هم نزاع القبائل والغرباء الذين لهم طوبى وحسن مآب ، وفي هذا الادعاء من قصر النصوص العامة على بعض الأفراد بدون مرجح واضح ما يدل على الأنانية وتزكية النفس والاستئثار بالفضائل وحيازة الوعد الحسن إلى غير ذلك من الخصال المنافية لمضمون هذه النصوص التي يدعى بها ذلك ٠ فالغربة التي حصلت للمسلمين في بدء الإسلام لكثرة الكفار والأعداء والمخالفين تحصل لكل مؤمن صادق الإيمان إذا وقع مثل ذلك من مخالفة شرع الله تعالى وقلة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أوتخاذلهم عن الحق أو ارتكابهم البدع والدفاع عنها فإنه يعيش في غربة ووحشة ولو كان بين عشيرته وبني جلدته ولذا لا مخصص لهذه الصفة إلا الإيمان (١) وليس الإيمان بالله تعالى حكرا على القادرية أو غيرها من الطرق الصوفية ٠

ونزاع القبائل الموصفون بالغربة إنما اغتربوا من أجل إيمانهم وحب الخير والتعلم والتعليم ولذا كان الغرباء الأوائل ونزاع القبائل من السابقين الأولين ومن خيرة الأولين ومن خيرة هذه الأمة فكذلك كل مؤمن اغترب طلبا للحق والعلم والهدى كان داخلا في هذا الحديث الشريف وليس ذلك خاصا بالقادرية أو غيرها ٠

فيجتمع عند العلماء من طلاب العلم من جميع الأجناس والقبائل ما لا يجتمع في الغالب عند شيخ من شيوخ الصوفية ٠

ويجتمع في ثغور المسلمين من المرابطين المجاهدين من جميع القبائل والأجناس ما لا يوجد في حضرة شيخ صوفية ٠

قال الإمام النووي في معني حديث غربة الإسلام :(قال القاضي عياض رحمه الله في قوله : غريبا روى ابن أبي أوس عن مالك رحمه الله أن معناه في المدينة وأن الإسلام بدأ بها غريبا وسيعود إليها ٠ قال القاضي : وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقة النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ وجاء في الحديث تفسير الغرباء وهم النزاع من القبائل قال الهروي :

---

(١) انظر : كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ص ٢٦ ـ ٤١ ٠

أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى ...) (١)

رابعا : ويدعون أنهم هم المرادون بالطائفة الظاهرة على الحق إلى قيام الساعة كما تقدم في الحديث ويحتمل أن يكون المراد بالظهور هنا الغلبه ويحتمل أن يكون المراد به أنهم ظاهرون غير مستترين قال الحافظ بن حجر : (قوله : (حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) أي على من خالفهم أي غالبون ، أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين بل مشهورون والأول أولى) (٢) . وإنما رجح المعنى الأول لوضوح روايات مسلم فيه (٣) وإذا نظرنا إلى واقع الصوفية عموما نجد حظها من الظهور على المعنيين قليلا جدا فهم ليسوا بأصحاب جهاد وغلبة ، ومن بدر منه ذلك يكون على الندور ويعاب على ذلك في المحيط الصوفي لتفضيلهم المسالمة على نشر الإسلام بالجهاد ، وتسير الطرق الصوفية الحالية على نشره بالوسائل السلمية كالدعوة والسياحة وإنشاء المراكز ومجاورة الكفار ليقتدوا بهم فيسلموا فيدخلوا في الطريقة .

وهم كذلك ليسوا بظاهرين على المعنى المرجوح لتفضيلهم مسلك الخمول والتستر واعتمادهم على الولاية الباطنة كما يقولون .

ولذا فحمل الحديث عليهم غير ظاهر لهذه الأمور المذكورة ولما روي بسند صحيح عن الامام أحمد رحمه الله من بيانه للمراد بهذه الطائفة فقال : (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم) (٤) قال الحافظ بن حجر (واخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عن أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم) (٥) ويؤكد الامام البخاري هذا المعنى بقوله :(باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم) (٦)

---

(١) بشرح النووي جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٢) فتح الباري جـ ١٣ ص ٢٩٢ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٣ ص ٦٦ . ٦٧ .

(٥) فتح الباري جـ ١٣ ص ٢٩٣ .

(٦) صحيح البخاري مع الفتح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة الباب المذكور وهو رقم (١٠) .

وقد تقدم أن القادرية وإن كانوا يعتمدون العلم من بين الطرق الصوفية فإن انتشاره بينهم محدود في أفراد حصلوه قبل الانغماس في الطريقة خصوصا الحديث وعلومه فإن بضاعتهم فيه قليلة ٠

ولذا فلا يستقيم لهم حمل هذه الأحاديث على أنفسهم إذ حظهم منها محدود ، على أن أهل العلم لا يسلمون لأحد حمل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه وقصرها عليه دون غيره ، يوضح ذلك زيادة على ما تقدم ما نقله النووي عن القاضي عياض وما وضحه هو نفسه من المراد بهذه الطائفة المذكورة قال : قال القاضي عياض : (إنما أراد أحمد . يعني بقوله السابق . أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث . قال النووي . قلت : ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث) (١) ٠ وبهذا يتضح أن حمل القادرية لهذه الأحاديث على الصوفية عموما أو عليها خاصة لا يصح على الاطلاق استنادا على ظاهر الاحاديث نفسها وما وضحه أهل العلم من المراد بها ، ولا يصح كذلك عند التطبيق على واقع القادريـة أو غيرها من الطرق الصوفية ، ومن رام من فقهائهم التحقيق في بعض الأحيان كالشيخ سيدي محمد الكنتي ذهب إلى ما يؤخذ منه ما أوضحناه على العموم من تعدد مسالك الحياة واختصاص كل طائفة بمنحى منها ٠ (٢)

خامسا : ويجعلون من مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار دليلا لهم على ما يحصل بينهم من التقارب والمحبة في الشيخ حتى إن بعضهم يؤدي به

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٣ ص ٦٧ ٠

(٢) الطرائف ص ٤٢٤ . ٤٢٥ ٠

ذلك إلى التعصب ضد ذوي رحمه وقراباته وقد يكونون اتقى من شيخه ومريديه ، ويقع من مريدي هذا الشيخ تعصب ونفور من مريدي شيخ آخر مع أن القادرية تجمعهم وسندها يضمهم •

ويرتبون المريدين حسب التفاني في خدمة الشيخ وذويه وقدمه في الحضرة والتجرد والإخلاص ولا ينظرون في غالب أحوالهم إلى مكانة الشخص العلمية ومعارفه الشخصية فيؤمر كما يؤمر العامي ويخدم في الرعي والزراعة كما يستخدم الأمي أيضا وعليه أن يطيع المقدم عليه من الشيخ طاعة مطلقة إذ إن حرمة المقدم كحرمة الشيخ في الخروج عن بيعته أو إعطاء النيابة والتقديم بدون إذنه (١) • ويدعون في ذلك كله التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته المعروف أن التقديم في الاسلام إنما يكون بالسابقة في الإسلام والعلم والعمل ، فمن أكرمه الله بالاستقامة والتقوى والعلم والورع كان مقدما على من دونه في ذلك سواء صحب شيخا أو لم يصحبه ، أخذ الأوراد القادرية أو لم يرغب فيها ، فدعوى التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم تقتضي ذلك فلم يقدم صلى الله عليه وسلم إلا أهل السابقة في الإسلام ولم يدافع صلى الله عليه وسلم إلا عمن دافع الله عنهم وأثنى عليهم في كتابه لسابقتهم وبلائهم في دينه كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما • وإن كان في الصحابة من هو أقرب إليه منهما نسبا وصهرا وفيهم من أظهرت الصحبة أنه يحبه صلى الله عليه وسلم ويخدمه في خاصة نفسه أكثر من غيره ، فلم يقدم صلى الله عليه وسلم منهم أحدا لذلك ومن قدمه على خلاف ما يظهر للناس من أمره إنما هو للتشريع والتأسي أو لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب فهذه هي أبرز دواعي التقديم في الإسلام فمن اختار دواعي أخرى وميزانا آخر يقدم عليه ويؤخر فلا تقبل دعواه في التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم •

وكذلك القول في المؤاخاة فإنه من الثابت في الصحاح والسير أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار لسياسة حكيمة في ظروف قاسية على الدعوة الإسلامية واغتراب من بعض الدعاة المخلصين عن أهلهم وعشيرتهم وأموالهم وأوطانهم فكان من الحكمة أن يعوضوا عما فارقوه بإخوان في الله وأصحاب وأنصار على أمور الدين والدنيا فكانت نعمت الأخوة على الله وفي الله

---

(١) جنة المريد ص ١٩٩ . ٢٠٠ والوسيط ص ٢٤١ •

لا تعصب فيها ضد أحد من أهل الإيمان ولا تنافر فيها بين المتحابين من الأرحام والجيران ٠

قال الإمام البخاري : باب قول الله عز وجل : ﴿ والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ﴾ (١) وساق بسنده إلى ابن عباس قال : كان المهاجرون لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ورث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه ، للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت : ﴿ ولكل جعلنا موالي ﴾ (٢) نسخت ثم قال : (والذين عاقدت إيمانكم ﴾ إلا النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث . ويوصي له) (٣) وبوب البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار . وساق بسنده قال : (لما قدموا المدينة آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع ٠٠٠) (٤) وخرج الإمام مسلم هذه المؤاخاه عن أنس رضي الله عنه في كتاب الفضائل (٥) وأورد ابن هشام خبرها فقال : قال بن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابة من المهاجرين والانصار ، فقال فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : (تآخوا في الله أخوين أخوين) (٦) قال السهيلي في بيان حكمة هذه المآخاه : (المؤخاة بين الصحابة : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ أعني في الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : (إنما المؤمنون إخوة) (٨) يعني في التواد وشمول الدعوة) (٩)

---

(١) سورة النساء الآية ٣٣ ٠

(٢) نفس الآية ٠

(٣) صحيح البخاري كتاب الكفالة الباب المذكور ٠

(٤) نفسه كتاب مناقب الانصار الباب المذكور ٠

(٥) صحيح مسلم مع النووي كتاب الفضائل باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم ٠

(٦) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٥١٣ وما بعدها ٠

(٧) سورة الانفال الآية ٧٥ ٠

(٨) سورة الحجرات الآية ١٠ ٠

(٩) الورض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي القاسم ابن عبد الله الخثعمي السيهلي ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد نشر دار الفكر جـ ٢ ص ٢٥٢ ٠

وبهذه النصوص يتضح أن المؤاخاه ثابتة وأنها لحكم ظاهرة جليلة وأن الأمة جنت ثمارها وحققت للمهاجرين والأنصار معا مقاصدها ونسخ الله بكتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم التوارث على أساسها لدخول القرابات في الإسلام واستحقاقهم للإرث بالقرابة والدين، وقد عمم الله الأخوة بين المسلمين بنص كتابه وأوجب بينهم النصرة والنصح والتعاون على الحق والنصرة للمظلوم والأخذ على يد الظالم ·

فمن ادعى مؤاخاة بين أصحابه ومريديه خاصة من دون المسلمين وهو يعيش بين ظهرانيهم كان ذلك منه طعنا في منهجه وسلوكه ودليلا على عدم فهم نصوص الكتاب والسنة أو الاعتماد على هدي غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة يرعاها ولا مصلحة فيما خالف هدي الكتاب والسنة مهما درت على صاحبها من أحلاف وعصبيات · وخشية منه صلى الله عليه وسلم على أمته من الأحلاف والتعصبات قال فيما خرجه مسلم في الصحيح عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا حلف في الإسلام ···) (١) وحمل أهل العلم ما روي عن أنس رضي الله عنه من قوله لما سئل عن هذا الحديث : (حالف رسول صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داره التي بالمدينة) (٢) على المؤاخاه التى أوضحناها بالأدلة (٣) ويظهر أن حمل واقع القادرية على هذه الأحلاف المنهي عنها ظاهر لوجود الأخوة الإسلامية على العموم ، ولما يقعون فيه من التحزب والتعصب الصاد لصاحبه عن سماع الحق واتباعه في غالب مريديهم واجتماعهم على قول الشيخ دون طاعة الوالدين وصلته دون صلة القرابات والتعاطف مع مريديه بالحق وغيره دون جميع المسلمين وهذا من التميز المفضى بالأمة إلى الفرقة والتفرق إلى غير ذلك مما يذم ولا يحمد (٤) ·

وبهذا نختم الكلام في فصل السلوكيات لنصله بفصل العبادات التي هي من مظاهر التطبيق العملي للسلوكيات · والله أعلم ·

(١-٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم ·

(٣) انظر فتح الباري جـ ٤ ٤٧٢ . ٤٧٤ ·

(٤) موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية أحمد بن محمد بناني ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ ص ٢٥٧ . ٢٥٨ ·

الفصل الثاني

الفصل الثاني : العبادات والأوراد عند القادرية ونقدها على ضوء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم

ويشتمل علي تمهيد ومبحثين :

التمهيد : ويتناول مفهوم العبادة بصفة عامة والمراد بالعبادة هنا ٠

المبحث الأول : ويشمتل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الخلوة وآدابها ٠

المطلب الثاني : ركعات القادرية ٠

المطلب الثالث : النوافل الأخرى ومكانتها عند القادرية ٠

المبحث الثاني : الورد القادري ووظائفه ٠

ويشتمل هذا المبحث علي تقديم وأربعة مطالب ٠

التقديم : ويتناول نشأة الأوراد وأهدافها ٠

المطلب الأول : عمدة الورد القادري في التلقين ٠

المطلب الثاني : عمدة القادرية في الأذكار ٠

المطلب الثالث : مكانة الورد القادري عند الشيوخ وأثر ذلك علي الأتباع ٠

المطلب الرابع : وظائف الورد ٠

تمهيد :

(العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) (١) فعلى هذا يكون ما تقدم من دراسة ونقد للمسائل العقدية عند القادرية وما يأتي إن شاء الله تعالى كل ذلك داخل في مسمى العبادة إذ (الدين كله داخل في العبادة) (٢)

فعنوان هذا الفصل : (العبادات والأوراد عند القادرية على ضوء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يراد منه عموم العبادات والأوراد التي يتعبدون الله بها ويشاركهم فيها غيرهم من المسلمين حيث إنه قد تبين أن ذلك شامل للدين كله وإنما المراد ما اشتهر بين القادريين أنه يؤخذ عن الشيوخ باسم القربة إلى الله تعالى وأن الشيوخ هم السند فيه والواسطة حيث إنه لا بركة فيه ولا ثمرة إلا عن طريقهم وتلقينهم ولا يجوز إعطاؤه ولا التعبد به إلا بإذنهم سواء كان صلاة أو ذكرا أو هيئة . (٣)

والمقصود عرض مثل هذه الأمور على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم لنرى هل هي مشروعة بأصلها أم لا ؟ وهل أضيفت لها هيئات وخصائص تخرجها عن أصل مشروعيتها إن كانت مشروعة ؟ وما يلحق بذلك من دعوى الاختصاص والخصوصية والوقت والهيئة وتحديد الثواب لمن التزم والعقاب لمن قصر أو ترك .

وقد تناول مشايخ القادرية هذه الأمور كلها في مؤلفاتهم ويوجد تعارض بين كلامهم فيها يحتاج إلى بيان واضح فمنهم من يجعل ما يؤخذ عن الشيوخ من باب النذور والفرائض التي يجب أداؤها وإذا فات وقتها تعين قضاؤها ، ومنهم من يفتح الباب واسعا لتتبع الفضائل والإكثار من النوافل ، ومنهم من يقيد ذلك ويحذر من ادعاء الاختصاص وإعطاء الثواب بدون دليل شرعي ، ومنهم من يذكرنية تخص

(١. ٢) انظرالعبودية لابن تيمية ، مكتبة المعارف الرياض سنة ١٤٠٢ هـ ص ٤ و ٥ .

(٣) يوضح ذلك ما تقدم من البيعة وما يأتي إن شاء الله في مباحث هذا الفصل .

هذه الوظيفة أو هيئة تختص بها ومنهم من يشنع على ذلك ويجعله من البدع الإضافية ومنهم من يقع في تناقض واضح فيذكر استحسانه لأمر من هذه الأمور مرة ويحذر من مثله مرة أخرى وقد يكون منه ذلك في نفس الكتاب أو الموضوع الواحد .

وكل ذلك يزيد من صعوبة دراسة هذا الفصل وما اشتمل عليه من موضوعات على أهميته وخطورة الخلط فيه إذ إن مبنى الطريقة عند أهلها فيما يذكرون هو العبادة والذكر وما يساعد على التفرغ لذلك فإذا كان المبني عليه مختلفا فيه أو غير واضح المعالم للسائرين فما بني عليه كان الاختلاف فيه أكثر والغموض فيه أشد وبالتالي لا يكون له ثمرة أصلا وإن كانت له ثمرة كانت مشوشة ومرة لما يرافقها من الاختلاف على السالك والغموض في المسالك وبالبحث يتضح ذلك كله إن شاء الله تعالى .

المطلب الأول : الخلوة وآدابها

عرض : الخلوة هي عمدة المجاهدات والرياضات عند الصوفية بصفة عامة وتقدم لنا في ترجمة الشيخ عبد القادر أنه كان يلازم الخلوة في بداية أمره وأن مبنى السلوك عند القادرية الذكر في : (العكفة) والمجاهدة الشاقة للنفس .

وتقدم لنا أن القادرية تأخذ بتراث الصوفية في الغالب وتسلم به على علاته ومن ذلك اعتماد الخلوة في تسليكها والأخذ بآداب الصوفية فيها .

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي (باب في سنية الخلوة بالله وكيف كانت خلوات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ...) (١)

وقد نوه بالخلوة في عدد من كتبه وحث عليها (٢) واستعملها عند شيخه علي بن النجيب (٣) وأدخل من أراد تصديره الخلوة (٤) وأخذ بها من صدر عنه كابنه الشيخ سيدي محمد وشرح آدابها وفوائدها (٥) وكان الشيخ محمد فاضل مداوما عليها (٦) وأدخل بعض مريديه في الخلوة ومجاهداتها (٧) وأخذ بها من صدره منهم وقال الشيخ ماء العينيين إن أمرها متروك للشيوخ (٨)

يقول الشيخ سيدي محمد الكنتي في نقله عن والده لمجاهداته عند شيخه سيدي علي بن النجيب : (وأخذت عنه الأوراد القادرية وعملت على الرياضة قال : فأقمت سنة والشيطان ينازعني من داخل ثم أقمت سنة ينازعني عن شمالي ثم أقمت السنة الثالثة ينازعني من عن يميني ثم أقمت السنة الرابعة يخاطبني من بين يدي

---

(١) الجرعة الصافية والنفخة الكافية . مخطوط في زاويته بانواكشوط ص ٢ .

(٢) جذوة الأنوار ص ٣٦ . ٣٧ وفتح الودود ٥٦ وما بعدها . و ٢٨٢ وما بعدها .

(٣) الطرائف ص ٩٧ و ١٠٠ .

(٤) جنة المريد ص ١٣٧ . ١٤٨ .

(٥) الطرائف ص ٣٥٧ . ٣٧٩ والمصدر قبله .

(٦) الضياء ص ١٧٩ . ١٩٠ و ص ٢٣٣ . ٢٣٥ و ٣٥٩ .

(٧) نفسه ص ٣٢٧ . ٣٢٨ .

(٨) نعت البدايات ص ١٦ . ١٧ .

فلما مضت تلك السنة تنحى عني فكان لا يخاطبني إلا من بعد . قال : فلم أكتحل بغمض مدة تلك السنين ولم أضع جنبي إلى الأرض ولم أضحك بل كنت كلما وقع بصري على نائم اعتقدته ميتا أو على ضاحك اعتقدته مجنونا) (١)

وقال : (واتخذت التعليم خلوة للرياضة فكنت لا آوى إلى أحد ولا أخالطه) (٢)

ويقول الشيخ سيدي محمد أيضا : (فكان الشيخ رضي الله عنه لمهارته في باب التربية يأمر المبتدىء من أصحابه بالاختلاء بالكلمة الشريفة حتى يظهر له ما هو مختص به من الأسماء) (٣) وقال : (فقد كان شيخنا رضي الله عنه وأرضاه كثيرا ما يوصيني عند إرادة الدخول في الخلوة فيحذرني من أن أحدث النفس بالخروج بعد الأربعين ..) (٤) ويقول صاحب الضياء عن الشيخ محمد فاضل بنقله عنه : (فلقد كان قبل المراهقة يمكث الأسبوع والأسبوعين ابتداء والشهر والشهرين بعد ذلك لا ينام الليل ولا النهار ولا يشرب ولا يجالس الناس ولا يتحدث معهم وقد دخل خلوة عند (صالحين محمودة) مكث فيها تسعين ليلة ما نام فيها قط ولا أكل ولا شرب ولا كلم أحدا ...) (٥)

نقد : هذه بعض النصوص المصرحة بأن القادرية طريقة خلوتية سلك شيوخها الكبار هذا المسلك وسلكوا عليه وقد أوضحوا آداب الخلوة عندهم فقالوا بأنها تكون في مكان على قدر القامة لا منفذ فيه ولا يتسع لغير المختلي ولا يعلم بمكانه أحد ولا يخرج إلا للحاجة الإنسانية وما لابد منه وأن يراعي فيها من الآداب ما يراعي في المسجد من طهارة ووقار وسكينة واشتغال بذكر ، واستحضار صورة الشيخ وروحانيته ونفي الخواطر ، وأن لا يكلم إلا شيخه ويظهر له كل ما يرد عليه . (٦)

---

(١) الطرائف ص ٩٧ .
(٢) نفسه ص ١٠٠ و ٣٥٨ وما بعدها .
(٣) جنة المريد ص ١٤٣ .
(٤) نفسه ص ١٤٧ .
(٥) الضياء ص ٢٥٩ (يريد : صالحي محمودة) .
(٦) جنة المريد ص ١٣٦ - ١٤٨ .

قال الشيخ سيدي محمد الكنتي : (وقد اتجه الكلام هنا على الخلوة التي هي أحد الأركان الأربعة التي هي أساس سلوك المريدين بل يلزم عنها الثلاثة الباقية : الصمت إذ لا يأتي من أكثر الناس إلابالخلوة والعزلة فإن أضاف إليهما المريد الركنين الباقيين اللذين هما شرط الخلوة وهما الجوع والسهر ٠٠) (١)

قال الشيخ سيدي محمد الكنتي أيضا : (ويكون موضع الخلوة على طول القامة أو أطول قليلا لا يسع غيره ولا منفذ فيه وإن استطاع أن لا يطلّع عليها أحد فليفعل لأن الأمر مبني على السر والكتمان ، وأقلها ثلاثة أيام ثم أربعون الموسوية وهي أفضلها وأنفعها وهي رياضة الأنبياء وميادين الأولياء ٠٠) (٢) وبعد أن ينقل الشيخ سيدي محمد الكنتي عن والده نصاً طويلاً في سنية الخلوة وأسباب نجاح صاحبها فيها والعلل المؤدية به إلى الخسران ومايعترضه أثناء ها من تخيلات وتشكلات مرعبة ومشوشة ٠

يقول : (واعلم أن عفاريت الجن يعتنون بأصحاب الخلوات ليفسدوا عليهم ماهم بصدده من التبتل إلى الله تعالى والشغل بمناجاته التي هي غاية السعادات فيتغولون لهم ليفزعوهم حتى يصدوا وجوههم عن هذا المقصد العظيم ووجه إبطال حيلهم وقطع حبائلهم عدم المبالات بهم مع إدمان الذكر والحضور معه واحتقار أمرهم فإذا رأوا ذلك منه يئسوا فتركوا ذلك وأقبلوا على الوسوسه فإن وجدوا قلبه عامراً بذكر الله أحرقتهم أنوار الذكر فيفروا (٣) من سلم منهم وإن وجدوه خاليا خرابا أمكنتهم الفرصة فتمكنوا منه فلايزالون به حتى يفسدوا عليه ماهنالك فإذايئسوا من صاحب القلب العامرتحيلوا له بمحيئهم إياه في زي الصالحين ويتسمون له بأسمائهم ويخبرونه بالمغيبات (ويرونه) طي الأرض ويخيلون له البيت الحرام فلا يزالون به حتى (يروه)صفة الجنة والنار٠٠٠٠) (٤).

---

(١) جنة المريد ص ١٣٦

(٢) الطرائف ص ٣٨٠ ٠

(٣) الطرائف ص ٣٥٨ وما بعدها ٠ لعلها : (فيفر) ، ولعلها (ويورونه) ، ولعلها (ويوروه)

(٤) نفسه ص ٣٦٣ . ٣٦٥ ٠

ويؤيد ما في هذه النصوص من محاذير يعرض المختلي لها نفسه ماذكره الشيخ سيدي المختار الكنني نفسه في جذوة الأنوار فقال :

(٠٠٠٠ وليس طريق موت النفس بقطع جميع الأرماق عنها وردها إلى الاجتزاء بالحشيش والنخالة والمبالغة في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصوره وإرادته وترك الالتفات إلى مايحمد ومايذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا الباب طوائف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك إخلاص العبودية لربهم فأفضى بهم ذلك إلى اختلال عقولهم وانحلال قوى أبدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وما ذلك إلا لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف الأمة ٠٠٠) (١)

هذه بعض نصوص القادرية عن الخلوة والمجاهدات والرياضات الصوفية ويمكن إجمال مضامينها في النقاط الآتية :-

الأولى : اعتمادهم لهذا النوع من المجاهدات في طريقتهم ٠

الثانية : الاعتراف بخطورته على السالك في عقيدته وعقله ٠

الثالثة : تسلط العفاريت عليه ومحاولاتهم لاغوائه ٠

الرابعة : اتخاذ الأماكن المظلمة والموحشة للنفس كالقبور والكهوف والمغارات مقرا مفضلاً للاختلاء ٠

الخامسة : اعتماد آداب من تجارب المختلين الخاصة ٠

سادسا: ادعاء أنها من سنن الأنبياء والصالحين ٠

سابعا: تحديد مدد زمنية وربما أذكار وأقوال أخرى لا يشهد لها دليل واضح ٠

---

(١) جذوة الأنوار ص ٣٧ ٠ ٢

ثامنا : اشتراط صلاح النية لحصول الفائدة من الخلوة مع الاعتراف بأن كثيراً من الناس لا يدخل مثل هذه الخلوات إلا بعلة أو لعلة .

تاسعا: استحضار صورة الشيخ وإفشاء الأسرار له وحده والكتمان التام عن غيره .

ومما يترتب على هذه الخلوات وآدابها :

١) توعير الولاية بالمعنى الصوفي الخاص واحتكارها على المختلين من أصحاب الطرق المصارعين للعفاريت في الخلوات .

٢) الإقامة والتعبد في أماكن ورد الشرع بالنهي عن الإقامة فيها أو التعبد عندها .

٣) تضيع الفرائض والواجبات من الجمع والجماعات والمشاركة في التعاون على البر والتقوى والنفع العام .

٤) تعريض المسلم لعقيدته وعقله للفساد والتشويش إذ إن ما ذكروه مما يحصل للمختلي لا يمكن تميز الحق فيه من الباطل والتمويه وإن تمكن عالم أو عابد مسدد من الخروج بدون علة في عقيدته وعقله فلا يتمكن غيره من السالكين على هذه المجاهدات من ذلك .

٥) ثم إن غالب من اشتهر بمثل هذه الخلوات عرفوا لدى الناس بأنواع الرقي المشتبهة أو الشركية واستخدامات الجن وادعاء علم الغيب وأكل أموال الناس بالباطل وهذه أمور كلها منافية للوصول إلى الله والورع والصلاح . ومع هذا كله فإنه بمناقشة ادعاء سنية الخلوة يتضح أن ما بني على السنة لا يؤدي إلى هذه الأمور المذكورة .

القول بأن الخلوة من سنن الانبياء والمرسلين :

يستدل أهل التصوف على هذا القول بأمرين :

أولهما : أن موسى عليه السلام مكث على الطور أربعين ليلة بأمر الله تعالى ووعده

إياه ثم أعطاه التورة في الالواح *

قال الله تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربيعن ليلة ··) (٢)

قال ابن جرير : في رواية : (يعني ذا القعدة وعشرا من ذي الحجة وذلك حين خلف موسي أصحابه واستخلف عليهم هارون ، فمكث على الطور أربعين ليلة ، وأنزل الله عليه التورة في الألواح ـ وكانت الألواح من برد ـ فقربه الرب إليه نجيا وكلمه ، وسمع صريف القلم · وبلغنا أنه لم يحدث حدثا في الأربعين ليلة حتى هبط من الطور) (٣) · وقد ذكرالمفسرون ما جاء في خبر موسى في هذه الأربعين (٤) .
قال القرطبي : (والأربعون في قول أكثر المفسرين : ذو القعدة وعشرة من ذي الحجة) (٥) ونقل ابن عطية عن النقاس (··· فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام أنه عليه السلام واصل أربعين ليلة بأيامها) (٦) ونقل بسنده إلى الجوهري الامام الواعظ قال حدثني أبي رضي الله عنه قال : سمعت الإمام الواعظ أبا الفضل الجوهري رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى في الخلوة بالله ، والدنو منه في الصلاة ونحوه وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب) (٧)

قال القرطبي قلت : (وبهذا استدل علماء الصوفية على الوصال وأن أفضله أربعون يوما) (٨) .

---

* عوارف المعارف ص ٢٠٧ وما بعدها ·
(١) سورة البقرة الآية ٥١ ·
(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٢ ·
(٣) تفسير الطبري جـ ٢ ص ٦٢ ·
(٤) تفسير الطبري جـ ٢ ص ٦٢ وما بعدها والقرطبي جـ ١ ص ٣٩٤ ومابعدها و جـ ٧ ص ٢٧٤ وما بعدها ·
(٥) القرطبي جـ ١ ص ٣٩٥ ·
(٦) تفسير بن عطية جـ ١ ص ٢٩١ ·
(٧) نفسه ص ٢٩١ ·
(٨) القرطبي جـ ١ ص ٣٩٦ ·

ثانيهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلي في غار حراء يتحنث فيه (١) وقالوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) (٢) وقد جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بيانها لأول ما بدئى به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي قال : (أول ما بدئى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه . وهو التعبد . الليالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء •••) (٣) قال النووي : (أما الخلاء فممدود وهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين) (٤)

قال ابن اسحاق موضحا القصة كاملة : (فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به . إذا انصرف من جواره . الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بهاسبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره (ومعه أهله) ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى •••) (٥)

هذه هي أدلة القادرية على سنية الخلوة ، وقد حاولت توضيح ما استدلوا به بما نقلته من النصوص الواضحة ليكون نقدهم فيما ذهبوا إليه واضحا وسهلاً

---

(١) عوارف المعارف ص ٢١١ •

(٢) نفسه ص ٢٠٧ والحديث فيه متروك النسائي ومسند الشهاب جـ ١ ص ٢٨٥ • وانظر : المقاصد الحسنة ص ٣٩٥ •

(٣) البخاري كتاب بدء الوحي الحديث الثالث وصحيح مسلم كتاب الايمان باب بدء الوحي إلى رسول صلى الله عليه وسلم •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٩٨ •

(٥) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٥٣ وقوله : (ومعه أهله) لم نجدها لغيره •

وما استدلوا به يتلخص في أمرين :

١) أنهم استدلوا بما كان من موسى عليه السلام ٠ وقد كان ذلك أمرا خاصا به صلى الله عليه وسلم دون أخيه هارون وغيره من اتباعه من الأحبار وقومه وقد ثبت شرعا أن هذه الأمة غير مطالبة بالتعبد بأحكام الشرائع المتقدمة ، وكان السلف الصالح لا يتجاوزون الكتاب والسنة وما يستنبط منهما في الوقائع والنوازل وغير ذلك ولا يبحثون عن أحكام في الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين وما أمروا به ونهوا عنه (١) ٠

قال الإمام الشوكاني بعد نقله للأقوال في حكم التعبد بشرع من قبلنا من الأمم (وقد فصل بعضهم تفصيلا حسنا فقال : إنه إذا بلغنا شرع من قبلنا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم أو لسان من أسلم كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ولم يكن منسوخا ولا مخصوصا فإنه شرع لنا) (٢) ٠

وواضح أن الأمر لموسى من الله تعالى بالمكث مدة أربعين ليلة عند الطور خاص به لما بين القرآن الكريم والأخبار الصحيحة من إرادة الله تعالى لإكرامه وتكليمه وإعطائه الكتاب الذي فيه الحلال والحرام والشرائع الأخرى (٣)

على أنه جاء النهي الصريح من الشارع صلى الله عليه وسلم عن الاقتداء بغيره واتباع سنن غير سننه صلى الله عليه وسلم ونص على أن موسى عليه السلام نفسه لو كان حيا ما وسعه إلا إتباع محمد صلى الله عليه وسلم ٠

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيىء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أوتكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) (٤) فهذا الحديث وما في معناه وما هو أصرح منه كاف في الرد على من

---

(١) البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب توزيع دار الأنصار بالقاهرة ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ جـ ١ ص ٥٠٣ وما بعدها ٠

(٢) ارشاد الفحول ص ٢١١ ٠

(٣) القرطبي جـ ٧ ص ٢٧٤ وما بعدها ٠

(٤) مسند الإمام أحمد جـ١ ص ١٧٤ - ١٧٥ .

يريد التعبد بهدي غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وما فهموه من الوصال وعملوا عليه حتى وصل بعضهم فيه إلى حد الغلو والشذوذ المفضي بالأخذ به إلى الفتور أو الجنون مردود بما سنه النبي صلى الله عليه وسلم من النهي الصريح عن الوصال في الصيام وأنه إذا جاء الليل فقد أفطر الصائم وأنه من السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور .

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر) (٣) وقد جاءت الأخبار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن الوصال ووصف متجاوز ذلك النهي بالتعمق وطلب المساواة لنفسه بما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إياكم والوصال قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله قال : إنكم لستم في ذلك مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فأكلفوا من الأعمال ما تطيقون) (٤) ومن واصل من السلف أو أجاز الوصال بدليل ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تواصلوا ، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر ...) (٥) فإن عموم النهي الذي ذهب إليه الجمهور هو الحق والصواب وهو الذي يكون متبعه مستنا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومطيعا لأوامره ، وسالما من التعمق في الدين الذي ذمه الشرع الحنيف ولا تلحقه وصمة تكلف ما لايطاق ، ولا يخشى عليه من الملل والفتور أو العجز والانقطاع وكان موافقا لأمر القرآن الكريم في قوله جل وعلا : (ثم أتموا الصيام إلى الليل) (٦)

---

(١) مسند الإمام أحمد . الفتح الرباني جـ ١ ص ١٧٤ . ١٧٥ .

(٢) نفسه جـ ١ ص ١٧٤ . ١٧٦ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر .

(٤) نفسه الكتاب والباب .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب الوصال إلى السحر . الحديث رقم : (١٩٦٧)

(٦) سورة البقره الآية ١٨٧ القرطبي جـ ٢ ص ٣٢٩ .

٣) استدلالهم بتعبد النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل البعثة الشريفة ، وبما ذكر من الأثر السابق : من أخلص لله أربعين صباحا . والذي تقدم أن في سنده سوار بن مصعب وهو متروك (١) .

وما في شعب الايمان للإمام البهيقي بسنده إلى ذي النون من كلامه :(لم أر شيئا أبعث لطب الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم ير غير الله وذا لم ير غير الله لم يحركه إلا حكم الله ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن من أركان الصدق) (٢) .

وهذا النص في الإخلاص والإخلاص مطلوب دائما وليس في مدة أربعين صباحا فقط (٣) .

والاستدلال للخلوة الصوفية بما جبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم من اعتزال الشر وأهله وصيانة الله تعالى له وجذبه إليه بالفطرة غير سديد لأمور :

١) أن اللـه تعالى لم يأمرنا باتباعه والتأسي به في أفعاله وأقواله إلا بعد بعثته الشريفة ، وقد اختلف العلماء كثيرا فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله نبيا فمن قائل إنه لم يكن على شرع ومن قائل أنه كان على دين آدم أو نوح أو إبراهيم أو عيسى وكل وجه مما ذهب إليه لا يقطع به (٤)

قال الشوكاني : (وأقرب هذه الأقوال قول من قال إنه كان متعبدا بشريعة إبراهيم عليه السلام فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم كثير البحث عنها عاملا بما بلغ إليه منها كما يعرف ذلك من كتب السير وكما تفيده الآيات القرآنية من أمره صلى الله عليه وسلم بعد البعثة باتباع تلك الملة فإن ذلك يشعر بمزيد خصوصية لها فلو قدرنا أنه كان على شريعة قبل البعثة لم يكن إلا عليها) (٥) ولذا قالت أم المؤمنين

---

(١) المغني في الضعفاء والمتروكين للذهبي جـ ١ ص ٤١٦ رقم : (٢٧٠١)
(٢) شعب الايمان جـ ٥ ص ٣٥٣ .
(٣) مسند الشهاب للقضاعي جـ ١ ص ٢٨٥ . ٢٨٦ .
(٤) البرهان لإمام الحرمين جـ ١ ص ٥٠٦ . ٥٠٩ .
(٥) إرشاد الفحول ص ٢١٠ .

عائشة رضي الله عنها في الحديث المذكور : (حبب إليه الخلاء) قال الحافظ بن حجر قوله : (حبب) لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك وإن كان من عند الله ، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر ، أو يكون ذلك من وحي الإلهام) (١) .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتزل الشر وأهله في شهر رمضان من كل عام كما هو واضح من رواية ابن هشام عن ابن اسحاق وكان في مكان معروف على قمة جبل ينظر الواقف عليه إلى مكة كلها ، وكان صلى الله عليه وسلم يطعم من آوى إليه من المساكين ، فهو لم يترك الناس بالكلية وإنما اعتزل الشر وازداد في عمل الخير ثم إنه صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه الشريف كان يخالط الناس ويذهب إليهم في أماكنهم ليدعوهم إلى الله تعالى ويعلمهم وكانت عزلته للشربالقلب واللسان والعمل وهو مقيم بين أظهر الناس ففي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم : (كان لايقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم) (٢) وقد سن النبي صلي الله عليه وسلم لأمته الاعتكاف في المساجد بفعله وإقراره وتبعه على ذلك أصحابه والصالحون من أمته صلى الله عليه وسلم وتتأكد سنيته في رمضان وفي العشر الأواخر منه آكد (٣) وبين العلماء فضل الاعتكاف وحكمه وأسراره وآدابه وما يبطل به ، وأقله وأكثره (٤) ولم يسموه خلوة ولم يقولوا بأنه يتعين أن يكون في مكان مظلم قدر القامة لا منفذ فيه وأن أمره مبني على الكتمان وأنه من الأسرار إلى غير ذلك مما ذكر من شروط في الخلوة الصوفية على أن القادرية يخلطون في أوصاف الخلوة وشروط الاعتكاف حتى إن الأمر يتداخل عندمن لا يريد التمييز أولا يحسنه ، وكأنهم يسوون بين الاعتكاف المشروع والعزلة المرغب فيهما

---

(١) فتح الباري جـ ١ ص ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاة بعد الصبح وفضل المساجد .

(٣) انظرصحيح البخاري كتاب الاعتكاف وصحيح مسلم كتاب الإعتكاف مع النووي جـ ٨ ص ٦٦ - ٧١ .

(٤) المغني لابن قدامة ، مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٤٠٠ هـ جـ ٣ ص ١٨٣ - ٢١٦ وزاد المعاد لابن جـ ٢ ص ٨٦ - ٩٠ .

فيها عند الفتن وفساد الزمن وبين الخلوة التي هي من أعمال أهل الدجل الطالبين لمصاحبة الشياطين أو الاشراقين من الفلاسفة الذين لا دين لهم ولا أحكام تقيدهم أو المجاذيب الذين لا تميز عندهم ·

أما من تقيده الأحكام الشرعية ويمكن أن يفيد أو يستفيد فإنه لا تشرع له الخلوة ولا يصح له التعبد على طريق من لا دين له أو لا تميز له لأمور :

أولاً : لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الانفراد والوحدة في السفر للجهاد وغيره من الأمور المشروعة أو التي هي من أعظم القرب كالحج والسعي في الأرض طلبا للحلال ·

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده) (١) وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال : (كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية · فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان) فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض ، حتى يقال : لو بسط عليهم ثوب لعمهم) (٢)

ثانيا : إن الذين خرجوا أحاديث العزلة وشرحوها قد خرجوا أيضا أحاديث فضل الاختلاط بالناس والصبر على أذاهم ، وقوى بعضهم حجج القائلين بأن الخلطة أفضل من العزلة أو أن الناس في ذلك مختلفون فقد يفتح على شخص في باب لم يفتح لغيره ، على أن العزلة لا تتأكد إلا في حق الضعيف في حال الفتن · (٣)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب السير وحده ·

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته ، الحديث رقم : (٢٦٢٨) ·

(٣) انظرالتمهيد لابن عبد البر ج ١٧ ص ٤٣٩ ـ ٤٥٠ وإحياء علوم الدين ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ·

ثالثا : وهذا ما رجحه النووي قال : (باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعتهم ، ومشاهد الخير ، ومجالس الذكر معهم ، وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم ، وارشاد جاهلهم ، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذي . واعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكذلك الخلفاء الراشدون ، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين واخيارهم وهو مذهب أكثر الفقهاء رضي الله عنهم أجمعين .) (١) ويؤيد ما قدمناه حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند أحمد في المسند : (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الوحدة وأن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده) (٢) .

رابعا : واقع شيوخ القادرية ومقدميها يخالف متطلبات العزلة وحب الخمول على ما تقدم في تراجمهم وبيان أحوالهم . إذ هم منغمسون مع أصحاب الدنيا ويخدمهم مع ذلك من أطاعهم من الناس .

والله أعلم .

---

(١) رياض الصالحين باب فضل الإختلاط بالناس .

(٢) الفتح الرباني ج ١٤ ص ٢٤٦ وقال الهيثمي (رجاله رجال الصحيح) .

المطلب الثاني : ركعات القادرية

عرض :

المراد بركعات القادرية ست ركعات بين المغرب والعشاء بنية التقرب إلى الله تعالى وحفظ الإيمان والسلامة من أهوال يوم الحشر وقضاء الحاجات ٠

ويقرأ المصلي في **الاولى** بعد فاتحة الكتاب سورة الكوثر ست مرات ٠

وفي **الثانية** بعد الفاتحة سورة الكافرون ست مرات أيضا ٠

ويقول في سجودهما (٠٠ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) (١)

ويصلي الوسطين يقرأ في الأولى منهما بعد الفاتحة سورة الإخلاص ست مرات وفي الثانية بعد الفاتحة بالمعوذتين مرة واحدة ٠ ويقول في سجودهما : (اللهم إني استودعك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي) ٠

ثم يدعو بدعاء الاستخارة (٢) إلا أنه يقول في دعائه : (اللهم إن كنت تعلم أن كلما أتحرك بـه من ساعتي هذه إلى مثلها في حقي وحق غيري خير لي في ديني ودنياي ٠٠٠) (٣) .

ثم يصلي الأخيرتين فيقرأ في الأولى بعد فاتحة الكتاب آية الكرسي وفي الثانية بعد الفاتحة (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله إلى آخر السورة) (٤) ويقول في سجودهما : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) (٥) ويدعو بدعاء الاستخارة أيضاً (٦)

---

(١) سورة طه الآيتين ٢٥ . ٢٦ ٠

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ٠

(٣) الكوكب الوقاد ص ١٧٤ ونعت البدايات ص ٢٠٤ ٠

(٤) آخر سورة الحشر من الآية ٢١ . ٢٤ ٠

(٥) سورة آل عمران الآية ٨ ٠

(٦) الكوكب الوقاد ص ٨٨. ٨٩ و١٠٩-١١٠ و١٧٣- ١٧٤ والفتح الباطني والظاهري ص ١٤. ١٦ .

وهذه الركعات من أساسيات ورد القادرية بهذه الصفة المذكورة وهذه الصفة مختلفة نوعا ما عن الصيغة التي أوردها الشيخ عبد القادر في الغنية في : (فصل : فضل الصلاة بين العشائين) (١) ولكنهم يقولون بأن الشيخ عبد القادر تؤخذ من عنده أربعون طريقا مشهورة وغير المشهور لا يعد لكثرته ...) (٢) وذكر ورد الركعات الست بعد المغرب كل من الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه الشيخ سيدي محمد والشيخ ماء العينيين والشيخ التراد وغيرهم من مؤلفي القادرية وشيوخها .

قال الشيخ سيدي المختار الكنتي بعد ذكره لبعض فضائل الصلاة بالليل ومدح الله تعالى للمحافظين عليها .. (والذين تتجافى جنوبهم هم المجتهدون بالليل الذين يحيونه بالصلاة والذكر والفكر قال أنس بن مالك نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع رسول صلى الله عليه وسلم (٣) إلى أن قال : وعلى هذا الأصل بنت القادرية رضوان الله عليهم مذهبا فجعلتها في أثناء وردها) (٤) .

وقال : (وفي كتاب الفتح الجلي في مناقب الجيلي لابن باديس أن الجيلي رضي الله عنه كان يأمر تلاميذه بالمواظبة على هذه الركعات الست ويقول لهم : أقل صلاة الأوابين ركعتان وأفضلها ست ركعات وأكثرها عشرون ركعة ...) (٥) وذكرها في فصل الأذكار والدعوات في كتابه المنة في اعتقاد أهل السنة (٦) وفصل القراءة فيها والأدعية والآداب التي تصاحبها في شذرات الأذكار المختارية (٧) وقال الشيخ سيدي محمد في الغلاوية :(إن والده لقن عبد الله بن سيدي محمود عندما صحبه وهو في طريقه إلى الحج : (الأذكار والأدعية والركعات ..) (٨) وفصل القول فيها الشيخ ماء العينيين في أثناء الورد القادري في نعت البدايات (٩) وضمنها الشيخ التراد أوراده التي قال فيها بأنها من أعلا أوراد الاعتدال والكمال والنفل . (١٠) .

---

(١) الغنية جـ ٢ ص ٨١ وما بعدها .
(٢) نعت البدايات ص ٢٠١ .
(٣) يأتي تخريجه في أثناء النقد الآتي إن شاء الله .
(٤) الكوكب الوقاد ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٥) نفسه ص ٩٤ .
(٦) المنة ص ١١٥ .
(٧) المصدر المذكور ص ١٠ ـ ١١ .
(٨) الغلاوية ص ١٣ .
(٩) المصدر المذكور ص ٢٠٤ .
(١٠) نيل المراد المقدمة ص ل و ص ٢ .

وبناء على اعتماد هذه الركعات في الورد القادري وأخذها من الشيوخ فإنها عندهم واجبة كالفرائض ويجب قضاؤها ويجب فيها من الطهارة ما يجب للصلاة المفروضة ٠

قال الشيخ سيدي المختار الكنتي في جواب من سأله عن الركعات وحكمها : (وأما قولك هل لمن عدم الماء وكان حاضرا صحيحا التيمم لركعات الورد كالفرائض ؟

فالجواب : إن حكم أوراد السلف حكم الفرائض لأنها فرائض بالالتزام والعهود والنذور ٠

وأما قولك هل على من فاته وقت الورد إعادته أم لا ؟

فالجواب : أنه تجب عليه إعادته إذ حكمه حكم الفريضة ٠٠) (١)

نقد :

هذه بعض نصوص القادرية في ركعات الورد القادري ويؤخذ منها ما يأتي :

١) اعتماد صلاة في وقت مخصوص وبأدعية مخصوصة وقراءة مخصوصة ٠

٢) القول بوجو بها كالفرائض وإيحاب قضائها ٠

٣) ذم المقصر في أدائها واتهامه بتضيع الواجب والتفريط في المتعين حسبما في كتبهم ٠

٤) القول بأن الأخذ عن المشايخ يجعل المأخوذ قربة وعبادة بالعهود والنذور كالفرائض ٠

وقد تضمنت هذه النصوص أموراً جائزة ومشروعة بأصلها وبعضها ورد الحث عليه من الشارع ومن ذلك ما يأتي :

١) مشروعية صلاة النافلة والإكثار منها ما لم يحصل بذلك تضيع واجب ، ووقعت هذا الركعات وقت يباح فيه النفل على العموم ويستحب فيه التنفل (٢) ٠

٢) ويجوز تكرير سور في ركعة واحدة وخصوصاً ما ورد فيه نص كسورة الإخلاص (٣)

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٢٧ ٠

(٢) المغني لابن قدامة المقدسي مكتبة الرياض الحديثة جـ ٢ ص ١٤٠ ٠

(٣) صحيح مسلم ، فضائل القرآن الكريم باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٠

٣) وصلاة الاستخارة ودعاؤها (١) وتكرار ذلك بعد كل تسليمة من ركعتين (٢)

ونلاحظ هنا قبل الدخول في دراسة استدلالهم على هذا الورد وعمدتهم فيه ما يأتي :

أ) أنهم أدخلوا فيه صلاة الاستخارة (وهي من غير الفريضة) والامر بصلاة ركعتين قبل دعاء الاستخاره ليس للوجوب أصلا قال الحافظ بن حجر (ودل على عدم وجوب الاستخارة ما دل على عدم وجوب صلاة زائدة على الخمس) في حديث : (هل علي غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع) (٣)

ب) أنهم عدلوا عن بعض دعاء الاستخارة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن وهذا مشعر بتعين المحافظة على ألفاظها وعدم استبدالها بألفاظ محدثة من عند المستخير (٤) ٠

جـ) والعبارة التي أحدثوها في نص دعاء الاستخارة على ما فيها من العدول عن الدعاء النبوي خالفت نفس ألفاظ النص : (ومراده وسببه) حيث إن الدعاء فيه (إذا هم) وفيه (هذا الأمر) وفيه (ويسمي حاجته) وفي لفظ (ثم يسميه بعينه) وعبارتهم تقول : (اللهم إن كنت تعلم أن كلما أتحرك به من ساعتي هذه إلى مثلها في حقي وحق غيري خير لي في ديني ودنياي ٠٠٠ قال المختار الكنتي ٠٠٠ (لأنه في هذا المحل لم يقصد لأمر معين) (٥) وهذا هو محل الخلل في استحداث هذه العبارة لأن الاستخارة سنة في جميع الأمور المباحة أو المندوبات التي لا يعرف وجه الخير في أحد طرفيها ٠

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ٠

(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ١٨٥ ٠

(٣) فتح الباري جـ ١١ص ١٨٥ ويأتي الحديث المذكور إن شاء الله تعالى ٠

(٤) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها . شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد عبد الله بن أبي جمرة دار الجيل ط ٣ ١٩٨٤ م جـ ٢ ص ٨٧ ٠

(٥) الكوكب الوقاد ص ١١٠ ٠

أما المحرمات والواجبات والمكروهات فلا يستخار فيها وأما الأمور التافهة فلا يشغل الانسان بها وقته ويكفي الإنسان في هذا كله دوام الدعاء بالتوفيق والسداد (١) ٠

د) ثم إنه من الخطإ نسبة هذه العبارة إلى الشيخ عبد القادر إذ إن أوثق كتبه التي يعتمد عليها في أخذ أوراده وسلوكه هو كتاب الغنية والذي أورده فيه هو رواية جابر لصلاة الاستخارة ودعائها ولم يغير في الرواية شيئا (٢) وأضاف بعد نص الحديث ما يدل على عدم إطلاق الاستخارة كما في العبارة التي قدمناها عنهم قال : (فينبغي لكل أحد إذا تحقق عزمه على الخروج إلى وجه من سفر التجارة أو حج أو زيارة أن يقول عقب الركعتين) ٠ وجاء بدعاء طويل من عنده يتضمن معاني أدعية كثيرة (٣)

و) ومن الخطإ كذلك نسبة إدخال دعاء الاستخارة في صلاة الركعات الست أو الصلاة ما بين العشائين للشيخ عبد القادر فإنه مع ما ذكر في هذا الموضوع مما لا يليق به ذكره وما عاب به أهل العلم بالرواية به كتابه فانه لم يذكر هذه الاستخارة التي ذكروها منسوبة إليه في كتاب الغنية (٤) ٠ والذي يظهر من مقارنة نقل القادرية في هذه الركعات بما في أحياء علوم الدين وما في الغنية يجد أنهم نقلوا عن هذين الكتابين أو من نقل عندهما في الفضائل على العموم وفي هذه الركعات على الخصوص ٠

ومعلوم أن الغزالي والجيلي ليسا ممن تصدى لنقل السنة وليسا ممن التزم الصحة فى كتبهم ولا ادعيا ذلك وفضائل الأعمال قد توسع الناس في تجويز العمل بما ينقل فيها حتى كأنه لم يكن هناك ضابط لحد ذلك التوسع ٠

---

(١) بهجة النفوس وهو : جمع النهاية في بدء الخير والغاية المصدر السابق ٨٧ ـ ٨٨ وفتح الباري جـ ١١ ص ١٨٦ ٠

(٢) الغنية جـ ٢ ص ١٤٥ وصحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ قل هو القادر ﴾ الفتح جـ ١٣ ص ٣٧٥ ٠

(٣) الغنية جـ ٢ ص ١٤٥ ٠

(٤) فتح البارى جـ ١١ ص ١٨٥ ويأتي الحديث المذكور إن شاء الله تعالى ٠

وهذا في ميدان العبادات وما يتقرب به إلى الله تعالى رآه بعض العلماء مذموما ورآى بعض العباد والزهاد أنه محمود بشروط ولكن هذه الشروط لم يلتزم الناس بها فعملوا بالموضوعات وتتبعوا النوافل والفضائل حتى عجزوا عن الفرائض ووقعوا في البدع والخرافات وفرضوا على الناس بالمنامات فرائض وحدوا لأتباعهم الثواب والعقاب بدون دليل من الشارع (١)

قال ابن الجوزي في الموضوعات : باب ثواب من بلغه حديث فعمل به :

وساق بسند الحديث إلى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من بلغه عن الله عز وجل شيىء فيه فضيلة فأخذ به إيمانا به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك) .

ثم قال ابن الجوزي : (هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكن في إسناده سوى أبي جابر البياض . قال يحي : وهو كذاب .

وقال النسائي : متروك الحديث وكان الشافعي يقول : من حدث عن أبي جابر البياض بيض الله عينيه) (٢) وممن عمل بهذا الحديث الموضوع وتوسع في ذكر كل ما سمع في الفضائل أهل التصوف عموما والإمام الغزالي خصوصا ويظهر ذلك في هذه المسألة بالذات حيث إنه ذكر في فضائل هذه الركعات وما يقرأ فيها وما يثاب به المواظب عليها أشيا ء كثيرة حتى ذكر فيها رواية عن الخضر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وتبعه على ذلك الشيخ عبد القادر الجيلي في الغنية فنقل كثيرا مما نقله الامام الغزالي في الاحياء وتبعهما على ذلك من جاء بعدهما نقلا وعملا ومن الناقلين والعاملين القادرية في موريتانيا .

---

(١) انظرشرح حزب الإمام النووي لأبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الشرقي ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي دار الإمام مسلم ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ ص ٩٨ وما بعدها .
وعلم الحديث لأبن تيمية ص ١٥١ وما بعدها .

(٢) الموضوعات جـ ١ ص ٢٥٨ .

أما ما نقله الغزالي في الاحياء فقد تتبعه العراقي ونسبه إلى من رواه وخرجه وكان حكمه عليه يتراوح بين قوله :

ضعيف ، منكر، باطل لا أصل ، مرسلا ، بلا سند ، فيه فلان متروك ، متهم بالوضع • (١)

ومع هذا فإنه ينبغي أن نأتي هنا بأحسن ما استدل به على هذا الورد من السنة المخرجة في الكتب المشهورة كالمسند والسنن لنعرف درجة الاستدلال بها •

١) فعن عبيد مولى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وسئل أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة بعد المكتوبة ؟
قال : نعم بين المغرب والعشاء) (٢) (ومدار طرقه كلها على رجل لم يسم وبقية رجال أحمد رجال الصحيح) (٣)

٢) وخرج الإمام أحمد بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في فضائله أنه قال : قالت لي أمي متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وسلم : قلت ما لي به عهد منذ كذا وكذا قال : فهمت بى قلت يا أماه دعينى حتى أذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلا أدعه حتى يستغفر لي ويستغفر لك قال : فجئته فصليت معه المغرب فلما قضى الصلاة قام يصلي فلم يزل يصلي حتى صلى العشاء •••) (٤)

٣) وخرج الترمذي هذا الحديث مرة للاستدلال به على جواز صلاة راتبتي المغرب في المسجد بصيغة التمريض بقوله :(وقد روي عن حذيفة (٥) وخرجه مرة أخرى بسنده كاملا في مناقب الحسن والحسين وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل) (٦)

---

(١) إحياء علوم الدين وبذيله كتاب : المغنى عن حمل الأسفار في الاسفار في تخريج ما في الإحياء من الاخبار جـ ١ ص ١٧٨ و ٣٠٢ و ٣١١ . ٣١٢ •

(٢) الفتح الرباني جـ ٤ ص ٢١٤ •

(٣) نفسه والمغني عن حمل الأسفار المصدر السابق جـ ١ ص ٣١٢ •

(٤) الفتح الرباني جـ ٢٢ ص ٢٢١ •

(٥) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي ط ١ ١٤١٠ هـ جـ ٣ ص ١٨١ •

(٦) نفسه جـ ١٠ ص ١٩٣ . ١٩٤ •

قال الساعاتي في الفتح الرباني : (واسرائيل هذا هو ابن يونس ابن أبي إسحق السبيعي الهمداني أبو يوسف الكوفي من رواة السنة قال أحمد : ثقة ثبت وقال أبو حاتم صدوق من أتقن أصحاب أبي إسحاق كذا في الخلاصة وقال في التقريب ثقة تكلم فيه بلا حجة) (١)

قال الذهبي : إسرائيل بن يونس ، أحد الثقات الأعلام • قال ابن سعد : منهم من يستضعفه) (٢)

٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق أهل المسجد) (٣) قال في معالم السنن (في أسناده يعقوب بن عبد الله ، وهو القمي ليس بالقوى) (٤) وعندي أن إطالة القراءة في هذا الحديث إذا أخذ به كان فيه بيان لحديث حذيفة المتقدم حيث إنه لم يذكر فيه عدد ركعات وإنما قال : قام يصلي فما زال يصلي حتى صلى العشاء •

٥) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في هذه الآية : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (٥) قال : كانوا يتيقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون ، وكان الحسن يقول : قيام الليل وعنه رضي الله عنه في قوله عز وجل ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ (٦) قال : كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء زاد في حديث يحيى : وكذلك (تتجافى جنوبهم) (٧)

قال العراقي : بأن فيه اسماعيل بن أبي زياد وهو متروك يضع الحديث كما قال الدار قطني (٨) وجزم بوضعه الالباني عند الحديث : عليكم بالصلاة بين العشاءين ، فإنها تذهب بملاغاة أول النهار ، وتهذب آخره) (٩)

---

(١) المصدر المذكور جـ ٢٢ ، ٢٢١ •

(٢) المغني في الضعفاء للإمام الذهبي ، نشر إحياء التراث بقطر جـ ١ ص ١٢٦ الرقم ص ٦١٣ •

(٣) سنن ابى داود جـ ٢ ص ٧٠ •

(٤) نفسه جـ ٢ ص ٧٠ •

(٥) سورة السجدة الآية ١٦ •

(٦) سورة والذاريات الآية ١٧ •

(٧) نفسه جـ ٢ ص ٧٩ •

(٨) المغني عن حمل الاسفار جـ ١ ص ٣٠٢ •

(٩) سلسلة الاحاديث الموضوعة جـ ٢ ص ١٢٧ •

وهذا الحديث الموضوع أول حديث ينقل حثا منسوبا إلى الشارع على الصلاة في هذا الوقت بعد حديث عبيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم المتقدم .

٦) ومن المنقول في تحديد عدد وثواب عليه ما خرجه ابن ماجه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في باب ما جاء في الصلاة بين المغرب والعشاء . قال بسنده : (عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة) (١) وقال بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن بسوء عدلن له عبادة اثنتي عشرة سنة) (٢)

قال السندي : إن الروايتين ضعيفتين لما فيهما من الكذابين مثل عبد الوهاب واسماعيل بن عياش ، ويعقوب بن الوليد الذي اتفقوا على ضعفه وقال : قال فيه الإمام أحمد : من الكذابين الكبار وكان يضع الحديث) (٣)

٧) وخرج ابن الجوزي في الموضوعات بسنده إلى أبان عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم : (من صلى بعد المغرب اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد أربعين مرة ، صافحته يوم القيامة ومن صفحاته يوم القيامة أمن الصراط والحساب والميزان) قال وهذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه مجاهيل وأبان ليس حديثه بشيء) (٤)

وفي هذا الموضوع آثار وأخبار كثيرة مرفوعة وموقوفة وقد ذكرت هنا ما رأيت أنه أحسنها حالا يقابله من الموضوعات مايعكر ما فيه من الحسن وخصوصا ما ذكر

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٤١٤ . ٤١٥ .

(٢) نفسه جـ ١ ص ٣٥٥ . ٣٥٦ .

(٣) نفسه جـ ١ ص ٣٥٥ . ٣٥٦ و ٤١٤ . ٤١٥ . أنظر الحكم على هؤلاء في المغني في الضعفاء جـ ١ وص ١٣٩ و ص ٥٨٦ و جـ ٢ ص ٤٣٣ ويأتي التفصيل في الحكم على اسماعيل بن عياش .

(٤) الموضوعات لابن الجوزي جـ ٢ ص ١١٩ .

فيه منها عدد معين أو قراءة معينة أو رتب عليه ثواب محدد ، وهذه هي الأمور التي خرج بها هذا الورد عن السنة والجادة إلى العمل بالموضوع والضعيف أو الاخبار المجهولة وكل ذلك وضع بالرأي لا يكون صاحبه عاملا بقربة أو مستنا بسنة .

ولما تتبع الامام الشوكاني هذا الموضوع في كتابه نيل الأوطار خلص إلى الخلاصة التالية قال : (والآيات والأحاديث المذكورة في الباب تدل على مشروعية الاستكثار من الصلاة ما بين المغرب والعشاء ، والأحاديث وإن كان أكثرها ضعيفا . ويريد ما ذكره هو . فهي منتهضة بمجموعها لا سيما في فضائل الأعمال) (١)

ونفس النتيجة خلص إليها الساعاتي في الفتح الرباني قال : (الاحكام) : أحاديث الباب مع ما ذكرنا في الشرح تدل على استحباب الإكثار من النوافل بين المغرب والعشاء ، وإن كان أغلب ما ورد في الزيادة على ركعتين ضعيف لكنه ينتهض بمجموعه لا سيما في فضائل الأعمال ، والمؤكد من ذلك ركعتان بعد المغرب لورد الأحاديث الصحيحة بذلك ...) (٢) . وعندي أن استحباب الإكثارمن النوافل على العموم حاصل بدون هذه الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة ضعفا شديدا بحيث لا تنتهض بمجموعها إلى تحصيل ندب أو فضيلة جديدة فكيف تنتهض إلى الاستدلال بها على الصورة التي ذكرتها القادرية أو ترتيب الثواب المدعى بها .

والأحاديث الصحيحة تغنى عن غيرها في هذا الباب (فعن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غيرفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : صليت مع رسول الله صلى عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين وبعد العشاء سجدتين

---

(١) نيل الأوطار ط الكليات الأزهرية جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) الفتح الرباني جـ ٤ ص ٢١٥ .

وبعد الجمعة سجدتين فأما المغرب والعشاء والجمعة فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته) (١)

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) (٢)

وهذا وتر النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته بالليل حضرا وسفرا محفوظة في الصحاح والسنن فمتابعته عليها والمداومة عليها من خير الأوراد وأصح القرب وأوجب السنن واكدها ٠

فإنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر من النافلة ما شاء الله ويترك العمل وهو يحب أن يعمله مخافة أن يفرض على أمته ، روت عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته) (٣) وقد نوع صلى الله عليه وسلم النوافل فطول تارة واختصر تارة ، وحافظ على الرواتب حتى تحفظ عنه ويحافظ عليها ، وحافظ على الوتر وركعتي الفجر في السفر والحضر حتى قال بعض أهل العلم بوجوب الوتر ، ويجوز إطلاق لفظ الوجوب على السنن المؤكدة كالوتر لمداومة النبي صلى الله عليه وسلم عليه ولأمره به ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المخرج في السنن (عن أبى أيوب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الوترحق ٠٠) (٤) وقد بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه المراد بهذا الحديث فقال : (الوتر ليس بحتم كهيئة المكتوبة ولكنه سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب . صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل السنن الراتبة . ٠
(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتحقيقهما والمحافظة عليهما
(٣) صحيح مسلم باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ٠
(٤) النسائي جـ ٣ ص ٢٣٨ ٠
(٥) نفسه جـ ٣ ص ٢٩٩ وزاد المعاد جـ ١ ص ٣٠٧ . ٣١٨ ٠

فعن أبي سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة قال : هل علي غيرهن قال لا إلا أن تطوع ٠٠) (١)

فمن أوجب على أحد بعد ذلك صلاة وأوجب عليه اعادتها كالفرائض المكتوبة كان منصبا لنفسه مشرعا وعالما بالثواب على الأعمال ، وهذا من البدع الكبيرة المنافية للولاية واتباع السنة ٠

أما من استحب للناس المداومة على ما اعتادوه من الخير وتداركه إذا فات بنوم أو عذر على ضوء قول الله تعالى : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) (٢) فهذا مما يحمد فاعله ويحث عليه إلا إن خلطه بغيره من البدع أو الهيئات المخرجة له عن حد السنة سواء ادعا أنه نذر أو أنه أخذه بالعهود والمواثيق عن المشايخ أو أن بركته لا تحصل إلا على هذه الهيئة (٣) لأنه لا وفاء لنذر في معصية ومن المعصية اختراع عبادة على هيئة معينة وإعطاؤها لعباد الله على وجه الوجوب والنذر٠ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه) (٤) فمن خلط في نذره طاعة بمعصية أمر بترك المعصية والوفاء بالطاعة (٥) فالايجاب والتحريم والاستحباب من الأدلة الشرعية التي لا

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان باب بيان الصلوات التي هي اركان الاسلام ٠

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٢ ٠

(٣) الموافقات في أصول الاحكام الشاطبي ، دار الفكر سنة ص ١٣٤١ هـ ٠ جـ ١ ص ١٦٨ - ١٦٩ ٠

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الايمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية الحديث رقم : (٦٧٠٤)

(٥) انظر حاشية السندي على سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٦٥٥ ٠

تثبت إلا بنص من الشارع الحكيم ولو عمل الناس على إثبات الأحكام بغير دليل لكانوا مشرعين من دون الله تعالى وحتى لو قلنا بالتساهل في فضائل الأعمال لوجود ما يشهد أن الله تعالى يحبها ويرضاها .

قال شيخ الإسلام بن تيمية : (فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي ، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملا من الأعمال من غير دليل شرعي ، فقد شرع من الذين ما لم يأذن به الله كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم ... فإذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديرا وتحديدا مثل صلاة في وقت معين بقراءة معينة ، أو على صفة معينة لم يجز ذلك ، لأن استحباب هذا الوصف المعين لم يثبت بدليل شرعي) (١)

ولم تثبت صلاة بعد المغرب عن الشارع على الهيئة التي تعبدوا الله عليها بهذه الركعات وما يرافقها من الهيئات وما رتب عليها من الثواب ، إنما ثبت أن للمغرب راتبة هي ركعتان في البيت ، وأن من سنتها أن لا يتكلم بينها وبين المغرب كما روي عن الإمام أحمد (٢)

وأما مجرد الحث على الصلاة وكثرة السجود لله تعالى في جميع الأوقات التي يباح النفل فيها فيكفي فيه حديث ثوبان المخرج في الصحيح وغيره أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل يحبه الله أو يدخله الله به الجنة قال فقال لى (عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة) (٣) وكذلك حديث ربيعة بن كعب الأسلمي لما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم مرافقته في الجنة قال له : (فأعني على نفسك بكثرة السجود) (٤) .

والله أعلم .

---

(١) علم الحديث لابن تيمية ص ١٥١ ـ ١٥٤ .

(٢) المسند مع الفتح الرباني جـ ٤ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ وزاد المعاد جـ ١ ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه .

(٤) نفس الكتاب والباب .

المطلب الثالث : النوافل الأخرى وما اشتملت عليه ومكانتها

تقدم لنا سؤال اللمتوني للسيوطي عن كتب دخلت البلاد فيها أحاديث كثيرة لا يعرف سندها ، فهل يجوز العمل بها ؟

وأجابه السيوطي بأنه يتعين التحفظ من رواية ما لايوجد في كتب السنة المشهورة (١) وقد سبق إلى هذا التحذير القاضي أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذي ولكن بعض الناس لم يستجب إلى هذا التحذير فروى وعمل بما لا تجوز روايته إلا مع بيان حاله حيث إنه إما موضوع أوواه لا يجوز العمل به ولو في الفضائل ، ومن الذين اعتمدوا الكتب التي تشتمل على مثل هذه الأحاديث القاردية وخصوصا في فضائل الأعمال كصلاة النوافل والأسابيع وصلاة رأس العام ورجب وغير ذلك ويظهر أن أهم مصدر لهم في ذلك إحياء علوم الدين للغزالي والغنية للشيخ عبد القادر . (٢)

أما الغزالي فقد ذكر في فضائل صلاة أيام الأسبوع ولياليه أحاديث تتبعها العراقي وكانت أحكامه عليها تتراوح بين ضعيف وضعيف جدا أو لا إسناد له أولا أصل له أو منكر أو فيه فلان كذاب . (٣)

وقد تتبع ابن الجوزي هذه الأحاديث في كتابه الموضوعات وقال في أحكامه عليها مثل ما قال العراقي في المذكور في الاحياء وقال : (وقد ذكر صلوات الأسبوع أبو طالب المكي وتبعه أبو حامدالغزالي وكل ذلك لا أصل له) (٤) وبما أن القادرية مسلمة بما في هذه الكتب المذكورة فقد ذكر بعضهم هذه الصلوات في أوراده وذكر من فضائلها ما يحث به مريديه للعمل بها (٥) ولكن نجد للشيخ سيدي المختار الكنتي

---

(١) الحاوي للفتاوى جـ ١ ص ٢٩٠ و ٢٩٣ .

(٢) إحياء علوم الدين جـ ١ ص ١٧٨ . ١٨١ والغنية جـ ١ ص ١٧٩ وما بعدها و جـ ٢ ص ٩٣ وما بعدها و جـ ٢ ص ١٣٩ وما بعدها .

(٣) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار على كتاب إحياء علوم الدين جـ ١ ص ١٧٨ . ١٨١ .

(٤) الموضوعات لابن الجوزي جـ ٢ ص ١١٩ .

(٥) نعت البدايات ص ٦٣ وما بعدها و ١٩١ وما بعدها . ونيل المراد ص ٢ .

وابنه سيدي محمد كلاما يدل على عدم القول بهذه الصلوات وما شابهها من القرب التي لا يشهد لها نص صريح .

قال الشيخ سيدي المختار الكنتي في جواب على السؤال الآتي : وأما قولك وهل ما عمت به البلوى من صلاة الخمس آخر يوم الجمعة من رمضان له أصل أم لا ؟ (١)

فالجواب : (أنه لا أصل له بل هو بدعة قبيحة أحدثها عوام الناس في أواخر القرن الثاني وكان التابعون وتابعوا التابعين ينكرون على أهل البدو وعوام الناس ذلك ويعيبونه عليهم ويقولون لهم : إنكم قد أحدثتم في الدين ما ليس منه فإن الغلو في الدين كالنقص منه فلا يبعد أن تكونوا قد خرجتم عن الدين بما أحدثتموه فيه مما لم يرد عن سلفكم لا في ضعيف من الأثر ولا في مقطوع ولم يقل به أحد من سلفكم مع كذبكم على الله بأنها تقضي ما فات عليكم من الصلوات المكتوبة الواجبة عليكم بالكتاب والسنة والإجماع ، فإن الله تعالى لا يمحو السيىء بالسيىء وانما يمحو السيىء بالحسن وأنتم إنما تريدون غسل الدم بالعذرة فقبحهم الله وقبح صنيعهم وما أحدثوه في الدين .

وأما قولك هل الأحاديث التي اعتاد الناس سردهاعلى العام والخاص يذكرون فيها أنه صلى الله عليه وسلم قال : من صلى في كل يوم من رمضان أو في كل ليلة منه (٢) إلى آخره كذا وكذا من الركعات كان له كذا وكذا من الأجر موضوعة أم لا ؟
فالجواب : (أن أكثرها موضوع لكن مثل ذلك لا ينكر لأن الله تعالى لم يحد في نوافل الخير حدا بل أطلق الأمر فيها وقد ثبت وصح (٣) أن من بلغه عن الله تعالى فضل فعمل به بنية خالصة يرجو فضل الله تعالى الواسع كان له ذلك ولو لم يكن كذلك أخرجه النسائي والطبراني (٤) وغيرهما قال الله تعالى :

---

(١) الحديث المشار إليه خرجه ابن الجوزي في الموضوعات وقال : (هذا حديث موضوع بلا شك وكأن واضعه من جهلة القصاص وأخاف أن يكون قاصدا لشين في الإسلام ...) ج ٢ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) قيام رمضان إيمانا واحتسابا يغفر ما تقدم من الذنب والأحاديث التى فيها تحديد وهيئات تقدم أنه لا يصح منها شيىء .

(٣) والحديث الذي قال فيه بأنه ثبت وصح تقدم أنه موضوع ابن الجوزي ج ١ ص ٢٥٨ .

(٤) تقدم قريبا بسنده مع بيان العلماء أنه موضوع .

﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) (١) وقال : (إن لك في النهار سبحا طويلا) (٢) وأن النافلة التي لم تكن بدعة شنيعة لا تأتي إلا بخير وينبغي أن يكون خصوص ما ارتكبوه من تلك الصلوات شاملا له عموم الإذن المطلق) (٣) قلت في هذين النصيين ما يحتاج إلى إيضاح : فإن صاحبهما ينقل ذم الغلو والإحداث في الدين ما ليس منه مؤيدا لذلك ، ويقبح أهل البدع ، ثم يقول بأن أكثر الأحاديث في هذا الباب موضوعة ، ومع ذلك يفتح الباب واسعا للعمل بمثل هذه الموضوعات راويا حديثا موضوعا مستدلا به على جواز العمل بها في النافلة المطلقة ما لم تكن بدعة شنيعة ، ولا يخفى أنه من أشنع البدع العمل بالموضوعات . يقول شيخ الإسلام بن يتيمة : (فما علم أنه باطل موضوع لم يجز الالتفات إليه ، فإن الكذب لا يفيد شيئا) (٤) .

ثم إن المسؤل عنه صلاة الرغائب كما يسمونها وهي داخلة في عموم النوافل المبتدعة وهيئاتها المنكرة (٥) .

وقد سئل عنها شيخ الإسلام بن تيمية خاصة فأجاب :

(صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين لم يسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من خلفائه ، ولا استحبها أحد من أئمة الدين : كمالك ، والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ، والثوري ، والأوزاعي ، والليث ، وغيرهم . والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث ...) (٦)

---

(١) الآيات من سورة المزمل ١ ـ ٤ .
(٢) السورة المذكورة الآية ٧ .
(٣) الكوكب الوقاد ص ١٣٩ . ١٤٠ .
(٤) علم الحديث ص ١٥٣ .
(٥) انظرالسنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ، محمد عبد السلام حضر الشقيري ص ١٧٩ . ١٨٠ .
(٦) مجموع الفتاوى جـ ٢٣ ص ١٣٤ .

ومن هنا قال الشيخ سيدي محمد الكنتي : (ومن له بالبدع خبرة ولم تلحقه في وجوه الحقائق حيرة علم أن من خواص البدع الشنيعة عند علماء الحقيقة والشريعة أنها لا توجد غالبا إلا مقرونة بمحرم صريح أو آئلة إليه أو يكون تابعا لها ، ومن تأمل ذلك وجده في كل أمر قيل إنه بدعة لا ينخرم بحال ... وأنها لا توجد غالبا إلا في الأمور المستغربة غير المألوفة في الدين وفي الكفايات من المندوبات وتوابع الأعمال وما تميل إليه النفوس وتستحنه كالذكر جهرا أو برسم الحضرات المبتدعة والتلاوة والصلاة والصوم بمايدخلون عليها من الكيفيات ونحوها والسلوك والتربية ونحو ذلك فتأملوه ثم إنها لا توجد غالبا إلا مسندة لوجه من الشريعة أو معنى من الحقيقة يلتبس على قليل العلم ضعيف الفهم فيتحير أو يسلم وتروج في عين الجاهل فيظنها دينا قيما من حيث لا يعلم وما غره في ذلك إلا شبهة الأصل أو التسليم لمن يعتقد فيه العلم والفضل ...) ثم بين الموازين التي يعرف بها الحق من الباطل فقال :

الأول : النظر في المحدث أله مستند شرعي لوجه شامل محيط هو جملة الشريعة ومعظمها فإن كان هذا الأمر مما يشهد له معظم الشريعة وأصلها فليس ببدعة ، وإن أباه بكل وجه فهو باطل ضلال مبتدع إلحاد إن كان في جانب الاعتقاد ونحوه) (١)

إلى إن قال : (وإن كان مما تراجعت فيه الأدلة وتناولته السنة واستوت فيه الشبه اعتبرت وجوهه فما ترجح فيه من ذلك رجع إليه) (٢)

الثاني : (التميز بشواهد الأحكام وينقسم إلى أقسام الشريعة الخمسة الوجوب والحظر والندب والكراهة والجواز فكلما انحاز لأصل بوجه صحيح واضح لابد فيه ألحق به وما لا فهو بدعة ...) (٣)

وبناء على هذه الموازين التي يعرف بها الحق من الباطل قسم الشيخ سيدي محمد الكنتي البدع إلى ثلاثة أقسام هي :

١) (صريحة وهي ما أتت من غير أصل شرعي في مقابلة ما ثبت شرعاً من

---

(١) الغلاوية ص ١٦٥ . ١٦٦ .

(٢) الغلاوية ص ١٦٦ .

(٣) نفسه ص ١٦٦ . ١٦٧ . ١٦٨ .

واجب أو سنة أو مندوب أو غيره فأماتت سنة وأبطلت حقا ثابتا وهذه شر البدع وإن كان لها ألف مستند من الأصول والفروع فلا عبرة به ٠

٢) البدعة الإضافية وهي التي تضاف لأمر لو سلم منها لم تصح المنازعة في كونه سنة أو غير بدعة بلا خلاف أو على خلاف ٠٠٠

٣) البدع الخلافية وهي المبنية على أصلين يجذ بها كل منهما بحكمه فمن قال بهذا قال بدعة ومن قال بمقابله قال سنة كما في حزب الإرادة وذكر الجماعة ونحوهما) (١)

والذي لا يوجد بين القادرية خلاف فيه ولو لفظيا هو ما تضمنه الورد القادري من النوافل غير الركعات الست المتقدمة : ركعتي الضحى وركعتي التهجد وما يقرؤ فيهما وما يدعى به فيهما وبعدهما ولذا يحسن الاقتصار على نقد ذلك بعرضه على الكتاب والسنة وعمل السلف ٠ ونبدأ من ذلك بركعتي الضحي :

ركعتا الضحى

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي : (وأما صلاة الضحى فإنها قد وردت فيها أحاديث كثيرة مع اضطراب روايتها واختلاف رواتها فمنهم المثبت ومنهم النافي (٢) ٠ وأورد بعضها وناقشة مناقشة حسنة إلى أن قال . (وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة أن تفرض على أمته فيعجزوا عنها وكان يفعلها في بيته حرصا على الخير لما فيها من جزيل الفضل والثواب كما نص عليه وندب إليه ورغب في ذلك خواص أمته ليفوزوا بذلك الفضل الجزيل ويحيطوا بذلك الشرف الأثيل ٠٠) (٣) ثم ذكر عدد ركعاتها

---

(١) نفسه ص ١٦٨ . ١٦٩ وقد صرح أنه اعتمد في هذا التقسيم على الشيخ زروق في عمدته وهو عندي مخطوط ص ٣ منه ٠

(٢) الكوكب الوقاد ص ٨٣ ٠

(٣) نفسه ص ٨٥ ٠

حسب الآثار الواردة فيها وأن من فوائد هذه الصلاة أنها تجزىء عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الإنسان : (ويتحصل ذلك الفضل بركعتي الضحى وقد ورد أنها أفضل التطوع بعد الرواتب) (١)

ثم قال وروى الحاكم من طريق أبي الخير عن عقبة بن عامر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي الضحى بسور منها والشمس والضحى (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله علي النحر ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها رواه الطبراني (٢) ومعنى أمره بها الوجوب وعدم أمرنابها الاستحباب من غير تحتم إلا أن خلفاءه عليه الصلاة والسلام وهم الأولياء كالجيلي ونحوه قد التزموها كما التزموا غيرها من الأوراد) (٣)
وجاء في نص الورد : (وتصلي ركعتي الضحى تنوي بهما التقرب إلى الله تعالى وشروق القلب يقرأ في الأولى منها بأم القرآن والشمس والثانية بأم القرآن ووالضحى وتقول في سجودهما : اللهم ارحم ذلي وضراعتي إليك وأنس وحشتي بين يديك وارحمني برحمتك يا كريم وتسلم وترفع يديك وتدعو بهذا الدعاء : اللهم يا منور يافتاح نور قلبي بنور معرفتك وافتح لي أبواب حكمتك وانشر علي خزائن رحمتك إنك على ما تشاء قدير عشرا) (٤)

قال الإمام النووي بعد إيراد الإمام مسلم للأحاديث الواردة في صلاة الضحى (هذه الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق وحاصلها أن الضحى سنة مؤكدة وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وبينهما أربع أو ست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان) (٥) ثم أخذ يبين أوجه الجمع بين الأحاديث المثبتة لها والنافية لها ويتلخص كلامه فيما يلي :

---

(١) نفسه ص ٨٦ .

(٢) نفسه ص ٨٦ والمستدرك رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك والطبراني والبرزار وبكل طرقه ضعيف .

(٣) نفسه ص ٨٦ والطبراني . تنظر الفتح الرباني .

(٤) نفسه ص ٨٦ قلت : في رواية ابن ماجه : كتاب الدعاء باب أسماء الله تعالى ج ٢ (١٢٦٩) (النور ، المنير) ولم نجد هذا اللفظ : (منور) في الكتب التي رويت فيها أسماء الله الحسنى . وسيأتي مزيد بيان لهذا .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٥ ص ٢٢٨ - ٢٣٠

١) أنه صلى الله عليه وسلم كان يصليها بعض الأوقات لفضلها ويتركها في بعضها خشية أن تفرض ..

٢) و يقال في توجيه قول عائشة : (ما كان يصليها) أي ما يداوم عليها فيكون نفيا للمداومة لا لأصلها .

٣) وأن قول ابن عمر فيها هي بدعة يحمل على التظاهر بها في المساجد أو المواظبة عليها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يواظب عليها خشية أن تفرض وهذا في حقه صلى الله عليه وسلم .

٤) ونقل التوقف فيها عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم .

٥) وجمهور العلماء على استحباب المحافظة على الضحى في حقنا . (١)

فهذا تفصيل أقوال العلماء في صلاة الضحى ، وقد نسب الشيخ سيدي المختار الكنتي للشيخ عبد القادر التزامها والذي في الغنية في فصول أوراد النهار لا يفهم منه ما قال به الشيخ سيدي المختار (٢)

قال الشيخ عبد القادر (فصل) وأما الورد الثاني : فصلاة الضحى ، وهي صلاة الأوابين وهل يستحب المداومة عليها أم لا ؟ على وجهين عند أصحابنا) (٣) ثم ذكر بأسانيده بعض الآثار في فضلها يظهر أن بعض ما ذكره من الموضوعات التي لا يحل ذكرها إلا على سبيل القدح فيها للعالم بحالها . (٤) ثم أن الشيخ عبد القادر ذكر اختلاف العلماء فيها قريبا مما ذكره النووي بعده على ما تقدم عنه وقريب أيضا منه ما ذكره تلميذه ابن قدامة في المغني فقال : (منها صلاة الضحى وهي مستحبة وقال

---

(١) نفسه جـ ٥ ص ٢٣٠ .

(٢) الغنية جـ ٢ ص ٩٥ وما بعدها .

(٣) نفسه جـ ٢ ص ٩٥ .

(٤) الموضوعات لابن الجوزي جـ ٢ ص ١١١ . ١١٢ وسلسة الاحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ١ ص ٣٨٨ رقم ص ٣٩٣ و ٣٩٤ .

بعض أصحابنا لا تستحب المداومة عليها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها ·· وقال أبو الخطاب : تستحب المداومة عليها لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بها أصحابه (١) يعني صلاة الضحى والمداومة عليها ·

قال الشيخ عبد القادر قال النخعي رحمه الله : (كانوا يكرهون أن يديموا صلاة الضحى فيصلون ويدعون لئلا تكون كالمكتوبة) (٢) وقال الشيخ عبد القادر في توجيه عدم استحباب المداومة عليها : (وإنما أرادوا بذلك أن لا تشبه بصلاة الفروض فيعتقد الناس وجوبها وليس كل الناس سواء في نشاط العبادة ، فطلبوا الخفة عنهم وتسهيل الطاعة عليهم ··) (٣)

وعلى هذا فإن نسبة هذا الورد على سبيل الألتزام والإلزام للآخرين بالعهود والمواثيق للشيخ عبد القادر غير صواب حسبما في نصوصه في الغنية ويقال بأن الرواتب التي واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليها لم تكن واجبة على أحد من الناس وإن كانت المداومة عليها مستحبة ومتأكدة لما فيها من الأجر الجزيل من الشارع الحكيم والتزام النبي صلى الله عليه وسلم لها أمام الناس بخلاف صلاة الضحى فإنه حصل في مشروعيتها خلاف ولو حصل الاتفاق على أصل مشروعيتها فتكون داخلة في التطوع المشروع لا في الرواتب الملتزمة ولا في الفرائض المفروضة ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيميه : (ومن هذا الباب . يعني التطوع المشروع . (صلاة الضحى) فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدوام عليها باتفاق أهل العلم بسنته ، ومن زعم من الفقهاء أن ركعتي الضحى كانتا واجبتين عليه ، فقد غلط · والحديث الذي يذكرونه (ثلاث هن علي فريضة ، ولكم تطوع : الوتر ، والفجر ، وركعتا الضحى) حديث موضوع (٤) بل ثبت في حديث صحيح لا معارض له أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وقت الضحى لسبب عارض (٥) لا لأجل الوقت : مثل أن ينام من الليل ···) (٦) ويظهر أن ابن القيم يستخلص من الأدلة ما ينصر هذا القول

---

(١) المغني جـ ٢ ص ١٣١ ص ١٣٢ ·

(٢) الغنية جـ ٢ ص ٩٥ ·

(٣) نفسه جـ ٢ ص ٩٧ ·

(٤) انظر : الفتاوى جـ ٢٢ ص ٢٨٣ . تقدم أنه ضعيف لأن في سنده جابر الجعفي وهو ضعيف ، وابن حنان الكلي - أنظر : المغني في الضعفاء جـ١ ص١٩٣

(٥) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ·

(٦) مجموع الفتاوي جـ ٢٢ ص ٢٨٣ ·

فمما قال : (وذهبت طائفة رابعة إلى أنها تفعل لسبب من الأسباب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فعلها بسبب ، قالوا : وصلاته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثمان ركعات ضحى ، إنما كانت من أجل الفتح) إلى أن قال وقالوا : (وفعل الصحابة رضي الله عنهم يدل على هذا ، فإن ابن عباس كان يصليها يوما ، ويدعها عشرة ، وكان ابن عمر لا يصليها ، فإذا أتى مسجد قباء ، صلاها ، وكان يأتيه كل سبت)

إلى أن قال ابن القيم : (ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة ، وجدها لا تدل إلا على هذا القول ، وأما أحاديث الترغيب فيها ، والوصية بها ، فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد وإنما أوصى أبا هريرة بذلك ، لأنه قد روي أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة ، فأمره بالضحى بدلا من قيام الليل ، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر ، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة . وعامة أحاديث الباب في أسانيدها مقال ، وبعضها موضوع لا يحل الاحتجاج به ..) (١) .

قلت : وعلى هذا فلا يسلم وضع الغزالي لها في الرواتب من نظر ولا يسلم قوله عنها : (صلاة الضحى : فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها) (٢) ما دام لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه واظب عليها وكان وصيته بها لبعض أصحابه لعلة كما تقدم .

ثم إنه لم يثبت في الصحاح شيء عن المقروء فيها ولكن قال الشيخ عبد القادر (فصل) والذي يقرأ فيها ، فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (صلاة الضحى بسورة والشمس وضحاها والضحى) (٣)

وقال الإمام الشوكاني : (وأخرج البيهقي في الشعب عن عقبة بن عامر قال : (أمرنا رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بالشمس

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد جـ ١ ص ٣٤١ . ٣٦٠ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٥٧ .
(٢) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٩٦ .
(٣) الغنية جـ ٢ ص ٩٦ .

وضحاها والضحى) (١) وتتبعت مرويات عقبة بن عامر في الشعب فلم نعثرله على هذا الحديث وإنما وجدت له الأمر المتكرر بقراءة المعوذتين والاستعاذة بهما(٢) وقد تقدم نقل الشيخ سيدي المختار الكنتي لهذا الحديث عن الحاكم ولم يذكر لنا من أي كتاب له نقل هذا الحديث وللحاكم كتاب أفرده للضحى سماه ابن حجر : المفرد في صلاة الضحى وقال ابن القيم بعد أن نقل عنه حديثا من رواية يعلى بن شداد في الحث على المحافظة على الضحى ، قال : (فياعجبا للحاكم كيف يحتج بهذا وأمثاله ، فإنه يروي هذا الحديث في كتاب أفرده للضحي ، وهذه نسخة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى نسخة يعلى بن الأشدق ...) (٣) والرواية المشار إليها ذكرها الساعاتي في الفتح الرباني قال : (لطيفة) (قال الحافظ روى الحاكم من طريق أبي الخير عن عقبة بن عامر قال (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي الضحى بسور ، منها والشمس وضاحها والضحى ، قال الحافظ ومناسبة ذلك ظاهرة جداً) (٤) وهذا هو النص الذي نقله الشيخ سيدي المختار الكنتي كما تقدم . ولم يحكم الحافظ ابن حجر على الحديث بشيىء وتدل عبارته الأخيرة على قبول له .

أما الدعاء المذكور في سجود الركعتين وبعد السلام منهما فإنه لا يوجد في الغنية عند ذكر الشيخ عبد القادر لصلاة الضحى على ما ذكر فيها مما تقدم .

وهم أيضا لم يرفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا لأحد من أهل العلم والأثر . فيبقي النظر في مضمونه وهل يعد من الأدعية الجامعة المرغب فيها ؟ والذي يظهر من الفاظه والهيئة المطلوبة فيه من رفع الأيدي أن ذلك كله مشروع وإن كان الدعاء بالمأثور والوارد في الكتاب والسنة وعن الصحابة أولى منه وأكثر بركة وأجمع لخيري الدنيا والآخرة مما تضمنه هذا الدعاء .

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٤٧ .

(٢) شعب الإيمان جـ ٢ ص ٥١١ . ٥١٣ .

(٣) زاد المعاد جـ ١ ص ٣٥٨ .

(٤) الفتح الرباني جـ ٥ ص ٤٠ . وفتح الباري جـ ٣ ص ٥٤ .

ولكن ما دام الدعاء في الصلاة وبعدها مرخصا فيه وعبادة عظيمة ما لم يدع الداعي بإثم أو قطعية فإنه دعاء مشروع ويؤيده ما جاء في الصحيحين في التشهد الأخير في الصلاة قال البخاري : باب مايتخير من الدعاء بعد التشهد ، وليس بواجب . وفيه : (ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو) (١) وفي مسلم في باب التشهد (ثم يتخير من المسألة ما شاء) (٢) قال النووي : (فيه استحباب الدعاء في آخر الصلاة قبل السلام وفيه أنه يجوز الدعاء بما شاء من أمور الآخرة والدنيا ما لم يكن اثما وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يجوز إلا بالدعوات الواردة في القرآن والسنة) (٣)

قال الحافظ بن حجربعد أن ذكر مذاهب العلماء في جواز الدعاء بما ليس في القرآن والسنة ومخالفة الإمام أبي حنيفة ومن معه في ذلك قال : (ولكن ظاهر حديث الباب يرد عليهم ، وكذا يرد على قول ابن سيرين : لايدعو في الصلاة إلا بأمر الآخرة . ثم قال الحافظ : وقد ورد فيما يقال بعد التشهد أخبار من أحسنها ما رواه سعيد بن منصور وأبو بكر ابن أبي شيبة من طريق عمير بن سعد قال : (كان عبد الله . يعني ابن مسعود . يعلمنا التشهد في الصلاة ثم يقول : إذا فرغ أحدكم من التشهد فليقل : اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم . اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شرما استعاذك منه عبادك الصالحون . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) قال ويقول : لم يدع نبي ولا صالح بشيىء إلا دخل في هذا الدعاء . وهذا من المأثور غير مرفوع ، وليس هو مما ورد في القرآن) (٤) . فالدعاء في الفريضة والنافلة ثابت سواء كان في أثنائها أو بعد الإتيان بالأذكار الورادة بعدها (٥) .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان الباب المذكور ، الحديث رقم : (٨٣٥) .

(٢) مسلم كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة مع النووي .

(٣) النووي جـ ٤ ص ١١٧ .

(٤) فتح الباري جـ ٢ ص ٣٢١ . ٣٢٢ .

(٥) زاد المعاد جـ ١ ص ١٦١ . ١٦٤ . و ٢٩٥ . ٣٠٥ .

ركعتا التهجد :

قال الشيخ سيدي المختار الكنتي : (وأما الأصل في صلاة التهجد والقراءة فيها بالكهف والدخان فقد ورد في الكتاب والسنة ۰ أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ فأمره عليه الصلاة والسلام أمرنا . كذا . لأنه خص بوجوبه عليه دوننا إلا من نذره منا وأخذ عليه العهد بالقيام كما في أوراد المشايخ لأنها عقود وعهود ۰

وأما السنة فمنها ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة (١) ومن قرأها في التهجد حاضرا معها بقلبه كان له بكل حرف منها مائة حسنة ورفعت له بكل حرف منها درجة وحطت عنه مائة سيئة ولا يصيبه ليلته بلاء ومن قرأ في الثانية من تهجده بسورة الدخان حبب الله إليه لقاءه وخفف عليه سكرات الموت وكتب له أجر شهيد رواه الترمذي واللفظ له) (٢) ثم ذكر من الآثار والأحاديث الواردة في فضل هاتين السورتين ما رواه الحاكم والنسائي وأبو داود والاصبهاني والطبراني ثم قال : (ولهذا الفضل الجليل الوارد في الصحاح اقتصر الجيلي رضي الله عنه وعن جميع مشايخنا على التهجد بها لأنه قد ورد عن المنذري أن من صلى بهاتين السورتين ركعتين في جوف الليل كانتا خيرا له وأفضل من قيام الليل بغيرهما رواه باسناد يرفعه إلى أنس بن مالك كما في مسند أحمد وغيره من الصحاح) (٣) والذي في نص الورد (وتصلي في جوف الليل ركعتين يقال لهما التهجد تنوي بهما التقرب إلى الله تعالى وإحياء القلب من موت الجهل والغفلة ، الأولي منهما بأم القرآن وسورة الكهف ، والثانية منهما بأم القرآن وحم الدخان أو سورة يايس وسورة الملك أو سورة الكافرون وقل هو الله أحد بقدر الحفظ وسعة الوقت ۰ وتقول في سجودهما : اللهم أرحم ذلي وضراعتي إليك وأنس وحشتي بين يديك وارحمني

---

(١) الكوكب الوقاد ص ٨٦ . ٨٧ إلى هنا رواية الحاكم في المستدرك جـ ١ ص ٥٦٤ فضائل القرآن قال وفيه من رفعه وفيه من أوقفه على الثوري عن أبي هاشم ۰

(٢) نفسه ص ٨٧ . ٨٨ ۰

(٣) سيأتي نص الحديث قريبا إن شاء الله تعالى ۰

برحمتك يا كريم ، وتسلم ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة ثم تقرأه سيف الحكماء ثم تقول رافعا يديك فاتحا : اللهم إني أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وعلماً نافعاً وجوارح طائعة وعملاً صالحا متقبلا بإحسانك وإفضالك يا محسن يا مفضل . كذا) (١) . هذا هو نص هذا الورد وما يلحق به من الوظائف ، ويمكن أن يدرس على النحو الآتي :

أولا : نسبته للشيخ عبد القادر .

ثانيا : الأحاديث والآثار المستشهد بها على فضيلة الاقتصار في صلاة هاتين الركعتين على السورتين المذكورتين سورة الكهف والدخان .

ثالثا : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة .

رابعا : قراءة سيف الحكماء .

* **أولا** : أما نسبة هذا الورد على هذه الصفة للشيخ عبد القادر فتحتاج إلى تأمل أكثر فأني تتعبت كلامه في الغنية عن أوراد الليل وخاصة الصلاة بعد العشاء الآخرة فلم نجد فيه ما هو مطابق لنص هذا الورد ووظيفته ، ويظهر من كلامه أن قيام الليل موسع فيه من شاء صلى ركعيتن ومن شاء زاد ومن شاء أوتر من أول الليل ومن علم من نفسه أنه يستيقظ آخر الليل كان التأخير أولى له : (ومن أوتر أول الليل ثم قام إلى التهجد فهل يفسخ وتره أم يصلي ما يشاء من غير أن يفسخه على روايتين عن أحمد رحمه الله : أحدهما لا يفسخه ..) وذكر ما يدعى به في الوتر بعد الرفع من الركوع وهو دعاء القنوت المعروف إلا أنه ذكر برواياته وأسانيده آثارا تحتاج إلى تخريج منها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان يصليهما العبد في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ، ولو لا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم) (٢) ثم قال : (كل ذلك ليسهل على أمته قيام الليل والعبادة ، ولا يثقل عليهم ، ويبغض العبادة إليهم فيسأموا ، بل أرشدهم صلى الله عليه وسلم لقيام الليل وذكر فضله وثوابه لئلا يقتصروا على الفرائض والسنن خاصة) (٣)

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٧٣ . ١٧٤ .

(٢) الغنيه ج ٢ ص ٨٦ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٨٨ . لم نعثر عليه بعد بحث .

ثانيا : الاحاديث والآثار المستشهد بها على فضيلة الاقتصار في صلاة هاتين الركعتين على السورتين المذكورتين الكهف والدخان ٠

ورد في هاتين السورتين وقراءتهما ليلة الجمعة ويومها أحاديث وآثار جمعها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ويظهر أن الشيخ سيدي المختار الكنتي نقل عنه ما نقل من فضائل هاتين السورتين (١) إلا أنه نسب إليه أنه رفع بسنده إلى أنس بن مالك أن من صلى بهاتين السورتين ركعتين في جوف الليل كانتا خيراً له وأفضل من قيام الليل بغيرهما) (٢) وهذه الرواية لم نقف عليها بعد بحث وتتبع في الترغيب والترهيب (٣) ولا في مسند الإمام أحمد (٤) والذي ورد في مسندا الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم كان يوتر بتسع سور من المفصل وأنه كان يقرأ في الوتر يسبح اسم ربك الأعلى وقل يايها الكافرون وقل هو الله أحد (٥) .

وأقرب شيىء لما ذكره الشيخ سيدي المختار الكنتي عن المنذري عن أنس ما خرجه في الترغيب قال : (وروي عن أنس رضي الله عنه يرفعه قال : صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة ، والصلاة بأرض الرباط بألفي ألف صلاة ، وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل ٠ رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب) (٦) وهذا الحديث وإن كان لا دليل فيه لأنه لم تذكر فيه قراءة بسورة معينة فقد خرجه الألباني بغير هذا الترتيب وبدون ذكر للركعتين في السلسلة الضعيفة وحكم عليه بالوضع (٧) والذي في الصحيح من فضل سورة الكهف كما في مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال . وفي رواية من آخر الكهف) (٨) ٠ والذي في المسند تنزل السكينة والملائكة عند قراءة القرآن عن البراء ابن عازب رضي

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٢٢ . ٤٣٣ الترغيب في قيام الليل ٠ والترغيب في قراءة سورة الكهف وما يذكر معها ليلة الجمعة ويوم الجمعة . ص ٥١٢ . ٥١٤ والترغيب في قراءة سورة الكهف أو عشر من أولها أو عشر من آخرها جـ ٢ ص ٣٧٥ . ٣٧٦ ٠

(٢) الكوكب الوقاد ص ٨٨ ٠

(٣) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٥١٢ . ٥١٤ ٠

(٤) مسند الإمام أحمد . مع الفتح الرباني جـ ١٨ ص ٢٠ . ٢١ و ٢٦٧ . ٢٦٩ ٠

(٥) مسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ٣٠٤ وما بعدها ٠

(٦) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٣٠ ٠

(٧) سلسلة الاحاديث الضعيفة جـ ٣ ص ١٨٧ و ٤٨٣ ٠

(٨) صحيح مسلم فضائل القرآن مع باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٠

الله عنه قال : رضي الله عنه قال (قرأ رجل الكهف) (١) ومثل ذلك في جامع الترمذي وذكر في فضلهما حديثين كلاهما حسن صحيح عنده (٢) والرواية التي عزاها له الشيخ سيدي المختار (وقال رواه الترمذي واللفظ له) (٣) لم نجدها فيه بعد تتبع لا في التهجد (٤) ولا في فضائل القرآن ولا في التفسير (٥) ٠

وخرج البيهقي في شعب الايمان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق) وفي هذا قرب من رواية الشيخ سيدي المختار الكنتي المتقدمه ٠ قال البيهقي : (هذا هو المحفوظ موقوف ، ورواه نعيم بن حماد عن هشيم فرفعه) وفي رواية أخرى عنه من (من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كان له نوراً يوم القيامة) (٦) وخرج ابن القيم في الهدي قريبا منه وحكم شعيب الأرناؤط وزميله في التحقيق عليه بالصحة ٠ (٧) وعن ابن سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أن من قرأ سروة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين (الجمعتين) قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه) ٠ وقال الذهبي : (فيه نعيم ذو مناكير) (٨)

وهذه الآثار والأحاديث وإن أفادت فضيلة قراءة سورة الكهف على العموم وقراءتها يوم الجمعة على الخصوص فإنها لا تفيد مشروعية التهجد بها دائما واتخاذها وردا يؤخذ على الناس به العهد ويلزمهم شرعا الوفاء به ويثابون من الله عليه ، على أن الرواية التي ذكرت في النص القادري والمبالغات الواردة فيه لم نجدها في الكتب المعتمدة ، من كتب السنة ٠

---

(١) المسند مع الفتح الرباني جـ ١٨ ص ٢٠ . ٢١ ٠
(٢) جامع الترمذي مع التحفة جـ ٨ ص ١٥٦ . ١٥٧ ٠
(٣) الكوكب الوقاد ص ٨٧ ٠
(٤) جامع الترمذي جـ ٢ ص ٤٢٢ . ٤٧٤ ٠
(٥) نفسه جـ ٨ ص ١٤٤ - ١٩٧ ٠
(٦) شعب الايمان جـ ٢ ص ٤٧٤ - ٤٧٥ ٠
(٧) زاد المعاد جـ ١ ص ٣٧٧ ٠
(٨) المستدرك جـ ٢ ص ٣٦٨ ٠

أما سورة الدخان فالذي ورد فيها عند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك) قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه • وعمر بن خثعم يضعف • قال محمد هو منكر الحديث • وفي روايته الثانية : (من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له) قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه • وهشام أبو المقدام يضعف ، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد) (١) •

ولم نقف على لفظ فيه الصلاة بهاتين السورتين أو إحداهما في السنن المعروفة ولكن ورد في لفظ عند الطبراني والاصبهاني بذلك وهو : (من صلي بسورة الدخان في ليلة بات يستغفر له سبعون ألف ملك) (٢)

وفي المستدرك للحاكم في صلاة حفظ القرآن وما يدعى به فيها :

(وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وحم الدخان ••) وقال في آخره (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) قال الذهبي : (هذا حديث منكر شاذ أخاف أن يكون موضوعا) (٣) وهذا الحديث وإن كان ورد فيه ذكر للصلاة ليلة الجمعة وقراءة حم الدخان في إحدى الركعات فيها فإنه لا يصح وأورده العلماء في الموضوعات (٤) والحاكم الذي رواه روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ولا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي) وهذا على شرطهما كما ذكره هو وسلمه له الذهبي (٥) وبهذا تبين أنه لا دليل لهم على هذا الورد الخاص إما لضعف ما استدلوا به ، وإما لعدم دليل لهم فيما يصلح من الأدلة على ما استدلوا عليه ، وقد تقدم

---

(١) جامع الترمذي جـ ٨ ص ١٦٠وذكره ابن الجوزي أعني الأول في الموضوعات وقال : تفرد به عمر قال أحمد بن حنبل : عمر بن راشد لا يساوي شيئا ، قال ابن حبان : يضع الحديث لا يحل ذكره في الكتب إلا بالقدح فيه جـ ١ ص ٢٤٨

(٢) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٥١٣ يوثق من الطبراني •

(٣) المستدرك جـ ١ ص ٣١٦ . ٣١٧ •

(٤) تحفة الذاكرين للشوكاني المكتبة الثقافية . بيروت ص ١٣٦ . ١٣٧ •

(٥) المستدرك جـ ١ ص ٣١١ •

أن التخصيص بدون دليل ومخصص من الشارع باطل ومابني على باطل فهو باطل ٠ ويتضح بذلك أنه لا يجوز لأحـد أن يشرع للناس عبادة خاصة في الوقت المذكور وبالسورتين المذكورتين ٠ وأما قيام الليل والحث عليه وما ورد فيه من الاجر والترغيب فأمر معروف في الكتاب والسنة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم من الصالحين ، لكن بدون حدود أو تخصيص أو إلزام من أحد لأحد ، وفي حدود طاقة المرء المسلـم ، فعن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئأت ومنهاة عن الإثم) وقال الحاكم وتبعه الذهبي أنه على شرط البخاري) (١)

ثالثا : مائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٠

إن الشيخ سيدي المختار الكنتي يقول : (وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي أوردها المشايخ في هذا الورد المبارك فإنهم يعتمدون في ذلك على الكتاب والسنة وإجماع الأمة . ثم يورد بعض النصوص الواردة في فضلها وفوائدها في العاجل والآجل . ويقول : (ولهذا المعنى جعل المشايخ مائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم دبر كل صلاة ليجتمع من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في كل يومين ألف صلاة فيكون قد فدى نفسه من كل يومين من النار ٠٠) (٢)

وفي نص الورد كما تقدم أن المريد يصلي مائة مرة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي التهجد قبل قراءة سيف الحكماء ٠٠) (٣)

وقد ذكر الشيخ سيدي المختار صلاة التسبيح وفيها : (فإذا سلمت فصل على محمد مائة مرة ٠٠) (٤)

---

(١) المستدرك جـ ١ ص ٣٠٨

(٢) الكوكب الوقاد جـ ٨٠ ص ٨٢ ٠

(٣) نفسه ١٧٤ ٠

(٤) فتح الودود ٦٩٠ ٠

وفي الكوكب الوقاد : (ومن الأدعية الواردة في متن هذا الورد الدعاء الذي يسمى عند السلف بسيف الحكماء ووقته بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب وإن شاء قرأه في جوف الليل بعد التهجد وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة أو ألفا ··) (١)

وفي المقاصد السنية للأوراد المأوية من الاختيارات المختارية ما نصه : (مقصد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلم تسليما ﴾ (٢) لبيك اللهم ربي وسعديك والخير بيديك عبدك الضعيف بين يديك متعرضا لنفحات فضلك معولا في إصلاح حاله إليك قائلا امتثالا لأمرك وأداء لحق رسولك ومحبة في مخاللة خليلك : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة) (٣)

نقد هذه بعض نصوصهم في اتخاذ هذا الورد الذي هو مائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تفيد ما يأتي :

١) اعتماد مائة من اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ·

٢) تعليل ذلك بأن فاعله يعتق نفسه من النار كل يومين ·

٣) التزام هذا العدد أو الزيادة عليه إلى الألف قبل دعاء سيف الحكماء الذي سيأتي إن شاء الله تعالى ·

وقد بينا أن العبادات توقيفية لا يتجاوز بها ما ورد به الشرع الحنيف ولا مدخل للعقل والرأي في أعطاء عبادة ما ثواباً معيناً أو عدداً محدوداً أو وقتاً بذاته ومن فعل ذلك فقد رضي بتنزيل نفسه منزلة المشرع الذي يوحي أو يوحى إليه وادعاء ذلك كاف لاقصاء صاحبه من ولاية الرحمن إلى ولاية الشيطان فحري أن لا يقبل منه ويعمل بما شرع وأوجب على أتباعه ومريديه ·

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١١٢ - ١١٣ ·

(٢) الأحزاب (الآية ٥٦) ·

(٣) المرجع المذكور ص ٧ ·

ثم إني تتبعت روايات صلاة التسبيح وغيرها لعلي أجد عدداً مذكوراً عن النبي صلى اللـه عليـه وسلم يحسن الاقتصـار عليه في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فلم نجده فيهـا حسب الروايـات التي وقفت عليهـا في مستدرك الحاكم (١) والترمذي (٢) وأبي داواد (٣) وابن ماجه (٤) ثم إن صلاة التسبيح لا يثبت بها شيىء لعدم ثبوتها من أصلها وإيراد العلماء لها في الموضوعات (٥) وقد أورد الشوكاني مجمل أقوال العلماء فيها في تحفة الذاكرين وقال : (ولا شك ولا ريب أن هذه الصلاة في صفتها وهيئتها نكارة شديدة مخالفة لما جرت عليه التعليمات النبوية ، والذوق يشهد ، والقلب يصدق) (٦) ولكن خرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا ، من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضي الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه إلى عشيرته (أو عشرة) فأثبته عندي في صحيفة بيضاء) وله عن علي رضي الله عنه قال : قال علي : (من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه من النور نور يقول الناس أي شيىء كان يعمل هذا) (٧) ولم يتكلم البيهقي على هاتين الروايتين بشيىء حتى تعرف درجتهما ، ولكن يعرف أن البيهقي لم يلتزم الصحة فيما يخرج في شعب الإيمان ، وقد خرج عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا) (٨) وذكره ابن القيم في

---

(١) المستدرك جـ ١ ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٢) الترمذي جـ ٢ ص ٤٨٥ - ٤٩٥ .

(٣) سنن أبي دواد جـ ٢ ص ٦٧ - ٦٩ .

(٤) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٤١٩ - ٤٢٢ .

(٥) ابن الجوزى جـ ٢ ص ١٤٣ - ١٤٦ .

(٦) تحفة الذاكرين ص ١٤٢ .

(٧) شعب الايمان جـ ٣ ص ١١١ - ١١٢ .

(٨) نفسه جـ ٣ ص ١١٠ .

الهدي في خصائص يوم الجمعة فقال :(الخاصة الثانية : استحباب كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه وفي ليلته ، لقوله صلى الله عليه وسلم (أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة) قال الارناؤطيان : وهو حسن) (١)

والذي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه بدون قيد بيوم أو أعداد معينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) (٢) واطلاق الحث والترغيب وبيان الفضل والثواب في الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هو الصحيح الغالب في الآحاديث والآثار (٣) قال القاضي عياض : (اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه (٤) وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه • وحكى ابو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعي فيه الاجماع (٥) ولعله فيما زاد على مره والواجب منه الذي يسقط به الجرح ومأثم ترك الفرض مره كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله) (٦)

وقال : (قال القاضي أبو بكر بن بكير : افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم . ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها) (٧)

والذي يتلخص من كلام أهل العلم بناء على ما ثبت في الكتاب الكريم والسنة المطهرة أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بها على الاطلاق ليتنافس في الإكثار منها من وفقه الله تعالى وأراد أن يكفيه أمر دنياه وأخراه (٨) ويتأكدا استحبابها في المواطن الآتية :

---

(١) زاد المعاد جـ ١ ص ٣٧٦ •

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد •

(٣) عمل اليوم والليلة ص ١٥٨ - ١٦٧ •

(٤) الشفاء جـ ٣ ص ٧٢٦ . ٧٢٧ •

(٥) انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٢٣٢ . ٢٣٧ •

(٦) الشفاء جـ ٣ ص ٧٢٦ . ٧٢٧ •

(٧) الشفا جـ ٣ ص ٧٢٦ - ٧٢٧

(٨) شعب الايمان جـ ٢ ص ٢١٧ •

١) بعد التشهد الأخير وقبل الدعاء وفي وجوبها أو استحبابها في هذا الموطن خلاف بين أهل العلم (١)

٢) قبل الدعاء ووسطه وآخره وأن الدعاء معلق بين السماء والأرض حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ٠ (٢)

٣) وعند ذكر اسمه الشريف صلى الله عليه وسلم فالبخيل من ذكر اسمه عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم ٠ (٣)

٤) الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلتها على ما تقدم في الأحاديث (٤)

أما أذكار الصلاة المحددة بعدها بعد د زائد على الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من باب التشريع للناس والاستدراك على المشرع وكفى بمن اختار ذلك شاهدا على نفسه بعدم استقامة سلوكه (٥)

رابعا : سيف الحكماء وما اشتمل عليه : ونصه :

(يا الله ثلاثا ، يارب ثلاثا ، يارحمن ثلاثا ، يارحيم ثلاثا ، لا تكلني إلى نفسي في حفظ ما ملكتني مما أنت أملكه مني وامددني بدقائق اسمك الحفيظ الذي حفظت به جميع الموجودات واكسني بدرع كفايتك وكفالتك وقلدني بسيف نصرك وحمايتك وتوجني بتاج عزك وكرمك وردني برداء أمنك وركبني مركب النجاة في

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٤ ص ١٢٣ وما بعدها وفتح الباري جـ ٢ ص ٣٢٠ . ٣٢١ والشفا جـ ٣ ص ٧٢٩ وما بعدها ٠

(٢) سنن أبي داود جـ ٢ ص ١٦٢ والشفا جـ ٣ ص ٧٤٤ وما بعدها ومسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ٢٢ ٠

(٣) عمل اليوم والليلة ص ١٦٣ ٠

(٤) الحاكم المستدرك جـ ١ ص ٢٧٨ ٠

(٥) مسند الإمام أحمد جـ ٤ ص ٥٣ وما بعدها ٠

الحيــاة وبعد الممـات بحق (فجش) (بجس) وامـددني بدقائق اسمك القهار (القاهر) ما تدفع به عني (من) أرادني بسوء من جميع المؤذيات وتولني بولاية العز يخضع لها كل جبار عنيد وشيطان مريد يا عزيز يا جبار ثلاثا ٠ اللهم سخر لي جميع خلقك . (اللهم الق علي من زينتك ومن محبتك ومن نعوت ربوبيتك ما تبهر له القلوب وتذل له النفوس وتخضع له الرقاب) كما سخرت البحر لموسى عليه السلام ولين لي قلوبهم كما لينت الحديد لداود عليه السلام فإنهم لا ينطقون إلا بإذنك نواصيهم في قبضتك وقلوبهم في يدك تصرفهم (تقلبهم) حيث شئت يا مقلب القلوب يا علام الغيوب ثلاثا (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على الإيمان بك) أطفأت غضب الناس بلا إله إلا الله واستجلبت مودتهم بسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهم وقلن حشى لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) (١) ﴿ يأيها الذين أمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ﴾ (٢) (والقيت عليك محبة مني) (٣) (يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) (٤) ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (٥) ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين ﴾ (٦) ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً (١١٠) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له من الذل وكبره تكبيرا» ﴾ (٧) الله أكبر مما أخاف وأحذر ثلاثا) (٨)

---

(١) سورة يوسف الآية ٣١ ٠

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦٩ ٠

(٣) سورة طه الآية ٣٩ ٠

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٥ ٠

(٥) سورة آل عمران الآية ١٣٤ ٠

(٦) سورة الأنعام الآية ١٢٢ ٠

(٧) سورة الاسراء الآيتين ١١٠ . ١١١ ٠

(٨) الكوكب الوقاد ص ١٧٤ . ١٧٥ ونعت البدايات ص ٢٠٣ وقد فسر صاحب نعت البدايات ص ١٧٥ وما بعدها كلمة بجش ب : (بر جبار شكور) فكأنها اختصار لهذه الكلمات والاسمــاء الحسنة وفي فتح الباطني والظاهــري (فجش) (فــرد ٠ جبــار ٠ شكور) ص ١٢ ٠

نقد : هذا نص دعاء سيف الحكماء ، وقد تقدم أن وقته الذي يدعى به فيه مخير فيه فيدعى به بعد صلاة الصبح أو صلاة المغرب أو في جوف الليل بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة أو الفاً (١)

وهذا الدعاء لم ينسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم نعثر عليه في مظان الدعوات المروية عن السلف كما نسبه المختار الكنتي إلى السلف (٢) ورجعت كذلك إلى الدعوات التي ذكرها الشيخ عبد القادر في كتابه الغنية فلم نجد من أدعيته ما يوافق ما تضمنه هذا الدعاء (٣) ثم إن هذا الدعاء يدل عنوانه على أنه ليس من وضع السلف بالاصطلاح المعروف لما يأتي إن شاء الله تعالى : المراد بالحكماء وأنواعهم : (فالحكماء : هم الذين يكون قولهم وفعلهم موافق للسنة) (والحكماء الإشراقيون : وريسهم افلاطون) والحكماء المشاؤن : ورئيسهم أرسطو) (٤) فالحكماء على هذا لفظ مشترك ينصرف عند الاطلاق على الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من المتكلمين والاطباء الاقدمين) (٥)

فالحكماء الإشراقيون منزلتهم في الفلسفة والحكمة هي منزلة علوم التصوف من العلوم الإسلامية فإن بنوا طريقتهم في الرياضة والمجاهدات والسلوك على ملة من الأنبياء كانوا من حكماء المتكلمين أو من الصوفية ، وإلا فهم مشاؤون (٦) فالمراد بالسلف هنا هم الفلاسفة والمرتاضون المشتغلون بعلوم أسرار الحروف والأسماء والكلمات الذين يطلبون المناسبات العددية والتراكيب اللفظية المعينة وأنماط الأسماء . (٧) وهو علم انتشر بين علماء القادرية وشيوخها ولهم فيه مؤلفات كثيرة تقدم ذكربعضها (٨) أما السلف الصالح فإنه لا يجوز أن ينسب إليهم هذا الدعاء بهذه الصفة المرتبة على هذه الهيئة لأمور عديدة منها :

١) أن السلف لا يعرفون بالحكماء وإن كانوا هم أحكم الناس لوضعهم الأمور في مواضعها ، وإنما يعرفون بالسلف الصالح أو الصحابة أو التابعين ، أو القرون

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١١٢ . ١١٣ .
(٢) الكوكب الوقاد ص ١١٢ و ١٢٧ .
(٣) الغنية جـ ٢ ص ٤٤ وما بعدها و ٨٦ وما بعدها .
(٤) كتاب التعريفات للجرجاني ص ٩٢ .
(٥) الملل والنحل ص ٣١٥ وما بعدها .
(٦) ابجد العلوم جـ ٢ ص ٤٨٨ .
(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٦ .
(٨) الطرائف ص ٢٩٨ وما بعدها .

المفضلة ، أو على وجه الخصوص : العباد ، أو الزهاد منهم فإنما يعرفون بهذه الألقاب الشريفة .

٢) ثم إنهم رضي الله عنهم لا يعرفون هذه التعمقات والتكلفات الفلسفية والبحث في أسرار الكلمات أو الحروف وتناسبها على نمط معين ، وإنما يكتفون بالأدعية المأثورة والأدعية الواضحة المفهومة وإذا دعوا الله تعالى بأسمائه الحسنى فإنهم يكتفون بذكر الإسم الشريف المناسب للحاجة المدعو بها مثل : يارحمن ارحمني ، ويا رزاق ارزقني (١)

٣) وهذا الدعاء وإن وردت فيه بعض من الأسماء الحسنى وآجزاء من آيات قرآنية كريمة فإنه تضمن أمورا لا يليق بمسلم أن ينسبها للسلف الصالح رضوان الله عليهم . مثل :

أ) التسمية بسيف الحكماء وطلب إلقاء نعوت الربوبية التي هي حق خاص له تعالى على الداعي .

ب) سؤال الله تعالى أن يمنح الداعي دقائق اسمائه : الحفيظ ، القهار ..

جـ) اشتماله على اسماء أعجمية يحرم الدعاء بها ولو فسرت أو اختصار أسماء حسنى لها معاني متعددة في كلمة واحدة (فجش أو يجش) (فرد جبار شكور) هكذا فسرها بعضهم بها وقالوا :(إن ذلك من كتم الأسرار)

د) سؤال الله تعالى خصائص الأنبياء ومعجزاتهم وتسخير المخلوقات لهم .

و) الإتيان ببعض أجزاء من آيات القرآن الكريم طلبا لخاصية في الفاظها وتعمد بترها من الأول أو الآخر طلبا لتلك الخاصية : (أما الآية التي في آخر سيف الحكماء فإن من خواصها الحفظ من كل مكروه ولا سيما السراق والقطاع والمحاربون) (٢) ولما سئل الشيخ سيدي المختار عن السبب في الوقف على لفظة : (كذلك زين) قبل تمام الآية . قال (إن ذلك ليس بوقف وإنما جيء بها للمصاحبة مع مثلها من الفاظ المحبة القرآنية طلبا للخاصة الورادة عن السلف وليس ذلك بوقف وإنما هي الفاظ جمعت لخاصة فيها عن السلف فتبقى) (٣)

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٨١٥ .

(٢) الكوكب الوقاد ص ١٦٢ .

(٣) الكوكب الوقاد ١٢٧ .

وبالاضافة إلى ما ذكر فإن هذا الدعاء يمكن أن يرد على واضعه بأنه ارتكب فيه أمرين عظيمين :

أحدهما : التعدي في الدعاء المنهي عنه شرعا بطلب المحال والمبالغة في الدعاء وطلب خصائص الربوبية ومنازل الانبياء وخصائصهم •

ثانيهما : ارتكاب اقتطاع أجزاء من الآيات القرآنية وتعمد عدم إتمام الآيات القرآنية طلبا للخاصة اللفظية •

أما الأمر الأول : فإن الله تعالى يقول لعباده المؤمنين : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ (١)

ويقول جل من قائل : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (٢)

قال القرطبي في تفسير الآية الاولى (الثانية : قوله تعالى : ﴿ إنه لا يحب المعتدين) يريد في الدعاء وإن كان اللفظ عاما ، والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر • وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى فيه . وذكر آثارا ثم قال : (والاعتداء في الدعاء على وجوه : منها الجهر الكثير والصياح)

ومنها : أن يدعو الإنسان في أن يكون له منزلة نبي ، أو يدعو في محال ، ونحو هذا من الشطط • ومنها : أن يكون يدعو طالبا معصية وغير ذلك • ومنها : أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة ، فيتخير الفاظا مقعرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا ومعول عليها ، فيجعلهاشعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام • وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء) (٣)

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في تفسير الآية الثانية : هذه آية عظيمة من الآي التي جمعت العقائد والأعمال . وذكر اسماء الله تعالى ودلائلها . ثم قال : (وأما قوله: (فادعوه بها) فهذا هو قسم العمل • والدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب ، أي

---

(١) سورة الاعراف (الآية ٥٥) •

(٢) سورة الاعراف (الآية ١٨٠) •

(٣) القرطبي جـ ٧ ص ٢٢٦ •

اطلبوا منه بأسمائه ، فيطلب بكل اسم ما يليق به . إلى أن قال : قوله : (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) يقال : الحد ولحد : إذا مال والإلحاد يكون بوجهين : بالزيادة فيها ، والنقصان منها ، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ، ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله إلى غير ذلك ، مما لا يليق به فحذار منها ، ولا يدعون أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة ، وهي كتاب البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأبي داود والنسائي ، فهذه الكتب هي بدء الإسلام ، وقد دخل فيها ما في الموطإ الذي هو أصل التصانيف ، وذروا سواها ، ولا يقولن أحد : اختار دعاء كذا ، فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسله) (١) وخرج الإمام أحمد والحاكم وغيرهما تحت باب كراهة الاعتداء في الدعاء : عن أبي نعامة أن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه سمع ابنه يقول : اللهم إني سألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها (وفي لفظ : اللهم إني أسألك الفردوس وكذا) فقال : يا بني سل الله تبارك وتعالى الجنة وعذ به من النار فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم (وفي لفظ يكون في هذه الأمة قوم) يعتدون في الدعاء والطهور) (٢)

وفي لفظ للطبراني وأحمد عن مولى لسعد بن أبي وقاص أن ابنا لسعد كان يدعو فذكر الجنة ، فقال : (اللهم إني أسألك الجنة من نعيمها وأزواجها وثمارها وأكثر من نحو هذا ، وأعوذ بك من النار من سلاسلها وأغلالها وسعيرها ، هذا ونحوه وأكثر فسكت عنه سعد ، فلما فرغ من صلاته قال له سعد : لقد سألت الله عز وجل نعيما طويلا وتعوذت به من شر طويل .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وبحسبك أو كفاك . شك شعبة . أن تقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وقرأ : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ (٣)

---

(١) أحكام القرآن ج ٢ ص ٨٠٢ و ٨١٥ . ٨١٦ .

(٢) المسند ج ١٤ ص ٢٧٦ وهذا لفظه والحاكم المتسدرك ج ١ ص ٥٤٠ وصححه وأقره الذهبي .

(٣) كتاب الدعاء للطبراني ، تحقيق الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري ، دار البشائر الإسلامية . بيروت ط ١ ص ١٤٠٧ هـ المجلد الثاني ص ٨٠٩ . في مسند أحمد ج ١٤ ص ٢٧٦ . ٢٧٧ .

قال الساعاتي في بيان الحديث الأول قال التوربشتي : (إنما أنكر عبد الله على ابنه هذا الدعاء لأنه طمع في ما لا يبلغه عملا حيث سأل منازل الأنبياء ، وجعله من الاعتداء في الدعاء لما فيه من التجاوز عن حد الأدب ونظر الداعي لنفسه بعين الكمال ... والاعتداء في كل شيء هو تجاوز الحد فيه ، ويكون الاعتداء في الدعاء أيضا بطلب ما يستحيل شرعا ، وقد قال العلماء : إنه لا يجوز أن يدعو الإنسان بتحول الجبل الفلاني ذهبا أو يحي الله له الموتى ، وقيل الاعتداء في الدعاء أن يدعو بإثم أو قطيعة رحم وهو وجيه) (١)

وفي بيان الشيخ ابن تيمية لمعاني هذا الحديث عند كلامه على الاعتداء في الدعاء قال : (وأن الدعاء ليس كله جائزا ، بل فيه عدوان محرم ، والمشروع لا عدوان فيه ، وأن العدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ وتارة في المعاني ..) (٢)

ولما سئل شيخ الإسلام عن رجل إذا صلى ذكر في جوفه : بسم الله) يابنا (تبارك) حيطاننا ، (يس) سقفنا) وأن رجلا سمع هذا الدعاء فقال : (هذا كفر) . قال شيخ الإسلام في جوابه : (ليس هذا كفراً ..) إلى أن قال : (ولكن هذا الدعاء المسؤل عنه ليس بمأثور ، والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة ، فإن الدعاء من أفضل العبادات ، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه ، فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شرع ، وسن كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات ، والذي يعدل عن الدعاء المشووع إلي غيره . وإن كان من أحزاب بعض المشايخ . الأحسن له أن لا يفوته الأكمل الأفضل ، وهي الأدعية النبوية ، فإنها أفضل ، واكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك ، وإن قالها بعض الشيوخ فكيف يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك . ومن أشد الناس عيبا من يتخذ حزبا ليس بمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كان حزبا لبعض المشايخ ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق ، وحجة الله على عباده ، والله أعلم) (٣)

---

(١) الفتح الرباني جـ ١٤ ص ٢٧٦ .

(٢) مجموع الفتاوى جـ ٢٢ ص ٤٧٤ . ٤٧٥ .

(٣) نفسه ص ٥٢٣ . ٥٢٥ .

أما الأمر الثاني : وهو ارتكاب اقتطاع أجزاء من الآيات القرآنية عمدا طلبا للخاصة اللفظية والمناسبات الحرفية فهو أمر مخالف للسنة للنصوص الآتية : (عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقرأ : الحمد لله رب العالمين . ثم يقف . الرحمن الرحيم . ثم يقف . وكان يقرأها : ملك يوم الدين) (١) هذا حديث غريب)

(وعن عبد الله بن أبي ملكية ، عن أم سلمة أنها ذكرت أو كلمة غيرها ، قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، ملك يوم الدين) يقطع قراءته آية آية) (٢)

هذا من المنقول من قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل نفسه ومن المنقول عنه بأمره وتقريره ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال : (قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إقرا علي ، قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شيهداً . (٣) قال : حسبك الآن فلتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان) (٤) وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لمن أراد قراءة القرآن من القراء : (لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب) (٥)

وفي صحيح البخاري أن أم المؤمنين عائشة رضي عنها أخرجت المصحف لمن سألها عن تأليف القرآن (فأملت عليه آي السور) (٦)

---

(١) جامع الترمذي ج ٨ ص ١٩٨ .

(٢) سنن ابى داود ج ٤ ص ٢٩٤ .

(٣) سورة النساء الآية ٤١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب قول المقرىء للقارىء : حسبك . الحديث رقم (٥٠٥٠) .

(٥) شعب الايمان ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٦) صحيح البخاري . كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن الحديث رقم (٤٩٩٣) .

قال البيهقي : وأحسن ما يحتج به في هذا الفصل أن يقال هذا التأليف لكتاب الله عز وجل مأخوذ من جمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولعله أخذه من جبريل عليه السلام فالأولى بالقاريء أن يقرأه على التأليف المنقول المجتمع عليه . ثم نقل عن الحسن وابن سيريـن : (أنهما كانا يقرآن القرآن من أوله إلى آخره ويكرهان الأوراد • قال : وقال بن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم • قال أبو عبيد : وتأويل الأوراد أنهم كانوا أحدثوا أن يجعلون القرآن أجزاء كل جزء منها فيه سورة مختلفة من القرآن على غير التأليف ، ولكن جعلوا السورة الطويلة مع أخرى دونها من الطوال ثم كذلك حتى يختموا الجزء •••) (١)

هذا في النهي عن خلط سورة بسورة فكيف بقطع آية أو جزء منها وخلطه بآية من سورة أخرى بتنكيس ظاهر مخالف لتأليف المصحف الشريف عدة مرات قال البيقهي : (فصل في تقطيع آية آية في القرآن . وذكر بسنده حديث أم سلمة المتقدم من رواية أبي داود . ثم قال : (ومتابعة السنة أولى مما ذهب بعض أهل العلم بالقرآن من تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها) (٢) وهذا الذي ينبغي اتباعه والأخذ به لأنه هو السنة وصاحبه يسلم من الإخلال بنظم القرآن وآيه واتساق معانيه قال القرطبي قال ابو بكر الأنباوي : (فمن عمل على ترك الأثر والإعراض عن الاجماع ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة ، لم يدرأين تقع الفاتحة ، لاختلاف الناس في موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به ، ورد على محمد صلى الله عليه وسلم ما حكاه عن ربه) (٣)

وساق البيهقي بسنده إلى ابن أبي الهذيل قال : (إذا قرأ أحدكم الآية فلا يقطعها حتى يتمها) (٤)

---

(١) شعب الايمان فضل في ترك خلط سورة بسورة جـ ٢ ص ٤٣٠ . ٤٣٤ •

(٢) نفسه جـ ٢ ص ٥٢٠ . ٥٢١ •

(٣) القرطبي جـ ١ ص ٦٢ •

(٤) شعب الإيمان جـ ٢ ص ٥٢١ •

قال ابن الطيب في مقدماته لشرح حزب الإمام النووي : (هل يصح قراءة آية من القرآن متفرقة ؟

ثم قال : (جرت عادة أهل الأحزاب بذكر آيات من القرآن متفرقة ، واستعمل ذلك كثيراً إمام الصنعة الصوفية أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه . في أحزابه ، وتابعوه على ذلك ، وارتكبه المصنف رحمه الله كغيره ، وقالوا : إن السر الأعظم في ذلك الترتيب الذي رتبوه ، ولا شك أنهم على بصيرة من ربهم ونية ، وأقوالهم وأحوالهم كلها تلقيات والهامات ، ويوافق آراءهم ما ورد عن بلال رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مربه وهو يقرأ آية من هذه السورة وآية من هذه فسأله عن ذلك عليه الصلاة والسلام ، فقال : أخلط الطيب بالطيب ، فقال له عليه الصلاة والسلام : (اقرأ السورة على وجهها) وفي بعضها ، قال له . (أحسنت) وعلى رواية أحسنت يصلح شاهدا في الجملة دون الرواية الأولى ، فإن فيها الأمر بالمحافظة على النظم الكريم .. إلى أن قال : وقد رأيـــت أحاديث في الرقي والحفظ من الغوائل تقتضي جواز قراءة القرآن مفرقا ..) (١) .

تعقيب : أما أن عادتهم جرت بذلك وأنهم اتبعوا فيه إمام الصنعة فلا يثبت به شيء ولا يدل صنيعهم هذا على أنهم على بصيرة من ربهم لما تقدم من مخالفة ذلك الصنيع لنظم القــرآن والسنة الفعليــة والتقريريــة والقولية . وإجماع العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفي وإجماع الصحابة على تأليف المصحف على ما هو عليه بين أيدي المسلمين (٢)

يضاف إلى هذا أن المريدين يحفظون هذه الأوراد والأحزاب غيبا وكثير منهم لا يعرف كيف يرد الآية إلى مكانها ، ولا يفهم من هذا الترتيب الذي جعلوا السر فيه حكماً شرعياً أو دعوة كاملة واضحة .

---

(١) شرح حزب الإمام النووي لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الشرقي ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) انظرفتح الباري جـ ٩ ص ٤٠ .

والأحاديث التي ذكرها أو أشار إليها في باب الرقي وأخذ منها جواز قراءة القرآن مفرقا لا يؤخذ منها جواز أخذ جزء من آية طلبا للفظ فيها دون إتمامها هذا مع أنها روايات ضعيفة واجتهادات معارضة بما تقدم من نصوص لا يجوز الاجتهاد معها .

وهذه هي الرويات المستند عليها : (فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه أبي ليلى ، قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه أعرابي فقال : إن لي أخا وجعا قال : ما وجع أخيك ؟ قال : به لمم ، قال : فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه فسمعته عوذه بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول البقرة ، وآيتين من وسطها ، والهكم إله واحد وآية الكرسي وثلاث آيات من خاتمتها ، وآية من آل عمران أحسبه قال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) وآيه من الأعراف (إن ربكم الله الذي خلق) الآية ، وآية من المؤمنين (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) وآية من الجن (وأنه تعالى جدر بنا ما أتخذ صاحبة ولا ولدا) وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر الحشر ، وقل هو الله أحد والمعوذتين ، فقام الأعرابي قدبرئي ليس به بأس) (١)

ويوضح هذه الرواية رواية الحاكم في المستدرك (فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال يا نبي الله إن لى أخا وبه وجع قال : وما وجعه . قال : به لمم . قال فأتني به فأتاه به فوضعه بين يديه فعوذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من آخر سورة البقرة وهاتين : الآيتين والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وآية الكرسي وآية من آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو) وآية من الأعراف (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض) وآخر سورة المؤمنين (فتعالى الله الملك الحق) وآية من سورة الجن (وأنه تعالى جدر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك شيئا قط) قال الحاكم (قد احتج

---

(١) سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ٣٦٦ .

الشيخان رضي الله عنهما برواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم غير أبي جناب الكلبي والحديث محفوظ صحيح ولم يخرجاه · قال الذهبي قلت : أبو جناب الكلبي ضعفه الدار قطني والحديث منكر) (١)

وهو في مسند الإمام أحمد من زوائد ابنه عبد الله قال شارحه (أورده الهيثمي وقال : (رواه عبد الله بن أحمد وفيه أبو جنات وهو ضعيف وثقه بن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح) (٢) وهذا قريب مما قاله الحاكم ، ونقل الشوكاني سبب تضعيف أبي جناب وهو كثرة تدليسه) (٣) قال الذهبي (يحى بن حية ، أبو جناب الكلبي ، مشهور ، سمع الشعبي ونحوه ، قال أبو زرعة (صدوق مدلس) وقال النسائي والدار قطني : (ضعيف) وقــال يحي بن سعيد القطان : (لا أستحل أن أروي عنه) (٤) · فهذا حال هذا الرجل الذي تدور عليه رواية هذا الحديث المستدل به على جواز قراءة القرآن مفرقا ، والحديث مع ضعفه ليس فيه ما يشهد بجواز جمع الفاظ من القرآن وأجزاء من آيات وقطعها دون النظر إلى معانيها في السياق القرآني طلبا لخاصة لفظية لا يشهد لها دليل من الشارع الحكيم ·

وجاء في شعب الايمان للإمام البيهقي : فصل في ترك خلط سورة بسورة : وأرد فيه حديثا براوية الحليمي رحمه الله قال :(وذلك لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأبي بكر وهو يتخافت ومر بعمر وهو يجهر ومر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ·· إلى أن قال : وقال لبلال : مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة قال: أخلط الطيب بالطيب قال: (اقرأ السورة على وجهها) (٥)

أما رواية مرور النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره لإبي بكر أن يرفع من صوته ولعمر أن يخفض شيئا فهي مخرجة في السنن (٦) قال أبو داود حدثنا أبو حصين بن يحيــى الرازي ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن

(١) المستدرك جـ ٤ ص ٤١٢ . ٤١٢ ·
(٢) مسند الإمام أحمد الفتح الرباني جـ ١٧ ص ١٨٣ . ١٨٤ ·
(٣) تحفة الزاكرين ص ٢١١ . ٢١٢ ·
(٤) المغني في الضعفاء جـ ٢ ص ٣٩٩ الرقم ٦٩٥٤ د ت ق ·
(٥) شعب الايمان جـ ٢ ص ٤٣٠ ·
(٦) الترمذي باب ما جاء في قراءة الليل جـ ٢ ص ٤٣٣ وأبي داود جـ ٢ ص ٨٢ ·

محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة ، لم يذكر (فقال لأبي بكر أرفع من صوتك شيئا ، ولعمر اخفض شيئا) زاد : وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ، قال : كلام طيب يجمع تعالى بعضه إلى بعض فقال النبي صلى الله عليه وسلم (كلكم قد أصاب) (١) .

وعنوان البيهقي يدل على ترجيحه لعدم جواز خلط سورة بسورة ولذا أورد روايات تدل على أن صاحب القصة عمار بن ياسر وفيها (وقيل : لعمار لم تأخذ من هذه السورة ومن هذه السورة قال : أتسمعني أخلط به ما ليس منه قال : لا قال فكل طيب . ونقل البيهقي بسنده عن أبي الأحوص عبد الله قال : (لا بأس أن يأخذ من هذه السورة ومن هذه السورة) (٢) ولكن لم نجد من جوز اتخاذ مثل هذا الورد والدعاء بالتمكن وقهر الخلق وتسخير المخلوقات والتصرف بدقائق أسماء الله الحسنى أو الدعوة بما هو داخل في معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، هذا مع أن الدعاء موسع فيه ومرغب فيه إذ هو العبادة (٣) ما لم يحصل فيه تعد بالتزام ما لم يلتزمه الأنبياء والسلف الصالح من الأدعية وترتيبها على الناس أو تضمينها ما لا يجوز من الدعاء بالإثم أو القطعية (٤) أو الدعاء بما لا يفهم معناه أو ما فيه إخلال بالآداب الشرعية من الإخلال بتعظيم القرآن الكريم وما يجب أن يراعى فيه من الدعاء بالأدعية المباركة التي ذكرها عن الأنبياء أو أمر الله تعالى أن يدعى بها أو كان النبي صلى الله عليه وسلم يواظب عليها (٥) وقد اشتغل الشيخ سيدي المختار بشرح ما اشتمل عليه هذا الدعاء وتوجيه المنقود فيه وكان معظم ما جلبه من الأدلة غير ظاهرالدلالة على مراده (٦) والله أعلم .

---

(١) مسند أبي داود باب صلاة الليل مثنى جـ ٢ ص ٨٢ .
(٢) شعب الإيمان جـ ٢ ص ٤٣١ . ٤٣٢ .
(٣) المستدرك للحاكم جـ ١ ص ٤٩٠ . ٤٩١ .
(٤) عمل اليوم والليلة ص ١٦٧ و ١٨٦ و ٣٤٦ و ٤٨٠ .
(٥) شعب الايمان جـ ٢ ص ٣١٩ وما بعدها باب في تعظيم القرآن الكريم والقراء والقراءات بالمغرب ، سعيد أعراب ، دار الغرب الإسلامي . ط ١٤١٠ هـ ١٧٨ وما بعدها .
(٦) الكوكب الوقاد ص ١١٢ وما بعدها .

المبحث الثاني الورد القادري ووظائفه : عمدة الورد القادري في التلقين والاذكار

وفيه مطالب : عمدة الورد القادري في التلقين - وعمدتهم في الاذكار - ومكانة الورد عندهم

تقديم :

عرفنا في المقدمة أن التصوف حادث في الملة بعد قرنين أو ثلاثة ، وأنه لم يظهر وينتشر إلا في القرون اللاحقة بعد ذلك ، ثم رأينا أن الصوفية أقسام كثيرة وطرق عديدة ولكل قوم منهم مشرب في التعبد والأحزاب والأوراد والسلوك والاعتقاد وعلى ضوء ذلك أنشأ كل إمام في الطريقة لأتباعه أحزابا وأوراداً وأدعية وتحصنات .

وهذه الأوراد والأحزاب المحدثة وما يلحق بها لا يمكن الحكم عليها بالرد المطلق ولا بالقبول التام إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح إذ إن فيها ما يحتاج الحكم عليه إلى تفصيل ، هذا اذا سكتنا عن أصل أحداثها ولم تناقش كونها صارفة للناس عن المنصوص عليه في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار مع إجماع السلف وصالحي الخلف من أهل العلم بأن الاقتصار عليها يكفي من الأذكار (١) وخصوصا إذا أخذنا في الاعتبار أن هذا من العبادات والعبادات من الأمور المحظورة حتى يرد دليل يأمر بها أو يندب إليها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث المخرج في السنن : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) (٢)

قال النووي (فمن العض على السنة الأخذ بها وعدم اتباع آراء أهل الاهواء

---

(١) المنة في اعتقاد أهل السنة . فصل جامع لأذكار ودعوات متنوعات بتنوع الأحوال والأزمان من مولد الانسان إلى نقلته إلى حضرة ربه ص ١١٠ وما بعدها

(٢) سنن أبي داود جـ ٥ ص ١٣ . ١٥ والترمذي جـ ٧ ص ٣٦٦ وما بعدها ، وابن ماجه جـ ١ ص ٢٠ • وكل ضلالة في النار من زيادة النسائي ج٣ ص ١٨٨-١٨٩

والبدع) (١) ويقول ابن الصلاح لما سئل عن القدر الذي يصير به العبد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات فقال : (إذا واظب على الذكر المأثور صباحا ومساء في الأوقات المختلفة فهو من الذاكرين الله كثيرا) (٢) ومع هذا فقد أحدث الناس أوراداً وأحزاباً وأدعوا لها الثواب العظيم ، وأن صاحبها لا يموت إلا على حسن الخاتمة إلى غير ذلك من الفوائد المرغبة . يقول ابن الطيب الفاسي : (المقدمة الثامنة : نشوء الأحزاب والأوراد : (هذه الأحزاب لم تكن في الصدر الأول ولا من بعدهم بقريب ، لكن جرت على أيدي المشايخ الصوفية وصالحي الأمة بحكم التصريف والنظر السديد ، أشتغالا للبطالين ، وإعانة للمريدين ، وتقوية للمحبين ، وحرمة للمنتسبين ، وترقية لهمم المتوجهين من العباد والزهاد ، وأهل الطاعة والسداد ، والجد في العبادة والاجتهاد ، وفتحا للباب حتى يدخله عوام المؤمنين) ثم ذكر أن من الشيوخ من اقتصر على جمع ما ورد به الشرع (وهو أسلم) • ومنهم من وضع من نفسه عن طريق التلقي والإلهام وتناوله من أصوله في اليقظة والمنام ، (وهو أكمل وأتم) •

(ومنهم من وقف فيه موقف المعارف والعلوم ، ولم يبال بمبهم ولا موهم) (٣) وقد قال بأن من شروط العمل بالأحزاب : (تقديم ما جاء عن صلى الله عليه وسلم لأنه الأهم والأوجب ••) (٤) • وعندي أن هذا متناف مع حكمه السابق حيث قال بأن جمع الأحاديث والأدعية والاقتصار عليها : (أسلم) وأن الذين وضعوا من عند أنفسهم على سبيل التلقي والإلهام حالهم :(أكمل وأتم) والأكمل والأتم كان الأولى به أن يقدم لأن ما حكم أنه أسلم لوروده عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو أيضا : الأكمل والأتم ولكن : (•• ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (٥) وعلى هذه المفاهيم الصوفية نهجت القادرية على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى •

---

(١) شرح متن الاربعين النووية ، تحقيق الشيخ عبد الله الانصاري ، مكتبة جدة ص ١١٥ .

(٢) الأذكار المنتجة من كلام سيد الأبرار ، للإمام النووي ، دار العربية - بيروت ص ١٠

(٣) شرح حزب النووي المقدمات ص ٢٦ • انظر هامشه : (للباطلين) في الهامش ، ولعل الصواب : (اشغالا للباطلين) هامش (١) المحقق •

(٤) نفسه ص ٣٤ •

(٥) سورة النساء الآية ٨٢ •

المطلب الأول : عمدة القادرية في التلقين :

تعتمد القادرية في تلقين الأذكار على أمور عديدة تقدم معظمها ومن أبرزها الادعاء والقول بوراثة الصوفية للنبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة التربية الباطنية ، ويقدمون بين يدي ذلك الحديث الآتي : (عن يعلى بن شداد قال حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم غريب ؟ يعني أهل الكتاب ، فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال الحمد لله الذي بعثني بهذه الكلمة وأمرني بها ووعدني عليها الجنة وأنك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم) (١) ورواه الحاكم في المستدرك إلا أنه قال (اللهم) بعد (الحمد لله) ثم قال : (حال إسماعيل بن عياش أحد أئمة أهل الشام وقد نسب إلى سوء الحفظ) (٢) قال الذهبي : (قلت : راشد ضعفه الدار قطني وغيره ووثقه دحيم) (٣) وقال (إسماعيل بن عياش أبو عتبة ، عالم أهل حمص ، صدوق في حديث أهل الشام ، مضطرب جدا في حديث أهل الحجاز . قال أحمد : (ما روى عن الشامين صحيح وما روى عن الحجازين فليس بصيحيح) وقال ابن حبان : (لا يحتج به) وضعفه النسائي (ووثقه ابن معين) (٤) قال (وراشد بن داود الصنعاني الدمشقي ، عن أبى أسماء الرحبى ، وثقه دحيم ، وضعفة الدار قطني) (٥) هذا هو الحديث المستدل به على تلقين هذه الكلمة الشريفة (لا إله إلا الله) ويوجد فيه من هو مختلف فيه إلا أن المنذري في الترغيب والترهيب قال (رواه أحمد بإسناد حسن) (٦) قال الشيخ سيدي محمد الكنتي بعد ذكره للرواية السابقة : وروى أيضا من وجه غريب عن علي رضي الله عنه وهو : (أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلنى على أقرب الطرق إلى الله ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ج ١٤ ص ٣١٣ . ٣١٤ .
(٢) المستدرك ج ١ ص ٥٠١ .
(٣) نفسه ج ١ ص ٥٠١ .
(٤) المغني في الضعفاء ج ١ ص ١٣٩ رقم (٦٩٧ . عه (ي)) .
(٥) نفسه ج ١ ص ٣٢٩ رقم (٢٠٦٦ س) .
(٦) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤١٥ .

وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا علي عليك بذكر الله في الخلوات فقال علي رضي الله عنه : هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : الله الله . فقال علي وكيف يا رسول الله . فقال : أغمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا إله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع ثم قال علي رضي الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع) (١) هذه الرواية بهذا اللفظ لم نجدها في مظانها وقد صدرها بقوله : (روي) بصيغة التمريض وحكم عليها بالغرابة .

وقد خرج الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) (٢) وخرج روايات بهذا اللفظ وغيره وليس فيها شيىء لعلي رضي الله عنه . (٣)

وأما الذكر في الخلوات فقد خرج البيهقي فيه في باب محبة الله تعالى وإدامة ذكره قال : (ومنها الذكر في خلوة وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي رزين : يا أبا رزين إذا خلوت فأكثر ذكر الله) (٤)

وأما تغميض العينين في الرواية المذكورة فهو مقصود الصوفية في الغالب من ايراد هذه الروايات . وتغميض العينين ليس عبادة في حد ذاته وإن كان أقرب إلى تحصيل الخشوع قيل يستحب وقيل بالكراهة على كل حال ولم نقف على أثر يدعوا إليه أو يأمر به . (٥) والذي يؤخذ من الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغمض عينيه في الصلاة وينهى عن رفع البصر في السماء والألتفات أو ما في معناه مما يخالف الخشوع في الصلاة (٦) .

---

(١) جنة المريد ص ٢٠٠ . ٢٠١ .
(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان . ذهاب الايمان آخرا الزمان .
(٣) المستدرك للحكام ج ٤ ص ٤٩٤ . ٤٩٥ كتاب الفتن الملاحم .
(٤) شعب الإيمان ج ١ ص ٤٠٥ .
(٥) زاد المعاد ج ١ ص ٢٩٣ . ٢٩٤ .
(٦) مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٩٠ و ٩٦ . ٧٩ . ١٠١ .

وعلى هذا فالمقصود من الاستدلال بهاتين الرواتين هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لقن كلمة الشهادة لعلي رضي الله عنه على الهيئة المذكورة وأن عليا رضي عنه لقنها للحسن البصري أو الحسن بن علي رضي الله عن الجميع وعن هذه الطريقة والسند أخذت بها الصوفية وعلى هذا فهم مستنون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ويلقنون مريديهم على هذه الصفة ٠

وبما أننا عرفنا أن هذه الرواية لا يعتمد عليها في شيء لعدم ثبوتها على الهيئة المذكورة المتسدل لها بها ، وأنه تقدم لنا أن سلاسل الصوفية والقادرية ضمنها لا يصح منها شيء ولا يستقيم بالتالي الاستدلال بشيء من طرقها فإنه لم يبق إلا أن يقال بأن النبي صلى الله عليه وسلم وردت عنه الأحاديث الصحاح في الحث على كلمة الشهادة والإكثار منها والإكثار من أذكار أخرى غيرها وفضل الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن في المساجد وغيرها وأمر المار برياض الجنة . مجالس الذكر . أن يرتع كل ذلك عام لهذه الأمة ولا يخصص منه أحد وليس فيه مايدل على تخصيص هيئة أو فئة (١) وعلى هذا فإن التلقين للشهادة لا يكون واجبا على أحد بعينه إلا عند الدخول في الإسلام والخروج من الكفر وهذا لم يرد فيه نص عند القادرية يبين واجباته وهيئاته عندهم حتى يعرف إنه هو المراد عندهم بتلقينه الشهادتين حتى يدخل في دين الله أما من نشأ في الإسلام فإنما يطالب بالقيام بوظائف الدين من صلاة وذكر وصوم وزكاة وحج وغير ذلك من شرائع الإسلام فإذا قام بذلك حكم بإسلامه واستمراره على ذلك بعد بلوغه وتكليفه وإلا حكم بردته عن دينه الذي فطره الله عليه ونشأ عليه (٢) قال محمد بن ميارة (أما المؤمن بالاصالة فيجب أن يذكرها مرة في العمر ينوى في تلك المرة بذكرها الوجوب وإن ترك ذلك فهو عاص وإيمانه صحيح والله أعلم) (٣) ونطق المكلف بالشهادتين بنية أداء الواجب قالت به القادرية عند التلقين (٤) ولكن القائلين بوجوب النطق بها على الناشئ في الملة الإسلامية من العلماء لم يوجبو اعليه أن يكون نطقه بها مبايعة لأحد مبايعة توجب له عليه الطاعة والاتباع كما أرادت القادرية (٥)٠

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ ١٤ ص ١٩٧ وما بعدها ٠ وشعب الإيمان جـ ٢ ص ٣٨٩ وما بعدها ٠

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان . النووي جـ ١ ص ١٤٤ وما بعدها ١٥٠ وميارة ٥٢ وما بعدها ٠

(٣) ميارة ص ٥٢ ٠

(٤) جنة المريد ص ٢٠١ ٠

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان جـ ١ ص ١٤٩ ٠

المطلب الثاني : عمدة القادرية في الاذكار

رأينا في المطلب السابق أن القادرية تعتمد في تلقين أورادها على الحديثين اللذين بينا حالهما وأنه لا يثبت بهما شيء من المدعى لعدم ثبوتهما وأن أصل وجوب النطق بالشهادتين والدعوه إليهما والإكثار من ذكرهما ثابت بنص الكتاب والسنة الصحيحة بدونهما ومع ذلك فإن القادرية زادت أوراداً أخرى على مجرد تلقين الشهادتين وأوجبت الأخذ بها والمحافظة عليها (١)

يقول الشيخ سيدي محمد بعد بيانه لمكانة السند في (علوم الحقائق والأذكار) وأن (السند عندهم هو العروة الوثقــى التي بها يستمسكون ..) يقول : (ومن ثم كانت إقامة الورد المأخوذ عندهم في وقته عند إمكانه لازمة لكل صادق فإذا عارضه عارض بشرية أو ما هو واجب من الأمور الشرعية لزم انفاذه بعد التمسك بما هو في جهده من غير إفراط مخل بواجب الوقت ثم يتعين تداركه بمثله لئلا يعتاد البطالة ولأن الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أوأراد شكورا (٢) والأوقات كلها لله فليس للاختصاص وجه إلاحيثما خصص الشارع (٣)

ويقول : (ومن ضرورة الصحبة كان أهل الصوفية يجوبون الفيافي والقفار : (طلبا للاجتماع بمرشد ناصح أو مرب صالح أو مرق بهمته نافح وإن لم يجتمع به إلاقدر ما يلقنه كلمة الشهادة بسندها ..) (٤) ثم أخذ يترجم لسلسة القادرية على ما تقدم بيانه في دراسة سلاسلهم ثم قال : (فهذه سلسلة سندنا في الأوراد ولنا أخرى تختص بالتلقين بالهيللة برسم البيعة على النحو المتواتر في بيعة الرضوان عن سيد الأكوان للصحابة الأعيان أضربنا عنها صفحا لضيق المقام عن خرطها في سلك هذا النظام وعسى إن ساعد القدر وساعفت المشيئة أن أفردها بمجموع يخصها أو مع غيرها) (٥) . ويظهر أنه ساعده القدر فذكرها في مجموع آخر هو جنة المريد ونصها :

---

(١) الكوكب الوقاد ص ٢٤ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٦٢ .
(٣) الطرائف ص ١١٢ . ١١٤ .
(٤) نفسه ص ١١٣ .
(٥) نفسه ص ١٥٩ .

أولا : ما يلقن للمبتدئن : (لا إله إلا الله تنفي الشقاق ٠
لا إله إلا الله تنفي النفاق ٠
لا إله إلا الله تخرق الطباق ٠
لا إله إلا الله تزيل ظلمة الليالي المحاق ٠
لا إله إلا الله السباق السباق ٠)

ثم يقول بعد ذلك : (لا إله إلا الله الكلمة الشما ٠
لا إله إلا الله النفحة العظمى ٠
لا إله إلا الله الشجرة التي أصلها ثابت ٠
في أرض القلوب وفرعها في سماء الغيوب ٠)

ثانيا : ما يلقن للمنتهين :(لا إله إلا الله الكلمة التي يزال بها الكرب عن كل مكروب
لا إله إلا الله الكلمة التي تزيل الحجاب عن كل محجبوب ٠
لا إله إلا الله الكلمة التي ينال ببركتها كل مرغوب ٠
لا إله إلا الله الكلمة التي من تحلى بها فهو عند الله محبوب

ثم يقول بعد ذلك : (لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع إلا الله . ثلاثا) ٠

(١) ويقول الشيخ سيدي المختار الكنتي : (لا إله إلا الله بداية السلوك ، واعلم أن لا إله إلا الله وسط السلوك وقل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون نهاية السلوك . فإذا ارتقى . يعني في السلوك . إلى درجة الشهادة اكتفى بقوله الله الله . إلى أن قال فصار عبداً محضا لرب محض قال الله تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو) (٢) ثم نقل بأن الشبلي (كأن لا يزيد على أن يقول الله فقيل له ألا تقول لا إله إلا الله فقال : أخشى أن أموت في وحشة الجمود) (٣) ونقل عن الجنيد من قوله (وما جن مجنون من العارفين إلا بتحسي خمرة الجلالة ٠٠) (٤)

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي : (فكان الشيخ رضي الله عنه لمهارته في باب التربية يأمر المبتدىء من أصحابـــه بالاختلاء بالكلمة الشريفة حتى يظهر له ما

---

(١) جنة المريد ص ٢٠١ . ٢٠٣ ٠
(٢) الكوكب الوقاد ص ٥٤ ٠ من سورة الحشر الآية ٢٣ ٠
(٣) نفسه ص ٥٥ ٠
(٤) نفسه ص ٥٥ ٠

هو مختص بـه من الأسماء فيدرجه إليه حتى ينفتح عليه باب معرفة بحسب اللائق به) (١) قلت : وصاحب هذا النص هو الذي عاب على الاغظفية كما تقدم الاقتصار على كلمة التوحيد وسمى ذلك تجريدا وتمشدقا) (٢) وهو في نقده محق فيما بينه ولكن امتداحه لوالده بأمره لمريديه بالاقتصار على كلمة الشهادة وأن ذلك مهارة في التربية وذم غيره بالتسليك على نفس المنهج يلاحظ عليه ٠ ويفهم من كلام الشيخ محمد فاضل بن الحبيب صاحب الضياء أنه يرد على الشيخ سيدي محمدفي نقده للأغظفية في عدم جمعهم عند الذكر لطرفي الكلمة الشريفة فيقول بعد بيان لفضل الذكر بلا إله إلا الله (٣) (لم يفرض الله تعالى على الذاكر أن يقرن محمد رسول الله بلفظ لا إله إلا الله إلا مرة واحدة ليدخل بذلك في الإسلام وما عدا ذلك من المواطن فالذاكر مخير إن شاء قال في ذكره لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن شاء قال لا إله إلا الله محمد رسول وإن شاء اقتصر على لا إله إلا الله وإن شاء كرر لا إله إلا الله مرارا ثم اتبعها بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة) (٤) ثم أورد بعض الأذكار وقال : (فإن هذه كلها أذكار ولم يرد عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا التابعين بل ولا عن أحد من علماء هذه الملة وجوب اقتران ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ببعض ولا وجوب اقتران بعضها ببعض) (٥) ٠ وهذا الكلام صواب من حيث القول بأنه لا يجب ذلك ولكن من حيث الأدب والكمال وطلب الأفضل فلا يخفى أن إضافة الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم علاوة على ما فيه من تجديد الايمان قائد إلى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وتلك عبادة عظيمة وأجرها كبير ، أما إذا صح ما قاله الشيخ سيدي محمد الكنتي عنهم من قولهم : (إنما تبلغ الغاية وينال الوصول بذكر الله وذكر النبي حجاب عن الغاية) (٦) فمن قال منهم هذا القول محجوب عن

---

(١) جنة المريد ص ١٤٣ ٠

(٢) الغلاوية ص ١٩٢ و ١٩٤ ٠

(٣) الضياء ص ١٥٠ . ١٥٢ ٠

(٤) نفسه ص ١٥٢ ٠

(٥) نفسه ص ١٥٢ ٠

(٦) الغلاوية ص ١٩٢ ٠

الغاية سواء ذكر الله أو لم يذكره إن أراد بهذا القول تنقيص الجانب الشريف وإن أراد شيئا آخر فإنه أقل ما يقال فيه أنه سوء أدب ولا أظن مسلما يرتكب مثل هذا القول وهو في وعي وإيمان بالله ورسوله . وهذا المستدل بأن الأذكار التي أوردها ليس فيها ما يوجب اقتران ذكر النبي والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بكلمة(لا إله إلا الله) عند الذكر بها لا من الكتاب ولا من السنة ولا قول عن التابيعن ولا علماء الملة . يورد بعد هذا القول والاستدلال مباشرة ما يأتي (فصل كان الشيخ حفظه الله ورعاه وأطال حياته فيما يحب ويرجو من مولاه كثيرا ما يذكر تلاميذه بلفظ الله الله وربما سمعته هو بنفسه الشريفة يذكر به مفردا تمسكا بقوله تعالى : ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ (١) وقوله تبارك وتعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (٢) ثم ذكراجتهادات وآراء لبعض الصوفية في ترجيح الذكر بالاسم المفرد وقال : (فلهذا رجحت الطائفة لفظة ﴿ الله ﴾ وحدها أو ضميرها من غير تقييد ثم إن الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر وما أمر بالكثرة من شيىء إلا من الذكر قال تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ (٣) وقال ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (٤) وما أتى الذكر إلا بالاسم (الله) فإنه معرى عن التقيد فقال :(اذكروا الله) وما قال بكذا ﴿و لذكر الله أكبر ﴾ (٥) ولم يقل بكذا وقال : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ (٦) ولم يقل بكذا وقال ﴿ فاذكروا اسم الله عليها .. ﴾ (٧) ولم يقل بكـذا وقال ﴿ كلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ (٨) ولم يقل بكذا وقال صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله) (٩) فما قيده بأمر زائد على هـذا اللفظ لأنــه ذكـر الخاصــة من عبـاده الذيــن يحفظ بهـم عالم الدنيــا ..) (١٠)

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١ .
(٢) المزمل الآية ٨ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥٠ .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٤١ .
(٥) العنكبوت الآية ٤٥ .
(٦) البقرة الآية ٢٠٣ .
(٧) سورة الحج الآية ٣٦ .
(٨) الانعام الآية ١١٨ .
(٩) تقدم الحديث .
(١٠) الضياء ص ١٥٢ . ١٥٥ .

وقال : (فصل كان الشيخ حفظ الله ساحته وأطال الفسحة في حياته وأفاض علينا جزيل بركاته كثيرا ما يذكر مريدوه بحضرته بهو هو وكثيرا ما أسمعه أعز الله جنابه الكريم وأدام له العافية في أكمل عز وأتم نعيم يذكر بنفسه الشريفة ويقول : هو هو وذلك أن لفظ هو موضوعة لغائب حسا حاضر ذهنا لتقدم ذكره لفظا أو حضوره هو ذهنا ...) (١) ويقول : (فصل كان الشيخ حفظه الله ورعاه كثيرا ما يذكر مريدوه بأنت أنت، وربما سمعته أعزه الله وعمره في العافية يقول أنت أنت ..) (٢)

ويقول : (فصل كان الشيخ حفظه الله ورعاه وأطال حياته في عافية من مولاه كثيرا التأوه بمعنى أنه كثيرا ما يقول أه أه وهذا اللفظ إما اعتبار أو ذكر وقد قال تعالى في خليله إبراهيم على نبينا وعليه السلام﴿إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (٣) قيل الأواه كثير التفكر وقيل كثير(التنهت) بالتفكر وقيل الرجاع إلى الله تعالى في الأمور .. وأما الذكر بها أي استعمالها ذكراً لله تعالى فليس لغير كمل المحققين أهل الأخذ عن الله تعالى ... فمن فاتحه الحق سبحانه بعلم هذه الإشارات المأخوذة بطريقة الكشف في ميدان المناسبة صح له أن يذكر الله تعالى بأي كلمة شاء وبأي حرف شاء .. وبالجملة فإن الذكر بلفظة أه سره مكنون وغيبه مصون وعلمه مخزون ..) (٤) . بمثل هذه الأقوال والاستدلال لها وعليها يقول الشيخ ماء العينيين أيضا (٥) .

نقد ما تضمنته هذه النصوص : هذه بعض النصوص الشاهدة على أن القادرية يعتمدون هذه الأذكار (الله الله هو هو أنت أنت أه أه) ورأينا تلمسهم أو تكلفهم لها أدلة من الكتاب والسنة بإيراد بعض الآيات التي ورد فيها اللفظ المذكور ولو لم يقصد به ذكر في ذلك المحل ، ويظهر أن اعتمادهم لها ومحاولة الاستدلال على مشروعية الذكر بها إنما نشأ من أعتمادهم لتراث الصوفية بدون تمحيص كما تقدم .

---

(١) الضياء ص ١٥٦ .

(٢) نفسه ص ١٥٨ .

(٣) التوبة الآية ١١٤ .

(٤) الضياء ص ١٥٩ . ١٦٢ . قلت : (التنهيت او النهيت) : صوت يخرج من الصدر شبيه بالزمير، قال ابن الأثير : (نهت) فيه (أريت الشيطان ، فرأيته ينهت كما ينهت القرد) أي يصوت . النهاية في غريب الحديث والأثير . جـ ٥ ص ١٣٤ .

(٥) نعت البدايات ص ٥٣ . ٦٠ . ٦٣ . و ٧٤ . ٧٩ .

ذلك أن ما ذكروه فيها وفي جواز الذكربها إنما هو تكرار لما اشتهر عن ابن عربي ومن تبعه من تلاميذه من غلاة المتصوفة ومع أن بعضهم لا يقول بهذه الأذكاركالشيخ سيدي محمد الكنتي الذي صرح بأنه لا يقول بها ويرى أن من خصائص طريقتهم عدم الأخذ بها وإن كان بعض شيوخ السلسة لا يأباها كما يقول .

قال : (ومن خصائص طريقتنا هذه خلوها عما في غيرها من الطرق من الشطح والتماوت والتغاشي والرقص ورفع الصوت بأذكار المستغرقين كهو هو وياه ياه والله الله ونحو ذلك من الإنشادات والسماع ...) (١) ويؤكد هذه الخصائص في معرض نقده لبعض متصوفة زمانه الذين اشتهروا كما يقول بمثل استعمال هذه الأذكار وما يصاحبها (٢) وقد قدمنا في هذا المطلب عن الشيخ سيدي المختار ما يدل على تجويزه للذكر بلفظة الجلالة (الله الله) كما يفهم من نقله عن الشبلي أنه كان لا يزيد على قول : (الله الله) ما ذكره الشيخ سيدي محمد من أن بعض رجال السلسلة ومنهم الشبلي يأخذون بهذا الذكر والله أعلم .

وإليك نقد ما تضمنته هذه النصوص :

أولا : التلقين تقدم لنا بيان حال الحديث الذي استدل به القادرية على البيعة وتلقين الأذكار من حيث سنده ودلالته على المستدل به عليه واتضح أنه لا حجة فيه لهم ، وإن أخذ منه دليل على شيء ما فإنما هو جواز الاجتماع على الذكر وتجديد الإيمان (٣) وهذا فيه من الأدلة الثابتة ما يغني عن الاستدلال عليه بهذا الاثر الضعيف .

ثم إنه قد تبين لنا بما تقدم من إيراد أدلة وجوب النطق بالشهادتين على الكافر والخلاف في وجوب ذلك على الناشيء في الإسلام ما يكفي عن اعادته هنا فيبقى أن الشيخ سيدي محمد الكنتي قال بأنه سيأتي بالتلقين المختص بالهيللة برسم

---

(١) الطرائف ص ١٥٩ .

(٢) الغلاوية ص ١٩٥ وما بعدها .

(٣) سند الإمام أحمد جـ ١٤ ص ٢١٣ . ٢١٤ .

البيعة على النحو المتواتر في بيعة الرضوان ثم جاء بهذه الصيغة المذكورة ونصوص بيعة الرضوان تقدمت في نقد مسالكهم في البيعة واعتقادهم فيها وقياسهم لشيوخهم على النبي صلى الله عليه وسلم ولمريديهم على الصحابة رضوان الله عليهم وليس في تلك النصوص بصيغها ما يشبه هذه الصيغة المذكورة (١) وكذلك ليس في نصوص بيعه العقبة الأولى والثانية ما يمكن أن يكون صاحب هذه الصيغة قصده إلا إن أراد الاقتصار على مجرد الشهادة بالتوحيد (لا إله إلا الله) والذي كان في بيعة العقبة أكثر من ذلك وما كان في بيعة الرضوان المبايعة على عدم الفرار أو الموت على ما تقدم إيضاحه (٢) ثم إذا قارنا هذه الصيغة بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقن الناس عند الدخول في الإسلام نجد أن هذه الصيغة تختلف عنه بأمرين ظاهرين :

أحدهما : الإقرار له صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

ثانيهما : ما تضمنته هذه الصيغة من السجع المنهي عنه في الذكر والدعاء .

فأما الأول : وهو الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقد تقدم نقد الشيخ سيدي محمد نفسه لقوم اقتصروا في ذكرهم على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) دون الشهادة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأحرى بالنقد من يقتصر عليها عند التلقين الذي يمكن أن يعتبر في مفهوم القادرية شاملا للكافر والمسلم عند دخول الأول في الإسلام والطريقة ودخول الثاني في الطريقة والبيعة للشيخ.

أما في حق الكافر فالأمر واضح فإنه لا إسلام بدون النطق بالشهادتين فعن معاذ رضي الله عنه قال : (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ..) (٣) قال النووي في بيان هذه الرواية : (وفيه أن السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال وفيه أنـــه لا يحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين وهذا مذهب أهل السنه) (٤)

---

(١) انظر مباحث الفصل السابق مكانة الشيخ وآداب الطريق .

(٢) انظر مبحث : واجب المريدين نحو الشيخ وذويه من الفصل السابق .

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرايع الإسلام .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٩٧ .

ويقول الحافظ بن حجر بعد إيراده لألفاظ حديث معاذ رضي الله عنه (وقد بينت في آخر (كتاب الزكاة) (١) أن الأكثر رووه بلفظ : (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..) (٢) ويمثل ما جمع به الحافظ بن حجر بين الروايات جمع به الامام النووي بينها في باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لااله إلا الله محمد رسول الله ...) (٣) وهذا هو الذي ينبغي أن ينسب للشيخ عبد القادر حيث يقول في الغنية : (باب نبدأ فنقول الذي يجب على من يريد الدخول في ديننا : أولا : أن يتلفظ بالشهادتين ، لا إله إلا الله محمد رسول الله . ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام ..) (٤) .

أما الثاني وهو السجع المتعمد فإنه مخالف لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من القصد إلى المطلوب والاقتصار على أقرب عبارة تبلغه ففي مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم لو فد عبد القيس عن ابن عباس رضي الله عنهما : (قال أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال هل تدرون ما الإيمان بالله ، قالوا الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..) (٥) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ليلة العقبة : (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ..) (٦) . ولم نجد في الفاظ مبايعات النبي صلى الله عليه وسلم للناس شرحا لمدلول كلمة الشهادة وما تتضمنه من الفوائد أكثر من بيانه للفظ الشهادة أو بيان بعض اركان الإسلام التي تجب بالدخول في الإسلام إجمالا ، فالأولى لمن أراد أن يبلغ عن الله أن يستعمل الألفاظ الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم الثابته في القرآن والسنة والاقتصار على تلك الألفاظ المباركة فيه خير كثير وخصوصا في أصول الدين وأركانه ، وأسلم من الدخول في الاجتهادات التي تفضي بمرتكبها إلى أمور

---

(١) فتح الباري جـ ٣

(٢) فتح الباري جـ ١٣ ص ٣٥٤ . ٣٥٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٢٠٠ . ٢٠٧ .

(٤) الغنية جـ ١ ص ٢ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(٦) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب حدثنا أبو اليمان الحديث رقم : (١٨) .

أقلها أن يضيف عبارات من عنده أو يحذف بعض ما نطق الشارع به في حالة تبليغ مثل هذه العقيدة أو يأخذ إلى أنماط من أساليب التعبير والترغيب باستعمال الأناشيد أو السجع المتكلف . قال البخاري : باب ما يكره من السجع في الدعاء .

وروى عن عكرمـــة عن ابن عباس في إرشاده له في التحديث والوعظ : وفيه : (فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب) (١) وظاهر أن لا إله الله محمد رسول الله هي أفضل وجوه الذكر والدعاء (٢) ولذا يتأكد اجتناب الخلط في تبلغيها أو السجع المتلكف في أدائها ولو أن فاعله ضمنه بعض دلائل هذه الكلمة الشريفة فانه وضعه في قالب يشبه الأناشيد المسجعة ويحفظه للمريدين حيث إنه من أساسيات الورد (٣) وعندي أن ظاهرة تغني المغنين في البلاد بهذه الكلمة الشريفة ناشيء من أنشاد المريدين لها على هذه الصورة وما شاكلها من الوظائف التي يتضمنها الورد وهذا فيه من الجرءه على الله تعالى باتخاذ أفضل ذكره لهوا ولعبا وإدخاله في أثناء الغناء المحرم شرعا لما اشتمل عليه من مصاحبة المنكرات ووصف المحرمات ولعل أرباب التصوف هم المتسببون في التسيهل على عوام الناس وجهالهم بحقوق الله تعالى وما يليق بعظمته وجلاله في البلاد عموما بوضعهم مثل هذه المقطعات وإنشاد الأبيات المشتملة على ذكر الله تعالى ومدائح رسوله صلى الله عليه وسلم ومن حكم النهي عن السجع في الكلام أنه يؤثر في النفوس والطبائع وأنه من صنيع الكهان ، هذا مع مخالفته لروح الذكر وما يطلب فيه من الخشوع والخشية (٤) وهذه أمور ذكرها صاحب هذا النص المنقود واعتبرها من بدع صوفية الزمان وفاته أن له حظا من ذلك بمثل هذا (٥)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات الباب المذكور ، الحديث رقم : (٦٣٣٧) .

(٢) عمل اليوم والليلة ص ٤٨٠ ومابعدها .

(٣) الكوكب الوقاد ص ١٧٦

(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ١٣٩ .

(٥) الغلاوية ص ١٩٥ وما بعدها .

ثانيا : الذكر بالاسم المفرد: لفظة الجلالة (الله)

جاء في بعض النصوص المنقولة عن القادرية في تجويز الذكر بالاسم المفرد قولا وفعلا أن الله تعالى أمر بذكره بهذا اللفظ (الله) ولم يقيده بأمرزائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ بهم عالم الدنيا ..) (١)

ففي هذا النص إجمال يحتاج إلى إيصاح ، فلين أراد صاحب النص أن الله أمر بذكره تعالى بهذا اللفظ فقط فهذا غير صحيح لما فيه من مصادمة نصوص الكتاب والسنة إذ إن الله تعالى يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (٢) ويقول تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ (٣) وفي الصحيح : (إن للـه تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة) (٤) فما علمناه من أسمائه سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة كنا مطالبين بذكره به ودعائه به جل وعلا ، وما لم نعلمه مما علمه أحداً من خلقه غيرنا كالملائكة والأنبياء والجن أو استأثر تعالى بعلمه كان لنا أن ندعو به على حسب الألفاظ الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسند الإمام أحمد عن بن مسعود رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبد له مكانه فرحاً قال فقيل يارسول الله ألا نتعلمها ؟ فقال بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) (٥) ثم إن هذا الاحتمال إن كان مراده قد نقضه هو بما ذكر من أذكار بعد قوله ذلك بالفاظ أخرى سيأتي إن شاء الله نقدها .

---

(١) الضياء ص ١٥٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١١٠ .

(٤) البخاري كتاب التوحيد باب إن لله مائه اسم إلا واحدة تقدم الحديث .

(٥) مسند الإمام أحمد ج ١٤ ص ٢٦٢ . ٢٦٣ .

ونقضه كذلك بقوله إنه يصح لبعض الناس المكاشفين كما يقول أن يذكر الله تعالى بأي كلمة شاء وأي حرف شاء ...) (١) وهذا المذهب الذي ألمح إليه في هذه العبارة من أقوال الحلولية الذين يقولون بأن الله حال في كل شيء وأن الذاكر للصنم ذاكر لله وما شابه ذلك وكفى بهذا سوء الاعتقاد والتناقض ولكن يظر أنه نقل هذا الكلام عن الشعراني عن ابن عربي الطايء وأمثالهم كما صرح بأسمائهم وكتبهم التى تضمنت هذا القول (٢) ويحتمل أنه أراد بهذا القول أن المجال واسع في الذكر فأيّ لفظ شئت فاذكر الله به وهذا باطل لما يقتضي من القول بأن الله تركنا سدى ولم يبين لنا في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ما يجوز أن نذكر الله تعالى به من أسمائه وصفاته وما يليق به سبحانه وتعالى من نعوت الجلال والكمال .

فذكر الله تعالى من أعظم العبادات وأنفع القربات بعد أداء الواجبات والمفروضات وهو شامل لأمور كثيرة من عبادات ومعاملات باللسان والقلب والفكر والعمل وكل هذه مبينة في الكتاب والسنة وعلى درجات متفاوتة (٣)

وإن أرادت القادرية قصر الذكر هنا على الذكر باللسان وأن الذكر بلفظ الجلالة (الله) هو ذكر الخاصة فهذا لا يسلم فيه القول على الاطلاق إيضاً إلا بعد الإيضاح والتقيد بالقيود المشروعة حيث إن المراد من الذكر ذكر الله تعالى الذي هو الذات العلية . وهذا الاسم العظيم علم عليها ولم يطلق على غيرهاولذا كان هو الأصل في الأسماء الحسنى (٤) قال القاضي أبو بكر بن العربي في عده لإسماء الله الحسنى وبيانه لمدلولاتها ومعاني مشتقاتها . قال : (الأول : الله ، وهو اسمه الأعظم الذي يرجع إليه كل اسم ، ويضاف إلى تفسيره كل معنى ، وحقيقته المنفرد في ذاته وصفاته ،

---

(١) الضياء ص ١٦١ .

(٢) انظرنفسه ص ١٦١ .

(٣) انظرفتح الباري جـ ١١ ص ٩٤ وما بعدها .

(٤) نفسه جـ ١١ ص ٢٢٤ والقرطبي جـ ١ ص ٣٧ و ١٧١ . ١٧٢ .

وافعاله عن نظير ، فهذه حقيقة الإلهية ومن كان كذلك فهو الله) (١)

فهذه الذات الكريمة المقدسة هي التي تذكر ويكثر من ذكرها ليلاً ونهاراً وعلى كل حين ولكن بما شرع في الكتاب والسنة قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فانبئنى منها بشيء أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل) (٢) ونلاحظ لفظة (من) .

ثم إن الخاصة أعظمهم ومعلمهم هو النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروعنه أنه كان يذكر بلفظ الجلالة مفردا ويكرره على الهيئة التي يصفونها عن أنفسهم ، وكذلك لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر أحدا من أصحابه أن يتخذ وردا من اللفظ الكريم يردده مفردا .

وهم لم يدعو هذه الأمور بنقل صحيح خاص بذلك ولكن قالوا بأنه عمل الخاصة والخاصة لفظ تستعمله الصوفية خاصا بها والخواص الذين قالوا بأن الذكر بالاسم المفرد ذكر لهم ليس في عملهم حجة ، والكتاب والسنة هما الحكم الحاكم عليهم ، ولا يفيدهم لقب الخواص مزية في الشريعة يخصصون به ، وترجيحهم الذي ذكره صاحب الضياء (٣) لا يلتفت إليه ما دام لامر جح له من كتاب ولاسنة ولاتساعدهم اللغة العربية لو كان في أسماء الله تعالى قياس واجتهاد فكيف وأسماء الله الحسنى وما يذكر به جل وعلا وما يوصف به كل ذلك توقيف لا محل للرأي فيه ولا اجتهاد ، فلا اجتهاد فيه لأنه توقيفي ولا يقبل أيضا اجتهاد من تجاوز وادعى عدم التوقيف في الذكر والدعاء لأنه لا أجتهاد مع النص قال الحافظ بن عبد البر رحمه الله تعالى : (ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلـم أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار

---

(١) آيات الاحكام جـ ٢ص ٨٠٨ .

(٢) سنن ابن ماجه باب فضل الذكر جـ ٢ ص ٤١٨ .

(٣) الضياء ص ١٥٢ .

الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه) (١) ٠ وقد جاءت نصوص فيها تكرير اللفظ الشريف (الله) ومناسبتها تبين المراد منها وإيراد العلماء لها في أبواب غير أبواب الذكر توضح فهمهم للمقصود منها ٠

من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه في باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى لا يقـال في الأرض الله الله) وفي لفظ له (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) (٢) ٠

قال الإمام النووي في بيان هذه الرواية من حيث ضبط الاسم المقدس فيها وتكريره :(وفيه قوله صلى الله عليه وسلم على أحد يقول الله الله هو برفع اسم الله تعالى وقد يغلط فيه بعض الناس فلا يرفعه ، واعلم أن الروايات كلها متفقة على تكرير اسم الله تعالى في الروايتين وهكذا هو في جميع الأصول قال القاضي عياض رحمه الله وفي رواية ابن أبي جعفر يقول : لا إله إلا الله) (٣)

وقال الآبي شارح مسلم تحت عنوانه: أحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: (لاتقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله) ثم قال : قال القرطبي . يعني صاحب المفهم على مسلم . (قيدنا الكلمتين بالنصب وهو كالنصب في قوله الأسد الأسد بفعل لا يظهر لنيابة التكرار عنه ولذا إذا لم يكرروا يظهرون الفعل فيقولون احذر الأسد ، وقيدهما بعضهم بالرفع على الابتداء ورفع الخبر قال القاضي عياض : (الله الله) هي روايتنا عن الجميع ورواه ابن أبي جعفر : (لا إله إلا الله) قلت . والكلام للأبي : هو تفسير لرواية الله الله لأن ذكر الاسم لا ينقطع لعدم إنكار الصانع ولا يقال فيه جواز ردة كل الأمة لأنه فرق بين الأمة ارتدت والأمة لم يبق منهم أحد) (٤)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ص ٩٦ ٠

(٢) صحيح مسلم وقد تقدم الحديث ٠

(٣) النووي جـ ٢ ص ١٧٨ ٠

(٤) إكمال إكمال المعلم جـ ١ ص ٢٥٥ . ٢٥٦ ٠

فهاتان الروايتان وضحتا مناسبة إيردهما بالاضافة إلى رواية ابن أبي جعفر المفسرة لهما أن المراد بهما أن الساعة لا تقوم إلاعلى شرار الخلق الذين كفروا بالله وأعرضوا عن ذكره واستحلوا محارمه وبهذا جاءت الأحاديث الصحاح فلا حجة في هذه الرواية على جواز الاقتصار على الاسم المقدس مفردا والذكر به واتخاذه وردا ٠

وقد جاء في روايات أخرى في المسند والسنن في باب ما يقال عند الكرب والهم والغم ورد فيها هذا الإسم المقدس مكررا وغير مكرر ٠

ففي المسند عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولها عند الكرب : الله ربي لا أشرك به شيئا) (١)

قال الساعاتي : (ظاهره أنه يكتفى بهذا الدعاء مرة واحدة) (٢) وفي سنن أبي داود عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب ، أو في الكرب ، الله الله ربي لا أشرك به شيئا) (٣)

قلت : ومثله في سنن ابن ماجه قال السندي في إعراب هذا الحديث : (الله الله الخ : الأول مبتدأ والثاني تأكيد له وربي خبر وجملة لا أشرك خبر بعد خبر ومعنى لا أشرك به أي في العبادة أو في إثبات الألوهية) (٤) وعلى هذه الروايات أيضا لا مستند لهم في جواز الذكر بالاسم المقدس مفردا لورودها في مقام بيان إظهار الافتقار واللجإ والدعاء إلى الله تعالى والتوسل إليه جل باعتقاد وحدانيته ثم إن الاسم الكريم لم يرد هنا إلا في جملة تامة هي المبتدأ والخبر ، وكل ذكر تام متضمن لكلمة التوحيد أو معناها مثل ما في هذه الروايات فجائز الذكر به والدعاء به وعلى هذا فسر العلماء الآية الكريمة المستدل بها على جواز الذكر بلفظ الجلالة مفردا والاقتصار عليه في الجواب على السؤال الموجه بأمر من الله تعالى لليهود مثل قولتهم :(وما قدروا الله حق إذ قالوا ما أنزل على بشر من شيىء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا

---

(١) مسند الامام أحمد جـ ١٤ ص ٢٦٢ ٠

(٢) الفتح الرباني جـ ١٤ ص ٢٦٢ ٠

(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب في الاستغفار جـ ٢ ص ١٨٢ ٠

(٤) ابن ماجه باب الدعاء عند الكرب جـ ٢ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ٠

آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خضوهم يلعبون) (١)

قال بن جرير الطبري : (وأما قوله : (قل الله) فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهام هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) بقيله الله . ثم نقل بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الله أنزله) (٢) وبما نقل الطبري عن ابن عباس نقله ابن كثير وقال : (وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى (قل الله) أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة (الله) وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة فائدة بحسن السكوت عليها) (٣)

فالاسم المفرد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لا يكون كلاما مفيدا عند أحد من أهل الأرض ، بل ولا أهل السماء ، وإن كان وحده كان معه غيره مضمرا ، أو كان المقصود به تنبيها وإشارة كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى ، لا أنه تقصد به المعاني التي تقصد بالكلام ، ولهذا عد الناس من البدع ما يفعله بعض النساك من ذكر اسم (الله) وحده بدون تأليف كلام . فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله والله أكبر . رواه أبو حاتم في صحيحه (٤)

وقال أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيىء قدير) رواه مالك (٥)

---

(١) سورة الانعام الآية ٩١ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١١ ص ٥٢٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥٦ .

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٤٨١ .

(٥) الموطأ (ولفظه : (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة . وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) آخر كتاب الصلاة باب ما جاء في الدعاء ، رقم ٤٩٩ وباب جامع الحج ٩٦٣ ص ١٧٠ - ٣٢٧ وهو مرسل قال الحافظ بن عبد البر ولا أحفظه بهذا الإسناد مسندا من وجه يحتج بمثله ..) التمهيد ج ٦ ص ٣٩ .

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم أمته ذكر الله تعالى بالجمل التامة مثل (سبحان الله) و (الحمد لله) و (لا إله إلا الله) و (الله أكبر) و (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

وقال : (أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن : (سبحان الله) و (الحمد لله) و (لا إله إلا الله) و (والله أكبر) (١) رواه مسلم .

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لأن أقول (سبحان الله) و (الحمد لله) و (لا إله إلا الله) و (الله أكبر) أحب إلى مما طلعت عليه الشمس) (٢) .

وقال (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٣) ومثال ذلك . فظن طائفة من الناس أن ذكر (الاسم المفرد) مشروع ، بل ظنه بعضهم أفضل في حق الخاصة من قول : لا إله إلا الله) ونحوها وظن بعضهم أن ذكر الاسم المضمر) وهو . (هو هو) أفضل من (الاسم المظهر) . واخرجهم الشيطان إلى أن يقولوا لفظا لا يفيد إيمانا ولا هدى ، بل دخلوا بذلك في مذهب أهل الزندقة والإلحاد . أهل (وحدة الوجود) الذين يجعلون وجود المخلوقات وجود الخالق . ويقول أحدهم : (ليس إلا (الله) و (الله) و (الله) فقط ونحو ذلك) (٤) هذا كلام شيخ الإسلام بن تيمية ومع ما عرف عنه غالبا من حمل كلام العباد النساك على محمل حسن فيما يمكن أن يصحح أو يحمل على وجه يصلح صححه لهم فإنه لم يصحح لهؤلاء ، حيث بين أن المجوز لهذا النوع من الذكر بالاسم المفرد (الله) والمفضل له على الذكر بالجمل التامة خالف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من تعليمه لأمته الذكر بالكلام التام المفيد ودخل في البدعة وابتعد عن الاتباع والسنة ، والحال أنه طالب للخير والخير في الاتباع والشر في الابتداع . (٥) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب كراهة التسمية بالاسماء القبيحة ، وفيه بلفظ :(أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) .

(٢) صحيح مسلم كتاب الذكر ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٣) مسند الامام أحمد جـ ١٤ ص ٢١٣ (وجبت له الجنه)

(٤) الرد على المنطقين لابن تيمية ، ادارة ترجمان السنة ، ط ٢ سنة ١٣٩٨ هـ ص ٣٥ . ٣٦

(٥) انظرالعبودية ص ٤٨ . ٤٩ .

ثالثا : الذكر بالضمير : (هو)

تقدم لنا بعض من الكلام على نقد الذكر المحدث بالاسم المفرد الظاهر والمضمر كذلك إذ إن الذكر الذي له معنى وأثرا في النفس هو ما شرع في الكتاب والسنة وأوضحنا أن العبادات المنصوصة لا مسرح للاجتهاد فيها وخصوصا في أسماء الله الحسنى وما يذكر به جل وعلا من الصفات والدعوات المختصة بالذات . يقول الحافظ بن عبد البر: (وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ولاخبر في صفات اللـه إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١)

ويقول أبو الحسن القابسي : (أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة أو الاجماع ، ولا يدخل فيها القياس ولم يقع في الكتاب ذكر عدد معين ، وثبت في السنة أنها تسعة وتسعون ..) (٢) وقال بعض أهل العلم أنه لا يجوز أن يذكر الله أو يدعى إلا بهذه الأسماء التسعة والتسعين المذكورة (٣) وأنه من الالحاد في أسمائة الزيادة فيها أو النقص منها أو تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة وحذروا من ذلك (٤)

قال ابن ماجه بعد روايته لأسماء الله الحسنى قال : (قال زهير : فبلغنا من غير واحد من أهل العلم ، أن أولها يفتح بقول : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى) (٥)

وقد تتبعت كثيرا من روايات أسماء الله الحسنى فلم نجد من ذكر أن هذا الضمير الذي يذكرون به من أسماء الله تعالى الحسنى إلا أن الحافظ بن حجر ذكر في

---

(١) التمهيد جـ ٧ ص ١٤٥ .
(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٢١٧ .
(٣) نفسه جـ ١١ ص ٢٢٠ .
(٤) أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٨١٦ .
(٥) سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ٤٣٩ .

عده للأقوال الواردة في الاسم الأعظم أن بعض أهل الكشف قال بأن الاسم الأعظم هو : (هو) ونص كلامه (الأول : الاسم الاعظم : (هو) نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف ، واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم بحضرته لم يقل له : أنت قلت كذا ، وإنما يقول هو يقول تأدبا معه) (١) ٠ وقد عرفنا أنه لا مسرح للاجتهاد والكشف في تحديد اسم أو صفة لله تعالى فكيف باسمه الأعظم الذي استأثر الله بعلمه وأخفاه عن خلقه ليجتهدوا في ذكره تعالى بأنواع أسمائه الحسنى ، والذين تتبعوا أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ، وأخذوا فيها بالاشتقاق لم يذكروا مثل هذا القول ٠ (٢)

وعلى هذا فالذكر بهذا الضمير (هو) لا مستند له من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة المقتدى بهم وقد عدوه من البدع في باب أسماء الله الحسنى ، ولأنه ترديد ضمير لا يعطى معنى ولا يفيد الذاكر به أثرا ، وبسبب ذلك دخل الذاكرون به في مجالات من الإلحاد والزندقة وادعاء الحلول أو وحدة الوجود ٠

يقول شيخ الإسلام بن تيمية في وصفه لحال بعض أصحاب الرياضات والتجرد وأن في ذكرهم مالا يفيد بنفسه معنى خارجا عن ذهن المتكلم به لعدم اشتماله على معنى بذاته يقول :

(٠٠ وكذلك أصحاب الرياضة والتجرد : فإن صفوتهم الذين يشتغلون بذكر بسيط مثل : لا إله إلا الله إن لم يغلوا فيقتصروا على مجرد الله ، الله ، ويعتقدون أن ذلك أفضل وأكمل ٠ كما فعله كثير منهم ، وربما اقتصر بعضهم على هو ، هو أو على قوله : لا هو إلا هو ، لأن هذا الذكر المبتدع الذي هو لا يفيد بنفسه إلا أنه مطلقا ، ليس فيه بنفسه ذكر لله إلا بقصد المتكلم ٠٠) (٣) ويوضح هذا بقوله في رسالة العبودية :(وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٢٢٤ ٠

(٢) أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٨٠٢ . ٨١٦ وفتح الباري جـ ١١ ص ٢١٤ . ٢٢٥

(٣) مجموع الفتاوى جـ ٢ ص ٦٣ ٠

شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطى القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولاحالا نافعا ، وإنما يعطيه تصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات ، فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة ، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره ، وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد ... فالذكر بالاسم المفرد أو المضمر أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان ، فإن من قال يا هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل) (١)

ومن هذا نستلخص أن الذكر بضمير (هو) أمرشنيع لما يأتي :

١) أنه ليس في أسماء الله الحسنى وأن أسماءه جل جلاله توقيفية .

٢) أن إدخاله فيها من الالحاد فيها الذي توعد الله مرتكبه .

٣) أنه لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها وما يضمره الذاكر به على مخالفته لا يعرفه إلا هو وهو قد يضمر إيمانا وقد يضمر كفراً .

٤) أن العلماء حذروا من الذكر به لما فيه من الانحراف وترك الذكر المشروع .

٥) قد لاحظ بعضهم دخول المواظب على الذكر به في متاهات وحدة الوجود ودعوى الاتحاد والحلول .

٦) وهذا الذكر المبتدع أدى إلى الإعراض عن الذكر المشروع بأنواعه وحلاوة الفاظه والجزم من الشارع بالأمر به وكثرة ثوابه مما لا يترك لأحد يطلب الحق مجالا لتركه وطلب غيره والاستحسان لما ابتدعه أهل الشطح والخلط في الدين ممن يدعي الكشف أو يدعى له من أهل القرون المتأخرة .

هذا والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه محذرا من الحياد عن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمره : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٢) والتوفيق بيد الله وحده .

---

(١) رسالة العبودية ص ٤٨ ص ٤٩ .

(٢) سورة النور الآية ٦٣ .

رابعا : نقد الذكر بضمير المخاطب أنت أنت

هذه الألفاظ انفرد صاحب الضياء بذكرها واستدل لها بأدلة منها : قوله تعالى حكايـة عن يونس عليـه السـلام : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين ﴾ (١)

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ انك كنت بنا بصيرا ﴾ (٢)

وقوله على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ (٣)

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ..) (٤)

وقال (وهذه الحضرة أعنى حضرة الذكر بأنت هي حضرة الأنبياء وخاصة خاصة الأولياء) (٥) (ولقد كان بعض العارفين يذكر الله تعالى مشيرا إليه تعالى بالضمائر كلها خطابية كانت أو غيبية أو تكلمية متصلة أو منفصلة ..) (٥)
هذا ملخص من كلامه المعروض سابقا وتلك أدلته وهذا نقدها : .

فالآية الأولى هي دعوة يونس عليه السلام وقد ورد في فضل الدعاء بها أحاديث كثيرة في السنن وغيرها وهي من أدعية الكرب فعن سعد بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، الدعوة التي دعا بها يونس حيث ناداه في الظلمات الثلاث لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمع قول الله عز وجل : ﴿ فنجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ (٦)

---

(١) سورة الانبياء الآية ٨٧ ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ .
(٢) سورة طة الآية ٣٥ .
(٣) سورة المائدة الآية ١١٦ .
(٤) الموطأ باب ما جاء في الدعاء رقم ٤٩٧ / ١٧٠ وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ويأتي بنصه قريبا .
(٥) الضياء ص ١٥٨ . ١٥٩ .
(٦) المستدرك للحاكم ، كتاب الدعاء ، جـ ١ ص ٥٠٦ والآية من سوة الآنبياء ٨٨ .

قال ابن كثير : (أي إذا كانــوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا ولا سيما إذا دعــو ابهــذا الدعــاء في حــال البــلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الأنبياء ..) (١) ومثله عن القرطبي وغيره من المفسرين (٢)

وأما الآية الثانية فقد قال القرطبي فيها (قال الخطابي : البصير المبصر ، والبصير العالم بخفيات الأمور ، فالمعنى ، أي عالما بنا ، ومدركا لنا في صغرنا فأحسنت إلينا ، فأحسن إلينا أيضا كذلك يارب) (٣)

وأما الآية الثالثة المستبدل بها فإن العلماء فسروا فيها المعنى العام المراد منها فقال القرطبي :(تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك . وقيل : المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم (إنك أنت علام الغيوب) ما كان وما يكون ، وما لم يكن وما هو كائن) (٤)

وأما الحديث فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في سجوده فيأتي بجوامع الكلم المشتملة على الحمد والثناء على الله بما هو أهله ويبالغ في إظهار العجز عن الوفاء بما يستحقة تعالى من الثناء إذ لا يحصـــى ذلك أحد مهما بالغ وواظب (فعن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٥)

فلا مستند في هذه الآيات والحديث على أن ضمير المخاطبة فيها كان ذكرا للأنبياء والأولياء كما اتضح ذلك من سياقها ومناسبتها وأقوال أهل العلم في بيان المراد منها .

---

(١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٩٢ . ١٩٣ .

(٢) القرطبي جـ ١١ ص ٣٣٤ .

(٣) نفسه جـ ١١ ص ١٩٤ .

(٤) نفسه جـ ٦ ص ٣٧٦ وفتح القدير جـ ٢ ص ٩٥ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .

وأما مجرد مخاطبة أنبياء الله تعالى للمولى جل وعلا فهذا كثير في الكتاب والسنة بحيث لا يحتاج إلى تمثيل عليه ، ومن أراد أن يخاطب المولى تعالى من غير ترجمان فليقرا القرآن الكريم أو يدع بالأدعية الواردة في الكتاب والسنة ولا يكون في هذه الحالة ذاكراً بضمير فقط بل يكون ذاكرا لله تعالى بجميع حروف المتلو والمدعو به ، وله في ذلك الأجر والثواب العظيم إن شاء الله تعالى ٠

ثم إنه إذا كان كل ما ذكره الله في كتابه من الضمائر والحروف يجوز للناس أن يجعلوه وردا لكان في ذلك من الامور التي يستحيل أن يذكر الله تعالى بها عند أهل الإسلام ، ولكن إن قصد المجوز لذكر الله بالضمائر بأنواعها كلها الواردة في الكتاب والسنة فإنه يكون بذلك ابتدع طريقة في الذكر بعيدة عن طريقة الأنبياء ويكفي في الرد عليه ظهور ابتداعه وعدم وجود دليل يساعده على ما ذهب إليه من كتاب أو سنة ولو قال بأن ذلك الذكر من ذكر الأنبياء والأولياء وخاصة الخاصة فهذه عبارات لا تجعل المبتدع سنة ولا الباطل حقا ٠

وقد قدمنا في نقد الذكر بالضمير (هو) قول بعضهم أن ذلك هو الأدب في الاعراب عن كلام عظيم حاضر . (فتقول هو يقول كذا ٠٠) وعلى هذا يكونون في مخاطبتهم لله تعالى بضيمر (أنت أنت) والحال أنهم يدعون حضورهم معه دائما يكونون غير مؤدبين وربما أخذ من ذلك أنهم ينسبون للأنبياء الذين قالوا بأن هذا ذكرهم نفس الحكم فإن لم يرضوا بهذا التناقض الذي أوقعهم فيه طلب ما لم يكلفوا به دل ذلك على أن العارف عندهم يذكر الله تعالى ويخاطبه بما لا يفهم منه ذكر أو أي معنى آخر إلا في ذهن المتكلم وما في ذهن المتكلم قد يكون هدى وقد يكون ضلالا ووحدة وجود أو حلولا أو غير ذلك من الانحرافات التي لا يجوز أن تنسب للأنبياء ولا للأولياء ٠

ولعل عبارة صاحب الضياء تدل على هذا الأخير وهو أن الذاكر من هؤلاء بالضمائر غالبا ما يكونون قد وصلوا إلى درجة تختلط عليهم فيها الأمور فيعجزون كما يقول عن التصريح بالأسماء وحتى كأنهم لا يرون للوضع اللغوى أثرا (لانطماسه . يعني الذاكر بهذه الضمائرعن تلمح عالم الحس فكان لا يرى إلا ذاته تعالى ولا يسمع إلا

كلامه ولا يتخيل إلا نعوته فكان يشير إليه بكل ما أدرك كان ما كان) (١) .
وعندي أنه لا يحل لمسلم أن ينسب هذه الحالة للأنبياء والأولياء فإنهم ما صدرت عنهم في جانب الله تعالى إلا أمور موزونة بالشرع لا خلط فيها ولا غموض فالرب عندهم رب والعبد عبد والخالق هو الخالق والمخلوق هو المخلوق لاكما يدعي بعضهم : (العبد رب والرب عبد) كما تقدم (٢) .

خامسا : نقد الذكر بأه أه :

تقدم لنا أن صاحب الضياء : قال بأنه كثيرا ما يسمع الشيخ محمد فاضل يقول أه أه .

وقال : بأن الذكر بهذه اللفظة ليس لغير المحققين أهل الأخذ عن الله تعالى الذين يجوز لهم لمفاتحة الله لهم أن يذكروه بأي كلمة وأي حرف ، وخلص إلى أن الذكر بلفظة (أه) سره مكنون وغيبه مصون وعلمه مخزون .. (٣)

ثم أورد قول الله تعالى في الثناء على خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (٤)

والذي يهمنا من هذا الكلام هو الجواب على هذا السؤال هل يجوز الذكر بلفظ (أه أه) ؟ ولماذا أورد الشيخ محمد فاضل بن الحبيب هذه الآية الكريمة هنا ؟

أما كونه يجوز الذكر بأي كلمة أو أي حرف أو أي إشارة لمن فاتحهم الحق أو أن الذكر (بأه) له سر مكنون فهذا يتضح مدى صدقه بالاجابة على هذين السؤالين .
(فأه) بفتح الهمزة وسكون الهاء كما هو مضبوط في نسخة الضياء التى ذكرت هذا الذكر (٥) لم نجده في اللغه العربية فهو لفظ مهمل لا معنى له ولم نجد من يدع أنه اسم من أسماء الله تعالى حتى نبحث في مظانه إلا أن الشيخ على محفوظ في رده على بدع الطرق الصوفية في الأذكار قال:(وقالوا يجوز بلفظ(أه) لما ورد أنه الاسم الاعظم ونقول لهم لم يثبت من طريق صحيح أنه من أسماء الله تعالى . وقد علمت أن أسماءه تعالى توقيفية فلا يجوز الذكر به وما قيل في بعض الحواشي من أنه الاسم لا سند له) (٦)

---

(١) الضياء ص ١٥٩ .
(٢) انظرفتح الباري ، كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامى الله عز وجل ج ١٣ ص ٣٨١ وما بعدها .
(٣) الضياء ص ١٦٢ .
(٤) سورة التوبة الآية ١١٤ .
(٥) الضياء ص ١٦٠ .
(٦) الابداع في مضار الابتداع دار الباز ص ٣٢٠ .

قلت : وقد تتبع الحافظ بن حجر كلام العلماء في أسماء الله الحسنى والاسم الأعظم بالذات منها فانتهى من ذلك إلى أربعة عشر قولا عد فيها عن أهل الكشف كما قال عن الرازي (هو) ولم يذكر فيها (أه) لا عن أهل الكشف ولا أهل الحواشي (١)

وقال الشيخ على محفوظ في نقله لفتوى شيخ الأزهر: الشيخ محمد أبو الفضل في مسألة الذكر: (يأه أه) قال : إن هذا اللفظ المسؤل عنه (أه) بفتح الهمزة وسكون الهاء ليس في كلمات العربية في شيىء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقا ، وإن كان بالمد فهو إنما يدل في اللغة العربية على التوجع ، وليس من أسماء الذوات فضلا عن أن يكون اسما من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها) (٢)

وإذا أخذنا في البحث عن معنى هذا اللفظ في اللغه العربية إذا كان بالمد (آه) فإننا نجده لفظاً آخر له معنى ولكنه مغاير للفظ الذي جوزواهم الذكربه . والحال أنه لا معنى له من نفسه .

فنجد في اللغة العربية ألفاظا للتوجع والتشكي والمتوجع والشاكي قد يكون بسبب علة بدنية أو خشية قلبية أو وجل ومخافة من الله تعالى أو بسبب حزن على التفريط أو التقصير إلى غير ذلك مما يكون مصدراً للتوجع . يقول صاحب القاموس : (أوه) كجير وحيث وأين وآه وأوه بكسر الهاء والواو المشددة وأو بحذف الهاء وأوه بفتح الواو المشددة وآووه بضم الواو وآه بكسر الهاء منونة وآو بكسر الواو منونة وغير منونة وأوتاه بفتح الهمزة والواو المثناة الفوقية وآوياه بتشديد المثناة التحتية كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع آه أوهاً وأوه تأويها وتأوه قالها والأواه الموقن أو الدعاء أو الرحيم الرقيق أو الفقيه أو المؤمن بالحبشية .. والأهة التحزن أه أها وأهة وتأهه توجع الكئيب فقال آه أوهاه) (٣)

قلت: وهذه الألفاظ كلها واردة في كتب اللغة والتفسير عند تفسيرهم للأواه قال القاضي عياض بعد ذكر بعض هذه الالفاظ في المشارق (... بمعنى التذكر والتحزن ومنه إن إبراهيم لأواه في قول أكثرهم أي كثيرالتأوه شفقاوحزنا وقيل أواه دعاء) (٤)

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٢) الابداع في مضار الابتداع ص ٣٢٠ .

(٣) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٨٠ .

(٤) المشارق جـ ١ ص ٥٢ .

وقد ذكر القرطبي وغيره (١) أن العلماء اختلفوا في المراد بالأواه على خمسة عشر قولا ونسبها إلى قائليها : (٢)

١) أنه الدعاء الذي يكثر الدعاء .

٢) أنه الرحيم بعباد الله .

٣) أنه الموقن .

٤) أنه المؤمن بلغة الحبشة .

٥) أنه المسبح الذي يذكر الله في الأرض القفر الموحشة .

٦) أنه الكثير الذكر لله تعالى .

٧) أنه الذي يكثر تلاوة القرآن . قال القرطبي : (قلت : وهذه الأقوال متداخلة وتلاوة القرآن يجمعها)

٨) أنه المتأوه . وكان إبراهيم عليه السلام يقول : (آه من النار قبل ألا تنفع آه)

٩) أنه الفقيه .

١٠) أنه المتضرع الخاشع .

١١) أنه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها .

١٢) أنه الكثير التأوه من الذنوب .

١٣) أنه المعلم للخير (يعني مظنته) .

١٤) أنه الشفيق (وكان أبو بكرالصديق رضي الله عنه يسمى الأواه لشفقته ورأفته)

١٥) أنه الراجع عن كل ما يكره الله تعالى .

وأصله من التأوه ، وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء) (٣) قال الشوكاني : (والمطابق لمعنى الأواه لغة أن يقال إنه الذي يكثر التأوه من ذنوبه ، فيقول مثلا : آه من ذنوبي آه مما أعاقب به بسببها ونحو ذلك) (٤)

هذه المعاني كلها مقبولة لغة وحسنة شرعا ، وقد أشار صاحب الضياء إلى بعضها فلو اقتصر عليها لما كان لأحد نقده عليها ، ولكنه خلطها بأمور لعلها هي مقصده منها أو لعله يجهل مغزاها وخطورتها تقليدا لمن سبقه وهذه الأمور هي :

---

(١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٩٤ . ٣٩٥ وفتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤١١ .

(٢) انظر : القرطبي ج ٨ ص ٢٧٥ . ٢٧٦ .

(٣) نفسه ج ٨ ص ٢٧٥ . ٢٧٦ .

(٤) فتح القدير ج ٢ ص ٤١١ .

١) أنه جعل لفظة (أه أه) ذكرا لله تعالى والله لا يعبد إلابما شرع ، وكان كلاما مفيدا يفيد السامع أن الناطق به يريد ذكر الله لا أي كلام آخر لا معنى له في لغلة الذاكر .

٢) أنه جعله من ذكر أهل التحقيق في الإيمان والخشية من الله تعالى كإبراهيم عليه السلام . وقد تبين بما تقدم معاني الأواه وأنها لا تختلط (بأه أه) .

٣) أنه أجاز أن يذكر الله تعالى بأي لفظ وبجميع الضمائر الواردة في الكتاب أو السنة وهذا إنما جوزه أهل التخليط لا أهل التحقيق .

٤) امتدح هذا اللفظ الذي لا معنى له مفهوما وجعل له أسرارا لا يعرفها إلا أهل الأخذ عن الله ، وقد تقدم لنا أن الذي يدعى الأخذ عن الله بلا واسطة كتاب أو سنة إنما يتخذ إلهه هواه ومن أضل ممن اتخذ إلهه هواه ..) (١)

٥) وهذا السر الذي أشار إليه نقله في شرحه لمدلول هذا اللفظ المهمل في اللغة عن ابن عربي وواضح فيه القول بوحدة الوجود والانطلاق بلا قيد بدعوى: (الأخذ عن الله عن طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر) (٢) وقد تقدم نقد ذلك .

فهذه الأمور ضيعت عليه إمكانية حمل كلامه محملا حسنا وحتمت المصير إلى الحكم عليه بالبطلان . هذا بالاضافة إلى أن المسلم الذي يريد الخير لا يحتاج إلى هذه الطرق المعوجة والتلفيقات التي أقل ما فيها أنها مواقف تهم وقد نهينا أن نقف مواقف التهم ، ثم انه لولا تصريح صاحب الضياء بسماعه كثيرا من الشيخ محمد فاضل يذكر بهذا الذكر لما جاز لنا التوقف عنده أو نقده لأننا نسمع ذكرهم وجهال مريديهم لا يذكرون به وهم في أنواع من الشطح حتى إن أحدهم يرمي لباسه بين الناس ويقول : (بأنه هو الله) ومع ذلك لا نسمع منهم هذا الذي ذكره صاحب الضياء . والله أعلم .

---

(١) اقتباس من قول الله تعالى في سورة القصص : ﴿ ومن أضل اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ الآية ٥٠ .

(٢) الضياء ص ١٦٢ .

المطلب الثالث : مكانة الورد القادري عند شيوخ القادرية وأثر ذلك على الاتباع ٠

تقديم :

رأينا فيما مضى أن القادرية ينسبون هذا الورد للشيخ عبد القادر الجيلي وتبين من الدراسة والنقد أنه لا تصح نسبة هذا الورد على هذه الصورة للشيخ عبد القادر لا متنا ولا سندا ٠

ورأينا كذلك أنهم يذكرون أن وردهم مأخوذ من الكتاب والسنة وأن آدابهم وسلوكهم في الطريقة مستمدة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم ابتداء من البيعة وانتهاء بالتعبد والمشيخة ، ولكن تبين بالدراسة والنقد أن ذلك المدعى ليس صحيحا وأن الطريقة فيها خلط كبير لا يجوز لمسلم أن ينسبه هكذا للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح رضوان الله عليهم ٠

ومع أن الورد لا يصح متنا ولا سندا منسوبا للشيخ عبد القادر فأحرى أن لا يثبت لمن بعده فإن القادرية يبنون عليه أمورا كبيرة منها حسن الخاتمة والغنى من الفقر في الدنيا وغير ذلك مما يأتي في نصوصهم الآتية إن شاء الله تعالى ٠

عرض : يقول الشيخ سيدي محمد الكنتي في معرض بيانه لاستغنائه بالذكر المجرد والأدعية المأثورة والأحزاب والتوجهات التي أنشأها والده وشيخه الشيخ سيدي المختار الكنتي . عن علم الاوفاق والجداول بعد أن أدرك منه حسب دعواه ما لم يدركه أحد على ما تقدم يقول (٠٠ إذ انعقد إجماع الصوفية على أن لكل عصر أذكاراً وأدعية هي أولى بالعمل فيه وأسرع إجابة من الأذكار والأدعية المتقدمة عليه يجريها الحق جل وعز على ألسنة أولياء ذلك العصر أو من خص منهم بالتقديم في العصر) (١)

ويضيف في معرض ذمه لعبد الله بن سيدي محمود لارتكابه في نظره ما هو من المحظور يقول : (ومن أدهاها أكل ربعة السلسلة (٢) القادرية التي أجمع من يعتد به

---

(١) الطرائف ص ٣٠٢ ٠

(٢) رباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها أي : ثابت عليها ٠ يعني أنها عادتهم المعروفة لهم كما تقدم بيانه ٠ انظر : النهاية في غريب الحديث جـ ٢ ص ١٨٩ ٠

من أعيان الطائفة الصوفية أنها أقوى الطرق سندا وأوفرها مددا وأن وردها أعظم الأوراد قدرا وأوفرها ذخرا وأكثرها أجرا وأن صاحبها المحافظ عليها لا يموت إلا على أحسن حال وإن عمل ما عمل وأن تضيعه والانخلاع من ربقة سلسلته موجب لسوء الخاتمة والعياذ بالله) (١)

ويقول : (وكانت طريقتنا من بينهم . يعني الطرق الصوفية . طريقة القادرية التي هي أسد الطرق متنا وأشدها دون العوائق والبوائق حصنا ووردها أجل الأوراد قدراً وأفرها ذخراً وأكثرها أجرا وأشيعها ذكرا ومن أعظم فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على أحسن حال وإن عمل ما عمل وسنده أقوى الإسناد وأعلاه وأكمله رجالا وأتمه اتصالا) (٢) . ويضيف بعد ترجمته للشيخ عبد القادر الجيلي وبيان كراماته فيقول : (ويكفي من الكرامة بقاء طريقته وانتشار صيته وبقاء ذكره آخر الأبد وقد توفي رحمه الله ورضي عنه في حدود الخمسين بعد خمسمائه (٣) وطريقته الآن ولله الحمد والمنة والشكر بعد النيف والعشرين بعد المأتيين والألف أشهر الطرق جادة وسالكوها أكثر السالكين مددا ومادة وسندها أظهر الإسنادات شرفاً وسيادة ووردها أوفر الأوراد نورا وسعادة بل لا يزيدها تزايد العصور إلا جدة وزيادة وبلى الأيام إلامتانة وإشادة يؤديها العدل إلى العدل ويأخذها فحل الدولة على الفحل ، أبقى الله سلسلتها النورانيــة متصلة مسلسلة مرسلة إلى أن يرث الباعث الــوارث الأرض ومن عليها) (٤)

ويقول الشيخ ماء العينيين في نقله للأوراد التي تؤخذ في المغرب لأنها كما يقول فرع مما عندنا يقول . (ومن ذلك ورد السلسلة المباركة القادرية وهومن أجل الأوراد قدرا وأوفرها ذخرا وأعلاها ذكرا وهو يغنى عن جميع الأوراد ولا يغني عنه ورد ومن أجل فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة وكفى بها مزية وحدثني من أثق به أنه من أسباب الغنى ..) (٥)

---

(١) الغلاوية ص ١٥ .

(٢) الطرائف ص ١١٥ .

(٣) تقدم في ترجمته أنه توفي سنة ٥٦١ هـ

(٤) الطرائف ص ١٥١ .

(٥) نعت البدايات ص ٢٠٢ .

ويقول في فاتق الرتق على راتق الفتق : (ووجدت بخط أبي وشيخي شيخنا محمد فاضل رضي الله عنه أن ورد القادرية لا يستديمه أحد إلا كفاه الله أمر آخرته ودنياه وعن جميع خلقه أغناه وأن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة) (١)

نقد :

قلت : وقبل الدخول في نقد أساسيات هذه النصوص فإني ألاحظ على أصحابها ما يأتي :

أولا : فتحهم لباب إنشاء الأدعية والأوراد لكل من جاء من الشيوخ ، وأن ذلك إجماع علماء الصوفية ، ومعلوم أن كل أوراد وأحزاب وأدعية محدثة يكون فيها من إماتة الأدعية النبوية المباركة ما لا ينكره أحد لتصديق الواقع له وبإقرار الشيوخ للمريدين عليه ٠

ثم إن علماء الصوفية المحكي إجماعهم ندرة وأهل العلم متوافرون ولم يقروا هذا الإجماع لمخالفته لما عليه إجماع المسلمين قاطبة من أن الأذكار والأحزاب النبوية والقرآنية أسرع إجابة وأبرك أثرا وأعظم أجرا وأقل تكلفا وأسلم للداعي والذاكر سواء كان عالما أو جاهلا ويؤيد هذا أن فتح هذا الباب أي باب إنشاء الأحزاب والأوراد أدى إلى وضع كل من هب ودب من المصدرين في الطريقة إلى أحزاب وأوراد وأدعية من نفسه لا حلاوة لها ولا طلاوة عليها بل إنها قد تكون مشتملة على شركيات لا يعلمها أو يعلمها ويقرها ٠

وبهذا يعلم أن إجماعهم هذا مردود بالكتاب والسنة والإجماع ٠

ثانيا : افتخارهم ببقاء القادرية إلى هذه القرون المتأخرة وحكاية إجماع من يعتد به من أعيان الطائفة الصوفية على قوة متنها وسندها ٠

وهذا من الدعاية للطريقة يؤخذ منه التعصب الذي عم مشايخ الطرق الصوفية حيث إن كل واحد ينشر الدعاية ويزين العبارة لجمع أكبر عدد ممكن من الخدام من المريدين والمتعاطفين ولا ينبغي لمن وضع نفسه في مكان القدوة والمشيخة أن يفتخر أو يدعو إلا للكتاب والسنة وما تفرع عنهما من علوم السلف ٠

---

(١) هامش نعت البدايات ص ١٥٨ ٠

وأما المتن والسند المفتخر بهما فقد رأينا فيهما خلاف المدعى ثم إن أهل العلم بالإسناد والمتن لا يقبلون رواية الداعي لبدعته وخصوصا أنه ظهر تعصبه ، ثم لنفرض أن أعيان كل طائفة شهدت لنفسها بصحة منهجها وسلامة منطلقها فهل يسلم ذلك لها وإن كان الواقع يكذب ما شهدت به لنفسها ؟

إن الأعيان الذين يعتد بقولهم في الطرق الصوفية نزر ولا يعتبر إجماعهم في مقابل أهل العلم المخالفين لهم (١) وإذا جمعوا حولهم طوائف الطرق الأخرى كان المدعى إجماع الجهال وإجماع الجهال مهدور لأن الجهل لا يقود إلى خير وغالبا ما نجد أهل الجهل مجتمعين ومجمعين على ضلالة وبدعة شنيعة .

وعلى هذا فهذه دعاية واضحة وتعصب حاجب عن معرفة أين الصواب وأين الخطأ .

ثالثا : ويدعون أن هذا الورد يغني عن كل ورد ولا يغني عنه ورد . وهذه الدعوى يدعيها كل واحد ممن وضع الأوراد والوظائف حتى إن كل مصدر جديد يضع لنفسه ولأتباعه ما عن له من الكلام المسجع أو المفكك ويناديهم بترك غيره ويحذرهم من الاشتغال بورد غير ورده ويعدهم فيه الوعود والآمال حتى إن بعضهم وضع في أوراده ما كفر بسببه لما يتضمن من أمور غريبة ودعوى باطلة كصلاة الفاتح التي يدعي أربابها أن قراءتها أفضل من القرآن الكريم وختمه عدة مرات (٢) فمن يصدق في أن أوراده أعظم الأوراد وأفرها ذخرا وأنها تغني عن جميع الأوراد ولا يغني عنها ورد ؟

والذي يظهر لي أن الدافع إلى مثل هذه الدعاية هو التعصب وحب اكتساب أتباع كثيرين وبسط السيطرة عليهم بالترغيب تارة والتخويف تارة أخرى فالذي يحب الجنة وما يقرب إليها يقال له هذا الورد صاحبه لا يموت إلا على أحسن حال أو على حسن الخاتمة ، والذي يحب الجاه والمال يقال له هذا الورد يغنيك الله به عن جميع الخلق ويكفيك أمر آخرتك ودنياك وإذا لم يكن التعصب المدفوع بالجرءة على الله تعالى وراء هذه الدعاوى فما الدليل عليها ؟

---

(١) الطرائف ١٦٠ وجنة المريد ص ١١ وما بعدها .

(٢) انظر : جواهر المعاني في نصوص هذه الأوراد وما يدعى فيها من الثواب جـ ١ ص ٨٨ وما بعدها وانظر نقدها في التيجانية : دراسة لاهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة ، علي بن محمد الدخيل الله ص ١١٦ وما بعدها .

فهل من التجارب يأخذ المسلم مقدار الثواب والعقاب والميتة على أحسن حال ؟

ثم إن كنا لا نعرف خاتمة أحد في الدنيا على وجه التحقيق فإننا نعرف أن كثيرا من شيوخ القادرية عالة على المجتمع وهدايا المريدين والزائرين فإن كانوا مواظبين على الورد فقد تخلف عنهم هذا الوعد ، وإن كانوا غير مواظبين على الورد فبأي حق حازوا هذه المكانة والمشيخة في الطريق ؟ فلم يبق إلا أن يقال بأن أدعية القهر والتسخير وعلوم الشر بأنواعها وراء إقبال الناس عليهم بالعطايا والهدايا والطاعة والخدمة كما يفهم من بعض نصوصهم .

رابعا : المواظب على الورد القادري لا يموت إلاعلى أحسن حال أو على حسن الخاتمة هذه هي الدعوى التي أغتر بها كثيرمن أتباع القادرية حتى المحدثون منهم (١) فما دليل ذلك ؟ هذه هي الفكرة الأساسية في هذه النصوص وتحتاج إلى مزيد بيان ونقد لأن الذين قرروها لم يذكروا مستندا لها حتى ينظر فيه هل يصح أن تبنى عليه مثل هذه الدعوى ، وإن كان دليلهم فيها هو نفس ما تضمنه الورد من أذكار وأدعية وأن المواظب عليها إلى الموت يكون من الذين وفقوا للعمل الصالح حتى كان آخر أعمالهم العمل الصالح الذي يحكم لصاحبه أنه مات على الإيمان وحسن الخاتمة لحديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم (إن الله إذا أراد بعبد خيرا استعمله ، فقيل : كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت) هذا حديث صحيح . (٢) إذا كان هذا من مقاصدهم في هذه الدعوى . وإن لم يذكروه . فلئن أذكار الورد القادري وإن اشتمل على أذكار ورد الشرع بالحث عليها فإنهم أضافوا إليها زيادات وهيئهات هي من قبيل الابتداع المخرج للعبادة المشروعة عن أصل مشروعيتها على ما تقدم بيانه ، ثم إن الورد مشتمل على كثير من كلام البشر الذي تقدم نقد ما يحتاج إلى نقد منه وهو بعمومه لا يعطى هذه الدعوى . لأن السعادة والشقاوة من الأمور التي لا يعلمها البشر إلا بظواهر الأعمال وقد فرغ من البشر فريق في الجنة وفريق في السعير . نسأل الله العافية لنا ولجميع المسلمين . سواء في ذلك القادرية وغيرهم وقد يواظب المرء على الخير مدة طويلة ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار . والعياذ بالله .

---

(١) الفتح الباطني والظاهري ص ٨ .

(٢) جامع الترمذي كتاب القدر جـ ٦ ص ٢٩٤ رقم (٢٢٢٩) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة) (١)

ولهذا ترجم البخاري بقوله باب العمل بالخواتيم ، وساق حديث الذي قاتل قتالا شديدا حتى أعجب به المسلمون ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهم : (أما إنه من أهل النار) فلما أصابته جراح انتحر بسهم من كنانته لقلة صبره على آلام الجراح فصدق الله نبيه صلى الله عليه وسلم (فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم) (٢) إلا أننا مطالبون بالعمل وكل ميسر لما خلق له ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق كما يشهد بذلك حديث أبي ذر في الصحاح (٣) وليس في هذا كله خصوص للقادرية أو غيرها وهذه المعاني قررها الشيخ سيدي المختار الكنتي في المنة في اعتقاد أهل السنة والكوكب الوقاد (٤)

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٥) يقول : (والله ما أدري . وأنا رسول الله . ما يفعل بي) فالأولى بغيره أن يقول ذلك مهما كانت استقامته فإنه لا عهد لأحد عند الله تعالى يوجب عليه أن يختم له بالخير ولكن على المرء المسلم أن يسأل الله تعالى الثبات وأن يعيش بين الخوف والرجاء فعن ابن شهاب قال : أخبرني خارجة بن زيد ابن ثابت أن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وسلم . أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة ، فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا ، فوجع وجعه الذي توفي فيه ،

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته .

(٢) صيحيح البخاري كتاب القدر ، باب العمل بالخواتيم .

(٣) صيحيح البخاري ، كتاب الجنائز وصيحيح مسلم كتاب القدر .

(٤) المنة ص ١٠٨ وما بعدها . الكوكب الوقاد ص ٩٦ .

(٥) اقتباس من سورة النجم الآيتان ٣ . ٤ .

فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ فقلت : بأبي أنت يا رسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ فقال أما هو فقد جاءه اليقين • والله إني لأرجو له الخير ، والله ما أدري . وأنا رسول الله . ما يفعل بي • قالت : فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا) (١).

ففي هذا الحديث زجر من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم لأمته عن التحكم على الله تعالى ومثل بنفسه الشريفة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وقد استجابت أم العلاء رضي الله عنها وفهمت فورا ما في هذا الحكم الذي أصدرته فتراجعت وأقسمت أن لا تزكي على الله أحدا بعد ذلك •

هذا في صحابي جليل هاجر مرتين فما بالك بغيره من الناس • ثم إن هذا الحكم الذي أصدرته القادرية وحكمت به لمن واظب على وردها من الموت على حسن الخاتمه وإن عمل ما عمل على ما فيه من الدعاية للدخول في الطريقة والوعد بما ليس في المقدور البشري فإن فيه إرجاءاً ظاهرا يعتمد عليه الجهلة من شيوخ الطريقة ومريديها فيرتكبون من المنكرات ما لا يعلمه إلا الله اعتمادا على الوعد بحسن الخاتمة ، ومقتضي هذا الوعد : ادخل في الطريقة القادرية واعمل ما شئت فإنك من أهل الجنة ، ومشابهة هذا بما تقوله المرجئة ظاهر حيث إنهم يقولون للناس : لا يضركم مع الايمان ذنب كما أنه لا ينفعكم مع الكفر عمل (٢) فالدخول في القادرية هو الايمان والانخلاع من ربقة سلسلتها كما يقول الشيخ سيدي محمد الكنتي لعبد الله بن سيدي محمود (موجب لسوء الخاتمة والعياذ بالله بعد التغلغل بربقتها) (٣)

والخوف والرجاء هو الطريق الصحيح الذي يتعين على المسلم أن يعيشه ليعمل على ضوء الكتاب والسنة وينزجر عن البدع والمحرمات ، أما من يؤمن الناس حتى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت اذا ادرج في أكفانه •

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٩ •

(٣) الغلاوية ص ١٥ •

يوقعهم في الهلكة فذلك من مشابهات أعمال الشيطان وأوليائه من النصارى الذين ابتدعوا صكوك الغفران وغير ذلك من البدع التي تتعارض مع مسمى الايمان بالله تعالى • (فعن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب أي الهمداني أن عائشة . رضي الله عنها . زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ (١) قالت عائشة : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : (لا يا بنت الصديق • ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) (٢) ثم إن الله تعالى يقول : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (٣) قال الحسن البصري رحمه الله : (المؤمن من يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن) (٤)

وهذا الذي ذكر القشيري عن مشايخ الصوفية الأولين الذين ترجم لهم فبين أنهم كانوا على منهج الخوف والرجاء وهو مذهب أهل السنة والجماعة (٥)

قال الطحاوي : (ولا تنزل أحدا منهم جنة ولا ناراً ، ولانشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ، ما لم يظهر منهم شيىء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى) (٦) وقد لاحظ بعض الفقهاء الموريتانيين انتشار عدم الخوف من العاقبة لدى بعض المتصوفة فأخذوا يحذرون من ذلك وكان من بين المحذرين من هذه العقيدة سيدي محمد بن عبد الجليل الملقب سيدي بن حين فقال في دمغ المريد :

---

(١) سورة المؤمنين الآية ٦٠ •

(٢) جامع الترمذي كتاب التفسير جـ ١٩ ص ١٥ رقم ٢٣٨٩ •

(٣) سورة الاعراف الآية ٩٩ •

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٢ ص ٢٤٣ •

(٥) الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٣٤٢ وما بعدها ونفسه جـ ٢ ص ٦٦٥ •

(٦) شرح العقيدة الصحاوية ص ٣٦٦ . ٣٦٧ •

(واعلم بأن المرء إن تيســرت له العلوم وامتثاله ثبــت

في عمره أجمع (١) ما فيه عمــل ذنبا فلا يلزم أن ذا قبــل

بل يبقى الاحتمال أنه يطــل وأنه هو شقــي في الأزل .) (٢)

وبهذا نكون قد انتهينا من بيان ما اشتمل عليه الورد القادري بعرضه على الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة واتضح جليا أن ما اشتمل عليه الورد من الخير والذكر لا اختصاص لهم به فكل من جاء بما ورد به الشرع من المحدود من الأذكار والأعمال والنوافل الموسع فيها فهو على خير سواء كان قادريا أوغير قادري وسواء كان صوفيا أو غير صوفي ، واتضح كذلك أن ما اشتمل عليه الورد القادري من مسائل تخالف الشرع الحكيم إما بالزيادة أو بالنقصان فذلك عليهم لا لهم وهم مطالبون شرعا بالتوبة منه والرجوع إلى الجادة البيضاء .

والله أعلم .

---

(١) تقبل التوبة من التائب مالم يغرر

(٢) دفع المريد الرحلة العلمية ص ٢٣ .

المطلب الرابع : وظائف الورد أو قواعد الورد القـــــــادري الأربع (أو المقاصد السنية للأوراد المأوية)

للورد القادري في موريتانيا أربع قواعد يؤخذ على المريد المواظبة عليها عقب كل فريضه من الصلوات الخمس ٠

عرض : يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في معرض شرحه لدلائل هذه القواعد الأربع وفوائدها وبيان الوجه الذي رتبت به على هذا الشكل وبهذا العدد ٠

يقول : (واعلم أن وردنا هذا مبني على الكتاب والسنة فليست فيه لفظة إلا وهي مستندة إلى كتاب الله أو سنة رسوله فأوله دعوة يونس ٠٠ ثم بين فضل الذكر بهذا الدعاء وقال (ولهذا المعنى جعلها مشايخنا فاتحة لهذا الورد المبارك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وامتثالا لأمره ورغبة فيما رغبهم فيه واغتباطا باللهج باسم الله الأعظم فإنه الكيمياء والكنز الذي لا يبيد) ٠ (١) إلى أن قال :

١) (ومن قواعد هذا الورد المبارك الحسبلة الورادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يقول : حسبنا ونعم الوكيل ٠٠٠ ثم بين فضل الذكر بها وقال : (ولهذه الفوائد الجليلة التي لا يقدر قدرها إلا الله اتخذها الجيلي رضي الله عنه لغزارة علمه ومكاشفة بلوغه في أسرار الحقائق كل مبلغ متنا لأوراده وأسا لتوجهاته حتى قيل إنه بها بلغ كل مبلغ ، وسر كونها مائتين ليجتمع في كل يوم للعامل بها ألف حسبلة لأنها مشتملة على ثلاثة أسماء عظام من أسماء الله تعالى : الحسيب والله والوكيل) (٢)

٢) (وأما الاستغفار الذي هو قاعدة من قواعد وردنا هذا فإنا مستندون فيه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فإن الله تعالى أمر أنبياءه وأولياءه بالاستغفار وحثهم عليه في آي كثير ٠٠٠ ثم أخذ يبين من الكتاب : والسنة فضل الاستغفار وقال:(وسركونها في هذا الوردالمبارك مائتين بعد كل صلاة ليجتمع

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١١ و ١٤ والذي في نعت البدايات أنها تقال بعد صلاة المغرب والصبح سبعا ص ٢٠٢ ٠

(٢) الكوكب الوقاد ص ٤٤ و ٤٧ والفتح الباطني والظاهري ص ٨ ٠

من ذلك في اليوم والليلة ألف من الاستغفار فيكون في صحيفة صاحبها يوم اللقاء استغفار كثير إذ الألف هي أكبر العقود وإليها تنتهي لأن العشرة عقد وكل مائة عقد فيجتمع عقود الأعداد كلها في الألف ․․) (١)

٣) (ومن قواعد هذا الورد المبارك كلمة الشهادة بعد كل فريضة مائة مرة وقد رويت على ثلاث هيئات : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ․ ولا إله إلا الله الملك الحق المبين ․ ولا إله إلا الله بالتجريد فهو أساس الإسلام والإيمان ․․) (٢)

٤) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ․ وقد تقدم الكلام على باقي وردها

نقد :

توضيح : هذه الأذكار الواردة في هذه القواعد أو المقاصد فضيلتها معلومة بالكتاب والسنة وقد ورد كثيرا الحث عليها ليلا ونهارا وهذا يدل على أنها من الأذكار المطلقة التي لم يحد الشارع فيها وقتا معينا ولا عدداً محددا ․

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيىء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئه وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) (٣)

وعن أبي هريرة رضي اللـه عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٤)

---

(١) الكوكب الوقاد ص ٦٦ . ٦٧ ․

(٢) نفسه ص ٧٤ وما بعدها ․ الفتح الباطني والظاهري ٨ ونعت البدايات ص ٢٠٢ وقد أقرها الشيخ سيدي المختار في مقاصد سماها شذرات الأذكار ص ٦ منه وما بعدها ․

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح وعمل اليوم والليله وما بعدها ص ٣٣ ․

(٤) صحيح البخاري كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ․

(وعن مصعب بن سعد حدثني أبي قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة • قال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة) (١)

فهذه الأحاديث الصحاح التي نصت على عظم ثواب الاستغفار والتسبيح والتهليل فيهاغنية عن الزيادات التي وردت في هذه القواعد ، وتغني كذلك عن اجتهادات الشيوخ في تحديد الكثرة بعقود الأعداد ، هذا بالاضافة إلى أنني لم أجد في الأذكار الصحاح طلب الإتيان بعدد أزيد من مائة ولمن أراد أن يزيد على ذلك العدد متسع وفضل كبير يحوزه بزيادته على من اقتصرعلى المائة فقط ولكن بدون أن يحدد عددا من نفسه يلتزمه كواجب أو قاعدة ثابته أو أن يأخذ ذلك عن أحد من الناس إذ مرتكب ذلك شابه المنصب لنفسه مشرعا يحدد العبادات والأذكار وثوابها وإن كانت بأصلها مشروعة وفضلها عظيما (٢)

هذا إذا لم يتعارض هذا الورد مع الورد الذي سنه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته دبر كل فريضة وبين لهم أنه سبب لغفران الذنوب وإلا كان هذا الورد بوضعه هذا بدعة شنيعة لإماتته لسنة عظيمة مقطوع بثبوتها عن الشارع الحكيم قولا وفعلا وتقريرا وقتا وعددا (فعن كعب بن عجرة عن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال : (معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن ثلاث وثلاثون تسبيحة وثلاث وثلاثون تحميدة وأربع وثلاثون تكبيرة في دبر كل صلاة) وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيىء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر) (٣)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح •

(٢) فتاوى الإمام الشاطبي تحقيق محمد أبو الأجفان ط ٢ سنة ١٤٠٦ توس ص ١٩٨ وما بعدها

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ن باب أستحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته •

وإذا كان ذلك الورد القادري لا يطالب به المريد الا بعد الاتيان بالورد الذي سنه النبي صلى الله عليه وسلم فانه يبقى النظر فيه في الأمور الآتيه :

١) أن ورد النبي صلى الله عليه وسلم مائة واحدة وهذا الورد مائيتان من غير الألفاظ التي وردت في الورد النبوي فهو مختلف عنه لفظا وعددا ، فتعين الاقتصار على ورد النبي صلى الله عليه وسلم •

٢) أن ألفاظ الورد القادري ورد الشرع بالحث على الذكر والدعاء بها مطلقا أو في حالات الكرب كالحسبلة مثلا (١) بدون تحديد بعدد ولا وقت فتعين الوقت والعدد فيه تحكم على الشارع وتخصيص بلا مخصص •

٣) أن الزيادة على المائة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأذكار يفهم منه استدراك أوطلب شيىء أفضل مما حدده الشارع وكفى بهذا محبطا للعمل وبركته ، وقد جرحب إتقان هذا الورد عددا إلى اتخاذ سبحة وحملها دائما فيكون صاحب هذا الورد مرتكبا لأمرين عظيمين أحدهما التزام ما لم يشرعه الشارع من عدد معين في الأذكار • وثانيهما : اتخاذ وسيلة (٢) غير مأذون فيها شرعا وهي المسبحة وإنما قلت بأنها غير مشروعة لأنها تقضي على سنة العد بالأصابع الثابت في السنة (٣) ولحصول الوضع في الحديث بسببها ، وعدم ثبوت القول بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لمثلها • ولما في حملها أمام الناس من الرياء في العبادة ولو ظاهرا والرياء محبط للعمل (٤)

يقول الشيخ الألباني : (وقد يقول قائل : إن العد بالأصابع كما ورد في السنة لا يمكن أن يضبط به العدد إذا كان كثيرا •

---

(١) القرطبي جـ ٤ ص ٢٨٢ •

(٢) نعت البدايات ص ١٧ ـ ١٨ وكتته الشرقيون ص ١٥١ •

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التسبيح أول النهار •

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء على الأمة جـ ١ ص ١١٠ وما بعدها •

فالجواب : قلت : إنما جاء هذا الإشكال من بدعة أخرى وهي ذكر الله في عدد محصور لم يأت به الشارع الحكيم ، فتطلبت هذه البدعة بدعة أخرى وهي السبحة فإن أكثر ما جاء من العدد في السنة الصحيحة ، فيما أذكر الآن مائة ، وهذا يمكن ضبطه بالأصابع بسهولة لمن كان ذلك عادته ٠

ولو لم يكن في السبحة إلا سئية واحدة وهي أنها قضت على سنة العد بالأصابع أو كادت ، مع اتفاقهم على أنها أفضل ، لكفى ! فإني قلما أرى شيخا يعقد التسبيح بالأنامل ! ثم إن الناس قد تفننوا في الابتداع بهذه البدعة ، فترى بعض المنتمين لإحدى الطرق يطوق عنقه بالسبحة ! وبعضهم يعد بها وهو يحدثك أو يستمع لحديثك ! وآخر ما وقعت عيني عليه من ذلك منذ أيام أنني رأيت رجلا على دراجة عادية يسير بها في بعض الطرق المزدحمة بالناس وفي إحدى يديه سبحة ! ! يتظاهرون للناس بأنهم لا يغفلون عن ذكر الله طرفة عين ! وكثير ما تكون هذه البدعة سببا لإضاعة ما هو واجب ٠٠) (١)

---

(١) نفسه جـ ١ ص ١١٦ ٠

عرض وظائف الورد القادري :

الوظائف جمع وظيفة وهي أذكار وأدعية تكرر في الصباح والمساء بقصد التحصن والتحرز واستجلاب الخير ، وترى القادرية أن إنكار بعض الفقهاء على موظف الوظائف والأوراد على جهة الالتزام وإيجابها وإيجاب تداركها وقضائها إنما هو ناشيء عن الجهل بطريق القوم • (١)

الوظيفة الأولى : وهي التى تقدم أن الورد يستفتح بها كما قال الشيخ سيدي المختار الكنتي وهي : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٢) سبع مرات (٣) .

الوظيفة الثانية : وهـي : (قولك اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير سبعا • يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي ناقلا عن غيره أن هذه الدعوة سر هذا الإسم الأعظم وأنه لا يقولها أحد سبعا بعد كل صلاة إلا وقى من بوائق الدهور وصوحب باللطف الخفي في حركاته • وبساط هذه الدعوة وأصلها قوله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ﴾ (٤)

الوظيفة الثالثة : يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي (ومن هذه الأوراد ما يقال بعد صلاة الصبح والمغرب سبعا كيا الله يا واجد يا أحد يا موجود يا جواد انفحني منك بنفحة تغنيني بها عمن سواك وعن رحمة من سواك إنك على ما تشاء قدير) (٥)

قلت : وقد بين المراد بالنفحة وأنها ضد اللفحة ، فالنفحة الهبة من الرحمة التي تعم وقال : بأن في الحديث : تعرضوا لنفحات الله (٦)

---

(١) الطرائف ص ٥٧ •

(٢) سورة الانبياء الآية ٨٧ •

(٣) نعت البدايات ص ٢٠٢ والكوكب الوقاد ص ١١ •

(٤) سورة الشورى الآية ١٩ •

(٥) الكوكب الوقاد ص ٢٠ ودرسنا ما فيها في سيف الحكماء •

(٦) الكوكب الوقاد ص ٤٧ ونعت البدايات ص ٢٠٣ الكوكب الوقاد ص ٦٥ •

الوظيفة الرابعة : (ومن أصول هذا الورد قولهم بعد الصبح والمغرب أربعا وعشرين (اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ، والأصل فيه قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكرها ذم اللذات فإنكم إن ذكرتموه في قليل كثره أو في كثير قلله) (١)

الوظيفة الخامسة : (ومن وظائف هذا الورد كلمات يدعى بها بعد التهجد وهي : اللهم إني أسألك إيمانا دائما اللهم إني أسألك ياذا الأسماء الحسنى والصفات العليا إيمانا دائما وتصديقا دائما ورد عنك على لسان رسولك) (٢) (وعلماً نافعاً) والاصل في هذه الوظيفة قوله عليه الصلاة والسلام (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تقنع أعوذ بك من هؤلاء الأربع ٠٠) (٣)

اللهم صلى على سيدنا محمد وارضى على روح غوث الثقلين سيدي عبد القادر الجيلي وارضى عن شيخي فلان أي من أخذت عنه وعن أشياخي أولهم وآخرهم واجزهم عني خيرا ثلاثا أو سبعا اللهم إني أعوذ بك من كل صاحب يرديني ومن كل أمل يغويني ومن كل عمل يخزيني ومن كل غنى يطغيني ومن كل فقر يلهيني اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الجبن والغل وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، وأعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تقنع وعلم لا ينفع وأعوذ بك من هؤلاء الأربع) (٤)

وقال الشيخ سيدي المختار الكنتي (وأما قولنا : اللهم ارضى على روح غوث الثقلين إلى آخره فإنه مأخوذ من كتاب الله لأنه تعالى أمر بالدعاء لمن سبقنا بالإيمان والترضي عنهم بأي لفظ شئنا خصوصا المشايخ بدليل قوله تعالى : ﴿ والذين جاء وامن بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ٠٠) (٥) .

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٤١ ٠
(٢) الكوكب الوقاد ص ١٤٩ ٠
(٣) نفسه ص ١٥٠ . ١٥١ ٠
(٤) نعت البدايات ص ٢٠٣ ٠
(٥) سورة الحشر الآية ١٠ ٠

قلت : وهذه الوظائف مختلف في ترتيبها وعددها وأعداد تكرارها وقد سماها جامع الشذرات : الأذكار المختارية بالمسبعات ، وزاد فيها بعض الأمور التي هي من قواعد الورد المتقدمة (١) .

نقد

تتهم الصوفية عموما من يعترض على أورادها ووظائفها أو ينتقد التزاماتها ومظاهر الانحراف في سلوكها بأنه متعصب أو جاهل بطريقتهم ، ولا ينظرون في وجاهة اعتراضه والعمل على تصحيح ما اعترض عليه أو انتقد ، ومجرد وصف المعترض أو الناقد بالتعصب أو جهل طريقة القوم لا يفيد الطرفين كما أن الاعتراض من أجل الاعتراض فقط أو التعصب لغير الحق لا يفيد أيضا أحد الطرفين وأما جهل الفقيه لما عليه الصوفية لا يبرؤه من إنكار المنكر إذا كان يعلم أنه منكر بحكم معرفته بالكتاب والسنة إذ إن موسى عليه السلام أنكر على الخضر عليه السلام على ضوء شريعة موسى عليه السلام ولم يمنعه جهله بما عليه الخضر عليه السلام من الانكار ولم يتركه حتى بين له أنه لم يفعل ما فعل عن أمره هذا بين تبيين كل منهما مأمور بأمر لم يبين للآخر المراد منه فكيف بمن ليس بنبي ولا معصوم من الخطإ والكفر وكل مخاطب بشريعة واحدة الخارج منهما عنها في مسألة واحدة كان هو المخطيء بلا شك ووجب على العالم بوجه تلك المسألة أن يأمره وينكر عليه حتى يرجع إلى الصواب أو تكون الحجة قد قامت عليه وبرئت الذمة من واجب الأمربالمعرف والنهي عن المنكر في حدود المخالفة بدون زيادة ولا نقصان ولا تشنيع ولا تقصير في النصح والبيان وعلى هذا فمما تتهم به القادرية الناقدين لها على توظيف الوظائف والأحزاب والأوراد والألتزامات الأخرى من طلب العلم للرئاسة أو الإنكار من أجل التعصب وحب الظهور أو بسبب الجهل بطريق القوم فكل هذه العبارات مهدورة إذا كان مضمون النقد وجيها ومنصبا على المنقود ولم يتجاوز الفقيه الناقد فيه حد المطلوب بالسباب والاتهام ، ومن رد هذا كان الأولى بالوصف بالتعصب وحب الرئاسة والمكابرة والجهل بطريق الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح .

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٤ نفس المراجع والشذرات ص٩ . ١٠ .

والذي ينقد في الوظائف هو ما خالفت به أو فيه الشرع الحنيف فإن كان الدعاء الموظف ورد الشرع بأصله فالانحراف عن ألفاظه مع القدرة على حفظها والتعبد بها مظنة لأمور منها : التقصير في معرفة ما ورد عن الشارع الحكيم من أدعية وأذكار في هذا الوقت المعين مثلا وهذا المقصر ولو كان في منصب المشيخة لا يعتبر في قانون الصوفية أهلا لهذا المكان لأنهم يقولون بأن طريقتهم مبنية على الأخذ بالعزائم ومراقبة الأنفاس وأولى ما يؤخذ فيه بالعزيمة وصرف الأنفاس فيه هو معرفة ما يذكر الله به في المساء والصباح بنصه من القرآن الكريم أو لفظه من النبي صلى الله عليه وسلم والاقتصار على ذلك لما فيه من الكفاية والبركة المرجوة في العاجل والآجل .

ومنها أنه إذا لم يرض بالتقصير واختار مع ذلك أدعية وأذكاراً يتعبد الله بها ويلزم غيره من الناس المطيعين له بها فإنه لا يخلو حاله من أحد أمرين :

أحدهما : أنه يرى أن أدعيته وأذكاره هذه التي اختارها خير من الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا من المنافاة مع الشرع ما يحكم لصاحبه بالبعد من الولاية والمشيخة اللذين نصب نفسه بهما مطاعا ومتبعا .

ثانيهما : أن يكون ارتكب هذا الاختيار بسبب الجهل بالكتاب والسنة وهذا يكفي دليلا على عدم صلاحيته لوضع مثل الأوراد والوظائف إذ الجاهل لا حجة في عمله ولا يجوز أن يتبع على جهله .

فإذا كان مقرا بأن فيه من الأدعية والأذكار الواردة في الصباح والمساء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو معترف بأفضليته وكفايته للمتعبدين والمتحصنين عن إحداث غيره بألفاظ وأعداد وأوقات معينه وادعى مع ذلك أنه إنما وظف هذه الوظائف على هذا النمط لعلمه بصحة أصولها ومشروعية الدعاء بمثلها تسهيلا على المريدين والسالكين . فيقال له هذه الدعوى على ما فيها من النزول إلى امستوى العوام بدلا من العمل على رفعهم إلى درجة العلم والفهم الذي به يزداد الإيمان فإنها دعوى تحتاج إلى بينة . وعرض ونقد ما اشتملت عليه هذه الوظائف يوضح ما يقبل من هذه الدعوى وما يريد إن شاء الله .

أما الوظيفة الأولى : وهي : دعوة يونس عليه السلام فقد تقدم بيان ما ورد فيها وأنها من أدعية الكرب التي لا يرد دعاء مسلم مضطر دعابها (١) ولم نجد أثرا يحدد عددا معينا يدعى بها بعدده لا ثلاثا ولا سبعا ولكن ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ، ويستغفر ثلاثا) (٢)

فمن قصد التأسي به في ذلك في دعائه لنفسه فلا نجد ما يرده ولكن إن أخذ من ذلك جوازا ملطقا لوضع أعداد معينة من عنده لأدعية وردت مطلقا فهذا ما يعد من التحكم والتخصيص بدون مخصص من الشارع .

أما الوظيفة الثانية : فإنها تضمنت سؤال الله تعالى باسمه اللطيف اللطف فيما جرت به المقادير وسؤال الله باسم مناسب للحاجة المطلوبة من آداب الدعاء ومن أسباب استجابة الله تعالى ، وقد أمر الله عباده أن يدعوه بأسمائه الحسنى على الإطلاق فيدعى بها على الإطلاق أو يدعى بما ورد منها ضمن الأدعية النبوية أما توظيف عدد منها بعد كل فريضة فلا يمنعه من أن يكون بدعة ما ورد من الحث على الدعاء بأسماء الله الحسنى على الاطلاق وما يناسب الحاجة المدعو بها كيا رحمان ارحمني ويا رزاق ارزقني (٣) فإن الإضافات التي يظن صاحبها أنها أفضل أو أقرب للخير هي من باب تخوين حامل الرسالة ومبلغ الخير للناس فانه صلى الله عليه وسلم ما ترك خيرا إلا ودل أمته عليه ولا شرا إلا حذرها منه فمن أحدث بعذ ذلك شيئا في باب العبادات والقربات قليلا أو كثيرا لفظا أو عددا فهو استدراك على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مردودا على صاحبه(فليس في خلاف السنة رجاء ثواب) (٤)

وأما الوظيفة الثالثة : فقد اشتملت على سؤال الله والتوسل له ببعض أسمائه الحسنى وهو من التوسل النافع واستحسانهم لهذه الوظيفة في هذا الوقت أي بعد

---

(١) المستدرك كتاب الدعاء جـ ١ ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ .

(٢) عمل اليوم والليلة ص ٣٣١ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٨١٠ و ٨١٦ والقرطبي جـ ١٦ ص ١٦ ـ ١٧ .

(٤) فتاوى الشاطبي ص ١٨١ .

صلاة الصبح وصلاة المغرب وكونها سبعا لم نجد له مستندا ينص عليه من كتاب أو سنة إذ إن سؤال الله بأسمائه الحسنى ورد مطلقا كما تقدم وورد أيضا الترغيب في الذكر والدعاء بعد هذين الوقتين المذكورين دبر المكتوبة وهو من الذكر بالغدو والآصال والمحدد من ذلك عن الشارع هو ما تقدم بيانه من المعقبات وما زاد على ذلك فموسع فيه ولا مسرح للاستحسان في تحديد ذكر معين في وقت معين وقد جاء في هذه الوظيفة لفظة : (يا موجود) ولم نجده في أسماء الله المروية في السنن (١) هكذا وقال القاضي أبو بكر بن العربي : وقد زاد بعض علمائنا فيها . يعني اسماء الله الحسنى : شيىء ، موجود ...) (٢)

وفي هذه الوظيفة أيضا لفظة : (انفحنى منك بنفحة) ويظهر أن الشيخ سيدي المختار الكنتي سئل عنها فقال بأنها من نفحات رحمة الله تعالى وهبته كما في قوله عليه الصلاة والسلام : (تعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله تعالى نفحات فمن أصابته نفحة من تلك النفحات سعد سعادة لا شقاوة بعدها) (٣)

ولفظ الحديث الذي ذكره الشيخ سيدي المختار الكنتي كما في شعب الإيمان للبيهقي وشرح السنة للإمام البغوي هو : (عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم) (٤) قال البغوي هذا حديث غريب) .

ولعل الغرابة التي ذكرها الإمام البغوي بسبب أن في سند الحديث من اختلف فيه إذ فيه حرملة بن يحى التجيبي ، شيخ مسلم ، صدوق يغرب . قال أبو حاتم (لا يحتج به) وقال عبد الله ابن محمد الفرهياني (ضعيف) وقال ابن عدي: (قدتبخرت في حديثه وفتشته الكثير فلم أجد له ما يجب أن يضعف من أصلـه (٥) ولولا ان بعض أهل العلم يقول : (إذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام

---

(١) المستدرك جـ ١ ص ١٦ . ١٧ وغيره .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٨٠٧ .
(٣) الكوكب الوقاد ص ٦٥ .
(٤) شعب الايمان جـ ٢ ص ٤٢ (رقم ١١٢١) وشرح السنة جـ ٥ ص ١٧٩ (رقم ١٣٧٨)
(٥) المغني في الضعفاء جـ ١ ص ٢٢٩ رقم ١٣٥١ ـ م س (٥ ق ٥) .

والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات تساهلنا في الأسانيد) (١) لقلت بأن هذا الحديث المستدل به على جواز إطلاق هذه اللفظة والدعاء بها فيه نظر لضعف الحديث الوارد عند بعضهم لما في سنده من الاختلاف في حرمله المذكور ٠

الوظيفة الرابعة : التي تشتمل على طلب المباركة في الموت وفيما بعد الموت أربعاً وعشرين مرة بعد الصبح والمغرب ٠ وأن الأصل عندهم في هذه الوظيفة هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحث على تذكر الموت وقصر الأمل والمباركة في الموت قد يراد به عندهم أن يكون راحة من كل شيء ، وما ذكروه في الأصل وارد ولكنهم لم يراعوا ماورد في الأصل من الحث والترغيب وتعليل ذلك فقط حيث إنهم زادوا على النص فقيدوه بعدد أربع وعشرين ولم يذكروا لهم مستندا لذلك ولم نجده أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي يوخذ عنه أصل العبادة وهيئتها ، والذي يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحب الوتر وإذا دعا دعا وترا ثلاثا مثلا كما تقدم (٢) ثم إن الحديث الذي ذكروه أصلا لهم في هذه الوظيفة ويطلب فيه الإكثار من هادم اللذات قال في بيانه القرطبي في التذكرة (فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم قوله عليه الصلاة والسلام (أكثروا ذكر هادم اللذات الموت) كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه من تمنيها في المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكده ، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ وإلا ففي قوله : (صلى الله عليه وسلم) عليه الصلاة والسلام (أكثروا ذكر هادم اللذات) مع قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) (٣) ما يكفي السامع له ، ويشغل الناظر فيه) (٤)

قلت : وأحاديث الحث على قصر الأمل والعمل لما بعد الموت كثيرة مخرجة في السنن وغيرها (٥) وأقرب شيء للعدد الذي ذكروه في هذه الوظيفة هو ما أورده القرطبي بصيغة التمريض فقال : (وروي عنه عليه السلام أنه قال : كفى بالموت واعظا وكفى بالموت مفرقا) وقيل له يا رسول الله : هل يحشر مع الشهداء أحد ؟

---

(١) المستدرك كتاب الدعاء جـ ١ ص ٤٩٠ ٠

(٢) شرح السنة جـ ٥ ص ٣٠ و ١١١ و ١١٣٠

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٥ ٠

(٤) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة جـ ١ ص ٩ ٠

(٥) شعب الايمان جـ ٧ ص ٣٥٤ وسنن ابن ماجه جـ ٢ص ٥٦٥ . ٥٦٦ ٠

قال : نعم ، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة) (١) فالأولى الاقتصار على القول بهذه الرواية على مايظهر عليها من دلائل الضعف أو العمل على الإكثار من ذكر الموت والاستعداد لـه بدون حد لأن لفظ النبي صلى اللـه عليه وسلم (أكثروا) لا يعطى هذا العدد الذي ذكروه وهو أربع وعشرون بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب . والله أعلم .

وأما الوظيفة الخامسة : التي يدعى بها بعد التهجد فإنهما مشتملة على الفاظ ومعاني أدعية نبوية شريفة في الصحاح والسنن والمسانيد (٢)

ولكن مع ذلك أضافوا إليها من الأمور ما يخرجها من حد السنة إلى البدعة لتخصيصها بوقت لم يرد عن الشارع والتخصيص والقصد إليه من البدع في شرع الله ثم إنه ورد عن الشارع في هذا الوقت أدعية كثيرة غير هذه (٣) فا لاقتصار عليها كوظيفة ثابتة ينافي ما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من التعبد في هذا الوقت المبارك من الليل بأنواع من الأدعية الجامعة لخيري الدنيا والآخرة وإن كانت الوظيفة لما فيها من الآثار النبوية والأدعية الشريفة وما في معناها قد اشتملت على جوامع من ذلك فلو سلمت من تخصيصهم للوقت وما ختمت بـه من دعـاء للمشـايخ مشتمل على لفظة (الغوث) لكانت مقبولة إن شاء الله .

وهذه اللفظة تقدم نقدها في باب العقيدة عند الكلام على القطب حيث قالوا : بأن الغوث: هو القطب حين ما يلتجأ إليه ، ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا (٤) فالغوث لفظة محدثة كعلم على منصب في الدين والولاية كالقطب والمراد بهما باطل شرعا وواقعا لما يأتي :

فهي من حيث اللغه كما في القاموس المحيط (غوث) تغويثا قال واغوثاه والاسم

---

(١) التذكرة جـ ١ ص ٨ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب التعوذ من الفتن والمستدرك كتاب الدعاء جـ ١ ص ٥٣٣ وما بعدها . ومسند الإمام أحمد جـ ١٤ ص ٢٨٦ و ٣٠٠ وما بعدها .
(٣) انظر فتاوى الشاطبي ص ١٩٣ وما بعدها .
(٤) التعريفات للجرجاني ص ١٦٣ .

الغوث والغواث بالضم وفتحه شاذ واستغاثني فأغثته إغاثة ومغوثة والاسم الغياث بالكسر ... وما أغثت به المضطر من طعام أو نجدة وسموا غياثا ومغيثا ... والمغيثية مدرسة ببغداد ويغوث صنم كان لمذحج) (١)

فهذه اللفظه إما أن يكون المسمى بها عندهم يملك الغوث مطلقا من دون الله تعالى وهذا هو الذي يفهم من كلام الصوفية المدعين لشيوخهم القدرة على التصرف في الكون بالنفع والضر ويؤكد أن هذا مرادهم ما قدمناه في مبحث ادعاء التصرف في الكون لبعض مشايخ القادرية ويؤخذ من قولهم في القطب وأنه هو الغوث في حالة اللجإ إليه ، واللجأ في حال الاضطرار لا يكون إلا إلى من يعتقد الملتجىء فيه أنه قادر على جلب النفع أو دفع الضر . وهذا لا يعتقده مسلم في أحد دون الله تعالى لانه جل وعلا هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء قال الله تعالى :

﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ (٢)

وقال جل من قائل عليما : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ..... ﴾ (٣)

فهذا القرآن الكريم يوبخ من يعتقد أن أحدا سوى الله يكشف الضر أو يجلب الخير ويقول لمعتقد ذلك (أإله مع الله) ذلك أن الآله هو الذي من شأنه لقدرته وجوده وكرمه إغاثة الملهوف على الإطلاق وليس ذلك لأحد سواه ، فمن انقطعت به السبل وضاقت به الأرض فلجأ إليه مضطراً يدفعه الإخلاص واللجأ أجابه (٤) فلا أحد في السماوات ولا في الأرض يملك مثقال ذرة معه لا استقلالا ولا مشاركة ولا أحد يشفع

---

(١) القاموس المحيط جـ ١ ص ١٧١ .

(٢) سورة النمل الآية ٦٢ .

(٣) الآيتين من سورة سبأ الآية ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) القرطبي جـ ١٣ ص ٢٢٣ .

عنده من الملائكة أو من الجن أو الانس إلا بإذنه ولا تنفع شفاعة شافع لم يأذن الله له ويرضى بشفاعته ٠ (١)

فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة فمن خالفها واعتقد في مخلوق أنه يستغاث به من دون الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سواء كان هذا المخلوق حيا أوميتا فقد ارتكب إثما عظيما : ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (٢) فمن قامت عليه الحجة بهذه العقيدة واستمر عليها كان كافرا إذ إن هذا من الاستغاثة التي لا تجوز إلا لله تعالى فمن اثبتها لغيره بعد أن كان جاهلا أو متأولا وقامت عليه الحجه بالبيان التام كان مصرا على عقيدة عباد الكواكب و أمثالهم من المجوس (٣) أما إن أراد بهذه التسمية (الغوث) أنه يسغاث به فيما يقدر عليه المخلوق من مساعدة بدعاء صالح أو قول حسن أو شفاعة عند مخلوق من البشر الذين شرعت الشفاعة فيما بينهم أو استجابة لنداء في دفع صائل أو مساعدة مادية فهذه من الأمور المشروعة المرغب في التعاون فيها وهي لا تكون إلا من الحي الحاضر حيث يمكن أن يسمع نداء المستغيث أو يصله طلبه ، والشيخ عبد القادر قد مات رحمه الله فهو بحاجة إلى أن يدعى له لا أن يدعى هو أو يستغاث به ٠

ومع بيان القصد الحسن الجائز في هذه الأمور إن كان هو المراد عندهم مع مابيناه من استحالته أيضا يبقى النظر في جواز استعمال هذه الكلمة من حيث الأمور الاتية :

أولا : أن الغوث اسم لرجل قيل إنه كانت له خدمة البيت الحرام وإجازة الحجيج من عرفة وهو الغوث بن مربن أدبن طابخة وهو صوفة الذي رجح ابن الجوزي أن الصوفية تنتسب إليه لما كان عليه من التنسك وخدمة الكعبة والإجازة بالحاج (٤) ويقول الدكتور النشار : (أجمعت المصادرعلى أن أول من سمي صوفية هو رجل يمني اسمه الغوث ابن مربن طابخة) (٥)

---

(١) نفسه جـ ١٤ ص ٢٩٥ ٠
(٢) سورة النساء الآية ٤٨ ٠
(٣) الرسائل الكبرى ، رسالة الاستغاثه جـ ١ ص ٤٨٥ ٠
(٤) تلبيس إبليس ص ٢٠٠
(٥) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ٢ ص ٤٠ ٠

فالمتعلق باسم رجل جاهلي كان له تنسك بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الخير العميم إما جاهل يعلم أو مغرم بعصر الجاهلية بعد النور والإيمان والقرآن والسنة وهذا فيه من السفه أو الكفر والفسوق ما لا يخفى .

ثانيا : أن الغوث اسم لصنم كان عليه نزاع بين قبائل من طيء في جاهليتها وقد دخلت طيء ولله الحمد في الإسلام وحطمت معبودها وعبدت الله وحده وآمنت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهم إما أن يكونوا سموه باسم أحد أصنام قوم نوح عليه السلام وهو (يغوث) ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ (١) وهذه الأصنام كما قال أهل العلم بأنها من معبودات الهند التي انتشرت عنها في بلاد فارس والروم حتى أدخلها إلى أرض العرب عمرو بن لحي (٢) وقد أثرت الهند بعباداتها ومعبوداتها في الديانات السابقة للإسلام وسجل بعض الناس مظاهر من تأثيرها في التصوف في الإسلام (٣) وإما أن يكونوا سموه باسم الرجل الذي كان له تنسك في الجاهلية وخدمة للبيت العتيق وقيادة الحجيج .

وإما أن يكونوا أخذوا هذا الإسم (الغوث) من الطلب وهو الاستغاثه أي الذي يستغاث به في الملمات والشدائد ، أو من الإجابة أي أنه يملك إسعاف المستغيث به بطلبته ومعلوم أن أهل الجاهلية كانوا يتخذون الوسائط في طلب حاجاتهم من الله مع علمهم واعتقادهم أن الله تعالى هو قاضي الحاجات وإنما هذه الوسائط من الأصنام والأوثان تقربهم إلى الله زلفى ولذا هم يصرفون لها بعضا من القربات ويقدمون لها بعض القرابين وبهذا كانوا مشركين في توحيد العبادة ولا يقبل منهم توحيد الربوبية فمن شابههم في مثل صنيعهم في الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله كما كان ذلك من صنيعهم هم كان حكمه كحكمهم في الاشراك بالله تعالى وواضح كما سبق . من توجههم إلى الغوث عندهم في الملمات والشدائد انهم يريدون المعنى الأخير

ولعل هذا ماخشى منه النبي صلى الله عليه وسلم عند إطلاق بعضهم لهذه العبارة

---

(١) سورة نوح الآية ٢٣ .

(٢) فتح الباري كتاب التفسير جـ ٨ ص ٦٦٨ والقرطبي جـ ١٨ ص ٣٠٧ ، ٣٠٩ .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ٣ ص ٦٧ وما بعدها والصوفية معتقدا ومسلكا ص ٥٢

وإن كان الذي أطلقها لا يخشى عليه من إرادة المعنى الفاسد ولكن يخشى على غيره ممن كان يألف الاستغاثة واللجأ إلى الأصنام وما في حكمها فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا • فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنه لا يستغاث بي وإنما يسغاث بالله) (١)

قال صاحب فتح المجيد في بيان ما يؤخذ من هذا الحديث : (فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بمن دونه • كره صلى الله عليه وسلم أن يستعمل هذا اللفظ في حقه وإن كان مما يقدر عليه في حياته ، حماية لجناب التوحيد ، وسدا لذرائع الشرك وأدبا وتواضعا لربه وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال ••) (٢) فالمغيث على الاطلاق هو الله وحده وهو غياث المتسغيثين كما في حديث الاستسقاء في الصحيحن : (اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا) (٣) قال الحافظ بن حجر (وجائز أن يكون من الغوث أو من الغيث ، والمعروف في كلام العرب غثنا لأنه من الغوث ، وقال ابن القطاع : غاث الله عباده غيثا وغياثا سقاهم المطر ، وأغاثم أجاب دعاءهم ، ويقال غاث وأغاث بمعنى والرباعي أعلى • وقال ابن دريد : الأصل غاثه الله يغوثه فأغيث واستعمل أغاثه ، ومن فتح أوله فمن الغيث ويحتمل أن يكون معنى أغثنا أعطنا غوثا وغياثا) (٤)

قال تعالى : ﴿ إذ تسغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ (٥) (••• فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ••) (٦) فالاستغاثة في طلب النصر وجلب النفع ودفع الضر على الاطلاق لا تجوز إلا بالله إذ هو القادر على إيجاد ذلك وتقديره (٧)

---

(١) الطبراني في الكبير•

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط ٧ دار الفكر سنة ١٣٩٩ هـ ص ١٨٤ . ١٨٥ •

(٣) صحيح البخاري كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة • الحديث رقم : (١٠١٤)

(٤) فتح الباري ج ٣ ص ٥٠٣ •

(٥) سورة الانعام الآية ٩ •

(٦) سورة القصص الآية ١٥ •

(٧) القرطبي ج ٧ ص ٣٧٠ •

والاستغاثة بمعنى دفع معتد أو مساعدة على قمع عدو مقدور عليه جائزة كما في استغاثة الذي من شيعة موسى على الذي من عدوه (فوكزه موسى فقضى عليه) (١)

ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (... ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى : يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ومغيث على الإطلاق إلا الله ، وأن كل غوث فمن عنده ، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز .. قالوا وأجمعت الأمة على ذلك ... ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله) (٢) وعلى هذا فلايجوز إطلاق لفظ الغوث على أحد لما فيها من الاحتمالات التي بيناها وأن منها ما يصل بمعتقده إلى حد الكفر والاشراك بالله وأقلها خطراً على العقيده سوء الأدب في استعمال الفاظ موهمة تحتاج إلى تفصيل لما فيها من الإجمال أو النظر في القرائن التي تعطى مراد من أطلقها (٣) وما ذكره الشيخ محمد حبيب الله بن ما يأبي من اعتذار عن إطلاق اسم الغوث على الشيخ عبد القادر في الورد القادري غير مسلم . وما ذكره هو كما في هامش الفتح الباطني والظاهري بنظم ونثر الورد القادري قال :

(غوث الثلقين في الحقيقة هو النبي عليه الصلاة والسلام وإنما قيل للجيلاني ذلك على سبيل وراثته وكونه من علماء البضعة النبوية وقد تتلمذ له الإنس والجن كما تواتر عنه فالمراد المجموع لا الجميع فلا وجه للاعتراض) (٤)

قلت : الاعتراض باق ووجيه لما تقدم من بيان ولرد النبي صلى الله عليه وسلم على من قال : نستغيث به وجزم بأنه لا يستغاث إلا بالله ومن أين يأخذ السامع أن المراد بغوث الثقلين المجموع لا الجميع الذي يدخل فيه الأنبياء وغيرهم ؟ . وأما

---

(١) نفس الآية السابقة .

(٢) مجموع الفتاوى جـ ١ ص ١١٠ و ١١١ و ١١٢ .

(٣) السيف الرباني ص ١٩٠ وفتوح الغيوب ص ١٣٠ وما بعدها .

(٤) المصدر المذكور ص ٩ .

اعتذار الشيخ سيدي المختار الكنتي قبله عند هذه اللفظة :(الغوث) بقوله بأن الترضى عمن سبقنا بالايمان مأخوذ من الكتاب العزيز فهو كلام صحيح والآيه التي ذكرها وهي قوله تعالى : (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم) (١)

فإن الأمة إما مهاجرون أو أنصار أو من جاء بعدهم من التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة : ﴿ والذين تبوء الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) فمن خرج عن هذه المنازل الثلاثة فلا يرحم عليه ولا يستغفر له ومن دخلها كان واجبا على المسلم أن يترضى عنهم ويترحم ويستغفر ، وله الأجر من الله تعالى على ذلك ويتأكد الاستغفار والمحبة والترضي عن الصحابة رضوان الله عليهم والقرون المفضلة لما لهم من الشيوخة والفضل على من جاء بعدهم ولم يخالف هذا المنهج الكريم إلا أهل الرفض والزندقة (٣) . ولكن من الموهم قوله : (والترضى عنهم بأي لفظ شيئنا) (٤)

فإن أراد به من ألفاظ الترضي الواردة في الكتاب والسنة أو ما صح إطلاقه لفظا ومعنا بدون إخلال بعقيدة التوحيد أو ما في حكمها من قواعد الشريعة وكانت خالية من الغلو المذموم والسجع المنفر المتكلف فهذا صحيح وحسن وينبغي الإكثار منه لما في ذلك من علامات الايمان وحب أهل السابقة فيه ومن جاء بعدهم على نهجهم (٥) أما إن أراد الإطلاق فهذا ليس بصحيح لأن الإسلام يحافظ على الألفاظ كما يحافظ على المعاني والمقاصد فلفظة (الغوث) مثلا ليست من العبارات المشروعة كما تقدم ولم تطلق على النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أئمة الصحابة رضوان الله عليهم ولا من جاء بعدهم حتى أطلقها بعض الصوفية على بعض مشايخهم فصار كل أهل طريقة يطلقونها على شيخهم ويتجاذبونها وما في معناها من الألفاظ المحرمة لما تحتمله من عقائد الباطنية ومن نحى نحوهم (٦) وبهذا نختم فصل العبادات لنصله بفصل الأحوال والمقامات . والله أعلم .

---

(١) سورة الحشر الآية ١٠ .

(٢) سورة الحشر الآية ٩

(٣) العواصم من القواصم . تحقيق محب الدين الخطيب ، بيروت سنة ١٣٩٩ هـ ص ١٨١ . ١٨٥ .

(٤) الكوكب الوقاد ص ١٤ .

(٥) صحيح مسلم المقدمة النووي جـ ١ ص ٣٩ .

(٦) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول جـ ١ ص ٢٠٢ .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الأحوال والمقامات عند القادرية

وفيه تمهيد ومبحثان :

تمهيد :

عاشت القادرية في موريتانيا منذ القرن الثاني عشر وحتى هذا القرن الخامس عشر الهجري تحت مراقبة الفقهاء وملاحظتهم ونقدهم من خارجها وداخلها وقد وجد من فقهاء القادرية من ينقد مسالكها في كثير من الأحوال والمعارف والأعمال الصوفية الأخرى وهو وإن كان يوجه نقده لبعض الطوائف التي لا ينتمي إليها فإنه ينقد أيضا أمورا هو واقع فيها بحكم تلبسه بالمشيخة القادرية وتأليفه فيها ، وهذا النقد الداخلي في القادرية نشأ عنه صراع كبير بين الطرق الصوفية المتفرعه عنها فأثرى ذلك مجال النقد وتوجه لكل طرف أنه يرتكب في تسليكه وطريقته ما يؤخذ عليه شرعا وأدبا ، وهنا وجد الفقهاء من غيرهم مجالا واسعا للمناقشة والنقد فكان منهم من شنع على العموم وحذر من الطرق الصوفية وشيوخها وأحوال مريديها وشطحات شيوخها وأتباعها ، ومنهم من وجه نقده لفرع معين لما ظهر له فيه من انحرفات وكل هذا النتاج النقدي الداخلي والخارجي مسجل في شكل ردود وأجوبة ورسائل ونصائح عامة وقصائد شعرية وقطع أدبية .

وقد حظي جانب الأحوال والمقامات في التصوف بنقد حاد يقابله دفاع مستميت وكان معظم النقد موجها إلى مظاهر حال أهل الأحوال من ارتكاب أمور تسبب زوال العقل الذي هو مناط التكليف ويضيع الفرائض كالصلوات أو الهذيان بأمور غير معروفة وعبارات مشتبهة موهمة محاكاة لأهل الحكمة والبصيرة كما يقول بعضهم هذا مع إهمالهم للمظهر المناسب والانغماس في الدنيا جمعا وتنمية مع إهمال العلم وطلبه أو الزهد والتنفير منه ومن أهله مع الاختلاط والمساكنة بين الرجال والنساء الأجانب بدعاوى لا تقبل شرعا ولا عقلا ولا فطرة والواقع كذبها ، كل هذا مع ادعاء الولاية

والحال الحسنة مع الله تعالى وحبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم والوصول إلى المقامات الايمانية أو ادعائها ، وحجبها عن فلان إلى غير ذلك مما عده بعض شيوخهم من بطالاتهم وتحكماتهم ٠

فهذه أهم المظاهر التي سببت لهم النقد من داخل الطريقة وخارجها وبسببها أيضاكان دفاع المدافعين منهم عنها ضعيفا ومفككا ومعظمه سباب وشتم يعف المسلم عن كتابته بقلمه أو التلفظ به بلسانه (١)

وعندي أن الناقد والمنقود مشتركان في الإساءة وعدم الإنصاف وقصد التعصب والإجحاف وهذه صفات يصعب على من اتصف بها إصابة وجه الحق والصواب أو الإنصاف في الحكم وفصل الخطاب لذا كانت نتائجها وقتية وآنية لا تخلف إلا الجفوة والتباغض والتدابر وكل ذلك مذموم في شرع الله تعالى لما يترتب عليه من فرقة المسلمين وضياع الحق وتشتيت العامة وتحييرها ٠

وطلبا للفائدة وإيضاحا للحقيقة سأتناول هذا الفصل في مبحثين :

الأول : الأحوال وأعرض فيه من نصوص القادرية ما يتضح به موقفهم منها سلبا وإيجابا قبولا ورفضا ونعقب عليها بدراسة نقدية تبين الصواب من الخطإ إن شاء الله تعالى ٠

المبحث الثاني : المقامات وقد اخترت الاقتصار على ثلاثة منها لها أثر كبير في حياة المسلم العقدية والعلمية والبيئة والأخلاقية وهي :

أولا : مقام الجذب وأثره ٠

ثانيا : مقام الفناء وأثره ٠

ثالثا : مقام التوكل وأثره ٠

مراجع التمهيد :

(١) جذوة الانوار ص ١ ـ ٢ و ٨٢ و ٨٨ ـ ٨٩ و ٩٧ جنة المريد ص ١٢ ـ ٢٤ والغلاوية ص ١٦٠ وما بعدها ص ١٨٣ ـ ١٨٥ والطرائف ص ٥١ ـ ٦٢ و ٨١ ـ ٨٣ و ١٦٠ والضياء ص ١١٦ ـ ١٧٧ و ١٦٣ ـ ١٦٩ ونعت البدايات ص ١١ و ٢٠ و ٤٧ ـ ٤٨ و ٥٣ ـ ٥٤ و ١٢٧ والرد على الحسن القظفى ص ٣ وما بعدها وتحذير اولاد الزوايا والطلبة من الدخول في طريق زنادقة المتصوفة الجهلة الكذبه : بكامله ص ٥ ـ ١٥٨ ٠ والرحلة العلمية ص ٦ ـ ٧ و ٢٢ ـ ٢٣ وديوان الشيخ باب ص ٢١ ٠

المبحث الأول : الأحوال :

الاحوال جمع حال وهو على ما في القشيرية : (معنى يرد على القلب ، من غير تعمد منهم ، ولا اجتلاب ، ولا اكتساب لهم ، من طرب ، أو حزن ، أو بسط ، أو قبض أو شوق ، أو انزعاج ، أو هبة ، أو احتياج ، فالأحوال : مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من عين الجود ٠٠٠) (١)

فالاحوال على هذا هي عبارة عما يعرض للإنسان في الحياة من ألم وحزن أو فرح وسرور دون اتخاذ وسائل معينة تكون سببا ولو في الظاهر لهذه التقلبات التي تصيب الإنسان في حياته فيرجعها لسببها ٠ (٢)

فعلى أنها ليست كسبية فلا معنى لجعلها من خصائص أهل التصوف والصوفية لأن التصوف مكاسب وهي لاكسب فيها لمن ترد عليه والقلوب بيد الرحمن يصرفها كيف يشاء (٣) ودوام الحال من المحال كما يقول الناس ويصدقه الواقع إلا أنه يوجد في كتب الصوفية على العموم خلط كبير بين الأحوال والمقامات عندهم وسبب ذلك الخلط أو الأختلاف بين الشيوخ المعبرين عنهما يمكن أن يكون ناتجا عن اعتبار بعضهم الأحوال سلما في طريق السالكين إلى المقامات واعتبار بعضهم أن الحال قد يستقر عليه المريد فيصير بذلك له مقاما ثابتا ، ومن لم يستقر في مقام معين من البسط أو الحزن أو السرور والصحو أو غير ذلك من عباراتهم فإنه يظل في طريق السالكين أهل الأحوال ولا يمكن اعتباره والحالة هذه في صفوف الشيوخ المربين (٤)

والذي يظهر لي أن سبب هـذا الخلط وذلـك الخـلاف هو أن هذه الألفاظ محدثة وليست من الألفاظ الشرعية التي يمكن أن يضيق الخلاف والنزاع فيها بسبب النصوص الشرعية الواردة كالإسلام والايمان والإحسان يضـاف إلى هـذا أنها محاولة

---

(١) الرسالة القشرية جـ ١ ص ٢٠٦ ٠

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٨١ ٠

(٣) كتاب الصفات للدار قطني مصدر سابق ص ٥٤ ٠

(٤) عوارف المعارف ص ٤٦٩ وما بعدها ٠

لتعريف أحوال النفوس البشرية المتقلبة فعبر كل عما يجد أو يتذوق ، والتعبير عن الوجديات والذوقيات المعنوية لا يستقيم على حد جامع مانع ، فعلى هذا يمكن أن نفهم ماسنلاحظه في نصوص القادرية في الأحوال والمقامات من خلط واختلاف في العبارة عند النقل عمن سبقهم أو عند وصفهم للأحوال التي تصيبهم أو عند بيانهم لموقفهم من الأحوال وأهلها فهم في ذلك كله ناقلون ومقلدون لمن قبلهم من الصوفية الذين حاول السهروردي أن يقرب عباراتهم ويخلص منها بنتيجة واضحة وأراه لم يتمكن ٠ (١) وهكذا حال من تبعه من مؤلفي الصوفية عموما حسبما وقفت عليه من مؤلفاتهم وهو نفس الحال عند القادرية منهم فإنهم تارة يذمون صفات لبعض الطوائف ناتجة عن سماع أو إنشاد أو ذكر وتارة يثنون على الوجد والذوق وأهله والأحوال السنية كما يقولون ، وتارة يفضلون ويستحسنون حال من ذهب عقله بسبب هذه الأحوال إثرهذه الإنشادات والأذكار ، وتارة يصفون أهلها بالمروق والشهوانية والزندقة والتكلف ، وتارة يقولون بتحريم السماع وأنه لا يقول به في هذه الأزمان من يقتدى به وأن شيوخهم يحرمونه وينهون عنه ، وتارة يختلفون في رفع الصوت بالذكر وصفة الاجتماع له وهل يرفع الصوت به أو يسر أو يتوسط في ذلك أو كل يأخذ بمذهب شيخه ومريديه المجتمعين عنده ، ويختلفون كذلك في صلاة أهل الأحوال هل هي صحيحة إذا طرقتهم الأحوال في أثناء أدائها ؟ أم باطلة وتلزمهم الإعادة ؟ وهل من يغلب عليه الحال حتى يترك فرائض متعددة يقاس على من يغمى عليه ثم يفيق فلا إعادة عليه عند بعض العلماء أم أن عليه الإعادة إما أبداً أو في الوقت ؟ وهل من ترك الفرائض بدعوى أنه مغلوب على عقله وهو يتصرف في شؤن دنياه كافر أو لا ؟ (٢)

فهذه الأمور دالة على تشعب مذاهبهم في الأحوال وما يلحق بها وسنورد هنا من نصوصهم فيها وفي موقفهم من أصحابهـاما يتضـح به إن شاء الله مكانتهاوأثرها عندهم

---

(١) عوارف المعارف ص ٤٦٩ ـ ٤٧٣ ٠

(٢) جذوة الانوار ص ٩٧ الطرائف ص ٨١ ـ ٨٤ و ١٥٩ والغلاوية ص ١٦٣ وما بعدها ٠ الضياء ص ١٤٤ و ١٦٢ ـ ١٦٩ وحياة الشيـخ أحمد أبو المعالى ص ١٨ ومابعدها ٠ ورشد الغافل ص ٤٣ ـ ٥٦ ٠ وبرهان أهل الجهر بالذكر لعبد الله بن داداه نظم مخطوط خاص ص ١ ـ ٥ والرد على الحسن القظفي ص ١٦ وما بعدها ٠

عرض

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في وصفه لأحوال العارفين : (··· وفي أحوالهم متباينون فمنهم من يغلب على عقله لكثافة أنوار حاله فيظهر تخليط في أفعاله فيظنه من لاذوق له مجنونا وما هو بمجنون ويتوهم من لا فهم له أنه زنديق وما هو إلا صديق ولكنه شرب فسكر ولا عدوان إلاعلى الظالمين ولذلك قال بعضهم في وصف الحال (١) :

(وقل للذي ينهى عن الوجد أهله   إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا

فإنا إذا طبنا وطابــت عقولنا   وخامرنا خمر الغرام تهتكنـــا

فلا تلم السكران في حـــال سكره   فقد رفع التكليف في سكرنا عنا) (٢)

يقول هو هذا بينما الشيخ سيدي محمد الكنتي في الطرائف يقول فى معرض بيانه لخصائص طريقتهم : (ومن خصائص طريقتنا خلوها عما في غيرها من الطرق من الشطح والتماوت والتغاشي والرقص ورفع الصوت بأذكار المستغرقين ·· ونحو ذلك من الانشادات والسماع ··) (٣) ونجد الشيخ محمد فاضل بن الحبيب يقول في الضياء : (إن تلاميذ الشيخ حفظه الله ورعاه كثيرا ما يأخذهم الجذب والشطح والرقص والسكر والوجد وكنت أسمع أنه حفظه الله تعالى ورعاه في ابتداء أمره كان كثير الوجد وما ذلك إلا لأن طريقتهم الذكر ومن لوازم الذكر الوجد والاهتزاز والتحرق ·)

وقال الشيخ محمد فاضل في منظومة الاحوال :

(الوجد ما يصادف القلب يرد   بلا تعمد عليك فاعتمد)

وقال بعد نقولات كثيرة مستدلا بها على جواز ما ذكره عن شيخه وتلاميذه : (·· ولم أره يستعمله . يعني السماع . بل ولا يأمر به بل قد سمعته ينهى عن صورته ويزجر عنها) (٤)

---

(١) نسبها الشيخ سيدي محمد الكنتي في الطرائف لأبي مدين ص ٨٢ ·

(٢) الكوكب الوقاد ص ٥٥ . ٥٦ ·

(٣) الطرائف ص ١٥٩ ·

(٤) الضياء ص ١٦٣ و ١٦٤ . ١٦٥ و ١٦٩ ·

ويقول الشيخ علي بن عبد الله بن علي بن آف في نصيحة المعتز وكفاية المغتر :

(الدامغ والباطل والعوائـدا   من حضرة القهار سمى الواردا

فالواردات كالرياح والقلوب   مثل الغصون والثمار والحبوب

فالرجل الضعيف غصنا يفزع   لكل وارد عليه يقـــع) (١)

ويقول الشيخ سعد أبيه : (وأما علم الأحوال فلا سبيل إليه إلا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته بذليل البتة ..) (٢)

ويقول الشيخ ماء العينيين في معرض بيانه لأحوال أهل الذكر عند قوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ..) الآية (٣)

(واعلم أن الآية تدل على جواز ذكر الله تعالى قائما ولهذا قال المشايخ ولا بأس أن يقوموا ترويحا لقلوبهم ولا يتحركوا في ذلك ولا يستظهر وابحال ليس عندهم منه حقيقة . قال شيخنا رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منزله ومثواه :

ولا تمل للرقص والتواجد   إلا إذا غيبت عن تواجد) (٤)

إلى أن قال : (ومن الآداب في العبادات التي لا ينبغي للمريد إهمالها الهروب من إظهار المعاني التي تلوح له وذلك لأن المعاني نور كلما تراكمت الأنوار في قلب العبد تمكن وقوى استمداده وكلما أظهر معنى خرج النور أولا فأولا فلا يثبت له قدم في الطريق ومن كلامهم أول مايجب على سالك طريقتنا هذه ترك الدعوى الصادقة وإخفاء المعانى الخارقة ..) (٥) ويقول الشيخ أبو المعالى في : مزيل الإشكال عن صحة صلاة أهل الأحوال : بعد بيانه لصحـة صلاة المغلوبين منهم : (.. ثم اعلم أيها الناظر أنما قدمناه كله إنما هوفيمن استغرقه الوجد واستولى عليه الحال كما ذكرنا

---

(١) المصدر المذكور . ملف الرحلة العلمية ص ١١ .

(٢) كشف اللبس عن المسائل الخمس ص ٣٧ .

(٣) سورة آل عمران .

(٤) نعت البدايات ص ٤٧ .

(٥) نفسه ص ١٩ .

بحيث لم يجد عن بدوه مصرفا ، ولم يمكنه صونه ولا دفعه ، بل جرى مجرى الميد والعطاس وغلبة النوم والنعاس ، أما من يمكنه صونه بوجه ما فظهوره عليه مذموم ومشؤم عندنا في غير الصلاة فكيف بها لأنه منخرط في سلك الأفعال الاختيارية المبطلة للصلاة فلتحذروا من ظهور شيء منه جهدكم ما أمكنكم إلى إخفائه سبيل فإنه السم القاتل ..) (١)

وتوجد لهم نصوص دالة على أن هذه الأحوال تطرق بعض مريديهم حتى يغلب عن صلاته فما دونها (٢)

نقد :

تقدم لنا موقف القادرية من العقل وبينا مكانته عند أئمتها وأن المحافظة عليه واجبة إذ لا تصح العبادة إلا باستقامة التوازن العقلي وأن الجوارح تابعة له ، وتقدم كذلك نقد الشيخ سيدي محمد الكنتي للأغظفية بنفله أنه بلغه أنهم يسرون للمستجد من المريدين بكلام في أذنه يفقد بسببه قواه العقلية (٣) وشدد النكير عليهم ونسبهم إلى أصحاب الدعاوى الباطلة الذين تثير طبائعهم الأناشيد والقصائد السماعية والألحان المطربة ولا تؤثر فيهم الختمات القرآنية المتتالية التي هي سماع أهل الإيمان والإسلام وسبقه إلى نقد هذه الظواهر المنحرفة والده الشيخ سيدي المختار الكنتي فسماهم أهل الحضرات والرقص والشهوة وحكم عليهم بالانحراف ووجوب الاستتابة أو القتل والنفي من الأرض (٤)

وقد نقلنا في النصوص السابقة من كتب الأغظفية (الفاضلية) ما يدل على عـدم تصويبهم للسمـاع والتعبد بـه ، ولكن في نصوصهم أن الذي يصيبهم من رقص

---

(١) حياة الشيخ أحمد أبو المعالى ص ١٨ .

(٢) الطرائف ص ٨٤ وجنة المريد ص ٢٠٥ ـ ٢٠٨ .

(٣) نقلت عن أحد الشيوخ الأغظفية أنه لا يعرف عن أحد منهم الاسرار للمستجد بشيء يفقده عقله قلت : وعدم علمه به لا ينفي وجوده .

(٤) الغلاوية ص ١٦٤ وما بعدها والطرائف ص ٣١٤ ومابعدها . وجذوة الأنوار ص ٩٧ ـ ٩٨ .

وشطح وزوال عقل هو بسبب الذكر أو ما يعرض من خواطر على القلب قد يستمر ويطول مع الشخص فترة من الزمن تذهب عليه فيها فرائض وواجبات ومصالح دنيوية ، وقد يموت بسبب ذلك الحال وهم في ذلك كله يرون أنهم على أحسن حال وأنهم في فيوضات ربانية ومحبة وولاية لله تعالى حتى لو صدر عنهم زيادة على تعطيل الفرائض كلام يدل على الكفر والزندقة (١)

ويتلخص من نصوصهم ما يأتي :

أولا : القول بأن الأحوال المذهبة للعقل تصيب أهل الايمان وأن ذلك مسقط للتكليف عنهم ما داموا في غياب من عقولهم وأنه لا لوم عليهم فيها .

ثانيا : إنشاد أشعار مشتملة على ألفاظ السكر والخمرة والتهتك وهذه عبارات أهل الجنون أو المجون لا أهل الايمان والعرفان .

ثالثا : القول بأن الذكر يسبب أحوالا يترتب عليها ذهاب العقل وعدم التميز بالكلية أو عدم تميز أوقات العبادات أو عدم المقدرة على أدائها هذا مع ارتكاب محاذير في الشرع إما قولا كطامات الشطح أو عملا كالرقص والغناء والانشادات المشتبهة .

والذكر المشروع بألفاظه وأحواله المعروفة لا يسبب هذه الأمور أما إن خلط بغيره أو استعمل غير المشروع من الأذكار والهيئات وحركت به القلوب فإنها تتحرك بحسب ما فيها من طبائع وأغراض شهوانية ، ولا ينسب ما يحصل لصاحب هذه الأحوال إلى أهل الايمان بل ينسب إلى السبب الباعث عليه ويحكم على صاحبه بما يؤديه حاله إليه وهذا مايؤكده اعترافهم أن في الأحوال أحوالا ربانية وأخرى شيطانية .

رابعا : يقرون بأن في المريدين من يتظاهر بأحوال ليست لها حقيقة ويرتكب في أثناء ذلك من المحاذير ما لا يجوز أن ينسب إلى أهل الايمان قولا وعملا يؤكد ذلك

---

(١) نيل المرادالمقدمة ص ٩ . ط ونصيحة أولاد الزوايا ص ٣٥ . ٣٦ والرد على الحسن القطفي ص ٤٨ . ٥٠ .

تحذيرهم من ارتكاب مثل ذلك وأنه من الرياء والسمعة وذلك من الأمور المحبطة للعمل ، والتمييز بين المحق من المبطل المرائي إنما هو باستقامة العقل ولزوم الشرع وهم يقولون بأنهم من طائفة الجنيد ابن محمد والجنيد رحمه الله يفضل من يسرق ويزني على من يقول بأنه عارف وأن العارف يصل إلى ترك الأعمال لأي سبب أو أنـه يمكنـه أن يعبد الله بطريق غير طريق الكتاب والسنة والاتباع التـام . (١)

خامسا : يدعون عدم القول بالسماع أو الاجتماع عليه في نصوصهم السابقة ولكن الواقع يخالف المدعى عند بعض من عرفته منهم فإن لهم ليالي كليلة الجمعة والاثنين يحيونها بما يعتبرخلطا في الدين من هيلية تارة وإنشاد قصائد مشتلمة على غلو كبيرفي شيوخهم هذا مع السهر الطويل الذي هو فظنة لتضيع صلاة الفجر في الجماعات ومظنة كذلك لتحريك القلوب والأرواح بما فيها من شهوات شيطانية وسماع أهل الإيمان في مثل هذه الأوقات دون تخصيص لليلة هو القرآن الكريم وهو الذي وصف الله تعالى سامعيه من أوليائه بقوله في معرض الثناء عليه وعليهم :

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) (٢) هذا بعد قوله تعالى : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربـه فويـل للقاسيـة قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ (٣) ويقول تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (٤) فمن زاد في سماعه على القرآن الكريم والسنة وما ورد فيهما من ذكر وأذكار أصابه بقدر انحرافه ما يذم به ، ومن زاده هذا السماع المشروع على مانعت الله به أولياءه من صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن سار على هديهم في

---

(١) طبقات الصوفية ص ١٥٩ .

(٢) سورة الزمر الآية ٢٣ .

(٣) سورة الزمر الآية ٢٢ .

(٤) سورة الرعد الآية ٢٨ .

اتباعهم لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرىء عليهم القرآن من دمع العين ولين القلب والخشوع وقشعريرة الجلد كان ما أصابه محل نظر ونزاع (١) وأقل ما يقال في صاحبه أنه في حال نقص وضعف وهذا ما توافق عليه القادرية (٢) فإن خرج إلى حد ما يحد أو يعزر عليه شرعا كان ذلك متعينا على من يملكه كما تقدم في بيان مواقف العلماء في شطح أهل التصوف وكان عليه من اللوم مثل ما على قساة القلوب من ذكر الله تعالى ٠

ويمكن أن يضاف إلى ما اشتملت عليه هذه النصوص المنقودة أمور مقابلة لها تضمنتها نفس النصوص وهي أمور دالة على الخلط الواضح عندهم وهي :

أولا : تشنيع بعضهم على أصحاب هذه الأحوال التي تخرجهم عن حد العقل والشرع ، وذمهم لها ولأسبابها ٠

ثانيا : تحذيرهم من إظهار المريدين لمثل هذه الأحوال المخرجة عن حد التميز سواء كانوا صادقين أو غير صادقين ، وسواء كانوا في عبادة أو خارجها ٠

ثالثا : اعتبار بعضهم أن من يحفظ من وقوعها له مع الذكر والخشوع والخضوع خير وأفضل ممن تصيبه أو يظهرها مع القدرة على كتمها ٠

وأما عذر الصادق منهم في ظهور آثار عليه عند سماع القرآن أو أثر الذكر المشروع فإنه واضح فإن التابعين ربما مات أحدهم أو صعق أو صرخ لسماع وعد أو وعيد أو حصل له اضطراب عند ذكر رحمة أو عذاب رغبة ورهبة وقد حصل مثل ذلك لأفراد من الصحابة رضوان الله عليهم (٣) ولكن لم ينشروا ذلك أو يجعلوه من فضائل الأعمال أو يخرج بهم إلى القول المذموم أو العمل المحرم ، كالقول بالحلول أو وحدة الوجود وما يشابه ذلك من الشطح والتخليط ٠

---

(١) القرطبي جـ ١٥ ص ٢٤٩ ٠

(٢) جنة المريد ص ٢٠٥ ـ ٢٠٨ وذم ما عليه مدعو التصوف لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ، تحقيق زهير الشاويس ، المكتب الإسلامي ط ٣ سنة ١٤٠٤ هـ ص ٦ وما بعدها ٠ ومجموعة الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ٢٩٨ وما بعدها ويقارن بما في الغلاوية ص ٢٠٥ ٠ وما بعدها ٠

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى ، كتاب السماع والرقص جـ ٢ ص ٢٩٨ ـ ٣٠٣ ومجموع الفتاوى جـ ١٠ ص ٧٦ وما بعدها ٠

رابعا : وليس معنى أن المغلوب على عقله بمشروع معذور جواز الاقتداء به فيما يرتكبه مما يخالف الشرع لسقوط تميزه الذي هو مناط تكليفه ، أو تصحيح ما يأتي به من عبادات في حال غيبوبته ، وإنما المراد أنه لم يتسبب بأمر ظاهر يزيل به عقله وأن الذي كان يمارسه حالة زوال عقله ذكر مشروع أو سماع مأمور به . فتدور أحكامه حسب الظاهر من حاله على أمور :

١) أنه معذور في نفسه غير ملام على ما كان يشتغل به بل محمود . والله حسيبه فيما خفي علينا من أمره .

٢) لا تصحح صلاته ولا شيىء من عباداته لزوال عقله واحتمال تكلفه ومراءاته ، أو انتقاض وضوءه بغير زوال العقل إن كان مدعيا ، أو لصدور كلام منه في أثناء فرائضه . وقد استوفى الحافظان ابن عبد البر في التمهيد (١) والشوكاني في نيل الأوطار (٢) ما في هذه المسائل من خلاف وأقوال للعلماء حول أدلتها مثل حديث مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، وعن بسر بن سعيد وعن الأعرج كلهم يحدثه عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر) (٣)

٣) ولا يصح عقلا ولا شرعا القول بأنه يكشف له عن علوم ويفتح عليه من أبواب العلوم والمعارف ما يؤخذ عنه أو يصدق فيه أو يتبع عليه وذلك أنه إما مدع منافق مراء فهذا ساقط المروءة لا يصدق في حال صحوه ومشاهداته بأم رأسه ، وإما أنه صادق في زوال عقله وغيابه عن حسه وإدراكه فلا يصح له هو أن يدعى شيئا زائدا على إحساسه بعد رجوع عقله له أنه ازداد إيمانا أو

---

(١) التمهيد جـ ٣ ص ٢٧٠ . ٢٩٩ .

(٢) نيل الأوطار ، أبواب ما يبطل الصلاة وما يكره ويباح فيها . باب النهي عن الكلام في الصلاة جـ ٣ ص ١٨٠ . ١٩٠ .

(٣) التمهيد جـ ٣ ص ٢٧٠ .

اطمئنانا أو راحة نفسية حسيما يتذوق من إيمان ، فإن ادعا شيئا آخر قيل له إنك غير صادق فيما تدعيه كله أو فيما تدعيه حالة غياب عقلك لسقوطك عن درجة التميز والتلقي وضعفك عن تحمل وقع الوعد والوعيد عليك إن كنت من الصادقين قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه لحال من يغيب عقله بسبب المحبة والخشية لله تعالى : (٠٠ لكن إن كان هذا لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذورا في زوال عقله ، فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال التي زال فيها عقله بغير سبب محظور ، كما قيل في عقلاء المجانين : إنهم قوم آتاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، وأسقط ما فرض بما سلب) (١)

خامسا : ويؤخذ من قولهم إن الصلاة تبطل على أهل الأحوال إذا ظهرت منهم وهم في حال يمكنهم معه كتمانها أو الامساك عنها قولا أو حركة ، واعتبارهم أنها في هذه الحالة أعمال اختيارية مع جعلهم التصوف من قواعدهم ، واعتبارهم لإنكار الفقيه عليهم ووجوب الرجوع إلى نصوص الفقه والأحكام الشرعية ما يدل على أن هذه الأحوال التي تصيبهم لا يدعون بها سقوط تكليف شرعي عند زوالها ٠ (٢)

ويؤيد هذا تنصيصهم على أن السماع المؤدي إلى الشطح أو الرقص أو التخليط في القول والعمل مذموم عندهم وينهون عنه ولا يأخذون به في طريقتهم ، وأن صاحبه ساقط المروءة ولا يجوز الاقتداء به وقولهم : (إن إقامة الحق الشرعي واجبة وأنه لا يصرف عن إقامته اعتقاد في الصوفية ولهذا قال الشيخ سيدي محمد (ومن هنا تعلم زور دعوى من ينسب نفسه للولاية والإرشاد إلى السلوك وتربية المريدين بالهمة مع تركه للصلاة المفروضة والصوم الواجب والحج وسائر أركان الإسلام ومع ذلك يأكل ويشرب ويوانس أصحابه ويعدهم ويمنيهم ٠٠) (٣)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى جـ ١٠ ص ٦٠ ويقارن بما في الغلاوية ص ٢٠٨ ٠

(٢) الطرائف والتلائد ص ٧٦ وما بعدها ٠

(٣) نفسه ص ٨٢ ٠

قلت : وهذا منهم موافق لنصوص الفقهاء وأحكام الشريعة ، وقد أجرى كثير من الفقهاء هذه الأحكام على من ظهر منه حال يترك به الفرائض أو يتنطق فيه بمحذور شرعي ومن أبرز هؤلاء الفقهاء الشيخ محمد يحى الولاتي في رده على من يشير إليهم الشيخ سيدي محمد الكنتي في نصه السابق وهم (القظف) فاضلية وغيرها (١) ولا يخفى أنه يدخل في هذا الحكم كل مرتكب لما يكفر به قولا أو عمدا أو ادعاء لزوال عقله مع أكله وشربه ومؤانسته لأصحابه كما قال الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي قال في مثل من هذا حاله : (٠٠ وليت شعري بأي وجه نسبوه إلى الإسلام وقد أمات شعائره وأمات أركانه وقطع أواصره فضلا عن الإيمان فضلا عن الإحسان ٠) (٢)

فمن أنكر هذه الأحوال التي تصيب القادرية وغيرها ممن يدعى الذكر والمحبة حتى يفقد عقله ويمنعه ذلك من أداء فرائضه له سلف من الصحابة والتابعين الذين لا يمكن أن يتهمهم أحد بالتعصب أو قساوة القلب وما ذلك إلا لأنها تشتمل على أمور لم تكن تصيب النبي صلى الله عليه وسلم ولا خيار صحابته مع كثرة ذكرهم لله تعالى وشدة محبتهم له وشوقهم إليه (٣)

ويزداد ما في هذه الأحوال من سوء إذا كانت الفرائض تضيع بسببها أو يدعون حصولها مع التصرف في أمور الدنيا على أتم وجه، أو كان أهلها يرون أنهم في أحوالهم هذه أفضل من غيرهم ممن لا تصيبه مع ذكره وخشيته لله تعالى وأتيانه بواجباته المفروضه عليه إذ رفع القلم بالاغماء أو الجنون أوغير ذلك لا يوجب مدحا لصاحبه (٤)

---

(١) شرح الداه بن أحمد للإضاءة ص ٢٨ ـ ٢٩ ورد الولاتي على مقالات محمد الأمين بن أحمد الجيد القلقمي ـ نصيحة أولاد الزوايا ص ٣ وما بعدها وكذلك رده على الحسن القظفي ص ٣٢ وما بعدها ورد سيدي بن عبد الجليل (سيدي بن حين) على محمد عبد الله بن آده ص ٦ وما بعدها ٠

(٢) الطرائف ص ٨٢ ٠

(٣) القرطبي جـ ١٥ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠

(٤) مجموع الفتاوى جـ ١٠ ص ٤٤ ٠

ولذا لا يوجد من أهل العلم من أقرها بما فيها أو رضي عن أصحابها على وجه العموم (لأن الأحوال لفظ مجمل والتميز بين الصادق من الكاذب متعذر والحكم على النـاس) بحسب الظاهر ولم يعرفوا هل أحوال هؤلاء شيطانية بسبب تركهم للصلاة أو الرقص أثناء العبادات أو إيمانية بسبب دخولهم في زمرة المسلمين الذاكرين لله تعالى ، فاشتبه الأمر بسبب التخليط الذي يرتكبه هؤلاء فحكم عليهم الناس بأحكام متفاوتة فمن الناس من استعاذ من أحوالهم عندما ذكرت له كاسماء بنت أبي بكر الصديق وابن عمر رضي الله عنهم ومن ذهب مذهبهم من علماء الصحابة رضوان الله عليهم .

ومن الناس من كذبهم في ادعائهم الغلبة على عقولهم كابن سيرين ومن قال بقوله من العلماء التابعين .

ومن العلماء والفقهاء من كفرهم لما يظهر عليهم من أحوال تخالف أحوال أهل الايمان . (١)

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا) (٢)

قال النووي : (قال صاحب التحرير رحمه الله معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد صلى الله عليه ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه) (٣) .

فمن زاد على الكتاب والسنة والإيمان بهما والعمل بمقتضاهما شيئا يحرك به قلبه فقد فسد ذوقه واختلط عليه أمره ، وكان مستحقا للأحكام القاسية حسب جرمه وجنايته على نفسه وملته وأهله وإخوانه من المسلمين ، وكان أولى أن ينسب إلى قساوة القلب والجرأة على الله من غيره . والله أعلم .

---

(١) القرطبي جـ ١٥ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ومجموع الفتاوى جـ ١٠ ص ٤٤٢ ومابعدها . ومجموع الرسائل الكبرى جـ ٢ ص ٣٠٨ وما بعدها . والقدسية ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فهو مؤمن وإن إرتكب المعاصي الكباير .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٢ .

المبحث الثاني : المقامات :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مقام الجذب وأثره علي القادرية .

المطلب الثاني : مقام الفناء واثره .

المطلب الثالث : مقام التوكل واثره .

تقديم

تعريف المقامات لغة واصطلاحا عند الصوفية •

تقدم في الكلام على الأحوال أنها متداخلة مع المقامات ، وأنه لدى مؤلفى الصوفية بينهما خلط كبير إلا أنهم يذكرون فروقا بينهما ولا يسلم عند الفحص منها إلاواحد إن سلم وهو قولهم : (الأحوال مواهب والمقامات مكاسب) (١)

والمقام لفظ مشترك بين الأمور الحسية والأمور المعنوية وإنما يفرق بينهما بالقرينة عند التعبير عن أحدهما •

قال القاضي عياض في المشارق (•• في مقامي هذا وعن مقامك ، وذلك المقام المحمود هو حيث يقوم المرء ، ويكون مصدر قيامه أيضا ، يقال فيه مقاما ومقاما ، وقال صاحب العين (٢) الفتح الموضع والضم اسم الفعل) (٣)

قال الله تعالى لعباده المؤمنين : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٤) واختلف العلماء في المراد بمقام إبراهيم عليه السلام فقيل إنه الحجر الذي وقف عليه عندما ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناوله إياها عند بنائهما للعكبة (٥) وقيل المقام المسجد الحرام ، وقيل المقام مواقف الحج كلها • (٦)

---

(١) القشيرية جـ ٢ ص ٢٠٦ •

(٢) هوالخليل بن أحمد الفراهيدي اللغوي المتوفي سنة ١٧٤ هـ انظر : تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ط ١٥ ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ •

(٣) المشارق جـ ٢ ص ١٩٤ •

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٥ •

(٥) انظر : البداية والنهاية جـ ١ ص ١٤٧ •

(٦) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٣ و ٦٨ وابن عطية جـ ٢ ص ٤٨٠ •

وقال الجوهـري : (.. وأما المقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم ، لأنه مشبه ببنات الأربعة ، نحو دحرج وهذا مدحرجنا . وقوله تعالى : ﴿ لا مقام لكم ﴾ أي موضع لكم وقرىء بالضم أي لا إقامة لكم و (حسنت مستقراً و مقاما) (٢) أي موضعا.) (٣) (وقيل المقام بالفتح المشهدو المجلس ، وبالضم يمكن أن يراد به المكان ، ويمكن أن يكون مصدرا ، ويقدر فيه المضاف ، أي في موضع إقامة) (٤)

قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا ﴾ (٥)

قال القرطبي : (اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال :

الأول . وهو أصحها . الشفاعة للناس يوم القيامة ..) (٦)

وفي الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامه) (٧)

وقد ورد في الحديث ما يبين جانبا مما يراد بالمقام هنا الذي هو الوسيلة فعن عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما : (أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة) (٨)

---

(١) سورة الأحزاب الآية ١٣ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٦ .

(٣) الصحاح جـ ٥ ص ٢٠١٧ .

(٤) القرطبي جـ ١٦ ص ١٥٢ .

(٥) الإسراء الآية ٧٩ .

(٦) القرطبي جـ ١٠ ص ٣٠٩ وفتح الباري جـ ٢ ص ٩٥ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عندالنداء الحديث رقم : (٦١٤)

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة .

فالمقامات تكون مقامات زمانية ومكانية ومعنوية بمعنى منزلة أو درجة عالية يحمد عليها ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والأخرى مقامات لا يطمع مخلوق في نيلها أو الوصول إليها (١) ، وللمتقين كذلك مقامات في الدنيا والأخرى كل يحسب إخلاصه وعمله واجتهاده وما وهبه الله تعالى له من الإيمان واليقين والاتباع

قال الله تعالى : ﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾ (٢) (أي يؤمن فيه من الآفات) (٣) والواضح من المقامات الإيمانية هو ما يشهد له الشرع الحنيف كما في حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم (أخبرني عن الإسلام ٠٠ فأخبرني عن الإيمان ٠٠٠ فأخبرني عن الإحسان) (٤) فهذه مقامات إيمانية محصورة ، فمن وصل إلى درجة المراقبة في العبادة كان محسنا والله تعالى يقول في كتابه : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ٠٠ ﴾ (٥) فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل (٦) وهذه هي المقامات الحقيقية ، أما تكثير العبارات من غير اعتماد على شرع مثل ما نجد في كتب الصوفية فإنه غير مفيد في تحصيل هذه الدرجات المعبرعنها في الشرع بالإسلام والإيمان والإحسان ، علاوة على أن دلالة عباراتهم واصطلاحاتهم في درجات الإيمان واليقين غير واضحة المعنى من حيث الدلالة اللغوية ، ويصفون بها في اصطلاحاتهم من لا يتصف بها شرعا وهم مع ذلك لا يتفقون على عدد معين من المقامات ينتهي إليه المترقى بل أحيانا يقولون إلى ما لانهاية له (٧) ، وهذه عبارة موهمة قد يفهم منها السوء في العقيدة ٠

---

(١) فتح الباري جـ ٢ ص ٩٥ وما بعدها و جـ ٦ ص ٢٨٦ وما بعدها ٠ والنووي على مسلم جـ ٤ ص ٨٨ ٠
(٢) سورة الدخان الآية ٥١ ٠
(٣) القرطبي جـ ١٦ ص ١٥٢ ٠
(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، جـ ١ ص ١٧٥ وصحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، جـ ١ ص ١٤٤
(٥) سورة يونس الآية ٢٦ ٠
(٦) ابن كثير جـ ٢ ص ٤١٤ ٠
(٧) وتقدم نقل ذلك عنهم في باب العقيدة ٠

والمقام في اصطلاحهم هو : (ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ، مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة وتكلف) وهذا معنى قولهم : (والمقامات مكاسب ٠٠) أو : (المقامات تحصل ببذل المجهود) (١) وفي التعريفات للجرجاني : (المقام : في اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساه تكلف ، فمقام كل واحد موضع إقامته عند ذلك) (٢) . قلت : وكأنه نقله بالحرف من الرسالة القشيرية ٠ وفي شرحه للحال والمقام والفرق بينهما يقول السهروردي :

(قد كثر الاشتباه بين الحال والمقام ، واختلفت إشارات الشيوخ في ذلك ، ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسهما وتداخلهما ٠٠ فالحال سمى حالا لتحوله ، والمقام مقاما لثبوته واستقراره ، وقد يكون الشيىء بعينه حالا ثم يصير مقاما ٠٠) (٣) إلا أن القشيري يرى أن : (صاحب المقام ممكن في مقامه ، وصاحب الحال مترق عن حاله) (٤) ٠

قلت وبالله التوفيق :

إن اصطلاحات الصوفية لا يكاد يوجد منها شيىء سالم من المعارضه أو المناقضة بمثله وخصوصا في هذا المجال المضطرب من حالات الروح البشرية التي تصفو تارة وتتكدر أخرى ، ولا تدوم على حال ولا يستقر لها مقام) (٥) وهذا ما سيتأكد إن شاء الله تعالى جليا في المطلب الآتي :

---

(١) الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٢٠٥ . ٢٠٦ ٠

(٢) التعريفات ص ٢٢٧ ٠

(٣) عوارف المعارف ص ٤٦٩ ٠

(٤) الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٢٠٦ ٠

(٥) نفس المرجع ٠

المطلب الأول : مقام الجذب وأثره في الطريقة القادرية

تعريف : الجذب والمجذوب

الجذب كما في الصحاح للجوهري هو : (المد • يقال جذبه ، وجبذه على القلب ، واجتذبه أيضا • يقال للرجل إذا كرع في الإناء : جذب منه نفسا أو نفسين • وبيني وبين المنزل جذبة ، أي قطعة ، يعني بعد • ويقال جذبة من غزل ، للمجذوب منه مرة •

وجذبت المهر عن أمه ، أي فطمته •• أبو عمرو : الجذب : انقطاع الريق •• وجاذبته الشيء ، إذا نازعته إياه • والتجاذب : التنازع • والانجذاب : سرعة السير) • (١) فمادة جذب دالة على الاخذ والنزع والتنازع والقطع والسير بسرعة وكل هذه المعاني متقاربة فيقول الناس وجدناهم يتجاذبون أطراف الحديث ، وفلان منجذب إلى كذا بمعنى مائل إليه •

والمجذوب على هذه المعاني يكون بمعنى المنزوع أو المقطوع على أنني لم نعثر على تعريف له في كتب الأقدمين من الصوفية مع كثرة عباراتهم وتشعب استخراجاتهم ، وأقرب معنى لمادته : (الجذب) (المجذوب) هو لفظ : (المراد) الذي هو كما في التعريفات :(عبارة عن المجذوب عن إرادته ، والمراد من المجذوب عن إرادته المحبوب ••) (٢)

وتدور عباراتهم عن المراد والفرق بينه وبين المريد على هذا المعنى من كونه جذب إلى الحق حتى انتهى (فكل مريد على الحقيقة مراد ••• فالمريد عندهم هو المبتدىء ، والمراد : هو المنتهي •• أو المراد : الذي كفي بالأمر من غير مشقة •)

قال القشيرى : (وسئل الجنيد رحمه الله ، عن المريد والمراد ، فقال : المريد تتولاه سياسة العلم ، والمراد : تتولاه رعاية الحق ، لأن المريد يسير ، والمراد يطير ، فمتى يلحق السائر الطائر ؟) (٣)

---

(١) الصحاح جـ ١ ص ٩٧ ـ ٩٨ •
(٢) التعريفات ص ٢٠٨ •
(٣) القشيرية جـ ٢ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ومثله في الغنية جـ ٢ ص ١٥٨ وما بعدها •

ويكاد يكون المجذوب في اصطلاح الصوفية وعامة الناس في العصور المتأخرة هو الشخص الذي إذا أخذ في الذكر زال عقله أو فقد التميز بين الأمور ، وربما شطح أو بطش وتكلم بأمور لا يليق الكلام بها عقيدة أو عادة وعرفا ، وقد يستمر معه زوال العقل لفترة من الزمن حتى يعرف بذلك ، ولا يكون أمره ملفتا للنظر لإلف الناس لحاله ، وقد توسع في البئة القادرية في هذا الاصطلاح حتى أطلقوه على كل من يتكلم في الأمور بصراحة زائدة أولا يحفظ السرأو على من يعرف بالعته وقلة المحافظة على الطهارة والنظافة وخصوصا إذا كان من ذرية قوم صالحين حتى قال بعض العقلاء : إنهم لا يفسد لهم أحد فالمجنون عندهم صالح مجذوب ، والمعتوه صالح ولي تخسى خواطره ، ويعلم من هذا ومما يأتي من النصوص أن الجذب والمجاذيب في الطريقة القادرية من الأمور المعروفة ، وهم مختلفون في الحكم على المجذوب بعد اتفاقهم على أن الجذب من المقامات الرفيعة ، ولكن وجد من القادرية ومن العلماء والفقهاء من نقد ظاهرة الجذب وعلى وجه الخصوص إذا كانت تؤدي إلى ترك الفرائض أو الشطح والكلام بالبوائق ، أو ترك العناية بما يناسب من المظاهر أو الوقوع في البطش وارتكاب المحرمات والكبائر . وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك .

عرض :

تقدم في الكلام على الأحوال نقد موقف القادرية من الأحوال وأصحابها مع التفصيل المناسب للمقام هناك . والأحوال والمقامات متداخلة .

ومما جاء في مبحث الأحوال النقل عن الشيخ سيدي المختار الكنتي في الوجد والتواجد وأن أهل ذلك يتهتكون ويعذرون . ويهرفون بما لا يعرفون ، ونقلنا اعتذاره عنهم ونقله لكلام الواصفين لهم بأعلا مقامات الولاية (١)

ونفس هذه النقول استرضاها ولده الشيخ سيدي محمد الكنتي وزاد عليها نقولا أخرى عن والده وعن غيره (٢) فمما نقله عن والده قوله : (سمعت شيخنا الوالد

---

(١) الكوكب الوقاد ص ٥٥ وما بعدها .

(٢) الطرائف والتلائد ص ٨٢ وما بعدها .

رضوان الله عليه يقول : أدركت سيدي عمر بن سيدي أحمد التوجي ، وكان من المجاذيب الصحاح كلما أخذ في ذكره وطاب طاربه الحال من موضعه فإن كان بإزاء منارة مسجد مشرفة وقع بإحدى رجليه على شرفة المنارة وأخذ يدور بالأخرى دوران الخذروفة ، فإذا سكن حاله وقع لرأسه ٠٠) (١)

وفي معرض توضيحه لأسباب الجذب ووجه الاعتذار عن المجاذيب يقول : (٠٠ إذ معنى المجذوب المستور العقل المأخوذ عن عالم حسه ، وهؤلاء أهل غلبة الأحوال وهم المسمون في القديم بعقلاء المجانين وفي العرف بالبهاليل وفي الاصطلاح بالمجذوبين) (٢)

وقال : (ومقام المجذوب مقام عين اليقين وهو نهاية السالكين ، وبداية المجذوبين لأن المجذوب أول ما تبدوله الحقيقة ثم يتدلى إلى ما ترقى فيه السالك إلا أنه أسرع في تدليه من السالك في ترقيه لأنه مصحوب بالنور من أول قدم والنور يكشف ظلمة الطريق) (٣)

وما دام الجذب من المقامات العالية في الطريقة القادرية فإنه لا يستبعد أن تدعيه كل طائفة لنفسها وإن اختلفت عباراتهم فيه لعدم الاتفاق على مصطلح ثابت في مثل هذه العبارات ودلالاتها ، فبعضهم يسميه جذبا وبعضهم يسميه فتحا أو فيضا٠ (٤) ويعتبر عندهم من الطرق الموصلة لله تعالى حسب عباراتهم بل إن الشيخ سيدي محمد الكنتي يحصر الطرق الموصلة للـه في مصطلح الصيوفيـة . على الأقل . في طريقتين هما : الجذب والسلوك ٠

فيقول بعد تأكيده على السلوك على يد المشايخ :

---

(١) نفسه ص ٨٣ . ٨٤ ٠

(٢) نفسه ص ٨٣ ٠

(٣) نفسه ص ٨٤ ٠

(٤) نفسه ص ٨٣ و ٩٨ وما بعدها ٠ جنة المريد ص ٩٠ ونعت البدايات ص ١٩ والضياء ص ١٦٣ وما بعدها ٠

(.. إذ لا وصول إلا بأحد طريقتين جذب إلهي أو سلوك على يد شيخ وبدون ذلك الوصول محال) (١)

ويستدل الشيخ سيدي محمد على هذا الحصر بقوله تعالى : ﴿ ... الله يجتبى إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ (٢) فيقول في بيان هذا الاستدلال : (فقوم خصوا بالاجتباء للصرف ، وقوم خصوا بالاجتباء بشرط الإنابة ، فالأول حال المجذوب ، والثاني حال السالك المحبوب) (٣)

نقد : قلت وبالله تعالى استعنت : هذه بعض نصوصهم المصرحة بوقوع الجذب في طريقتهم واعتبارهم له مقاما وطريقا إلى الله ، وأن المجذوب مجتبى من الله تعالى وهذا موافق لمعنى المراد الذي نقلناه عن القشيري وغيره . ويمكن حصر نقد هذه النصوص في المسائل الآتية إن شاء الله تعالى :

أولا : لفظ الجذب لفظ محدث بعد القرون المفضلة الثلاثة الأولى وقد وصف الله تعالى عباده وأولياءه في الكتاب والسنة بما يغني عن إحداث ألفاظ لهم تدل عليهم أو على صفاتهم ، وهذا كاف في رد هذا اللفظ على المصطلحين عليه كوصف أو حال لأهل الله وعباده الصالحين على أنه تبين من قبل أنه لا يطرد مصطلحالهم على العموم حتى من القائلين به (٤)

ثانيا : أن الموصوفين بالجذب قد يصيبهم هذا (المقام) باستعمال أمور محرمة مادية أو معنوية كالاعشاب المخدرة أو المفترة أو الأسحار المكفرة أو السماعات والإنشادات البدعية المحرمة (٥)

---

(١) الطرائف ١٦٠ ومثله في جنة المريد ص ١٢٨ ومابعدها .

(٢) الشورى الآية ١٣ .

(٣) جنة المريد ص ١٢٨ .

(٤) الغلاوية ص ١٦٥ .

(٥) الفتاوى جـ ١٠ ص ٧٦ وما بعدها و ٤٤٠ . ٤٤٤ والطرائف ص ٣١٣ ومابعدها والغلاوية ص ١٩٦ . ٢٠٠ .

ثالثا : أن هؤلاء المجاذيب على تسليم أنهم دخلوا في عبادة فاضلة وهي ذكر الله تعالى . فأصابهم الجذب وغطى عل عقولهم . فإنه يحصل منهم من الأمور ما لا يجوز نسبتها إلى أهل الإيمان بالله تعالى الذين تولى الله حفظهم من الوقوع في الانحرافات أو ما يدل على فساد المعتقدات ، إذ إن ذلك انما يحصل لمن كان قبل الدخول في العبادة في الظاهر متلبسا بمحرم كالاختلاط بالمحارم أو في اعتقاده علل قبيحة فإذا غاب عقله وقع في المحظور أو تنطق بالمحذور (١) وهذا ما يطابق قول الأخضري :

(والرقص والصراخ والتصفيق عمدا بذكر الله لا يليق

فقد رأينا فرقة إن ذكـروا تبدعوا وربما قد كفروا) (٢)

يقول شيخ الإسلام ابن يتمية في معرض بيانه لحال عقلاء المجانين بعد أن بين أن زوال العقل لا مدح فيه : (ومن علامة هؤلاء : أنهم إذا حصل لهم في جنونهم نوع من الصحو تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان ، لا بالكفر والبهتان ، بخلاف غيرهم ممن يتكلم إذا حصل له نوع إفاقة بالكفر والشرك ، ويهذي في زوال عقله بالكفر فهذا إنما يكون كافرا لا مسلما ، ومن كان يهذى بكلام لا يعقل بالفارسية أو التركية أو البربرية وغير ذلك مما يحصل لبعض من يحضر السماع ويحصل له وجد يغيب عقله حتى يهذي بكلام لا يعقل . أو بغير العربية . فهؤلاء إنما يتكلم على السنتهم الشيطان كما يتكلم على لسان المصروع .) (٣) .

رابعا : أن بعض شيوخ القادرية بالإضافة إلى كثير من الفقهاء ردوا على المجاذيب من القادريـــة وغيرها لما رأوا عليهم من عدم الصدق في المدعى بدليل أن الباعث لوجدهم كان محرما أو مقترنا به أو مفضيا إلى ترك الواجب وتضيع الفرائض

---

(١) جذوة الأنوار ص ٩٧ والغلاوية ص ١٦٨ وما بعدها . ودراسة عن الإسلام في إفريقيا السوداء الفرنسية مصدر سابق ص ١٣٩ . ١٤٠ .

(٢) القدسية ص ٣٢ .

(٣) الفتاوى جـ ١٠ ص ٤٤٢ . ٤٤٣ .

. وهذا الرد من شيوخ القادرية القائلين بأن الجذب من مقامات العارفين بالله تعالى . إما أنه تناقض منهم أو تحيز إلى طائفة دون طائفة أخرى من القادرية ٠ وهذا ذمه ظاهر ٠ وإما أنهم يرون أنه مقام ولكن وجدوا في إطلاقه على العموم من المحاذير ما جعلهم يفرقون بين المتصفين به حسبما يظهر عليهم من أحوال أهل الايمان وأحوال أهل الشيطان ٠

والرادون على المجاذيب متفاوتون منهم الواصف لهم بالبدعة الشنيعة كالشيخ سيدي محمد الكنتي حيث رد في الطرائف والتلائد والغلاوية على الطائفة الأغظفية التي هي في الغالب أصل الفاضلية (١)

ومنهم المكفر لهم كالشيخ محمد يحي الولاتي لتركهم للفرائض بدعوى غياب عقولهم مع حسن تصرفهم في دنياهم (٢)

خامسا : أنهم يقولون بأن الجذب من أعلا المقامات ومع ذلك لابد لصاحبه من الأخذ في التدلي في السلوك ليصلح مرشدا يربي غيره ، وأن سنة الرياضة لابد منها وأن السالك وإن كان يكابد ويعاني المشاق والمجاهدات فإنه في النهاية أحسن حالا من المجذوب لأنه عرف الطريق ومنازلها بخلاف المجذوب فإنه طفل الطريق ٠ (٣) وفي هذا الكلام من الخلط مالا يخفى ، ذلك أنهم يقولون بأن المقامات يرتقى معها وأن المقامات مكاسب ، ولكن الجذب مقام لا كسب فيه وإنما هو اصطفاء واجتباء من الله تعالى ومع ذلك لا يغني صاحبه عن السلوك بل لابد له أن ينزل بدلا من الارتقاء ٠ والقشيري يقول عن المقام : (وشرطه : أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام) (٤) فالجذب على هذا لا يصلح عده مقاما على منهجهم وشروطهم فيه : (والمقام مقام لثبوته واستقراره).(٥)

---

(١) الطرائف ص ٣١٣ وما بعدها ٠ والغلاوية ص ١٨٣ وما بعدها ٠

(٢) الرد على الحسن القظفي ص ١١٠ وما بعدها ٠

(٣) جنة المريد ص ١٢٧ ونا بعدها ٠

(٤) القشيرية جـ ١ ص ٢٠٤ ٠

(٥) عوارف المعارف ص ٤٦٩ ٠

سادسا : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ ... الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ فإنه غير واضح الدلالة على مرادهم إذ إن المراد بالآية كما فسرها به علماء التفسير هو أن المقصود بالاجتباء الاختيار للتوحيد والإيمان والمراد بالهداية لمن ينيب هو الاستخلاص .

قال القرطبي : (اللـه يجتبي إليه من يشاء) أي يختار ، والاجتباء الاختيار ، أي يختار للتوحيد من يشاء . (ويهدي إليه من ينيب) أي يستخلص لدينه من يرجع إليه) (١) (فهو تعالى الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ..) (٢)

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان عند بيانه لهذه الآية وما في معناها : (قوله تعالى : الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) . الاجتباء في اللغه العربية معناه الاختيار والاصطفاء .

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أنه تعالى يجتبي من خلقه من يشاء اجتباءه .

وقد بين في مواضع أخر بعض من شاء اجتباءه من خلقــه ، فبين أن منهم المؤمنين من هذه الأمة في قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير ﴾ إلى قوله : ﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ . (٣) وقوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ (٤) .

وبين في مواضع أخر أن منهم آدم وهو قوله تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (٥) وذكر أن منهم إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة . إلى قوله شاكرا لأنعمه اجتباه) (٦)

---

(١) القرطبي جـ ١٦ ص ١٢ .
(٢) ابن كثير جـ ٤ ص ١٠٩ .
(٣) الحج الآيتين ٧٧ - ٧٨ .
(٤) فاطر الآية ٣٢ .
(٥) طه الآية ١٢٢ .
(٦) النحل الآية ١٢١ .

إلى غير ذلــك من الآيات الدالة على اجتباء بعض الخلق بالتعيين • وقوله تعالى ﴿ ويهدى إليه من ينيب ﴾ أي من سبق في علمه أنه ينيب إلى الله أي يرجع إلى ما يرضيه ، من الايمان والطاعة ، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الرعد (١) ﴿ قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) (٢)

قلت : وبالله تعالى وحده استعنت : إن هذه الآيات المبينة لهذه الآية المستدل بها على اجتباء الله تعالى للمجذوبين لا دليل للمستدل بها على مراده ، ذلك أن الاجتباء والاصطفاء للايمان شامل لكل من شاء الله هدايته للايمان والتخصيص بدون مخصص من الشارع تحكم وابتداع في الدين فالمؤمنون على العموم اجتباهم الله تعالى وهداهم للايمان به تعالى • والمنصوص عليهم من الانبياء هم كذلك في أول من اجتباهم الله من المؤمنين لإيمانهم •

والمجذوب إما أن يكون من المؤمنين فهو داخل في الاجتباء والاصطفاء العام ولا مزية له على غيره منهم . هذا إذا كان جذبه لا يخرجه عن حد . الشرع أو التقصير في أداء الفرائض أو ارتكاب ما يخرجه عن حد الاصطفاء بما يكفر به . والغالب على الموصوفين بالجذب يحصل منهم أشياء مما ذكر حالة جذبهم ولذا فالقادرية أنفسهم يفضلون عليهم من يقع له من الوجل والخشوع والسكينة عند ذكر الله تعالى مع حفظ عقله عليه • (٣)

وهذا دال على أن الجذب عندهم حالة ضعف لا مدح فيها ولا ثناء وخصوصا إذا كانت تؤثر على صاحبها فتضيع عليه من الخير أكثر مما يظن أنه حصل له من الايمان واليقين • وإما أن يكون المجذوب ممن كان مسرفا على نفسه فتداركته عناية الله تعالى بالتوبة والإنابة فهذا فضل من الله تعالى ينبغي لصاحبه أن يكون ممن تطمئن قلوبهم لذكر الله تعالى ولا يخلط مع توبته أمورا تخرجها عن التوبه المطلوبة إلى البدعة المذمومة •

---

(١) أضواء البيان جـ ٧ ص ١٨٢ •

(٢) سورة الرعد الآية ٢٧ •

(٣) جنة المريد ص ٩٠ وما بعدها •

المطلب الثاني : مقام الفناء وأثره

تعريف الفناء لغة واصطلاحا :

الفناء لغة : قال في القاموس : (فني) كرضي وسعى فناء عدم ، وأفناه غيره وفلان هرم والفاني الشيخ الكبير) (١)

وفي الصحاح : (فني) الشيء فناء وأفناه غيره · وتفانوا ، أي أفنى بعضهم بعضا في الحرب) (٢) وقال ابن مالك في منظومة المقصور والممدود :

(كفى بالفنا قوتا لنفس فناؤها قريب ويكفيها صراً وصراء) (٣)

فالفنا بالقصر : ما تساقط من الطعام أو من تافه المتاع ، والفناء بالمد ضد البقاء · (٤)

قلت : فالفناء على هذه التعريفات هو الإعدام أو الانعدام أو ما في حكمهما وواضح أنه ضد البقاء الذي هو على الإطلاق من صفات الله تعالى وحده قال الله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٥)

الفناء اصطلاحاً : والفناء في الاصطلاح الصوفي له إطلاقات متعددة وإجمال يحتاج إلى بيان وتفصيل لما في بعض إطلاقاته من المحذور في المعتقد عند بعض الصوفية ، وقد عرفه الجرجاني بقوله : (الفناء سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة ·

والفناء فنا آن : أحدهما ما ذكرنا وهو بكثرة الرياضة ، والثاني : عدم الإحساس بعالم الملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ، ومشاهدة الحق ··) (٦) ومثله في الرسالة القشيرية (٧) وقريب منه مع شيء من التفصيل في عوارف المعارف · (٨)

---

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٧٥ ·
(٢) الصحاح للجوهري ج ٦ ص ٢٤٥٧ ·
(٣) فتح الودود ص ٦٠ ·
(٤) نفسه ص ٦٠ . ٦١ ·
(٥) سورة الرحمن الآيتين ٢٦ . ٢٧ ·
(٦) التعريفات ص ١٦٩ ·
(٧) التعريفات ص ١٦٩ ·
(٨) عوارف المعارف ص ٥٢٠ وما بعدها ·

قال السهروردي : (واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات ، وهذا تقتضيه التوبة النصوح ... إلى أن قال : ولكن الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد ، فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد ، وهو ينقسم إلى فناء ظاهر ، وفناء باطن ..) (١)

ونقل عن إبراهيم بن شيبان أنه قال : (علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة) (٢)

وقد عرفت القادرية الفناء بأنواعه ونشرته في بيئتها حتى صار يتكلم به من يعرف معناه ومن لا يدركه ، فإذا رأوا محباً لشيء قالوا : فلان فان في حب كذا ، أو رأوا شخصا منهمكا في عمل أو أمر قالوا : فلان متفان في كذا أو يفنى في كذا .

وقد نقلت القادرية من كتب الصوفية الكلام في الفناء ودرجاته ، ولهم نصوصهم الخاصة بهم أيضا في توضيح معانيه ومرادهم به عند الإطلاق في جانب الله تعالى كما لهم نصوص أخرى يفهم منها الرد على بعض القائلين بفناء الأبدان والأرواح أو القائلين بالفناء بمعنى الحلول والاتحاد أو وحدة الوجود ، على أنه يوجد في بعض إطلاقاتهم للفناء من الكلام المتشابه ما يعرف منه الخلط المتعمد أو عدم التمييز بين المعاني الصحيحة والباطلة المأخوذة من الألفاظ المجملة ، وهذا ما سيتضح بجلاء إن شاء الله تعالى بعد عرض نصوصهم ونقدها .

---

(١) عوارف المعارف ص ٥٢١ .

(٢) نفسه ص ٥٢٠ .

عرض :

تعرض الشيخ سيدي المختار الكنتي أثناء منـــاقشة لمعاني اسم اللـه تعالى (الباعث) إلى الكلام على الفناء والبقاء واختلاف الناس فيما يفنى وما يبقى من الجواهر والأعراض ، وهل البقاء والفناء من المعاني أم ليسا من المعاني .. ؟ (١) فقال: (واختلف المتأخرون في البقاء والفناء فقال قوم : البقاء معنى يبقى به الباقي ، والفناء معنى يفنى به الفاني وهو قول القابسي (٢) من أهل السنة ، وقال قوم : الفناء معنى والبقاء ليس بمعنى وبه قال الجبائي وابنه (٣) وقال قوم : البقاء والفناء ليسا بمعنى وبه قالت طائفة من أهل السنة ونفت فناء الأعراض ..) (٤) وقد تناول الشيخ سيدي المختار الكنتي هذه المعاني رادا على المعتزلة والجبرية والقدرية ومن خالف مذهب السلف في القول بأن الأبدان تتحول من حال إلى حال إلا ما استثني وأن الله تعالى ينشؤها نشأة أخرى وأن الأرواح يختلف مستقرها في البرزخ ما بين منعمة ومعذبة وسعيدة وشقية إلى غيـــر ذلـــك مما ناقشـــه في أثنـــاء كلامه على الفناء والبقاء والباعث (٥)

وهذا من مباحث الآخرة والبعث وإنما ذكرته لما فيه من بعض أوجه المناسبة وأما الفناء الذي نعرض نصوصه فهو من مباحث الأحوال والمقامات التي يتوصل إليها بنوع من الرياضة والمجاهدة . يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي واصفا تدرج السالكين في مقاماتهم وأثر الذكر في ذلك : (... فيضع . يعني الذاكر . أول قدم في المحبة فيكون كالمدله وليس بمدله ولكنه شرب فسكر لأنه غاب عن الأكوان وفني عن حقيقته وغرق في بحور المعارف الربانية فهو الذي يقال الفاني ، فيفنى في الصفات ثم يفنى في الأسماء ثم يفنى في الذات فيغيب عما سوى الله تعالى فذلك قوله : فيفنى ثم يفنى فكان فناؤه عين البقاء) (٦)

---

(١) الكوكب الوقاد ص ١٢٩ وما بعدها .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي ، انظر ترجمته في ترتيب المدارك جـ ٧ ص ٩٢ . ١٠٠ .

(٣) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي ، من أئمة المعتزلة ، انظر البداية والنهاية جـ ١ ص ١٢٥ .

(٤) الكوكب الوقاد ص ١٣٦ . ١٣٧ .

(٥) نفسه ص ١٢٩ وما بعدها والمنة ص ٦٤ وما بعدها . وفتح الودود ص ٦١ . ٦٢ ويقارن بما في شرح الطحاوية ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٦) الكوكب الوقاد ص ١١٣ .

قلت : وقد نسب هذا القول في جذوة الأنوار للجنيد (١) وأضاف موضحا موقفه من هذه المجاهدات التي يدعي أصحابها أنهم يرتاضون لأجل تحصيل الفناء في الله تعالى فقال : (... وليس طريق موت النفس بقطع جميع الأرماق عنها وردها إلى الاجتزاء بالحشيش والنخالة والمبالغة في التقشف ، والتقلل ، مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وإرادته ، وترك الالتفات إلى ما يحمد وما يذم فذلك كله غلو وبدعة ، وقد غلط في هذا الباب طوائف من الناس عملوا عليه في رياضتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم ، فأفضى بهم ذلك إلى اختلال عقولهم ، وانحلال قوى أبدانهم ، ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وما ذلك إلا لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة .) (٢)

وبعد نقده لمسلك هؤلاء يأتي ببيان لأصناف السالكين الآخذين في الترقي على النهج السليم حسب ما يراه هو فيقول : (ومنهم من يرقى إلى مقام الفنا مشتملا على قلبه نور اليقين والمشاهدة مغمور في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذه رتبة في الوصول ، وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون من ذلك في محو وهو سريان نورالمشاهدة في كلية العبد حتى تحظى بها روحه وقلبه ونفسه وقالبه وهذا من أعلى مراتب الوصول ...) (٣)

قلت : ولو لا أنه قدم قبل هذا الكلام مراده بالوصول بما يتضح به أنه لا يريد المعنى الذي يقصده أهل وحدة الوجود أو الاتحادية لكان في كلامه هذا إجمال يمكن حمله على سوء المعتقد (٤) خصوصا أنه يتأول بعض كلام القائلين بالوحدة المطلقة أو المقيدة فيقول في معرض دفاعه عن الصوفية ، وأنه لا يجوز الانكار عليهم إلا لمن عرف مصطلحاتهم وذاق أذواقهم فيقول : (واعلم أن من ذلك قولهم : الرب عبد والعبد رب . اذا سمع هذا من لاذوق له أمر بقتل قائله وذبحه وإذا عرف أن مرادهم بذلك أن العبد إذا بذل نفسه لمولاه وفني في مرضاته وغاب بشهوده عن شهود نفسه ملكه الله ملكا كبيرا وجعل الأمر في يده حتى إذا قال للشيء كن فيكون بتكوينه قال

---

(١) جذوة الأنوار ص ٣ .

(٢) جذوة الأنوار ص ٣٧ .

(٣) نفسه ص ٥٥ .

(٤) نفسه ص ٥٤ . ٥٥ .

الجيلي رضى الله عنه :

وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي) (١)

قلت وعلى الله توكلت :تقدم بعض هذا الكلام في باب العقيدة عند الكلام على ادعاء التصرف في الكون من بعضهم وتسبة هذا القول للشيخ عبد القادر الجيلي لا تصح .

فمعرفة اصطلاح الصوفية فيما يعبرون عنه : (من التجلى الذاتي والصوري وتنوع المقامات وأنواع الذوق والسكر والصحو والفناء والمكافحات إلى غير ذلك أمر لابد منه لمن يريد التصدي للإنكار عليهم كما يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي (٢) ويقول في معرض رده على من أسقط التكاليف من الصوفية بدعوى الفناء أو اليقين : (ولقد جازف بعض المتصوفة الجهلة ، فقال : إن الولاية أعلى من رتبة النبوة وأن الولي يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف محتجين بقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٣) فقد حرفوا كتاب الله وكذبوا على انبيائه وأوليائه جهلا منهم وتحريفا للكلم من بعد مواضعه وزيغا عن الحق والحادا في الدين ، فإن اليقين في هذه الآية إنما المراد به الموت ، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعبده حتى يأتيه الموت وهو على ذلك بل لم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة من عبادته واجتهاده حتى قبض صلى الله عليه وسلم وهو على ذلك) (٤)

فالتكاليف لا تسقط عن أحد ما دام عاقلا ، ولا إسلام ولا ولاية لمن لم يؤد الفرائض ويحافظ على المأمور به شرعا .. (٥) ويشرح الشيخ سيدي محمد الكنتي مصطلحات الصوفية فيقول :

(ومنها الفناء والبقاء والفناء أن يفنى عن الحظوط فلا يكون له في شيء حظ حتى يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فني فيه ، والبقاء يعقبه وهو : أن يفنى عما له ويبقى بما لله فتكون حركاته في موافقة الحق دون مخالفة ، فكان فانيا عن المخالفة باقيا في الموافقات ثم الفنا على ثلاثة أوجه فناء في الأفعال ومنه قولهم لا فاعل إلا الله

---

(١) نفسه ص ٨٧ . ٨٨ .

(٢) نفسه ص ٨٩ .

(٣) سورة الحج الآية ٩٩ .

(٤) جذوة الأنوار ص ١١١ .

(٥) الطرائف ٨١ . ٨٢ و ٣٦١ .

وفناء في الصفات لا حي ولا مدبر ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم إلا الله ، وفناء في الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله) (١)

وقد نهج صاحب الضياء نهج هذين الشيخين في الكلام على الفناء وتقسيمه إلى ثلاثة أقسام فيشرح ذلك أثناء كلامه على الدعوة إلى الله ومرتبة الشيخ التي يستحق القائم فيها أن يدعو الناس لمقامه في شهود : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتي وأنه على كل شيىء قدير) (٢) قال : (وفائدتها الفناء عن الأكوان والبقاء مع المكون ومعنى الفناء عن الاكوان استفراغ أوقات القلب في شهود الله تعالى عن شهود وجود غيره من خلقه ، فيفنى أولا في شهود الأفعال بأن لا يرى الفعل صادرا إلا من الله تعالى فيوحده بالفعل أي يشاهد كونه متحداً (٣) بالاختارع والتخليق فيرى الأفعال مخلوقة لله تعالى شاربا من تحقيق حقيقة : (والله خلكقم وما تعملون) (٤)

(فينتج له هذا الشهود عدم التسخط على الأقدار كائنة ما كانت وعدم الخوف والطمع من غير الله تعالى اللذين هما أصل كل مفسدة دينية أو دنيوية ، وينتج له التوكل على الله تعالى والتسليم له فيما يريده منك والرضا بالقضا إن نزل والإخلاص في أعمال البر لله تعالى لأنه لا يرى النفع ولا الدفع إلا منه إلى غير ذلك من الأوصاف المحمودة شرعا وطبعا المذموم عكسها كذلك) .

قلت : وهذا هو القسم الأول من الفناآت الثلاثة والثاني قوله : (ثم يفنى في شهود صفات الحق سبحانه وتعالى فلا يري في الوجود قدرة ولا علما ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات إلا لله تعالى فيوحده بصفات الكمال لأنه المتحد بها (٥) حقيقة وحكما فينتج له هذا الشهود استحكام الله تعالى في قلبه وتوهب له العلوم ويتحقق بحقائق كل علم ويفتح له في أثر الصفات أعني الآثار الكونية) (٦)

قلت : وهذا توحيد الأسماء والصفات ، والقسم الثالث عنده من أقسام الفناء قوله :

---

(١) جنة المريد ص ٢٢٨ .

(٢) سورة الحج الآية ٦ .

(٣) هكذا في الأصل ولعلها : متصفا به فحرفها الناسخ أو لعل المراد متوحدا أي متفرداً .

(٤) سورة الصافات الآية ٩٦ .

(٥) هكذا في الأصل ولعل المراد أنه متفرد بصفات الكمال .

(٦) الضياء المستبين ص ١٢٥ .

(ثم يفنى في شهود وجود ذات الله تعالى فلا يشهد وجود غيره فيوحده بالوجود إذ الوجود صفة ذاتـه تعالى ومن المستحيل أن يتصف بصفات اللـه تعالى غير ذاته إذ ما من عامر (١) ولا غيره إلا ويعلم أن الله تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ‥) (٢)

وهذا النص الطويل الذي بين فيه الشيخ محمد فاضل الفناآت الثلاثة عند القادرية وشرح مراده من كل فناء بالأمثلة يلخصه الشيخ ماء العينيين في أسطر قليلة فيقول : (واعلم أن الفناء في الله عند القوم حاصله ثلاث فناآت ولو كانت أنواعه كثيرة وهي : فناء في الأفعال كأن يقول المرء في قلبه لا فاعل إلا الله ولا مانع إلا الله ولا معطي إلا الله ونحو ذلك ٠

الثاني : فناء في الصفات كأن يقول لا حي إلا الله ولا سميع إلا الله ولا بصير إلا الله ونحو ذلك ٠

الثالث : فناء في الذات كأن يقول لا موجود إلا الله وكلها . يعنى الفناآت . توجد سريعا بلا إله إلا الله) (٣) يريد الذكر بها دائما ٠ وهو الذي أراده الشيخ التراد في قوله : (وعمر الأوقات بالتهليل فذاك أقوى سبب التحصيل

لمن يريد في إلهنا الفنا عما سواه وهو غاية المنى) (٤)

---

(١) هكذا في الأصل ولعل المراد (أنه ما من عاقل ‥) فتغيرت على الناسخ ٠

(٢) الضياء ص ١٢٥، ١٢٦ ٠

(٣) نعت البدايات ص ٦٠ ٠

(٤) نيل المراد ص ٤٧ ٠

نقد

لفظ الفناء في الله تعالى من الألفاظ المحدثة التي لم يُعرف في القرون المفضلة أنها من الألفاظ الشرعية الدالة على مرتبة من التوحيد والايمان واليقين ، وقد عرفت في التراث الصوفي حالا ومقالاخصوصا عند أصحاب الخلة والمدعين للمحبة الغالين في المجاهدات والرياضات وتعذيب النفس (١) حتى أصابهم الذهول أو الجنون فادعوا ادعاءات باطلة أخرجتهم من الايمان إلى الكفر (٢) ثم أخذت كلمة الفناء تنتشر بين الصوفية وهي لفظ مجمل يحتمل الخير والشر ، فمن أطلقه وكانت أعماله ودعاواه مثل أصحاب الخلة والمحبة من المفكرية والروحانية وأوائل زنادقة المتصوفة ومن جاء بعدهم على نهجهم كالحلاج وابن عربي لا يحتاج المرأ أن يتأول له أو يطلب له المحامل الحسان لأنه هو لم يردها أصلا على قول أكثر العلماء وأئمة الصوفية الصادقين ، وأحواله وأقواله في صحوه وغيابه دالة على إرادة المعتقد الفاسد . (٣)

أما من استعمل لفظة الفناء في الله تعالى وفسرها بمعنى صحيح شرعا ولم يخالف حاله ما وصف في مقاله كان أمره أهون وحمله على الخير أسلم وتكون مؤاخذته ونقده في استعماله لألفاظ موهمة استعملها أهل الزندقة وهم يريدون بها من المعاني الفاسدة ما أرادوه من دعوى الحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود فيما بعد ، أومعاني دون ذلك ولكنها لا تصح شرعا ولا عقلا . هذا مع أن المسلم مطالب باستعمال الالفاظ الشرعية المتعارف عليها كالايمان واليقين والاحسان والحب في الله ومحبة الله تعالى واخلاص العبودية له تعالى

وقد عرضنا نصوص القادرية في الفناء فوجدناهم يعتبرونه من أعلى المقامات الايمانية وأشرفها وأن الوصول إليه لابد فيه من الترقي مع التزام الشرع وأداء الفرائض ، وإخلاص العبودية لله وحده ، ويظهر من بيانهم لأقسامه الثلاثة على مافي عباراتهم من ايهام المعتقد الفاسد أنهم يفسرونه على نحو تقسيم الايمان بالله تعالى من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الالهية ، وهذا تقسيم حسن ولاقتصار على أحد الاقسام الثلاثة أو جعل توحيد الربوبية منها الذي يسمونه هم في تقسيمهم : الفناء في وجود الله تعالى وأنه هو المدبر القادر الخالق الرازق يعد نقصا في الايمان .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٣ ص ١٨٧ وما بعدها .
(٢) التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع ص ٩٣ . ٩٥ وتلبيس إبليس ص ٢٠١ . ٢١٥
(٣) طبقات الصوفية ص ٣٠٧ وما بعدها . والرد على المنطقين ص ٥٢١ وما بعدها . والفتاوى جـ ٢ ص ٤٦١ وما بعدها .

ومع نقدنا للقادرية على استعمالها هذه الأفاظ الموهمة التي لم يرد بها نص شرعي فإنه مما يحمد لها أنها فسرت المراد منها عندها وهذا التفسير مقبول في عمومـه مع أنه ترد فيه بعض العبارات التي تحتاج إلى إيضاح عند إطلاقها مثل : (أنه هو الموجود على الاطلاق) (١) أو (لأنه هو المتحد بها) (٢) على أنها ليست تحريفا من الناسخ على ما تقدم التنبيه عليه .

وقد عرفنا من هذه النصوص القادرية أنهم ليسوا من القائلين بما تقول به طائفة أهل الخلة الغالين في المجاهدة وتعذيب النفس حتى يأتيهم اليقين على ما تقدم في رد الشيخ سيدي المختار الكنتي عليهم وتكفيره لهم ولأمثالهم من أهل الشطح الذين سماهم الطائفة الشهوانية (٣)

وهم كذلك ليسوا من أصحاب الحلول ووحدة الوجود لما تقدم من بيان حالهم وتشنيع شيوخهم على القائلين بهذه المعتقدات الفاسدة وأنه لا يعذر من يقول بها (٤) هذا بالاضافة إلى أن تفسيرهم لكلمة الفناء أو الشهود في هذه النصوص توضح أنهم يعتقدون أن الله تعالى بائن من خلقه ، وأن ذاته لا تشبه الذوات وأفعاله لا تشابه أفعال خلقه فالفناء عندهم أن الله تعالى موجود بذاته وصفاته وأفعاله ، وأن الفاني من الناس فيه موجود وأن غيره من المخلوقات موجودة وأن لكل ذاته ووجوده وصفاته ، وأن الفناء هنا إنما هو في عظمة هذا الموجود المنفرد بالاختراع والتخليق .

والفاني أيضا في الصفات فإنما فناؤه أيضا في إفراد الله تعالى بها والتسليم له في أمره ونهيه وقضائه وقدره .

فعلى هذا فالفناء عندهم هو إفراد الله تعالى بتوحيد الربوبيه والأسماء والصفات والعبادة .

---

(١) أنظر النصوص المعروضة في هذا المطلب .

(٢) نفسها .

(٣) جذوة الأنوار ص ٩٧ و ١١١ .

(٤) نفسه .

وهذا ما نص شيخ الإسلام ابن تيمية على أنه هو مراد الشيوخ الذين لهم لسان صدق في الأمة وسماه الفناء الكامل المحمدي (١) أو الفناء المحمود (٢) وظاهر في هذه الألفاظ أن شيخ الاسلام يفصل في الفناء وهو ما فعله في عدد من مؤلفاته (٣) .

فيقول في الفتاوى في معرض بيانه للألفاظ المتشابهة وتمسك بعض الناس بكلام المشايخ المتشابه : (مثال ذلك اسم (الفناء) فإن (الفناء ثلاثة أنواع) : نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين ، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين .) (٤)

ويمكن الجزم بأن القادرية في نصوصها الماضية أرادت المعاني الصحيحة من تقسيم الفناء إلى ثلاثة أنواع أو أن أنواعه كثيرة ولكن حاصلها يرجع إلى ثلاثة كما قال شيخ الإسلام هنا وهو أيضا ما نص عليه الشيخ ماء العينيين (٥) إلا أنهم هم يرون في توضيحهم للأنواع الثلاثة التي ذكروها أنها كلها محمودة وشيخ الاسلام يرى أن الثالث مما ذكر هنا هو فناء المنافقين الملحدين المشبهين ، وإذا نظرنا إلى هذا النوع من الفناء نجد أنه ينطبق عليه هذا الوصف فعلا في تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية .

وهذا مختصر لتفسيره لهذه الفناآت الثلاث :

قال : (فأما الأول) فهو : (الفنا عن إرادة ما سوى الله) بحيث لا يحب إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يطلب غيره ، وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال : أريد أن لا أريد إلا ما يريد أي المراد المحبوب المرضي ، وهو المراد بالإرادة الدينية) (٥)

ويوضح شيخ الإسلام أن الإرادة الشرعية هي عمدة هذا الفناء وهي التي يسمى صاحبها صاحب القلب السليم : (إلا من أتى الله بقلب سليم) (٦) (قالوا : هو

---

(١) الفتاوى جـ ٢ ص ٤٥٩ .
(٢) الرد على المنطقين ص ٥٢٠ .
(٣) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢١٨ وما بعدها . والرد على المنطقين ص ٥١٦ وما بعدها والاستقامة جـ ٢ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٤) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢١٨ .
(٥) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٦) الشعراء الآية ٨٩ .

السليم مما سوى الله ، أو مما سوى عبادة الله ٠ أو مما سوى إرادة ٠ أو مما سوى محبة الله ، فالمعنى واحد وهـذا المعنى إن سمي فنـاء أو لم يسم هو أول الاسلام وآخره ٠ وظاهر الدين وباطنه) (١)

قلت : واضح من كلامه أنه لا يريد أصلا تسميته بالفناء وإن سمي وفسر بهذا المعنى الصحيح فلا لبس ولا بأس ٠

قال : (وأما النوع الثاني) فهو : (الفناء عن شهود السوى) وهذا يحصل لكثير من السالكين ، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد ، لا يخطر بقلوبهم غير الله ، بل ولا يشعرون ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ (٢) قالوا : فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى) (٣)

ويقرر شيخ الإسلام أن هذا النوع من الفناء الذي يغيب به صاحبه عن كل شيء إلا ما فنيى بسببه حصل ويحصل لكثير من الناس حتى يستغرقهم وأنه غلط فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد وهذا معتقد فاسد وباطل شرعا وعقلا ، ولم يقع في هذا الفناء من الأنبياء وأكابر الأولياء من الصحابة فمن بعدهم أحد ، ومن وقع له واستغرقه حتى ضعف عن التميز وصدر منه قول غير لائق اعترف بغلطه في صحوه واعتدال حاله ، وعلى كل فإن هذا النوع من الفناء فيه نقص (٤) (بل الكمل تكون قلوبهم ليس فيها سوى محبة الله وإرادته وعبادته ، وعندهم من سعة العلم والتميز ما يشهدون الأمور على ما هي عليه ، بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله مدبرة بمشيئته بل مستجيبة له قانتة له ، فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيدا وممدا لما في قلوبهم من إخلاص الدين ، وتجريد التوحيد له ، والعبادة له وحده لا شريك له) (٥)

---

(١) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ٠

(٢) القصص الآية ١٠ ٠

(٣) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢١٩ ٠

(٤) الاستقامة جـ ٢ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ والرد على المنطقتين ص ٥١٨ ٠

(٥) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢٢١ ٠

وغير هذين الفناءين هو من فناء الكافرين وصاحبه إذا قامت عليه الحجة الواضحة ولم يكن جاهلا أو متأولا كان كافرا • وإن كان جاهلا أو متأولا ومات على ذلك فأمره إلى الله تعالى • (١)

قال شيخ الإسلام : (وأما النوع الثالث) مما قد يسمى فناء : فهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله ، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق فلا فرق بين الرب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والالحاد الواقعين في الحلول والأتحاد) (٢)

قلت : قريب من هذا القول ما تقدم من نقل الشيخ سيدي المختار الكنتي له واعتذاره عن قائله وهو : (الرب عبد والعبد رب) (٣)

وعندي أنه لم يوافق الصواب في نقله لهذا القول على وجه الاعتذار عن الصوفية لما عرف من سوء اعتقاد قائله ، ولكن يقال بأنه جانبه الصواب في ذلك لأنه يكفر القائلين بوحدة الوجود ولا يرى الاعتذار عن أصحاب الاتحاد والحلول ، ولكن حب الصوفية وهو في مقام الدفاع عنهم والتشنيع على المنكر عليهم جعله يقع في هذا التناقض وإلا فإن هذا القول يعد من الكفر الواضح بغض النظر عن تأويل الشيخ سيدي المختار له ، على أن المعنى الذي أوله به لا يحتمله لانفصاله عن متقضى لفظه ودلالة عبارته ثم إن صاحبه ليس ممن يطلب له الاعتذار والتأويل (٤)

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيميه يرى أن المشايخ المستقيمين المعروفين بالصلاح والورع إذا صدر منهم كلام مشتبه مثل : (ما أرى غير الله، أولا أنظر إلى غيرالله ، ونحو ذلك فمرادهم بذلك ما أرى ربا غيره ولا خالقا غيره ولا مدبراً غيره •••) (٥) وهذا منه أعتذار عنهم لما عرف عنهم من صلاح القلب واللسان ولما هم عليه حال صحوهم من اليقين والإيمان • وهذا الاعتذار هو الذي قصده بيدر بن الإمام عند ما لاحظ انتشار مثل هذه العبارات واختلاف العلماء في الحكم على من يطلقها حالة صحوة فقال نظما في ذلك ونصه :

---

(١) الاستقامة جـ ٢ ص ١٤٣ . ١٤٤ •

(٢) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢٢٢ •

(٣) انظر ص ٦٧٧ من هذا المبحث •

(٤) تلبيس إبليس ص ٢١٠ . ٢١٣ •

(٥) الفتاوى جـ ١٠ ص ٢٢٢ •

(٦) هو أحد علماء موريتانيا .

عقيدة الصوفي والموحـــد   لم ترجعا إلى سوى متحـــد (١)

كلتاهما تنتهيان للكمـــال   والعجز عن إدراك ذي الجلال

لكن باستدامة الفكر والتذكر للصوفي والتبصـــــــر

يكون في الأوقات كالمشاهـد   للذات والأوصاف كالمشاهد

وكلما أبصر كونا بالـبصر   رآه بالبصيـــرة المولى الأبـــر

فذا لدى الموحديـــن غني   ليس كمثلـــه تعالى شيـــي

فالعالم الصوفي في ذا يعذرو   لعلمه وفضلـــــه ويحـــــذر

واتفقت مسألـــة الحلاج   قتل وهو حسن المنهـــاج) (٢)

قلت : تقدم مرات أن الحلاج لم يقتل وهوحسن المنهاج ، وإنما قتل بعد إقراره على نفسه وتكلمه في صحوه وحضوره بما حكم أكثر الفقهاء وأئمة الصوفية به عليه بالردة والزندقة (٣) (وقد اتفقت الأمة على أنه إما مخطىء ، وإما عاص ، وإما فاسق ، وإما كافر ...) (٤) وقد قامت على الحلاج ومن نهج نهجه ممن يعتد به الحجة التى حكم عليه بها حتى استبيح دمه ، وأما من لم تقم عليه الحجة أو كان جاهلا أو متأولا غير معاند أو ادعى الغياب عن عقله وتميزه ، وصدر عنه ما يوجب الحكم بالكفر فإنه والحالة هذه يقال بأن هذا الكلام الذي صدر عنه من الكفر الذي لا يجوز أن يعتقده مسلم أو يتلفظ به على سبيل القبول والاستحسان وهذا من التكفير المطلق الـذي هـو عنـد أهل السنة مثل الوعيد المطلق الذي لا يستلزم الوقوع على المعين . (٥)

والله أعلم .

---

(١) يريد متفق .

(٢) ملف الرحلة العلمية ص ٧ .

(٣) طبقات الصوفية ص ٣٠٧ . ٣٠٨ وتلبيس إبليس ص ٢١٣ وما بعدها .

(٤) الاستقامة جـ ١ ص ١١٦ . ١١٧ .

(٥) نفسه جـ ١ ص ١٦٤ وما بعدها .

المطلب الثالث : مقام التوكل وأثره

التوكل لغة وشرعا :

التوكل لغة : قال في القاموس : (وكل) بالله يكل وتوكل على الله وأوكل واتكل استسلم إليه ووكل إليه الأمر وكلاً ووكولاً سلمه وتركه ... والتوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير) (١)

وقريب منه ما قاله الحافظ بن حجر وهو : (وأصل التوكل الوكول ، يقال وكلت أمري إلى فلان أي الجأته إليه واعتمدت فيه عليه ، ووكل فلان فلانا استكفاه أمره ثقة بكفايته) (٢)

فالتوكل في اللغه على هذا استسلام أو تسليم ثقة بالمستسلم إليه واعتماداً عليه وإظهاراً للعجز عن القيام بالأمر المتوكل عليه فيه .

التوكل شرعا : هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بتدبيره وكفايته بعد الإتيان بالأسباب المطلوبة شرعا .

هذا مجمل ما عرفه به معظم العلماء الذين تكلموا فيه .

مكانة التوكل : التوكل شعبة عظيمة من شعب الايمان والتزامه دليل على كمال التوحيد وصدق الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٣) وقال جل من قائل عليما : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) (٤)

فمكانة التوكل ثابتة بالكتاب والسنة وهو عمل الأنبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وقد ألف فيه أئمة كبار وبينوا أنه مقام عظيم وأثره في العقيدة كبير فمن

---

(١) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٦٦ .

(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٠٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٠ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٢

ذلك أن البخاري بوب له في صحيحه فقال : (باب (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (١) وبوب له البيهقي في شعب الإيمان فقال : (الثالث عشر من شعب الإيمان • وهو باب التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره في كل شيء) (٢)

وبوب له القشيري (٣) والغزالي (٤) والشيخ عبد القادر الجيلاني (٥) والسهروردي (٦) وكل هؤلاء شيوخ القادرية في السلوك الصوفي في وضعهم لهم في سلاسلهم في الطريقة أو بتلمذتهم على كتبهم وغالب نصوصهم التي سنعرضها بعد قليل مأخوذة عنهم •

عرض :

يعتبر أهل التصوف أنفسهم أهل توكل على الله واعتماد عليه في جميع شؤوهم ، وأنهم لا يلتفتون إلى الأسباب حتى غلا بعضهم في ذلك فعرض نفسه إلى التهلكة والضياع وهو في ذلك متبع لهواه مخالف لأوامر كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقادرية يدعون لأنفسهم التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه ويحثون أتباعهم ومن يطيعهم على التوكل على الله تعالى سواء في كتاباتهم ومقالاتهم وظاهر هيئياتهم ، وهم في ذلك كعامة أهل التصوف منهم المتعرض للأسباب ، ومنهم المتظاهر بتركها كل حسب فقهه في الدين وقربه وبعده من الاتباع وهذه بعض نصوصهم في التوكل وأهميته وأثره : يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (٧) قال : (فمن رأى الرزق من الله تعالى والقى الأسباب لأنها لا تؤثر في الرزق مع تسببه أدبا مع الله تعالى وإجراء للحكمة على وجهها الذي أراد الله إظهاره فهو مؤمن ، ومن رأى الرزق من

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، والآية من سورة الطلاق آية ٣ •

(٢) شعب الإيمان جـ ٢ ص ٥٧ •

(٣) الرسالة القشيرية جـ ٢ ص ٤١٥ وما بعدها •

(٤) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٢٧ •

(٥) الغنية جـ ٢ ص ١٨٩ وما بعدها •

(٦) عوارف المعارف ص ٤٤٩ وما بعدها •

(٧) سورة الذاريات الآية ٢٢ •

الله تعالى ومن السبب فهو مشرك ، ومن رآى الرزق لا من الله بل من الأسباب فهو كافر محضا كالقدرية •••) (١)

ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مع ما أعطاه الله تعالى كان يأتي الأسباب : (يجهز الجيوش ويبعث العيون ويناهد المشركين فإذا فتح قرية أو استولى على بلدة تبرأ من جميع ذلك •••) (٢) وتحدث عن الدعاء وفضله وعرض لاختلاف الناس فيه فقال : (واختلف في الدعاء والتسليم أيهما أولى فذهبت طائلة من السلف وهم الأكثرون إلى أن الدعاء أفضل وأولى لكونه مخ العبادة وما فيه من إظهار الفاقة بين يدي الله تعالى لأنه سبحانه لم يخلق خلقه إلا لإظهارهم الفاقة بين يديه إما بالدعاء والضراعة وإما بالتوحيد والعبادة وإلا فقد قضى أزلا لكن الله تبارك وتعالى يمحو أو يثبت وتجري الأسباب إلى مسبباتها كما يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يرد القضاء المبرم إلا الدعاء) (٣)

ويأتي التوكل عند الشيخ سيدي المختار الكنتي بعد مقام المراقبة وقبل مقام التفويض والتسليم (٤)

ويقول الشيخ سيدي محمد الكنتي إن التوكل لازم لأهل الايمان لأن الله تعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (٥) ومن العقود التي عاقدته عليها الاكتفاء به والأنقطاع إليه ورفع الهمة عن الخلق توكلا عليه وذلك هو ميزان المريد الصادق ••) (٦)

وللقادرية نصوص كثيرة عن الأسباب وأثرها في جلب النفع ودفع الضر ، وتقدم بعضها في باب العقيدة في فصل الولاية عند الكلام على دعوى التصرف في الكون بالحيل والأسباب ، ويدخل في ذلك الرقى والعزائم والتداوي والتطير وعلوم السر أو

---

(١) المنة ص ٦٨ •
(٢) جذوة الأنوار ص ١١٠ •
(٣) الكوكب الوقاد ص ٣١ وانظر ما بعدها ويرجع في الأحاديث إلى كتاب الدعوات في جامع الترمذي جـ ٧ ص ٢١٨ وما بعدها •
(٤) الكوكب الوقاد ص ١٥٠ •
(٥) سورة المائدة الآية ١ •
(٦) جنة المريد ص ٢٨ •

الشر كما يسميها الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (١) وتحدثوا عن العمل والتكسب والأخذ بالأسباب ، وقد تقدم في مبحث جمع الأموال والهدايا للشيخ وحضرته عرض ونقد بعض نصوصهم في ذلك ومن نصوصهم في ذلك ما يأتي :

يقول الشيخ سيدي محمد الكنتي بعد إيراد طويل لمسالك الناس في الحياة وأن القادرية مشاركة في كل ناحية منها وأن الشيخ المختار الكنتي جمع الله له تلك المسالك كلها : (ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد) (٢) يقول بعد ذلك أن والده الشيخ سيدي المختار الكنتي كان يجيب على أسيئلة مريديه وأتباعه ويحثهم على الكسب والتجارة والاستغناء عن التعرض لأهل الدنيا ، وأنه كان حريصا على الأمن وحماية المسافرين والقوافل التجارية ، وأنه كان له عمال كثيرون يتجرون له وآخرون ينمون له المواشي (٣) .

ومن نصوصه في الحث على العمل والتكسب إجابة على أسئلة لمريد له :

(الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على النبي الأكرم أما بعد فإن التجارة من أفضل الحرف وأشرفها وهي من فرض الكفاية وكفى من شرفها أنها كانت حرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إلى أن قال : والتجريد إن سبق إليه . يعني السالك . فهو الأفضل والأولى وإلا فليقم السالك حيث أقامه الله تعالى ، قال ابن عطاء : إرادتك التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامته إياك في التجريد انحطاط من الرتبة العلية . (٤) وأما تجريد علماء السلف للدرس والتدريس دون الاشتغال بالتجر فذلك لتوفر الأحباس الموقوفة لذلك في جميع الأقطار والأمصار ووجود بيوت الأموال المعدة لما هنالك وتعلق همم الناس بالعلم والديـن فإذا ظهر عالم أتحفه الأمراء بالهدايا العريضة

---

(١) أنظر : الطرائف ص ٢٨٥ وما بعدها والضياء ص ٩ و ٢١١ . ٢١٢ وكتاب الشموس الأحمدية ص ٢٠ وكشف اللبس عن المسائل الخمس ص ١ . ١٣ .

(٢) الطرائف ص ٤٢٥ وهذا شطربيت من قصيدة للبحتري يمدح فيها أحد الخلفاء العباسين .

(٣) الطرائف ص ٣٩٢ و ٤٢٤ . ٤٢٨ .

(٤) أظن أن كلام ابن عطاء الله انتهى هنا .

فمنهم من كان يأخذها وكثير منهم يردها عليه أنفة وتنزها وتحرجاً وتأثما وكان يأتي الواحد من العلماء من عند واحد من الأمراء في يوم واحد ما ينيف على مائة ألف دينار فلما أفضي الأمر إلى علماء الخلف تكالبوا على الدنيا وقد بلغهم ما كانت تتحف به أمراء السلف فرغبوا في ذلك إذ ليس لأكثرهم عظيم نية في طلب العلم ، ما نيتهم إلا حطام الدنيا فترامو بكليتهم على الأمراء فزهدوا فيهم وفيما معهم من العلم لما رأوا سوء منزلته عندهم فمنعوهم العطاء فضلا عما كان يعطى لعلماء السلف من غير قصدوهم عنه راغبون وفيه زاهدون فوجب على العلماء في عصرنا اتخاذ مرمة لمعاشهم تغنيهم عن بذل ماء وجوههم وتكففهم الناس فتلك سنة الأنبياء وحرفة الأولياء ، وعلى المتسبب شروط لابد له أن يعتني بها وإلا كان تكسبه عليه وبالا ، أولها : أن يدخل ذلك بربه لابنفسه وأن يرى الرزق فضلا من الله لم يحصل له من كده وأن لا يطري ولا يذم ولا يقسم ولا يخالب وأن لا يشغله عن نوافل دينه ولا عن تحصيل العلم الذي لابد له منه وأن يدقق مسائل الربويات والبيوع الفاسدة من جميع فصول الفقه وأن يستعمل ذلك في محاله أخذاً وتركا وأن ينوي بتجره أنه قائم عن الأمة بواجب من واجبات دينها ودنياها ..) (١)

ويحذر الشيخ سيدي محمد من الاعتماد على الأسباب أو الاتكال على المخلوق معتبرا ذلك من عبادة الأوثان (٢) .

وقد نظم الشيخ ماء العينيين قصيدة في التوكل وشرحها قائلا : (وضعتها في التوكل وعدم عيب ذي التكسب) إلى أن قال : (واعلم أن مقام التوكل على الله مقام شريف علي بل لا في مقامات التقوى أعلا منه ولا ما يصدر منه من الخير مثل ما يصدر عنه وهو أدل شيء على الإيمان والتقوى وبه وبالتقوى ينال المرء ما يهوى ... إلى أن قال :(وليس من شرط التوكل ترك التكسب والتداوي والاستسلام للمهالك وذلك خطأ بل حرام في الشرع وإذا اعتقد أنه لاحول ولا قوة إلا بالله فالحول

---

(١) الطرائف ص ٤٨٣ . ٤٨٤ .

(٢) الغلاوية ص ٢٢١ .

(٣) فاتق الرتق على راتق الفتق ، الصفحات ص ٣ و ٦ . ٧ و ١٣ .

الحركة والقوة القدرة فإذا كان هذا حالك فأنت متوكل وإن سعيت) قال : (وصاحب التوكل وصاحب التكسب كلاهما مدفوع فيما هو فيه من حيث لا يعلم وذلك أن كلا منهما مجبور على ما هو عليه لقولهم : العبد مجبور في قالب الاختيار ... وذلك أن صاحب التوكل لا أيسر عنده من التوكل ولا أصعب عنده من التكسب ، وصاحب التكسب لا أصعب عنده من التوكل ولا أيسر عنده من التكسب فسبحان من أعطى لكل قلب ما أشغله ...) إلى أن قال : (ثم اعلم أنه لن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل في الأسباب ولو كان فيها متقيا فالمتسبب والمتجرد إذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما عليه أعلا وأكمل) (١) .

نقد :

اشتملت هذه النصوص على أمور منها :

١) أن التجرد أكمل وأفضل إذا كان السالك وجد من نفسه الميل إليه .

٢) أن التكسب لاينا في التوكل إذا كان المتكسب عالما بالأحكام غير متكل على الاسباب .

٣) أن المعتقد في الأسباب وأثرها كعابد صنم ومن توكل عليها وكل إليها وإذا رأى الرزق من الله ومن السبب كان مشركا وإن رآه من السبب وحده فهو كافر كالقدرية .

هذه تصوص القادرية وتلك معطياتها ، وقد استدل القادرية على ذلك بنصوص الكتاب والسنه في أثناء كلامهم على التوكل ضمن النصوص المذكورة وفي المراجع المعلومة ، وبالنظر إلى هذه النصوص وما تشتمل عليه فإن القادرية تتبع المنهج الشرعي في التوكل اعتقادا وعملا ، لكن عند التمعن والمقارنة بالواقع العملي يجد الباحث المجال واسعاً لنقد القادرية في المجالين المذكورين : التوكل اعتقادا وعملا .

---

(١) نفس الصفحات السابقة .

أمـا اعتقـادا فـلأن اللـــه سبحانه وتعالى يقول : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (١) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف القوم الذين يدخلون الجنة بغير حساب (قال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) (٢)

والعامل بمقتضى هذا الاعتقاد يعلم أن الله تعالى وحده حسبه وكافيه (من كل ما ضاق على الناس (٣) سواء اكتوى أو استرقى على ما في ذلك من خلاف بين العلماء في أي ذلك أقرب إلى كمال التوكل أي الاكتواء والاسترقاء (٤) وإن كانت وردت أحاديث تدل على أن من اكتوبي أو استرقي (لم يتوكل) (أو برىء من التوكل) (٥) .

إلا أن القادرية يعتبرون من العاملين والناشرين للرقي بأنواعها المعروف منها وغير المعروف بالعربية وغيرها ويتربصون بالأماكن التي تروج فيها أحرازهم وتعاويذهم وتمائمهم حتى اعتقـد الجهـال أن من لم يحمل على صدره من تعاويذهم وتمائمهم (حرزاً) أو (كتاب صحة) أو (كتاب قهر) أو (كتاب نصر) إلى غير ذلك من المسميات فإنه عرضة للمهالك أو الوساوس وهمهم من ذلك جمع المال واعتقاد البركة والإجابة فيهم ٠

وهذا ينافي التوكل المزعوم من جهتين ٠ أولاهما : أنهم خرجوا بالعمل بالرقي وطلبها من ظاهر الحديث (لا يسترقون) ٠

وثانيهما : أنهم بفعلهم هذا يصرفون الناس عن التوكل على الله تعالى إلى التوكل على المخلوقين والاعتقاد فيهم وطلب أسباب العلاج والتحصن والتحرز منهم وترك التوجه إلى الله تعالى والاعتماد عليه في النفع والدفع ثم إن التطير والتشاؤم بالمخوقات التي لا تملك نفعـا ولا ضـرا يكـاد يكون عقيـدة ثابتة في بعض الناس في البئة القادريـة حيث

---

(١) سورة الطلاق الآية ٣ ٠

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب

(٣) صحيح البخاري المرجع المذكور ٠

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٩٠ . ٩١ وفتح الباري ج ١١ ص ٤٠٨ . ٤١٠ ٠

(٥) انظر : شعب الإيمان ج ٢ ص ٦٠ . ٦١ ٠

يتطيرون ببعض أصحاب المهن كالحدادة أو الغناء والطرب أو المداحين أو يتطيرون ببعض الألوان أو الأجناس أو الطيور أو الأيام إلى غير ذلك مما لم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة بل هو من عادات الجاهلية التي لم يتخلص منها إلا أهل الإيمان الصادق والتوكل التام ، ذلك أن كلا من المتطير والمتطير منه خلق لله تعالى لا يقدر أحد منهم أن يجلب للآخر نفعا أو يدفع عنه ضرا من دون الله ، فالاعتقاد فيه أو الخوف منه أو إعطائه أي صفة مزية من دون الله يعد خدشا في عقيدة التوكل على الله والثقة به دون من سواه ويكون مرتكب ذلك أو معتقده بين أمور خطيرة في الاعتقاد أو العمل بموجب مقام التوكل ، ذلك أن التطير قد يصل بصاحبه إلى الشرك والعياذ بالله فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطيرة شرك ، الطيرة شرك ثلاثا ، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) (١) هذا لفظ أبي داود ولفظ الترمذي : (الطيرة من الشرك ...) (٢) قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد هذا الحديث وما في معناه : (الطيرة زجر وهو نوع من التعلق بأسباب يزعم المتعلق بها أنها تطلعه على الغيب وهي كلها كفر وريب وهم يستعجله المرء إن كان حقا ولا يقدر على دفعه إن كان قدرا مقدورا ولذلك جعله النبي صلى الله عليه وسلم : من الشرك ، فإنهم يريدون أن يشركوا الله في غيبه ويساونه في علمه فإذا وجد ذلك أحدكم فليطرحه عن نفسه وليتوكل على ربه كما قال ابن مسعود) (٣) يريد أن جزء هذا الحديث : (وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) من كلام ابن مسعود رضي الهل عنه والمراد : وما منا إلا ويقع في نفسه شيىء ولكن بالتوكل على الله وعدم الالتفات إلى ذلك يذهب الله عنه ذلك الوسواس أو الشيىء الذي يقع في النفس ذلك أن الطيرة المرادة هنا إنما هي ما أمضاك أو صدك اعتقادا كما تشهد لذلك الأحاديث (٤) على أن الحديث المخرج في الصحيحين والمتقدم في وصف الطائفة الذين يدخلون الجنة بلاحساب في بعض ألفاظه :

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ، الحديث رقم (٣٩١٠)

(٢) سنن الترمذي ، أبواب السير ، باب ماجاء في الطيرة الحديث رقم : (١٦٦٣)

(٣) عارضة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٦ - ١١٧ .

(٤) المراجع السابقة ومسند الإمام أحمد جـ ١٦ ص ١٣٤ .

(ولا يتطيرون) (١) فمن كان واقعا في الطيرة بأي درجة فإنه لا يعد في أهل هذه المكانة الرفيعة التي ينال أهلها هذه المزية العظيمة جعلنا الله وإخواننا المسلمين من أهلها .

أما من الناحية العملية والدخول في الأسباب فإن القادرية فيه حسب فهمي لواقعهم أقسام :

منهم الشيوخ الذين يبايعون الناس كما تقدم على تمليك النفس والمال والخدمة بالبدن في جمع المفقود وتنمية الموجود هذا مع أن الشيوخ يزهدونهم في الدنيا ولكن إذا أحسوا منهم فتورا في الإقبال عليها وجمعها قالوا لهم : المذموم أن تكون الدنيا في القلب ولا يضر أن تكون في يديك منها الكنوز وضربوا لهم الأمثلة بأثرياء الصحابة رضوان الله عليهم .

وإذا رأوا منهم حرصا على جمعها وكنزها زهدوهم فيها وزينوا لهم الانخلاع منها إلى الحضرة وإلى النفقة على المتجردين والضيوف وضوبوا لهم الأمثلة بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأمثاله من الصحابة الذين كانوا يتجردون من أموالهم لله ورسوله وهؤلاء توكلهم مطعون فيه لهذه الأمور ولما تقدم في مبحث جمع المال والهدايا للحضرات الصوفية .

وينطبق على هؤلاء ما وصف به الشيخ سيديا بابه العارف الكامل في عصره :

(آكل مال الناس بالباطل — مزخرف القول بلا طائل

مميلهم عن سنة المصطفى — إلى طريق البدعة المائل

محصل المال بلا فترة — في جمعه المانع للحاصل

عجلان في حظ له عاجل — كسلان في منفعه الآجل

فذلك المعروف بين الورى — في عصرنا بالعارف الكامل) (٢)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وصحيح مسلم كتاب الايمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين بغير حساب ولا عذاب .

(٢) ديوان الشيخ سيديا بابه ، مخطوط شخصي ص ٣٧ .

ومنهم المسرفون على أنفسهم في جمع المال ولو بالحيل والدجل واستعمال علوم الشر وهؤلاء لا يبحث عن حالهم في هذا المقام وانما يقال لهم ولأمثالهم إن ابن مسعود رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أيها الناس إنه ليس من شيىء يقربكم من الجنة ، ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به ، وإنه ليس شيىء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه ، ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء رزق أن تطلبوا بمعاص الله ، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته) (١)

ويقال لهم إن رقياكم المشتملة على ما ذكر ينطبق عليها حديث النبي صلى الله عليه وسلم (إن الرقي والتمائم والتولة شرك) (٢)

ومنهم من يدعي التجرد والغالب أن من يفعل ذلك ويبايع عليه يكون من الذين لا يعرفون حرفا ولا يتقنون تدبيرا ، فينضمون لخدم الحضرة ورعاية مصالحها ويعيشون كما يعيش الخدم لا علم ولا مال ولا عبادة لأنه لا يتفرغ لشيىء من ذلك إذا كان فيه أهلية له وهذا عاجز منقطع يريد من يعوله ، والغالب أنه يموت أعزب مراعاة لشرط التجرد من جهة ولأنه عالة ولا يصلح له أن يحمل الحضرة أكثر من مؤنته هو بمفرده فهذا متكل غير متوكل ولو كان يعمل الأعمال الشاقة ويحصد الثمار الكثيرة فهذه مكانته وواقعه وصاحب هذه الوظيفة محبب لدى أصحاب الحضرات لخفة مؤنته وأنقطاعه للخدمة كما رأينا مدحه في عرض النصوص ٠

ومنهم طائفة لم تتمكن من اللحوق بأي قسم من الأقسام السابقة ورأوا كغلاة الصوفية أن الاسباب يكفي منهـا الاشتغال بالطهارة والصـلاة والذكر والتجوال هنا وهناك ، مع إظهار التوكل على الله والزهد في الدنيا وأسبابها ٠

---

(١) شرح السنة للإمام البغوي ، تحقيق : زهير الشاديش وشعيب الأرناؤط ، المكت الإسلامي ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ والراجح أنه مرسل لكن رجاله ثقاه ٠ انظر نفس المرجع المذكور (٤١١٣)

(٢) سنن أبي داوود ، كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم الحديث رقم (٣٨٨٣) ٠

وهذا القسم وإن كان مصيبا في اختيار جانب التفرغ للتعبد فإنه مسيء في التفريط في جانب التسبب مع التوكل على الله حيث إنه لابد للحي من رزق ومعيشة واليد العليا خير من اليد السفلي (١) فلو أن أصحاب هذا القسم أضافوا إلى تعبدهم ذلك شيئا من الأسباب الظاهرة لكان توكلهم أقرب إلى الصدق والإيمان والاتباع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث عمر رضي الله عنه : (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (٢) والمراد أنه لابد من الحركة والاتيان بالأسباب الظاهرة والمعول عليه بعد ذلك هو التوكل على الله في جلب الأرزاق ٠

قال البيهقي : (قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق ، لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق وإنما أراد . والله تعالى أعلم . لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا ، وتروح بطانا لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون ، ولا ينصحون وهذا خلاف التوكل) (٣)

فغالبية القادرية يمكن أن يحكم عليهم بهذا الأثر المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (عن معاوية بن قرة أن عمر بن الخطاب أتى على قوم فقال: ما أنتم؟ قالوا : نحن المتوكلون ، قال بل أنتم المتكلون ، ألا أخبركم بالمتوكلين ؟ رجل القى حبة في بطن الأرض ثم توكل على ربه ٠
وقوله : (المتكلون) يعني على أموال الناس) (٤)

---

(١) انظر : الاكتساب في الرزق المستطاب ، تأليف : محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة تحقيق ، محمود عرنوس ، ط ١ سنة ١٤٠٦ دار الكتب العلمية ص ٦٤ وما بعدها ٠

(٢) سنن ابن ماجه ، باب التوكل واليقين ٠

(٣) شعب الإيمان جـ ٢ ص ٦٦ . ٦٧ ٠

(٤) نفسه ص ٨١ ٠

وللشيخ سيديا بابه في وصفهم ومن على شالكتهم الأبيات الآتية وهي إن لم تعمهم فإنها صادقة على الأقسام التي ذكرناها . وهي : .

(إن اخترعت الوعظ أو حكيتا   ثم ذكرت الذنب واشتكيتا

ثم تباكيت ولـــــو بكيتـــا   وقلت كيت ظـاهرا وكيتـا

فالقلب لا يريد إلا الكيتـــا   أعطيت من ذلك أو أوكيتـا

فجئت في حلبتهم سكيتا) (١)

قلت : وهذا الانحراف الذي وقع في مفهوم التوكل أو ترك التوكل بالكلية أضر بمسير العقيدة والحياة معا ، فجر إلى الوقوع في متاهات من الدجل والشعوذة وإلى جبرية عاجزة وتواكل يعطل نمو الحياة ، فانتشر الكسل بدعوى أن الرزق مكتوب ، وأنه يطلبك فاسترح وأن الله لم يضمن لابن آدم إلا الرزق إلى غير ذلك مما هو مخالف لروح التوكل الذي هو إمضاء العزيمة والإتيان بالأسباب المشروعة على وجهها مع الثقة والرضي بما قدر الله .

والله أعلم

---

(١) الكيت اسم يطلقونه على العملية الورقية

(٢) ديوان الشيخ سيديا بابه ص ١١ .

فصل الختام : الصحوة السلفية في الطريقة القادرية وسبل تدعيمها

ويشتمل علي تمهيد وأربعة مباحث :

التمهيد :

المبحث الأول : منطلقات هذه الصحوة ٠

المبحث الثاني : مظاهر الصحوة في تصحيح العقيدة ٠

المبحث الثالث : مظاهر الصحوة في تصحيح الاتجاهات السلوكية في التصوف ٠

المبحث الرابع : سبل تدعيم هذه الصحوة ٠

التمهيد :

إن هذا البحث يعد استجابة لقول الله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١) ولقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٢)

ولقوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (٣)

فأرجو أن يكون البحث فيما مضى منه وما يأتي إن شاء الله متمشياً مع مقتضيات هذه الآيات وما في معناها من الآيات والأحاديث النبوية التي تدعونا جميعا إلى بيان الحق والأخذ به على بصيرة ورفق ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٤) ٠

وقد تناول هذا البحث بالدراسة والنقد موضوعات مهمة في العقائد والسلوك ويأتي هذا الفصل بمثابة تعقيب على ما تناولته الفصول السابقة التي تندرج تحت أبواب هذا البحث الثلاثة التي هو مستقل عنها بعنوانه وربما بمضامينه ٠ فإذا كانت الفصول السابقة أوضحت بالدراسة والنقد أن للقادرية انحرافات في مجال العقائد والسلوك والتعبد فإن هذا الفصل يحاول أن يأتي بما لهم من إيجابيات في تلك المجالات للإنصاف . الذي هو من شيمة الأشراف هذا من جهة ولتكتمل الدراسة النقدية من جهة ثانية ، وليكون أيضاً دليلا وحجة يحتج به على من انحرف منهم وهو يدعي الانتماء لمن سنذكره في هذا الفصل من شيوخهم ٠

بيان عنوان الفصل :

المراد بالصحوة : إن العلماء والمفكرين والكتاب كتبوا في هذه السنوات الأخيرة عن صحوة إسلامية شـــاملة وأظهروا محاسنها وحاولوا معالجة مساوئها حباً

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤ ٠

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ ٠

(٣) سورة الإنعام الآية ١٥٣ ٠

(٤) سورة يوسف الآية ١٠٨ ٠

لها وإرشادا لشبابها ونصحاً للأمة في عقيدتها وفكرها وجمعا للكلمة الإسلامية في وجه أعداء الدين والملة • وهذه الصحوه الإسلامية المباركة منطلقة في الغالب من غيرة دينية على واقع الأمة الأليم وما ابتليت به بعض المجتمعات الإسلامية من نبذ الكتاب والسنة وجلباب حياء الإيمان •

وما ابتلي به أيضا بعض البيئات الإسلامية من الجمود أو الغلو في الدين فكانت الصحوة مطالبة بالعمل الجاد لتصحيح هذه الانحرافات وتوجيه تلك المسارات وجهة صحيحة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة فتحملت بسبب هذه المهام الصعبة عداوات كثيرة محلية واقليمية وخارجية فاتهمت بالتشدد في الدين تارة وبالجهل تارة وبالتهور والتسرع تارة وبالغلظة والخشونة في الدعوة تارة بل اتهمت بالغلو والتعصب والتطرف تارات أخرى •

وقد قال أحد علماء موريتانيا :

(شكى دين الهدى ممادهاه بأيدي جامدين وملحدينا

شباب يحسبون الدين جهلا وشيب يحسبون الجهل دينا) (١)

إذا فالبئة القادرية الموريتانية شملتها هذه الأوضاع البيئة المذكورة وشاركت في الصحوة الإسلامية بصفة عامة ، ونادى بعض شيوخ القادرية إلى العودة إلى الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة في فهمهما والعمل بهما وتحكيمهما دون سواهما فكانت له بذلك منزلة خاصة بين أهل العلم والدين فاقتدى به كثير منهم في ذلك واحتذى المصلحون حذوه في ذلك إلى أن ظهرت في البلاد الموريتانية صحوة إسلامية ودعوة صادقة لمقاومة الانحرافات بألوانها وأشكالها •

هذا عن الصحوة الإسلامية بوجه عام ، ولكن عنوان الفصل الصحوة السلفية في الطريقة القادرية ، وهذا يتطلب مقياسا أدق من مجرد الصحوة ، علما أن بعض الأستاذة في موريتانيا لا يرون أن فيها صحوة ويقولون ، إنما هم خلف يقلد سلفاً ويتحفظ بعض الأساتذة من الطريقة القادرية على لفظ (الصحوة) مدعين أنهم ما غفلوا حتى تدعى لهم الصحوة •

---

(١) ينسبان للشيخ محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود (عدود) وقريب من مضمونها كتاب الأمة رقم (٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، تأليف : يوسف القرضاي ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ •

وكلا الرأيين ليس على إطلاقه كما سيتبين إن شاء الله تعالى بعرض نصوصهم في مباحث هذا الفصل . المراد بالسلفية :

إن السلف أو السلفية لقبان محببان للنفوس لما لهما من الدلالة على الخير الكثير ولذا فقد تجد من يدعيهما لنفسه وهوغير مدرك لعمق ما يدعيه ، ذلك أن السلف إذا أطلق على قوم فإنه يتبادر إلى الذهن أن الموصوفين به قوم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وخيار تابعيهم من أهل القرون المفضلة الثلاثة من صحة العقيدة وعمق الإيمان ، وصفاء النفوس والبعد عن التكلف والتنطع والبدع والغلو إلى غير ذلك من القوة في الدين ومجاهدة الكافرين والبراءة من المشركين والمنافقين والمنحرفين والحب والولاء للمسلمين ، ونشر علوم الدين وتبليغه البلاغ المبين وإقامة الحجة برفق ولين على المخالف من أهل أي نحلة ودين ، والإنفاق في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين والمجاهدين كل ذلك تطبيقا لكتاب رب العالمين وهدي خاتم النبيين ، وهذا منهج كبير وعميق متكامل ، قل أن يتكامل في مجتمع بعد القرون المفضلة بدليل حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنيين أو ثلاثا . ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن) (١)

فهذا نص صريح بتعديل النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وتفضيله لهم على غيرهم وهكذا من كان من أهل القرون المفضلة متصفا بصفاتهم الحميدة دون من أظهر البدعة والمروق من الدين في عهد الصحابة ومن بعدهم ولذا قال الحافظ بن حجر في شرحه لهذا الحديث : (واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهور افاشيا ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة رؤسها ، وامتحن اهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا ، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن ، وظهر قوله صلى الله عليه وسلم (ثم يفشو الكذب) ظهورا بينا حتى يشمل

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، الحديث رقم : (٣٦٥٠) .

الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان) (١) .

فإذا نظرنا إلى مفهوم السلف أو السلفية بمنطوق هذا الحديث الشريف ومفهومه فإنه يكون من العسير الحكم لأحد بالسلفية على الإطلاق وخصوصاً إذا أضيف لذلك ما رواه الحاكم وغيره في بيان افتراق هذه الأمة المحمدية من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد بيانة لافتراق الأمم السابقة : (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة فقيل له : ما الواحدة قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي) (٢) هذا لفظ الحاكم وفي جامع الترمذي : (... قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي) (٣) قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه (٤) .

وجاء من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره) قال الترمذي : (وهذا حديث غريب من هذا الوجه قال وروي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يثبت حماد بن يحيى الأبح وكان يقول : هو من شيوخنا) (٥) هذا بالإضافة إلى أنه ثبت كما تقدم في الصحيح أنه لاتزال طائفة من هذه الأمة ظاهرة ومنصورة وإن كانت متفرقة في المعمورة ، فالخير في هذه الأمة إلى نهاية الدنيا مع كثرة الاختلاف وظهور الفرق التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وحذر من مناهجها وعقائدها وبين

---

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٦ .

(٢) مستدرك الحاكم ، كتاب العلم ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٣) جامع الترمذي ، أبواب الإيمان ، باب افتراق هذه الأمة ، الحديث رقم : (٢٧٧٩) .

(٤) نفسه وقد بين الشارح وجه الغرابة وهو أن (في سنده عبد الرحمن بن زياد بن انعم الافريقي وهو ضعيف فتحسين الترمذي له لاعتضاده باحاديث الباب) انظر تحفة الاحوذي ج ٧ ص ٣٣٤ .

(٥) جامع الترمذي ، أبواب الأمثال . وقد ضعفه النووي في فتاواه ص ٢٨٢ لكن ليس بهذا السند الذي قواه الحافظ بن حجر في الفتح ج ٧ ص ٦ .

العلماء أصولها وفروعها وأسباب خروجها وضلالها ومفارقتها للجماعة التي حث النبي صلى الله عليه وسلم على لزومها : (ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضي الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ومتكلميهم الصفاتيــة دون الرافضـــة والقدريــة والخوارج والجهمية والنجارية والمشبهة والغلاة والحلولية) (١) .

وإن إختلفت عبارات العلماء في تحديد الفرقة الناجية المستثناة في الحديث السابق من الفرق الهالكة فإنهم يتفقون على أن لهم أصولا ثابتة يعتمدون عليها في اعتقادهم وعملهم ومنهجهم . وهذه الأصول بإختصار هي : .

الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح . فمن اعتمد هذه الأصول وقدمها على عقله ورأيه وحكمها في معتقده وفعله وتركه ولم يشبها بشيء من عقائد الفرق الضالة فهو من أهل الكتاب والسنة ، ومن أهل السنة والجماعة ومن الفرقة الناجية بإذن الله (٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٠٤ وانظر ص ٢٩٩ منه .

(٢) انظر عارضة الاحوذي جـ ١٠ ص ٣٠٧ والاعتصام جـ ٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٥ وقد لخص شيخ الإسلام بن تيمية عقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم وأسباب نجاتهم في العقيدة الواسطية . فيرجع إليها .

المبحث الأول : منطلقات هذه الصحوة ·

إنه بناءً على ما تمهد في التمهيد السابق من بيان لشمول الصحوة الإسلامية للطريقة القادرية ، وبيان للمراد بالسلفية فإنه يمكن للباحث أن يعرض في هذا المبحث أبرز منطلقات هذه الصحوة في الطريقة القادرية في نقاط محصورة ليكون ذلك أيسر لتفهمها ومقارنتها بما عليه أهل السنة والجماعة من التمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح في فهمهما والعمل بهما ·

أولاً : أنهم من صوفية أهل السنة والجماعة الذين قدمنا عن الرازي في أقسام الصوفية أنهم من فرقهم ، والذين عدهم البغدادي في فرق أهل السنة والجماعة الذين يشكلون الفرقة الناجية في نظره وذلك حيث يقول : (والصنف السادس منهم : الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا وأختبروا فأعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور ، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤل عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر فأعدوا خير الاعتداد ليوم المعاد وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشترى لهو الحديث (لا يعلمون) (١) الخير رياء ولا يتركونه حياء دينهم التوحيد ونفي التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ · (٢)

وقد بين البحث في السابق ما لهم من هذه الأوصاف وما عليهم منها إلا أنه لابد من القول إن لفظ (الصوفي صار مشتركا) (٣)

فمن الصوفية من هو : (على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث ··· لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد ، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة ، وإنما ظهر التفلسف في

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ · في النسخة المطبوعة هكذا لا يعلمون ولعلها : (لا يعملون) إذ هو الموافق للمراد منها ·

(٢) سورة الجمعة الآية ٤ أو الحديد الآية ٢١ ·

(٣) كتاب الصفدية جـ ١ ص ٢٧٠ ·

المتصوفة المتأخرين ، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم ، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم ، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة) (١) يريد أصحاب وحدة الوجود كابن عربي ومن تبعه ، وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية بعد هذا النص الذي نقلناه في بيان أقسام الصوفية من حيث الاعتقاددرجة كل قسم ورد على القائلين بوحدة الوجود في ترتيبهم للصوفية حسب منهجهم العقدي المفضي إلى الإنسلاخ من الدين بالكلية (٢) إلا أنه أثنى على : (الشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقات الصوفية) وأبو القاسم القشيري في (الرسالة) (٣) .

وممن نص على الثناء عليهم بأسمائهم : الجنيد ، وسهل التستري ، وعبد القادر الجيلاني وهؤلاء هم في الغالب عمدة القادرية في الانتساب والاستشهاد . وهذه هي النقطة الثانية .

ثانياً : أنهم جنيديون . كما ينصون على ذلك في مقدمات كتبهم وأورادهم أو عند الكلام على من يجوز لانتساب إليه (٤)

أما الجنيد فإن السلمي قال : (إنه مقبول على جميع الألسنة) (٥) ولذا لم نجد له نقدا مباشرا في أئمة الصوفية الذين نقدهم ابن الجوزي ونسب إليهم من الكلام ما ينبيء عن سوء الاعتقاد وإن قيل إنه كان يتستر بفقهه (٦) .

والذي نقله عنه السلمي بسنده هو أنه كان يقول : (الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتبع سنته ، ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه) (٧)

---

(١) نفسه ص ٢٦٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٦٧ . ٢٧٠ .

(٣) نفسه .

(٤) انظر : مقدمة هداية الطلاب ص ٢ وراتق الفتق . ص ١٠٩ .

(٥) تلبيس إبليس ص ٢١٤ .

(٦) طبقات الصوفية ص ١٥٩ .

(٧) نفسه .

وبسنده إلى سهل التستري قوله : (أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة وأداء الحقوق) (١)

وأما الشيخ عبد القادر فإنه تقدم في ترجمته بيان معتقده ومكانته وسلوكه والتزامه بهذه الأصول المذكورة .

فمن كان هؤلاء وأمثالهم عمدته في الطريقة والتزم أصولهم فهو من أهل السنة والجماعة المتمسكين بمنهج سلف الأمة ومن حاد عن هذه الأصول وابتدع في الدين أو تمسك بأصول أهل الكلام أو فلاسفة الصوفية فإنه يكون الطعن فيه بقدر بعده من أهل السنة والجماعة وأصولهم ، ولذا دافع شيخ الإسلام بن تيمة عن كبار شيوخ الصوفية الذين اعتبرهم القشيري في (الرسالة) بما أخذ من كلامهم أشاعرة أو كلابية (٢) فبين شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم على اعتقاد السلف الصالح وأن ما ذكره عنهم القشيري من الاعتقاد يعد انحطاطا بهم (٣) وهذا يقتضي النظر علاوة على ما تقدم في باب العقيدة . في موقف القادرية من علم الكلام وهي النقطة الثالثة .

ثالثا : إن القادرية يقولون بأن الانتساب لأهل العلم والفضل سائغ وأن الأكابر من أهل العلم يفعلونه ، وذلك مثل : المالكي مذهبا والأشعري اعتقادا وقد فعل ذلك بعضهم في مقدمات مؤلفاتهم ، ودافعوا كذلك عن بعض المتكلمين المنتسبين لمذهب الإمام مالك . (٤)

ونجدهم كذلك يخوضون في مؤلفاتهم في أشياء من علم الكلام مما يدل على معرفتهم بأساليب المتكلمين ومناهجهم .

ولكن هذا لا يصحح الحكم عليهم بأنهم من متكلمي الصوفية أو فلاسفتهم أو أنهم أشاعرة على الإطلاق وذلك لأمور :

---

(١) نفسه ص ٢١٠ وأنظر : الشفا جـ ٣ ص ٥٢٤ وجذوة الأنوار ص ٩٦ .

(٢) انظر الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٤٩ وما بعدها .

(٣) انظر الاستقامة جـ ١ ص ٨١ وما بعدها .

(٤) انظر مقدمة هداية الطلاب ص ٢ ونعت البدايات ص ١٠٩ .

منها : أن الانتساب للأشعري كأنه صار في القرون المتأخرة في بلاد المغرب بصفة عامة نوعا من التقليد المتعارف عليه بدليل أن بعضهم ينتسب إلى الأشاعرة في مقدمة مؤلفه ويأتي في وسطه بما يناقض هذا الانتساب كأن يذم مناهج المتكلمين وترتيباتهم على أقوال مشهورة عن الأشاعرة إلى غير ذلك . (١)

ومنها : أنهم يصرحون بأن علم الكلام من البدع الشنيعة في الدين ، ولكن لا بأس من تعلمه لوضعه في نحور أهل البدع والأهواء ، وأنه يقتصر في ذلك على ما ألفه الإمام أبو الحسن الاشعري وإمام الحرمين . (٢)

ومنها : أنهم يرون المعتزلة وغلاة المتكلمين هم أول من حكم العقل من هذه الأمة واشتغلوا بزبالات العقول عن الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة . (٣)

ومنها : أنهم يكفرون الفلاسفة والطبائعين ويردون عليهم رداً شديداً ويبطلون بنصوص الكتاب والسنة ما كانوا عليه ويحذرون من كتب المتأثرين بهم من المسلمين . (٤)

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي:(وبقي النظر في أهل الزيغ والأهواء فالجمهور على تكفيرهم إلا مدعي خلق فعله كالقدرية أو عدم تأثير القدرة في المعاني كالمعتزلة أو معتقد التأثير بأعيان الأسباب كالمرجئة أو المدعي أن تعذيب المطيع ظلم فهؤلاء لا خلاف في تكفيرهم كالفلاسفة والدهرية والبراهمة بخلاف الشيعة والنصيبية والزيدية فإن الإمام عليا -رضي الله عنه- أبى تكفيرهم وقال إخواننا بغوا علينا . وأما الروافض فقد ورد النص أنهم كلاب النار) . (٥) قلت : الذي وجدت من النصوص التي فيها ذكر للرافضة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو من حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : (يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام (٦) وعلى

---

(١) انظر : المنة ص ١٤ - ١٦ و ص ١١١ - ١٢٠ .
(٢) نفسه وجذوة الأنوار ص ١٠ و ٢٠ - ٢١ .
(٣) أنظر نفس المراجع .
(٤) الكوكب الوقاد ص ١٢٩ وما بعدها . والمنة ص ١٢٠ ونعت البدايات ص ٣٧ - ٤٢
(٥) الشموس الاحمدية ص ٦ - ٧ .
(٦) مسند الإمام أحمد مع الفتح الرباني جـ ٢٤ ص ٢٠ انظر تخريجه فيه .

كل فالقادرية مجمعون على ذم أهل البدع والأهواء المذكورين في هذا النص وغيره وهم في ذلك تابعون لأهل السنة والجماعة وسلف الأمة وبثتهم وعلومهم التي كانوا يدرسونها في العقائد والفرق دالة على ذلك ومساعدة عليه حيث إنهم ينطلقون بوجه عام من المأثور عن الامام مالك فيهم ، وما كتبه أبو الحسن الأشعري وأصحابه عنهم ، وما دونه القاضي عياض وأمثاله من علماء الدولة المرابطية عنهم حسبما سلف في مقاصد العقيدة في موريتانيا قبل ظهور القادرية وبعدها ٠

فإذا كانت هذا المنطلقات صحيحة وواضحة في المنهج العام للقادرية فإنه لابد من القول بأن لهذه المنطلقات أثر في العقيدة يمكن أن يثمر صحوة تصحح العقيدة وتزيل عنها ما تراكم على بياضها الناصع عبر القرون الماضية ٠ وهذا هو موضوع المبحث الآتي إن شاء الله تعالى ٠

المبحث الثاني : مظاهر الصحوة في تصحيح العقيدة

إنه تبين بالعرض والنقد في مقاصد العقيدة في موريتانيا قبل دخول القادرية وبعد دخولها أن البلاد كانت على عقيدة السلف الصالح ، وأن الناس توارثوها عن آبائهم وشيوخهم من المرابطين ولقنوها من أمهاتهم وحفظوها من الكتاب والسنة ثم من رسالة ابن أبي زيد القيرواني : (التي من المؤكد أنها كانت موجودة وكان لها أثرها) (١) حتى قيل إن بعض فقهائهم كان يقتصر عليها • (٢)

ولما دخلت البلاد عقائد السنوسي الثلاثة : الصغرى والوسطى والكبرى . كان حظها من الدرس يكاد يكون محصوراً في جهات من البلاد وفي مدارس محدودة هذا مع أن بعض علماء البلاد نظمها كما تقدم وأبدى البعض إعجابه بها وبمؤلفها •

وعقائد السنوسي وإن كانت تعتمد تقسيم المتكلمين ومؤلفها يعد متكلما فإنها تتضمن سردا لمذاهب المتكلمين ومناهج الأشاعرة على العموم بحيث لا يجد الدارس لها فرضا لعقائد معينة إلا تقسيمها للصفات ، ومع ذلك فإن مؤلفها يؤكد بعد ذكر مذاهب المتكلمين على طريقة السلف وأنها أسلم وأحوط للمرء المسلم ، ولما نظمها المقري حرص على بيان منهج السلف وترجيحه على غيره كلما سمحت له ضرورة النظم ومن ذلك نختار ما يأتي :

(وذوا احتياط في أمور الدين | من فر من شك إلى يقين
ومن له عقل أبي عن شرب ما | لم يصف مذ ألفى زلالاً شبما) (٣)

إلى أن يقول :

(واحذر أقاويل ذوي الأهواء | فإنها من أدوا الأدواء
واسلك سبيل السنة الغراء | فنورها باد لعين الرائى
فالشر مقرون بالابتداع | والخير مضمون بالاتباع) (٤)

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب السياسة ، مصدر سابق ص ٢٨ •

(٢) انظر : الحاوي للفتاوى جـ ١ ص ٢٨٧ •

(٣) إضاءة الدجنة ص ١٥ •

(٤) نفسه ص ٩٩ •

إلى أن قال :

(وفي كتاب الله أسنى مكتفى — به وما سن النبي المقتفى
وما عليه أجمع الأعـلام — ممن تزكت منهم الأحلام
وفي اتباع السلف الهداة — وسيلة للأمن والنجاة) (١)

هذا مع أن البرنامج الدراسي الذي ذكر عن العلمين الأولين من أعلام القادرية المترجمين لا يشتمل على شيىء من كتب الأشاعرة في العقائد أو علم الكلام ولكن فيه أن كلا منهما درس رسالة ابن أبي زيد القيرواني .(٢)

وبالنظر إلى مؤلفاتهم في العقيدة فإن الباحث يجد فيها خلطا بين عقائد السلف ومذاهب الخلف (٣) هذا مع إدعائهم أنهم على منهج السلف الصالح ، وأنهم من أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية مع الحث على الأخذ بالكتاب والسنة ورد ما خالفهما (٤) (فالاجتهاد المخالف للكتاب والسنة منبوذ) وأن الأولياء والعلماء مصدقون : (إلا في ما خالف الكتاب والسنة وحاشاهم من ذلك) وأنه : (لن يأتي آخر هذه الأمة بأفضل مما جاء به أولها) وأن : (كل علم لا يرشد إليه الكتاب والسنة فهو ضلال وإضلال) (وكل علم لا يصدقه الكتاب والسنة فاضرب به وجه صاحبه) (٥) .

هذا مقتبس من كلام الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي يقول ولده الشيخ سيدي محمد عنه إنه كان مجدد القرن الثاني عشر لاقتصاره على ما اقتصر عليه السلف الصالح . على ما تقدمت مناقشته في ترجمته ويقول عنه : (والذي كان الشيخ يميل إليه ويرتضيه ويخوض فيه إلى الساحل توحيد القوم المبني أساسه على حقائق الكتاب والسنة ورقائقهما من غير إلحاد ولا تحريف ولا زيغ ولا تكليف مع سلامة تكيف المباني وسلامة المعاني) (٦) ويضيف في وصفه لعقيدة والده وما كان عليه : (فالعقد

---

(١) نفسه ص ١٠١ .
(٢) أنظر : الطرائف ص ١٠١ والضياء المستبين ص ٢٣٧ .
(٣) أنظر المنة ص ١٣ وما بعدها والشموس الأحمدية ص ٣ وما بعدها والضياء المستبين ص ١٩١ و ٢٨١ .
(٤) انظر نفس المراجع والكوكب الوقاد ص ٤٨ و ٥٣ و ٥٨ و ١٠٨ و ١٣١ و ١٥٨ .
(٥) جذوة الأنوار ص ٤ و ١٠ و ٢٢ و ٣٩ و ١١٥ .
(٦) الطرائف ص ٢٨٤ .

الأهم هو ما درج عليه السلف من الصحابة وأعيان التابعين مما أخذوا من نصوص الكتاب والسنة كسورة الإخلاص وآية الكرسي وآية (ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير) وغير ذلك ••• إلى أن يقول : (والقرآن كلامه عز وجل منزلا حقا ميسر صدقا من غير التفات للكيفية قال الله تعالى : ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ ﴿ وإنما يسرناه بلسانك ﴾ والإيمان بالكتاب والسنة بخاصه وعامه ومجمله على مقتضى اللسان العربي ما عرفت العقول معناه وما لم تعرفه تسلم فيه وتذعن إليه من غير اعتراض ولا تأويل وإن أوله فعلى ما يليق بجلاله جل وعز وعظمة كما له ، والتصديق بما أخبر به الكتاب والسنة من أنواع المغيبات على ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم ••• إلى أن قال : (وأما ما حدث بعد الصدر الأول من تفاصيل العقائد وتنقيح الدلائل العقلية ، فالنظر فيه متعين لمن قويت قريحته وصحت فطنته واستقامت فكرته واحتيج إليه في الرد على الفرق الضالــة ولم يخف التشويش على عقائــده وعقائــد المتعلميــن • هذا ما عليـــه الشيخ الوالد رضي اللــه عنه وأرضاه وهو مذهب المحدثين وأكابر علماء المفسرين) • (١)

ثم يأتي هذا الشيخ بقصيدة لوالده مستدلا بها على التزامه بالكتاب والسنة مقدما لها بقوله : (وكان رضي الله عنه لا يعد متفقهة الزمن المقتصرين على أخذ مسائل الفروع من المختصرات وكتب النوازل من غير اعتماد على أصل من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس شيئا ويقول : من لم يثبت على دعيمة أصل تلاعبت به أقوال المذاهب وقد أنشد في ذلك رضي الله عنه قصيدته الطويلة البائية التي جمعت من الأساليب العجيبة والمنازع الغريبة ما لم يجتمع في غيرها حيث يقول :

وإياك ترضى باقتناص فروعها — دون ارتشـــاف من مشارعها العذب
فإن الأصول كالقواعد تقتضي — طمأنينـــة للقلب والنجـح بالأرب
فمن لم يقيد بالكتاب علـومه — طغى وبغـى واستبدل اليسر بالرطب
ولا تقتصر إن الحديث بيانــه — وتفسيره فقه الائمـــة لا الشعـــب
ومن يترك القرآن نسيـا وراءه — فقد زل في التمثيل عن ناجم الرتب

---

(١) جنة المريد ص ٣٠ . ٣١ •

ومن حاد عن نص الحديث سفاهــة فقد أبدل الجياد بالحمر الحـــــدب
ومن يترك الفقه المهذب رغبــة فقد رام تجهيلا وعن رشـــــده يــــذب
ولكن تفقه وانتق الحق مـذهبــــا وميزه بالذكر الحكيـــم ولا تــؤب
إلى غير تحقيق من القول واضـــح تداوله التحقيق والسـلف النجـــب
تخير من الأقـــــوال كل مهـذب صحيح ولا تعبأ بأقـــوال من كلــب
وثق بكتاب اللـــــه والسنة التـي أتت عن رسول الله والعكس فاجتنب
ولا تقفون ما لست تعلـــــم إنـه ضــــلال وإضلال وداهية تشـــب
لتعلم حكم الله فيــــــه وقولــه وإن يــك مسكوتا فسر نحـوه ودب
ودع عنك أقوال الرجـــــال ورأيهم لقول رســـول فهو الـذي يطـــب
ولا تبتدع فولا تخاف عقابـــــه فمن يبتدع في النار مع قوله يغب) (١)

قلت : فهذا الحث على التزام الكتاب والسنة وتقديمهما ونبذ ما خالفهما وترك الأقوال التي لا تعتمد عليهما ، والدعوة إلى التحقيق والتميز والاختيار وعدم الاغترار بأقوال الرجال ، والنهي عن الأبتداع والتحذير من عاقبته ، وغير ذلك من الأمور الحسنة التي تضمنتها هذه النصوص القادرية يدل على تبصر وصحوة في العلم والعقيدة والفكر •

ولا يستغرب على من يعرف تاريخ هذه الحقبة التاريخية التي قيليت فيها هذه النصوص أن يدعى لصاحبها التجديد ، ذلك أنها حقبة تعصب وجمود ، يشهد لذلك ما قدمناه من محاربة العلماء في ذلك العصر لأي داع إلى تصحيح في العقيدة أو إلى الأخذ بنصوص الكتاب والسنة أو عرض أقوال الأئمة عليهما وكان من بين هؤلاء الشيخ سيدي المختار الكنتي صاحب هذه القصيدة إلا أنه يمكن أن يقال بأن دعوته التي تضمنتها النصوص بما فيها القصيدة (٢) موافقة لما سماه علماء عصره وهو منهم ببدع ابن حبل ومقالاته التي كانوا يفخرون بالرد عليها • (٣)

---

(١) الطرائف ص ٢٦٨ - ٢٦٩ •

(٢) انظر : ترجمة الشيخ سيدي المختار الكنتي في هذا البحث وانظر فتح الشكور ص ١٤١ •

(٣) المرجع السابق وجـ ١٧ من موسوعة ابن حامد ص ٥٣ وما بعدها •

وعلى كل فقد انتشرت كتب الشيخ سيدي المختار الكنتي في شرق البلاد وغربها وكذلك كتب خليفته التي تشتمل على الدعوة إلى تصحيح المناهج العقدية حسبما رأينا بالتزام الكتاب والسنة والأخذ بسنن السلف الصالح (١) حتى وجدنا بعده من شيوخ القادرية من يدعى له التجديد أيضا وأنه : (كان يربي مريديه بمقتضى الكتاب العزيز والسنة المحمدية) ويحذر من البدع أو التقليد الذي يؤدي إلى التضيق على المسلمين في الفتيا وأنه بلغ الاجتهاد وجدد العلوم بكاملها ، وجدد الإيمان في القلوب بالصحبة وجدد الحجاب على النساء وأن طريقته قرآنية (٢) إلى غير ذلك من المزاليا العلمية والإيمانية .

إلا أنه لم يشتهر أحد العلماء المعتبرين بعد المجيدري بمواجهة الناس بنقد صريح للمناهج العقدية والتعصبات المذهبية والجمودات الفقهية . وإن كان لا يخلو الوقت من عالم يتخذ موقفا من مسألة معينة أو بدعة منكرة ويدعو في وقته إلى الكتاب والسنة والاتباع ونبذ التقليد والابتداع ، وغالبا ما تنسى تلك المواقف لعدم تسجيلها ووضعها في مؤلف معروف يرجع إليه ولذا فلا يبقى في ذاكرة الناس إلا أن فلانا كانت له مواقف شجاعة من البدع أو الانحرافات الأخرى أو أنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . أما تحديد المنكر أو البدعة أو الانحراف أو كيف كان ذلك العالم أو الفقيه يتعامل معه فلا تجده .

وظل الأمر هكذا حتى ظهر الشيخ سيديا بابه الذي تقدم ذكره في موقف القادرية من الجهاد فوجد البلاد تعيش في دوامة من الجمود والتعصب لرواية ابن القاسم عن مالك في الفروع ويحصرون الحق في مختصر خليل ورواية ابن القاسم في المدونة وعقائد السنوسي في المعتقدات الأشعرية وفي التصوف على طريقة أبي القاسم الجنيد .

وهذا تعريف به وبمكانته العلمية والدعوية الإصلاحية تنقله عن أحد تلاميذه وأهل قراباته المطلعين على مراحل حياته بمصاحبته له ومصاحبة أبيه لجده وأبيه .

---

(١) انظر : كنتة الشرقيون ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) انظر الضياء المستبين ص ١٠٥ ـ ١١٣ و ١٤٠ و ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

يقول صاحب التعريف . وهو محمد بن أبي مدين :

(هو محي السنة ومجدد القرن الرابع عشر أبو محمد الشيخ سيدي بابه بن الشيخ سيدي محمد الخليفه بن الشيخ سيدي الكبير ... ولد في ربيع الأول عام سبع وسبعين وألف هجرية وتوفي جده وله سبع سنوات ووالده وعمره ثمان سنين فحفظ القرآن وله دون العشر واشتغل بالعلم على علماء تلامذة أبويه فأجازوه في مدة يسيرة في جميع ما تعلم عليهم وكان بعضهم يقول أرسل إلينا لنعلمه فصار يعلمنا . كما أجازوه في الأوراد القادرية والاختيارات المختارية حسبما أجازهم في ذلك والده ، فلما ناهز العشرين من عمره تاقت نفسه إلى معرفة الحق من منبعه وترك التقليد فيه فعكف على كتاب الله تعالى وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستجلب الكتب من الآفاق النائية بالأثمان الغالية واستنسخ منها ما لم يكن مطبوعا حتى اجتمع له منها ما لم يجتمع لغيره من أهل هذه البلاد وأقبل على مطالعتها ليلا ونهارا مع الذكاء المفرط وسرعة الحفظ المدهشة) (١)

قلت : الذي نستفيده من هذا النص أن هذا الشيخ تربى في حجر والده وجده وهما من أشهر شيوخ العلم والتصوف في بلادهما ثم أكمل تعليمه وتربيته الصوفية على تلاميذهما حتى أجازوه في العلوم والأوراد القادرية والاختيارات المختارية فهو على هذا يحمل سلسلة أبيه عن جده عن الشيخ سيدي محمد الكنتي عن والده الشيخ سيدي المختار الكنتي إلى آخر السلسلة القادرية البكائة المختارية . هذا على الأقل في بداية حياته إلى العشرين من عمره تقريبا .

ويستمر صاحب التعريف بهذا الشيخ في وصف حاله مع كتبه وطلبه للحق إلى أن يقول : (ولما حفظ السنة جعلها نصب عينيه وعمل بها حتى أصبحت قطب رحايدور عليها سائر تصرفاته في عباداته ومعاملاته بل في حركاته وسكناته وشرع في تعليمها والدعاء إليها) . (٢)

---

(١) حياة الشيخ سيدي بابة وعقيدته ، بقلم محمد بن أبي مدين ص ١ .

(٢) نفسه .

فهذه مرحلة صار فيها هذا الشيخ حافظا للسنة عاملا بها داعية إليها وهذا ما نريده من إدخاله في الصحوة السلفية في الطريقة القادرية ، ويبقى أن نعرف مظاهر مشاركته في هذه الصحوة علاوة على ما تقدم .

يقول ابن أبي مدين : (ولما كان أهل القطر الموريتاني في المعتقدات على مذهب أبي الحسن الاشعري الأوسط (١) وهو التأويل ، وفي الفروع على رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة ، وفي التصوف على طريق أبي القاسم الجنيد بن محمد ويرون الحق منحصر في هذا وهذا وهذا بين الشيخ رحمه الله تعالى أن الأولى في المسألة الأولى مذهب أهل القرون الثلاثة المفضلة وهو الانكفاف عن التأويل وإمرار الظواهر كما جاءت من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف وتفويض معانيها إلى الله تعالى وهو الذي قصد تحريره في أبياته الأربعة عشر وهي :

(ما أوهم التشبيه في آيات — وفي أحاديث عن الثقات
فهي صفات وصف الرحمن — بها وواجب بها الايمان
ثم على ظاهرها نبقيها — ونحذر التأويل والتشبيها
قال بذا الثلاثة القرون — والخير باتباعهم مقرون
وهو الذي ينصره القرآن — والسنن الصحاح والحسان
وكم رآه من إمام مرتضى — من الخلائق بناظر الرضا
ومن أجاز منهم التأويلا — لم ينكروا ذا المذهب الأصيلا
والحق أن من أصاب واحد — لا سيما إن كان في العقائد
ووافق النص وإجماع السلف — فكيف لايتبع هذا من عرف
ومن تأول فقد تكلفا — وغير ما له به علم قفا
وفي الذي هرب منه قد وقع — وبعضهم عن قوله به رجع
حتى حكى في منعه الاجماعا — وجعل اجتنابه اتباعا
وقد نماه بعض أهل العلم — من الأكابر لحزب جهم
فاشدد يديك أيها المحق — على الذي سمعت فهو الحق) (٢)

(١) لعله يريد الدور الثالث من مراحل حياة الامام أبي الحسن الأشعري رحمه الله وانظر : تقديم الدكتورة فوقيه حسن محمود للابانة ص ٣٤ - ٣٥ ونص الابانة بتحقيقها ص ٢٠ - ٢١

(٢) حياة الشيخ سيدي بابه وعقيدته ص ١ - ٢ .

وللشيخ بابه إملاءات على هذه الأبيات يبين فيها مضمونها ويشرح مراده منها (١) وهي تؤيد ما كان عليه السلف من الايمان بما ورد في الكتاب والسنة من صفات الباري جل جلاله وعدم الخوض في معانيها أو طلب تأويلها طلبا للتنزية أو فرارا من التشبيه .

ومع أن هذه الأبيات في حد ذاتها تعتبر صحوة سلفية في العقيدة إلا أنها غير كافية من ذلك الإمام الذي يعد بما قام به من جهود مجددا وناشرا للسنة وقامعا للبدعة فلو كان استبدل عقائد السنوسي بكتاب يعتمد على نصوص الكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح في باب الاسماء والصفات وغيرها من العقائد الغيبيات لكان له التجديد التام في المجالات الثلاث التي سبق النص على أنه وجد البلاد عليها .

ففي باب العقائد مثلا وهو أهمها كانت له هذه المشاركة التي شرحها ينقول جلها من كتب لعلماء من القرون المتأخرة وهم من متأخري الأشاعرة (٢) ثم إنه يكتب تقريظا لكتاب الشيخ عبد القادر بن محمد بن محمد سالم يشرح به وسيلة السعادة لابن بون . وقد تقدم القول بأن صاحب النص يعد إمام الأشعرية في موريتانيا وأن نظمه : وسيلة السعادة ضمنه عقائد السنوسي الثلاث وأضاف إليها . يقول الشيخ بابه سامحه الله :

(حاج المباحث ذي الحجا والباحث ما في المباحث من جليل مباحث
تحوي مراد كليهما فمباحث أو باحث من دونها كالباحث
ورثت من التوحيد كل طريقة فيها رضى رب الأنام الوارث) (٣)

وبالنظر لنص نظمه السابق في الصفات نجد أنهاتتلخص فيما يأتي :

أولاً : أن الآيات والأحاديث الصحاح التي وصف الرحمن بها يجب الايمان بها .

ثانياً : أنها مع إيهامها للتشبيه تبقى على ظاهرها ويحذر فيها التأويل والتشبيه .

---

(١) انظر هذه الاملاءات في مصادرها : عقيدة الشيخ بابه مخطوط خاص ص ١ . ٧ وشرح السنة للإمام البغوي جـ ١ ص ١٦٨ . ١٧١ وانظر : شرح كتاب الفقه الأكبر لملا على القاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ ص ٥٧ . ٦١ .

(٢) ولو أن بعضهم من المحدثين كالنووي وابن حجر وغيرهما .

(٣) ديوان الشيخ سيدي بابه ص ١٣ .

ثالثاً : أن هذا هو عقيدة السلف من القرون المفضلة الثلاثة ومن تبعهم من الائمة المرضين عند المسلمين ٠

رابعاً : أن من أجاز التأويل من المتأخرين لم ينكر مذهب السلف الأصيل ٠

خامساً : أن من تأول فقد تكلف ما لا علم له به ووقع فيما فر منه ٠

سادساً : أن الحق واحد وأن المصيب من المجتهدين واحد لا سيما في باب العقائد وليس في باب العقائد اجتهاد ٠

سابعاً : أن مذهب السلف هو الذي وقع عليه الاجماع وهو الذي ينصره الكتاب والسنة الصحيحة ، وأن من انغمس في التأويل من الأئمة الكبار رجع عنه في آخر عمره وندم عليه(١) وعندي أن البيت الأول من نظمه رحمه الله موهم . وهو قوله :

(ما أوهم التشبيه في آيات　　وفي أحاديث عن الثقات)

فكيف يكون ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم موهم للتشبيه الذي هو كفر صريح حتى يختلف الناس فيه هل يمر ويترك على ظاهره الموهم مع الإيمان به أو يؤل إلى احتمالات اللغة أو ما يسمى بالقواطع العقلية ؟ ٠ إن الإيمان والتنزيه والتسليم يغني عن هذا كله ٠

والذي يظهر أن الشيخ أوهمه المقري بقوله :

(والنص إن أوهم غير اللائق　　بالله كالتشبيه بالخلائـق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا　　واقطع عن الممتنع الأطماعا) (٢)

وقد تقدم الكلام على حكاية هذا الاجماع وعلى ذلك الإيهام الذي يأتي به النص ، وذلك في باب العقائد من هذا البحث (ويجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه ، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه) ٠ (٣)

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ وما بعدها ٠

(٢) الاضاءة ص ٨٨ ٠

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٥ وانظر ما بعدها وقارن بما في أضواء البيان جـ ٢ ص ٣١٩ وكتاب : تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لاينا في الاجراء على الظواهر ، تأليف : الشيخ بداه بن البوصيري ص ٢ وما بعدها ٠

وبين الشيخ محمد سالم بن عدود في نظمه الذي حاول فيه أن يصوب الناظمين المقري وبابه لحكاية كل منهما الاجماع على ما ذهب إليه في نصيهما السابقين فقال :

(الظاهر الذي عليه نبقي ... موهم تشبيه لرب الخلق

هو الذي أهل اللسان فهموا ... إذ نزل الوحي به عليهم

فلا أبو بكر لخير الرسل ... يقول أشكل علي اشرحه لي

ولا أبو جهل يقول اختلفا ... أثبت ما من التماثل نفى

وهو الذي في قول باب المرتضى ... سيف الهدى العضب الحسام المنتضى

ما أوهم التشبيه الخ

والظاهر الذ صرفه عنه يجب ... هو الذي يفهمه من قد حجب

فهو يسير في الظلام الدامس ... بين موامي الفتنة الطوامس

وهو الذي يقول فيه المقري ... المغربي المالكي الاشعري

والنص الخ

فواجب الذمنه تشبيها فهم ... جراء ضعف فهمه أن يتهم

في ذاك فهمه فلا دلاله ... فيه لما من شبه جلاله

أصلا ولو سلم تسليم الجدل ... أن كان ظاهرا على التشبيه دل

تعين الصرف بلا خلاف ... فليس في النظمين من تناف

إذ وحدة الموضوع للتناقض ... شرط وباختلافه هنا قضي

يبقى لنا تصويب قول المقري ... فاصرفه عن ظاهره فهو حري

بقوله بدله فاصرفه عن ... موهمه إذ ذابه الإشكال عن) (١)

وعلى كل فالشيخ بابه كما قال الشيخ يداه : (وباب باب هديه مرضي : لأنه هو قطب رحى نصرة السنة في هذه البلاد وهو إمام متقدميها ومتأخريها فكل من جاء بعده عيال عليه في النصرة المذكورة ، فإنه نصر السنة بالقول والعمل وغير ذلك بخلاف غيره ...) (٢)

---

(١) مخطوط شخصي ص ١ . ٢ .

(٢) شرح نظم : الحجر الأساس لمن أراد شرعة خير الناس ، كلاهما للشيخ يداه بن البوصيري بهامش : أسنى المسالك في أن من عمل بالراجح ما خرج عن مذهب الإمام مالك . لنفس المؤلف ، المطبعة الوطنية بانواكشوط سنة ١٩٧٣ م ص ٣٤٢ .

أما نصره للسنة بالتأليف فمن أبرز مؤلفاته في الحث على السنة والتمسك بالأدلة وعدم تقليد غير المعصوم بلا دليل . كتابه :

إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين (١) وهو وإن كان معظمه نقول كما قال مؤلفه في مقدمته : (أما بعد فهذه نقول) فإنها نقول دالة على حسن الاختياروالتبصر مع سعة الاطلاع وحسن المقصد • وكان فاتحة لمن جاء بعده في التأليف في المسائل الخلافية وإظهار الحق فيها بالدليل لا بالتعصب المذهبي والجمود •

وأما مشاركته في الصحوة السلفية في الطريقة القادرية في تصحيح السلوك الصوفي فيأتي إن شاء الله ما نقل عنه في ذلك في المبحث المخصص لذلك •

ومن الذين يدعون التجديد في الطريقة القادرية الشيخ التراد بن العباس بن الحضرامي ابن الشيخ محمد فاضل الذي تقدمت ترجمته في أعلام القادرية حيث عرضنا هناك لأدوار حياته . يقول في إيضاح الطريق بعد ذكره لتصدير شيخه له وتصدير الشيخ محمد فاضل لشيخه الشيخ سعد أبيه :

(فصرت داعيا لما قد دعيا ... إليه راعيا لما قد رعيا

مجددا من الطريق ما اندرس ... مبينا آثار ما منها انغرس

إلى أن يقول :

وما لنا سوى اعتقاد الاشعري ... عقيدة وما سواها فاحذر) (٢)

بعد هذا القول ينظم قصيدة طويلة تشتمل على أمور كثيرة في العقائد والسلوك يسميها تصفية الطريق يحذر فيها من سؤال غير الله تعالى أو شد الرحال إلى المزارات أو التمسح بالقبور أو البناء عليها على ما يأتي بنصه إن شاء الله ثم ألف رسالة سماها : (تنبيه المريدين إلى ما نحن عليه من الدين) بدأها هكذا :

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم وبعد فليعلم أني مالكي المذهب لا أحب العدول عن مشهوره إلى ضعيفه ولا الخروج عنه إلى مذهب غيره في

---

(١) طبع الكتاب في تونس سنة ١٣٨٠ هـ انظر مقدمته وتقاريظه ص ٢ و ٨٩ . ٩١ •

(٢) نيل المراد ص ٤٧ •

غير ضـــرورة نازلة فاضلي الطريقة ما صحبت في طريقة القوم غير شيخنا الشيخ سعد بوه ... سلفي العقيدة بمعنى أني أسلك في المتشابه كالاستواء والنزول والفوقية والضحك مذهب السلف الذي هو الوقوف والتسليم دون التفسير والتأويل والكيف والتشبيه والتعطيل) ثم ينقل نصوصا توضح مذهب السلف من أهل القرون الثلاثة المفضلة وترد خوض المتكلمين وتكلفهم مالا يعرفون ، ثم يورد نص أبيات الشيخ سيدي بـاب المتقدمـة مستـدلا بها لصحة مذهبه معقبا عليها بنصوص مطابقة لمضمونها • ثم يقول : (قلت : فهذا هو الذي نقول به ونعتقده انتظاما في سلك سلف الأمة وخروجا من اختلافات الأئمة فإن المتكلمين يقولون بحدوث التلاوة ولهم خوض عظيم في مسألة الكلام النفسي والقرآن المتلو ويقولون بغباوة من يقول بضد ذلك كما في الإضاءة وغيرها ، وغيرهم كالإمام أحمد وأكابر أهل مذهبه كشيخنا سيدي عبد القادر الجيلي رحمهم اللـه يشـددون النكير على من يقول بذلك كما في الغنية وغيرها) (١) • هذا من مظاهر الصحوة السلفية في باب الأسماء والصفات يعممه هذا الشيخ على مريديه لعلهم يحفظونه عنه ويتبعونه عليه ، كما عمم عليهم أيضا قصيدته المشار إليها سابقا وهي : تصفية الطريق •

ومن مظاهر الصحوة السلفية فيها نختار منها ما له صلة بالعقيدة وخصوصا في باب توحيد الربوبية والعبادة •

يقول موجها كلامه لمريديه ولمن يسمع بعد بيان لحقوق الشيوخ وما يجب لهم من إكرام واحترام :

(ولا تغال فيهم بكالحلف	بهم وبالخوض بغيب ما عرف
كمثل إن شيخنا قد ترزق	به العباد وهـو غوث مطلـق

إلى أن قال :

ولا تقل في شدة وكربـه	يا سيـدي وشيخنا وحزبـه
مبتهلا وداعيا غير الإلـه	مستغرفا عـن الإله في سواه

---

(١) كتاب تنبيه المريدين على ما تحن عليه من أمور الدين ، تأليف : الشيخ التراد مخطوط خاص ص ١ وما بعدها وص ٦ • وقارن بما في الغنية جـ ١ ص ٥٣ وما بعدها •

تقــول قد غفل عني أبـي وشيخي حيث لـم تـفز بالأرب

وحيثما فزت بنيل ما تريد شرعت في الثنا على غير المجيد

فبعضهم بذا المقـال كفـرا وبعضـهم لنحــو ذا ما أنكـرا

إلى أن قال :

وشد رحلك إلى الأموات منعــه البعــض من الهداة

إلى أن قال :

وندب زوردون شد الرحل هو الذي رجحه ذو النقـــل

إلى أن قال :

فلا تقل يا سيدي جئت إليك أريد حاجي واتكالي عليـــك

حاشاك أن تردني صفر اليدين وأنت ذو التمكين غوث الثقلين

وإنما يسأل ربنا الـــكريم مجيب من دعاه ذو الفضل العميم) (١)

وكل من هذين العلمين : الشيخ سيدي بابه والشيخ التراد أخذ عنه وانتشر عنه مريدون وتلاميذ نابهون يحفظون أقواله وأشعاره ويستحضرون سيرته ، ومناقبه ، ويستشهدون بما في مؤلفاته •

وإذا لم نقل بأن جهودهما وتلاميذهما من بعدهما أحدثوا صحوة سلفية بالمعنى التام والمطلوب فإنهم لا شك أثروا في المحيط العام وأيقظوا المجتمعات العلمية وأثروا الساحة بما لو استثمر ورعي الرعاية الصحيحة جاء بما تحمد عقباه ، ولاشتهار أمرهما فيما ذكر وما يأتي في المبحث الآتي إن شاء الله فضلت الاقتصار عليهما كنموذج للمختارية والفاضلية ثم لتقارب زمنهما وتباعد مراكزهما حيث إن الشيخ سيدي بابه في أقصى غرب البلاد والشيخ التراد في شرقيها ، وما بينهما من البلاد في الغالب داخل في نفوذهما • والله أعلم •

---

(١) نيل المراد ص ٥٠ ـ ٥١ •

المبحث الثالث : مظاهر الصحوة في تصحيح الاتجاهات السلوكية في التصوف

إن الانحراف في السلوك الصوفي بدأ مع نشأة التصوف نفسه وظل يزداد سوء كلما تقدم الزمان وازداد الجهل في المحيط الصوفي أو المحيط العام الذي يتوقع منه ظهور منكرين ومصححين ٠

وكان للتصوف في موريتانيا حظ وافر من الانحراف السلوكي كما رأينا في باب السلوكيات وظل الأمر يزداد كلما مات عالم أو مصلح ٠

وما دام الانحراف السلوكي منشأه سوء الاعتقاد أو الجهل بالدين ، وقد رأينا في المبحثين السابقين بوادر صحوة في العلم والعقيدة فإنه يتوقع من المصلحين في هذين الميدانين العناية بتصحيح المسار العام للسلوك الصوفي وهذا ما حدث فعلاً في الطريقة القادرية كما يستضح من خلال نصوصهم ولكن .

وقبل أن نورد النصوص الدالة على ذلك فإنه من المناسب تلخيص أسباب هذه الصحوة في الطريقة القادرية لننطلق منها إلى الثمار المتوقعة إن شاء الله ٠

تتلخص هذه الأسباب أو العوامل فيما يأتي :

١) أن القادرية تدعى التزام الكتاب والسنة ، وتحث في مؤلفاتها ورسائلها إلى اتباع مذهب أهل السنة والجماعة وتزعم أنها تنتسب للشيخ عبد القادر ثم إنها من طائفة الجنيد بن محمد ، وليس في هذه الادعاءات والانتسابات مجال للانحراف ولذا فقد اتخذ الفقهاء والمصلحون منها دليلا على مطاعنهم في الانحراف المتفشي بين أكثر المريدين ومن يكون لهم قدوة من الشيوخ المتبوعين ٠

٢) أن القادرية في موريتانيا نشأت في محيطات علمية في الغالب ، وتنافر الصوفية مع العلماء قديم يضاف إلى ذلك ما عرف عن الإمام مالك رحمه الله من الشدة على أهل البدع والأهواء والقادرية تدعي التمذهب بمذهبه وتجاور العلماء والفقهاء الذين يتبعونه ٠

٣) لذا فقد أطلق العلماء والفقهاء والشعراء ألسنتهم وأقلامهم في أهل الانحراف من

الشيوخ وأتباعهم ، فحكموا عليهم بالبدعة والافتيات على الدين ومن سبقهم من الشيوخ الصالحين ، وحاكموا بعضهم إلى الأمراء وناظروهم مشافهة ومكاتبة وأصدروا فيهم الأحكام المتفاوتة نظما ونثرا . وقد تقدم بعض من ذلك في ثنايا البحث .

٤) هذه المواقف الشجاعة من أهل العلم والإصلاح أيقظت بعض الشيوخ من القادرية فحاولوا تدارك ما فاتهم وترميم ما اشتهرعنهم ، تارة بإنكاره وتارة بالدفاع عن النفس بالحق أو بالباطل والتلفيق ، المهم أنهم شعروا بما يهدد كيانهم واستمرار طريقتهم إذا لم يفعلوا شيئا خصوصاً في عهد الشيوخ الذين ظهرت التجانية ومن عاصرها من الطرق المنفصلة حديثا عن الطريقة حيث إنهم وجدوا أنفسهم أمام تيار جارف يكاد يقضي على مصالحهم ونفوذهم الروحي من جهة وأجملوا معه في الأحكام الصادرة عليه بالكفر تارة والانحرافات الأخرى . فبدؤا يظهرون أنفسهم بمظهر المتمسك بالدين الحامي لعقائد المسلمين ، الذاب عن أولياء الله المتقين .

ومع ذلك ظل في الطريقة انحراف في السلوك يحتاج إلى تصح تارة وبيان للسنة تارة أخرى أو مواجهة بالطعن والتضليل والتدجيل إلى غير ذلك من المواقف التي يتطلبها الاصلاح والدعوة إلى الله تعالى وكل هذه المواقف ظلت موجودة ولله الحمد ومنها نأخذ هذه النماذج :

أولاً : الشيخ سيدي بابه :

وجد الشيخ سيدي بابه البلاد تعيش في واقع مؤسف ، تعصب وجمود من الفقهاء وانحراف سافر في التصوف ، وفوضى أمنية رهيبة فحاول أن يعالج هذه الأوضاع كلها فألف كتابه : (إرشاد المقلدين) إلى جميع المتعصبين والمنحرفين عن أصول الدين من كتاب رب العالمين وسنة خاتم النبيين ، فبين فيه للمتفقهين والمتصوفين أن التقليد الأعمى مذموم شرعاً وعقلاً وأنه لا يتبع على الإطلاق إلا الوحي المعصوم وخاطب الجميع في تقريظه لكتابه هذا قائلاً :

(هذه نقول صحيحات صريحات ... في قفوها لإله الناس مرضاة

تهديك نحو كتاب اللـه أو سنن ... قد أثبتتها عن المختار أثبات

إلى أن قال :

فهذه السنة البيضاء دارسة — وأهلها في تخوم الأرض أموات

وفي اتباع كتاب الله أو سنن — صحت عن المصطفى للدين منجاة) (١)

ويقول ناصحاً باتباع السنة ومحذراً مما أحدثه أهل البدعة وراداً لأعذارهم :

(كن للإله ناصرا — وأنكر المناكرا

وكن مع الحق الذي — يرضاه منك دائرا

ولا تعد نافعا — سواه أو ضائرا

واسلك سبيل المصطفى — ومت عليه سائرا

فما كفى أولنا — أليس يكفى الآخرا ؟

وكن لقوم أحدثوا — في أمره مهاجرا

قدموا هو يشبه — واعتذروا معاذرا

وزعموا مزاعما — وسودوا دفاترا

واحتنكوا أهل الفلا — واحتنكوا الحواضرا

وأورثت أكابر — بدعتها أصاغرا

فاحكم بما قد أظهروا — فما تلى السرائرا

وإن دعا مجادل — في أمرهم إلى مرا

فلا تمار فيهم — إلا مراء ظاهرا) (٢)

ويقول مؤكداً هذا الموقف وناصحاً ومبيناً :

(آمن أخي واستقم — ونهج أحمد التزم

واجتنب السبل لا — تغررك أضغاث الحلم

لا خير في دين لدى — خير القرون قد عدم

أحدثه من لم يجيء — قطع بأنه عصم

من بعد ما قد أنزلت — اليوم أكملت لكم

وبعدما صح لدى — جمع على غدير خم

ادع إلى سبيله — وخص في الناس وعم

واذكر إذا ما اعرضوا — عليكم أنفسكم) (٣)

---

(١) المصدر المذكور ص ٨٩ . ٩٠ وديوانه ص ١٠ .

(٢) ديوانه ص ٢١ .

(٣) نفسه ص ٤٤ .

قلت : وتوفي الشيخ سيدي بابه سنة ١٣٤٢ هـ وهو جاد في معالجة بقية الأوضاع المذكورة وجاء بعده الشيخ محمد يحيى بن سليمة اليونسي . وهو النموذج الثـاني .

ثانياً : الشيخ محمد يحيى بن سليمة عالم ومحدث له كلمة مسموعة ومؤلفات واختصارات لمؤلفات ونصائح للتجانية عموما والحموية خصوصا ، (١) وله مواقف من الانحراف السلوكي في التصوف بوجه عام أدى به إلى التحذير من صحبة شيوخ الصوفية ورماهـم بالجهـل والزندقة فمن قوله في ذلك وفي الحث على طلب العلم والتحقيق فيه . قولـــه :

(دع المشايخ قد عداك زمانهم	إيـــاك فاحذر بابهم أن تطرقـــــه
واعكف على طلب العلوم محررا	من ماجد كشف الغوامض أرقـــه
قد ميز الخبـر الصحيح وضـده	ومقيد الشـــرع العزير ومطلقـــــه
وعمومه وخصوصه ومفهومـــــه	وكذا يـــرى الزامـــــه ومعلقـــه
وإذا تعارضت النصوص عليـــه	أمـعن فكــــره فيما لديه ودققـــه
فاستخرج الدر الثمين بفكـــره	وجنى بـــه مسلك المقول ورونقـــه
هذا الـذي ترضى مشيختـــــه	وذا هو الذي عرف السبيل وحققه
أما التصوف دون علم ســـابق	فهو الجهالة والهـوى والزندقـــه) (٢)

وتوفي الشيخ محمد يحيى سنة ١٣٥٤ هـ وجاء بعده الشيخ التراد الذي قيل لي إن هذه الأبيات كانت تعجبه ويستنشدها (٣) وهذا النموذج الثالث :

ثالثا : الشيخ التراد وصف نفسه فيما سبق أنه مجدد في الطريق وكانت طريقته الفاضلية كما سبق بيانه من الطرق المعروفة بالشطح والرقص والجذب والسكر والوجد والكلام الموهم المعمم الذي لايعرف مراده ولا المراد منه وأول ذلك قوله هو :

(أحطت بعرش الله والكون مشهدا	وشاهدت ما قد كان من ذاك أبعدا)

---

(١) بلاد شنقيط ص ٦٠١ . ٦٠٢ .

(٢) ملف الرحلة العلمية ص ٦ و ١٢ .

(٣) نفسه .

هذا الشيخ يأتي في مقدمة رسالة بين فيها مراده بهذا البيت وصاحبه وسماها : (إزالة الرين عن معنى البيتين) فيقول في مقدمة تلك الرسالة : إنه من كذا سنة وهو لا يخوض في المواجيد والخواطر وعلوم الصوفية وأسرارها • وأنه لا يعطي الأوراد إلا لمن عرف فروض العين واستقام على العمل بالطاعات (١) •

قلت : هذا منه دفاع عن النفس واعتذار أو حكاية حال . ولكن ما هي مشاركته في تصحيح السلوك الصوفي الذي عرفنا أنه مختل ؟

إن الناظر في نتاج الشيخ التراد في هذا المقام يجد فيه محاولة صادقة ورغبة في التصحيح وإظهار الحق ، ولكن الناقد يجد خلطاً بين تحقيق تلك الرغبة وبين التمسك بالتقاليد الصوفية المتوارثة من تقديس الشيخ وطاعته المطلقة والاعتذار له عن الانحراف المشاهد ولو الكبائر (٢) ولكن هذا الفصل بمباحثه مخصص لإظهار جانب الصحوة والصفاء ، وما يشوب هذا الصفاء والصحوة قد تقدم نقله ونقده ولذا فنختار من نتاجه ما يناسب موضوع هذا المبحث •

يقول الشيخ التراد في معرض التبري من بعض السلوك الصوفي المنحرف في مجال العقائد التي يتفاخرون بها :

(أنا العبد ما التصريف في الكون شيمتي ... ولكنما التسليم لله حرفتي
وهل أنا للتصريف أصبحت فارغا ... وقد كنت مشغولا بآداب رتبتي
فلا تطلبني ماشيا فوق أبحر ... ولا تطلبني خارقا أي عادتي
ولا تطلبني رائدا ما أريده ... ولا تطلبن مني انفصالا بقدرتي
ولا تطلبن مني غيوبا أبينها ... ولا تطلبن مني معاشا بهمتي) (٣)

ويحذر الشيخ التراد في الأبيات الآتية من معتقدات فاسدة وبدع شنيعة يعتقدها ويرتكبها كثير من الناس وهي من قصيدته : تصفية الطريق :

(ولمسك القبر ونقلك التراب ... منه فدع عنك هديت للصواب
والضرب بالدفوف والمدافع ... لديهم خلف سبيل الشافع
إذ هم محل الاعتبار والأدب ... لا الانبساط بالملاهي والطرب
ولا تسق إليهم للذبح ... شاءا وغيرها فذاك نصحي

---

(١) مقدمة الرسالة المذكورة ، مخطوط شخصي ص ١ وما بعدها وانظر : الرحلة العلمية : مقابلة مع ولده وخليفته الشيخ سعد أبيه في أنواكشوط ٢٧ / ٨ / ١٤١٠ هـ •

(٢) انظر : نيل المراد : المقدمة وص ٥ ، ١١ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٤٦ •

(٣) نيل المراد ص ٣ •

حــرم ذا أئمـة كالنــووي	والأكل منه منعه عنـه روي
وجعلك الاستار فوق القبـر	إضاعـة للمــال دون بـر
ورمي الأموال لدى القبر بلا	تعيين مالـك لها من البـلا
ولا عليهم في البنا من حاج	وذمه في مدخل ابن الحـاج
وكم به من آفــة محظـوره	فانظر إذا ماشئتها مسطوره
وإنني أصيكـــم أبنائــي	لا تجعلوا عـلي من بنـاء
لأنني إلى الدعــاء أحـوج	وفي الدعاء مغفـرة وفـرج
نسأله عند الممـات حسنا	خاتمــة ورحمــة وأمنـا
قد أنتهت تصفية الطريــق	موزونة بالشرع والتحقيــق) (١)
صلى إلهنـــا على النبــي	وآلــه عــدد كــل شيء)

وبهذه التصفية وما تضمنته من مظاهر الصحوة والإصلاح كانت حياة الشيخ التراد فترة من الزمن إلى أن حج عام ١٣٦٥ هـ فذكر أحد الحاضرين مجلسه في المدينة المنورة على سبيل التعريض والقدح أن السلفية في الحجاز لا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم أولا يحبونه صلى الله عليه وسلم فرد عليه بقوله : لا • إنما هؤلاء جردوا التوحيد لله حتى ظن الناس أنهم لا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم أو أنهم محضوا التوحيد لله تعالى حتى لم يبق شيىء لمخلوق) (٢)

وبعد صدور هذه العبارات من الشيخ التراد وبعد أدائه لمناسك الحج توفي يوم السبت ١٧ محرم سنة ١٣٦٥ هـ قبل أن يصل إلى بلاده التي كان يتوقع أن ينشط في إصلاحاته المتقدمة بعد وصوله إليها من الديار المقدسة وكان من أبرز مصدريه الشيخ عبد الله بن داداه الذي ترجم له في أعلام القادرية وكان صحب الشيخ التراد في آخر حياته وتأثر بصحوته وحج والتقى بالشيخ محمد الأمين الشينقيطي وأثنى عليه وقرر أمام بعض تلاميذه صحة ما قرره صاحب أضواء البيان في كتابه المذكور من عقيدة السلف الصالح قائلا : هذا هو الذي نعتقده (٣) .

---

(١) نفسه ص ٥١ •

(٢) نقلا عن الشيخ محمد بن آل آب أحد شيوخ العلم في المدينة المنورة وخطيب جامع بحيى المالح •

(٣) نقلا عن الشيخ محمد الحسن بن عمر أحد التلاميذ القدامى مع الشيخ المذكور •

ونقلت عن عدد من تلاميذ الشيخ عبد الله بن داداه أن هذا الشيخ المذكور نقل لهم وعمل بمقتضى نقله : أن الشيخ التراد : (ترك البيعة الصوفية والخلوة والطبل والجداول • وأنه نهى عن شد الرحال إلى المشايخ والمشاهد وإقامة المولد والاحتفال به • وأن الشيخ عبد الله أعرض عن تدريس مقدمة ابن عاشر الكلامية ، وعدل عن بعض ما في الورد القادري •(١)

وقد حاولت معرفة واقع القادرية بفرعيها (المختارية) و (الفاضلية) في الوقت الحالي وذلك أثناء رحلتي العلمية إلى كل من المغرب وموريتانيا •
فقابلت من أجل هذه المهمة كلاً من :

الشيخ سيدي اعمر بن سيدي الأمين العام لزاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي والقاضي الشيخ عبد الله بن الرقاد • هذين عن المختارية • والشيخ سعد أبيه بن الشيخ التراد وولده القاضي محمد . عن الفاضلية • فكان من كلام أمين عام زاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي في انواكشوط : أن الطرق الصوفية أصبحت عبئا على الإسلام وخصوصاً بعد انتصار الطرق المنحرفة ونشرها لبدعها ، وتشويشها على الطرق السنية •

وأن مهام الزاوية تنحصر في جمع كتب (الشيخ) وأبنائه والتعريف بهم وبقيمة مؤلفاتهم وأضاف أن آل الشيخ سيديا نصحوه عندما كان يصور من مكتبتهم بعضا من مؤلفات هؤلاء الشيوخ أن لا يشتغل بنشرها إلا بعد غربلتها واستبعاد ما لا يتماشى مع الواقع الآن لأن لكل قوم ما يناسبهم •

ولما سألته ، هل تنوي الزاوية أن تنصب شيخا للتربية الصوفية وإعطاء الأوراد ؟

استبعد ذلك قائلا : إنه يوجد شيخ في البادية يصلح لهذه المهمة ولكنه أي سيدي أعمر لا يظن أنه سيستجيب إذا طلب منه ذلك •

وأما القاضي عبد الله بن الرقاد فهو المسؤل المالي في الزاوية وقد ركزفي كلامه على أن التعصب مذموم ، وأن الرجوع إلى الحق فضيلة وأن البحث من أجل إحقاق الحق مع الفهم وحسن النية مزيته عظيمة وأن الناس في موريتانيا ظهر بينهم في السنوات الأخيرة تعصب وأنهم مبتلون بالتناصف والرجوع إلى الحق وأن الاختلاف بين الناس وارد ولكن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو المصدر المعصوم • (٢)

---

(١) ملف الرحلة العلمية ص ٤ و ١٥ - ١٧ •

(٢) أجريت المقابلات بتاريخ ٢٥ / ٨ / ١٤١٠ هـ و ٢٦ / ٨ / ١٤١٠ هـ •

وكانت أجوبة الشيخ سعد أبيه بن الشيخ التراد تتلخص فيما يأتي :

أنه لا بأس على الملتزمين من الشيوخ القادرين إلا أنه لا ينبغي التعرض للمشيخة والظهور ، وأنه من الشيوخ من تكثر منهم الدعاوى .

ومن تعينت عليه المشيخة وجب عليه الالتزام بأعبائها وأن يطلب نجاة نفسه ومن تبعه من الناس .

وأن موقف والده الشيخ التراد من السلفية هو : الثناء عليهم مع نصحه لهم بالتريث قبل تكفير الناس ، وعدم التسرع في ذلك .

وأنه هو يقر بما جاء في تصفية الطريق لوالده .

وكان حديث القاضي محمد يتلخص فيما يأتي :

أن الزوايا تؤدي إلى التعصب ومنع المريدين من الأخذ من غير أهل الزاوية أو الزيارة للشيوخ الآخرين ، ولكن (الحضرة) هي المصطلح الذي استقرت عليه تسميتهم وهو اسـم شـامل لطلب العلم والتفرغ للعبادة بخلاف الاشتغال بتأسيس الزوايا .

وأن القادرية في الأوراد أشياخ للجميع بخلاف المعتقد فإنه لا يجمعهم مع أهل الطرق الأخرى معتقد فاسد . وسمعني فتوى الشيخ محمد عبد الله بن أحمذي في التجانية غيبا .

وسمعني أيضا من حفظه مقاطع من تصفية الطريق لجده . وقال : إنه هم بهدم بعض المباني على الأضرحة وما منعه إلا خوف الفتنه وتغير خواطر أهله عليه . (١)

وعقبت على هذه المقابلات بمقابلة مع الشيخ بداه بن البوصيري . حفظه الله . فعرضت عليه الأفكار العامة لخطة هذه الرسالة فاستحسنها قائلا : (إن عقيدة الشيخ عبد القارد الجيلي سلفية مائة في المائه) (والمرابطون سلفيون) وأن الشيخ سيدي المختار الكنتي والشيخ محمد فاضل والشيخ ماء العينيين كانوا لا يخوضون في كثير مما خاضته الصوفية وأن المعول عليه هو صحبة الصالحين من الشيوخ وأن من مزاياها في بلادنا أنه تاب بسببها كثير من أهل السلب والنهب . ثم أطلعني على بعض مؤلفاته التي يمكن أن يستفاد منها في موضوع البحث (٢)

قلت : هذه الصحوة وما أثمرته حتى الآن ما زال دون المستوى المطلوب ، وفي حاجة إلى الدعم والتنظيم وهذا هو موضوع المبحث الآتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) أجريت بتاريخ ٢٨ / ٨ / ١٤١٠ هـ .

(٢) أجريت المقابلة بتاريخ ٢٨ / ٨ / ١٤١٠ هـ .

المبحث الرابع : سبل تدعيم هذه الصحوة

إنه بإزاء ما عرضناه من صحوة عامة وصحوة خاصة بالطريقة القادرية فإنه توجد مدارس في البيئة القادرية الموريتانية مشهورة بسلفيتها ودعوتها إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وتكوين شباب المسلمين واعداده إعدادا يؤهله لتحمل مسؤلياته الدينية . ونكتفي بنماذج من هذه المدارس يمكن أن تكون سبل دعمها أوضح وأثمر .

فمن هذه المدارس مدرسة الشيخ بداه بن البوصيري فإن صاحبها مشهور بدعوته إلى التزام الكتاب والسنة عقيدة وسلوكا ، وألف في ذلك وتحمل في سبيله الأذى ولكنه صبر . أثابه الله . وثابر حتى ظهرت لدعوته استجابة مباركة وتفرعت عنه مدارس عديدة تعطي عطاء حسنا في سبيل التمكين للكتاب والسنة وكل ما كان عليه سلف الأمة . يقول هذا الشيخ معلنا عقيدته في آخر مؤلفاته : (ثم إني أعتقد أن الله جل وعلا (ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير) (١) ونؤمن بما جاء عن الله تعالى على مراد الله جل وعلا ، وبما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم على مراد نبيه من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف تبعا لما صح عن شيخ الإسلام أبي الحسن الأشعري تابعا رضي الله عنه لعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم رضي الله عن الجميع الآخذ عقيدته من الكتاب والسنة) (٢)

ومن سبل دعم مدرسة هذا الداعية السلفي طبع مؤلفاته ومد مدرسته بالأستاذة الخيرين المتفرغين ، وإعانته على تعمير مقر مناسب لها وتعريف الناس بجهوده لأن الناس بحاجة إلى قدوة في الخير دائما .

ومن هذه المدارس التي تستحق الدعم المادي والمعنوي مدارس (بتلميت) وخصوصا المدارس التي اشتهرت بالعناية بالكتاب والسنة ومجانية أهل البدع كمدارس آل الشيخ سيدي ومدارس آل الشيخ محمد علي ابن عبد الودود وذلك لما قدمناه من سلفية الشيخ سيدي بابه ولما كان يقوم به الشيخ محمد علي ابن عبد

---

(١) سورة الشورى (الآية ١١) .

(٢) تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الاجراء على الظواهر ، مصدر سابق .

الودود من نشر الكتاب والسنة وعلومهما وما ينافح به عن حياضهما ولما يقوم به من بعده الشيخ محمد سالم ابن عبد الودود من نشر عقيدة السلف الصالح والتحذير من عقائد الخلف وادعاءاتهم حيث يقول في مقدمة نظمه لمختصرخليل المالكي :

(أذكر جملة من العقائـــــد — على طريق السلف الأماجـد
ولست أذكر سوى المتفـــــق — عليه من قبل نشوء الفـــرق
مما إليه الأشعري قد رجـــع — متبعـــا أحمد نعم المتبـــع
لا ما يقول من لذا أوذا انتمى — زعما ولم يسر على مارسما) (١)

ثم نظم بعد هذا ثمانين بيتا في عقائد السلف الصالح في توحيد الربوبية والالهية والأسماء والصفات وأجمل عقائدهم في الملائكة والنبوات وغير ذلك من المغيبات في أحد عشر بيتا . (٢)

فلو شرح هذه العقائد واستخرج أدلتها وما يقربها للدارسين لكانت عقيدة صالحة للحفظ والتدريس والتقرير كمنهج محضري .

ومن المدارس المهمة في مجال نشرالكتاب والسنة وعلومها : مدرسة العون للتعاليم الإسلامية في انواكشوط وفروعها داخل البلاد ، وهي مدرسة تعتبر امتدادا لمدارس المرابطين ومديرها وخطيب الجامع بها الشيخ محمد الأمين بن الحسن مشهور بالدعوة إلى الله تعالى والوقوف مع الحق ومصارحة أهل البدع وهو من أبرز تلاميذ الشيخ بداه السالف الذكر وقد حصلت على آخر تقرير سنوي لهذه المدرسة يقول معده فيه :

(لقد قامت مدرسة العون للتعاليم الإسلامية منذ أن تأسست : ١٣٩٣ بدور ريادي في مجال نشر وترسيخ التعاليم الشرعية والإسلامية والعقيدة السلفية الصحيحة حتى غدى طلابها المادة الأساسية لنشر الدعوة الإسلامية في هذه البلاد ...) (٣) فدعم هذه الرسالة السلفية يكون بالتعريف بها وبجهودها وبمدها بالاساتذة والكتب وبالدعم المادي حتى تتمكن من تغطية نفقاتها وتواجه متطلبات نموها حسب ما يذكر التقرير المشار إليه ..

---

(١) مقدمة نظم المختصر خليل ، تأليف : محمد سالم ابن عبد الودود ، مخطوط شخصي ص ١-٥ .

(٢) نفسه .

(٣) التقرير السنوي عن نشاط مدرسة العون ، تاريخ ١١/٣/ ١٤١٢ هـ .

ومن المدارس التي تحتاج الدعم وتستحقه : (مدارس ابن عامر) هذه المدارس تحمل اسم الأمير المرابطي اللمتوني أبو بكر بن عمر الذي تقدمت ترجمته في أول الكلام على العقائد في موريتانيا • ولهذا الاسم دلالة خاصة في المحيط الموريتاني حيث إن هذا الأمير استشهد مجاهدا في سبيل الله تعالى وكان أمير المرابطين السلفين •

ومدير هذه المدارس الشيخ محمد الأمين بن الشيخ داعية مشهور في البلاد الافريقية بصفة عامة وفي موريتانيا بصفة خاصة ، وله مشاركات في المؤتمرات الإسلامية وإصدارات في الدعوة إلى الله تعالى والتعليم وغير ذلك (١) ونظراً لكثرة فروع هذه المدارس وإقبال الطلبة عليها نظرا لنظامها الدراسي المسائي فإنها تحتاج بالإضافة إلى المناهج والأساتذة الدعم المادي حتى تتمكن من إنشاء مقر دائم لها بدلا من الاستئجار السنوي •

وهناك مدارس أخرى أعلنت عن منهجها في العقيدة السلفية وأنها تقتصر على تدريس ديباجة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢)

وهناك أساتذة ودعاة سلفيون يقومون بجهود فردية تحتاج إلى دعم وتنظيم حتى لا تكون الجهود مكررة أو مشتة •

ومن ذلك ما حصلت عليه من لقاءات أجراها أحد الأساتذة (٣) في أنواكشوط مع بعض الأساتذة وشيوخ المحاضر والدعاة استطلاعا لنشاطهم في مجال الدعوة إلى الله ونشر العلوم الشرعية •

فنختار الاقتباس من اثنتين منها :

أولاً : حوار مع الناجي بن عبدي إمام جامع وشيخ محظرة في أنواكشوط •

---

(١) انظر له : الكتاب الأول من وحي الاسلام : الايمان والإسلام • والكتاب الرابع : التعليم والدعوة ط الرياض •

(٢) انظر : الشعاع ، مجلة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية • العدد (٣) ص ٦ والمحاضر الموريتانية وأثارها التربوية مرجع سابق ص ٧٩ وما بعدها • وبلاد شنقيط ص ١٣٦ وما بعدها •

(٣) هو عبد الله بن السالك أستاذ بثانوية الميناء بانواكشوط وخريج كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٥ •

فبعد أن يتحدث المحاور عن إجازاته في القرآن وحيازته على الشهادة العالمية في الفقه والأصول يتحدث عن نشاطه في الدعوة والتعليم فيقول :

(أسير في هذا المجال على خطين الأول : تعليم الناس العقيدة والفقه والقرآن إلى جانب التعليم المحظري الأهلي : (مدرسة قرآنية كبيرة يبلغ عدد تلامذتها سبعين طفلا أربعين من الأولاد وثلاثين من البنات تزيد حتى تصل إلى المائة وتصل إلى هذا الحد ، ولا تقل عنه في الغالب ٠

الخط الآخر في مجال الدعوة هو محاضرات وخطب في المساجد وغيرها من الأماكن إلى جانب دروس لمجموعة من النساء مخصصة في العقيدة والفقه مع ملاحظة أن هذه العقيدة هي العقيدة السلفية الصحيحة) (١)

قلت : لم يذكر كتاباً معينا يعتمد عليه في العقيدة السلفية الصحيحة التي لاحظ أنه يدرسها ولكن يمكن أن يستأنس على سلفية عقيدته بأمرين :

أولاً : أنه من مسومة وهي كما يقول المختار بن حامد : (مسومة إحدى قبائل لمتونة المشهورة بالصلاح والعلم والولاية لا تكاد تجد فردا منها لا يحفظ القرآن العظيم حتى إن أمرأة منهم قالت : (اللهم أهلك كل مسومي لا يحفظ القرآن) (٢) ٠

ووجه الاستئناس بهذا أن أصولهم من المرابطين السلفين حسب نص ابن حامد هنا ، وأن شهرتهم بالقرآن دالة على ذلك ٠

ثانياً : أنه ذكر في أول الحوار أنه مجاز في القرآن الكريم من الشيخ محمد المصطفى بن سيدي يحيى وهذ الشيخ مشهور عنه أنه ما صحبه أحد إلا حفظ القرآن الكريم واستفاد من العلوم الأخرى مع استقامة في الدين وعلمي أن معظم الإجازات القرآنية في منطقته صادرة عنه وعرف به ابن حامد في موسوعته تعريفا مقتضا لكن له دلالة وهو :

(أهل عيسى بوبه : منهم شيخ الشريعة والحقيقة محمد المصطفى بن سيدي يحيى الذي ازدهى الزمان به وبأنواره وأسراره أخذ عن الشيخ التراد وأخذ عنه ابنه وارثه علما ودينا السالك) ٠ (٣) هو محمد احيد السالم ولا نعرف له من اسمه السالك .

---

(١) أجريت المقابلة في انواكشوط بتاريخ ١٥/ ١١ / ١٩٩١ م وعندي منها صورة على الآلة الكاتبة

(٢) موسوعة ابن حامد ، مرجع سابق جـ ٥ الفصل الثاني ٠ جزء مسومة ص ١ ٠

(٣) نفسه ص ٧ ٠

قلت : لعله ممن صحب الشيخ التراد في آخر حياته بعد أن ترك كثيرا مما كان عليه أهل التصوف حسب ما ذكرناه عنه في المباحث الماضية عن الصحوة السلفية في الطريقة القادرية ويمكن أن يؤيد هذا أن أحد أبناء هذ الشيخ وهو الشيخ محمد بن محمد المصطفى بن سيدي يحيى من أبرز دعاة الإصلاح واعتماد الكتاب والسنة والبعد عن الخرافات والبدع ، سمعت ذلك منه أثناء رحلتي العلمية في عدد من المساجد في انواكشوط وبحوزتي أشرطة فيها دعوة صادقة إلى الرجوع إلى منابع الوحي الصافية الكتاب والسنة . وهو رئيس حزب الأمة والذي أكد لي سلفيته ما كتبه أمين الدائرة الإعلامية في حزب الأمة محمد ولد المختار حيث يقول عن نفسه (... وبدأت المشاورة مع إخواني السلفين حول إنشاء حزب الأمة ... إلى أن قال : فلم يعد أمام السلفية إلا منازلة الاستبداد جليا كان أو خفيا جزئيا أو كليا إلى أن تدول دولته بعون من الله ولطفه والحرب سجال ، والأيام دول ، ولن يزيد السلفية القمع والتنكيل إلا قوة وتمحيصا إن شاء الله تعالى) (١) .

الاقتباس الثاني : من حوار مع الأستاذ بمعهد العلوم الإسلامية والعربية بموريتانيا . التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وهو الأستاذ : أحمد بن الطالب يقول المحاور واصفا تعليمه الأهلي : (وتعلمت في المدرسة الأهلية حيث حفظت القرآن مبكراً وحصلت على سند (إجازة) في قراءة الإمام نافع ثم مبادئي الفقه المالكي والنحو والصرف والعقيدة السلفية (ابن أبي زيد القيرواني) وأكثر ما تتلمذت عليه الشيخ بداه بن البصيري العلامة المجاهد قامع البدع بموريتانيا ، وهو من الأشخاص القلائل الذين يتمسكون بالمذهب السلفي في العقيدة .)

ويضيف : (ثم توجهت بعد ذلك إلى المشرق حيث التحقت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، حيث تخرجت فيها من كلية الحديث الشريف)

وعن نشاطه الحالي في أنواكشوط يقول : (أكبر نشاط هو العمل التدريسي الذي أمارسه في المعهد ، وأشرف من خلاله على توجيه مجموعة كبيرة من أبنـــاء

---

(١) صحيفة الزمان الاسبوعية المستقلة ، العدد ١٩ . تاريخ ٢٩ دجنمبر ١٩٩١ م ص ١٠ .

المسلمين ، وهذا في نظري أهم بكثير من أي نشاط آخر يضاف إليه توزيع الكتب الإسلامية الدعوية إلى جانب بعض الدروس والمحاضرات وخطب الجمع داخل العاصمة وخارجها مما كان لـه الأثر والركيزة في هداية بعض الشباب التائهين بعون الله وتوفيقه) (١) ٠

تلك هي أعظم منطلقات الصحوة السلفية في الطريقة القادرية وأبرز مظاهرها في العقيدة والسلوك ، وأقرب السبل لتدعيمها ٠

وإنني في الختام وفي سبيل تدعيم هذه الصحوة أقترح وأدعو إلى ما دعا إليه كل من الأستاذ : حمداً بن التاه ٠ والأستاذ : شبيهنا حمداتي ماء العينيين ٠

من أنه يتعين على شيوخ الطرق الصوفية الاستفادة من مكاسبهم في مجال خدمة الإسلام ، وأن يستخدموا نفوذهم الروحي وإمكانياتهم المادية من أجل تنقيتها . أي المكاسب . والعمل بموجبها وذلك له وسائل علمية :

منها : (فتح مدارس يشرف عليها علماء مقتدرون من علماء الشريعة ، ويلزمون طلبتهم بتعلم العلوم الشرعية والتخلق بآدابها ٠٠٠ وإصدار توصية رسمية للطلبة تلزمهم بالتقيد بأحكام الشريعة وعقيدتها وآدابها ومعاقبة من يخالف ذلك بالطرد ٠٠٠) (٢)

ومنها : (محاولة عقد لقاء في أيام دراسية (وخارجها) بين أصحاب الطرق الصوفية السنية مع دعاة الفكر السلفي ، لإزالة ماهو محدث ، والبقاء على ما هو مقرر بالكتاب والسنة بدون تعصب ، ولامداهنة أو مهادنه في أحكام الله ، ومن ثم فإن ما وافق طريقة السلف الصالح فهو لنا جميعا ، وما خالفها فعلينا حربه جميعا) (٣)

ومنها : أن على العلماء والدعاة إلى اللـه تعالى الجد في معالجة إصلاح مجتمعاتهم

---

(١) أجريت المقابلة بتاريخ ١٥ / ٥ / ١٤١٢ هـ ص ١ ٠

(٢) مجلة الشعاع رجب ١٤٠٤ هـ العدد ٣ ص ٦٨ ٠

(٣) ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي ، مصدر سابق ، الفكر السلفي عند الشيخ ماء العينيين وأثره في مواجهة الاستعمار ، د ٠ شبيهنا حمداتي ماء العينيين ص ٢٠٥ ٠

عقيدة وسلوكا وذلك بالبيان الواضح والجرأة في الحق مع الرفق واللين ، والبعد عن الأغراض الشخصية والتعصب والأنانية .

ومنها : تحديد نقاط الاتفاق حتى تضيق الشقة فيطلب الحق في نقاط الاختلاف بدون خلط وإضاعة وقت .

ومنها : البعد عن التجريح بدون دليل ، والكف عن الأذى بجميع صوره وأشكاله لأن المعالج يكفيه تشخيص الداء لمعالجته وليس من مصلحته الاستمرار في إثارته وتهييجه .

ومنها : المرونة في قبول الحق من المخالف لأنه ما من قوم إلا وعندهم مع الباطل حق كثير وإنما يغطي الباطل على الحق لشهوة أو شبهة ، فإذا قبل من صاحب الحق ما معه من الحق أطمأن باله واستعد لقبول بديل عن شهوته أو انقطع بالدليل والبرهان عن شبهته .

ومنها : الاقلاع عن التعميم في الأحكام لما في ذلك من عدم التحري والإنصاف .

ومنها : أن على أهل السلطة والجاه والبسطة في العلم والمال أن يجتمعوا على تنقية المجتمعات الإسلامية من مظاهر الانحراف في العقائد والسلوك وأن يشتركوا بما وهبهم الله في إصلاح ذات البين وإحقاق الحق وزهق الباطل .

وهذا جهد من مقل فقير إلى الله تعالى يشارك به في محاولات تشخيص الأدواء وصرف الدواء . والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وسلم .

الخاتمة

الخاتمة

نسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين أحسنها

إنه باستقراء هذا البحث يتبين للمرء المسلم الناقد أنه جاء بعرض ونقد أمهات من المسائل التاريخية والعقدية والعلمية والسلوكية وأثبت من ذلك سلبا أو إيجابا ما نصره الدليل وظاهره الواقع ٠

وهذه أبرز إيجابيات وسلبيات تلك الأمهات مرتبة حسب أهميتها ٠

العقيدة :

١) تبين أن الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله كان على عقيدة السلف إلا أنه تأثر في مؤلفاته بعلوم عصره في أساليب الدفاع عن العقيدة السلفية وجره ذلك إلى الدخول في تفاصيل من النفي والاثبات واستعمال توضيحات وعبارات لم يكن السلف الصالح يتركون البحث في جانب الوحي والمغيبات يصل إليها ثقه في حجية النص وإدراكا للعجز عن بيان بعده ٠ والقادرية بعده وخصوصا في موريتانيا كغيرهم عالمهم كالعلماء من غيرهم ، منهم السلفي ومنهم المؤل ، وجاهلهم كغيره على الفطرة والإيمان المجمل بالكتاب والسنة وكل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن بعضهم فسدت فطرهم بسبب ما أدخله الشيوخ عليهم من :

٢) زيادات اختصت بها الصوفية من عقيدة التأويل الباطني والحقيقة والشريعة إلى غير ذلك من عقيدة صرف النصوص عن ظاهرها إلى أمور لا دلالة فيها عليها وقد تبين بالبحث أن هذا من عقائد الزنادقة . والعياذ بالله ٠ كما تبين أن القادرية لا تؤمن بعقيدة الحلول والاتحاد وإن كان عندهم من الكلام الموهم ما يجب تجنبه ٠

٣) وعقيدة الغلو في الاشخاص بدعوى الولاية والحب في الله والبغض فيه تكاد تكون عقيدة غالبة على جميع الصوفية فجرت القادرية إلى الاعتقاد بأن بعض الناس يعلم الغيب ويتصرف في الكون إلى غير ذلك مما تبين أنه يتراوح معتقده وفاعله بين كفر اعتقادي أو عملي ٠ ويبقى حب الأولياء وطاعتهم في المعروف من أعظم

دلائل الإيمان دون المعتقدات الفاسده ٠

٤) أما عقيدة القادرية في القضاء والقدر فتكاد تكون موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة لولا مبالغات قد تصل ببعضهم الى الجبر ٠

٥) وإذا سلمت عقائدهم في الملائكة والنبوات من كثرة الدعاوي الموهمة بإدعاء فتح باب الوحي والنبوة فلا يأس بها في مجملها إلا أنهم يقولون (قيل لي) (وهذا المعراج الروحي) ٠ إلى غير ذلك من العبارات التي تقدم نقد ما فيها من ضرر ٠

٦) يمجدون العقل ويمتد حونه ويرون فيه الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ومع ذلك يأمرون المريد بالتسليم والتقليد الأعمى ٠

٧) ولهم مشاركات في العلم ونشره والدعوة إليه والتأليف فيه ، ولكن يشوبون ذلك بكثرة الدعاوى وذم المعترضين عليهم من العلماء وتنفير المريدين من الأخذ عنهم أو قبول حججهم لأنهم من علماء الظاهر المحجوبين ، وأنهم هم من علماء الباطن وأهل العلم اللدني ، ويصدقون مع ذلك بالخرافات والأوهام والمنامات والمواجيد والذوقيات ولو خالفت النصوص ويستعملون الطلسمات وغيرها مما يسمونه علوم السر ، ويستدلون بالضعيف والموضوع من الأحاديث إلى غير ذلك مما أوضحناه في البحث من الاغلاط العلمية التي أدت في بعض الأوقات إلى إثارة جدل بين العلماء فأثرت الساحة العلمية والأدبية ٠

٨) وهم في الجهاد كغيرهم من أهل زمانهم فمنهم من جاهد ومنهم من قعد وتذرع بما لا حجة فيه ، ومنهم من عكف على أوراده ونوافله معتقداً أن ذلك هو الجهاد الأكبر ، إلا أن لهم حظاً كبيراً من الدعوة الإسلامية بطرقهم الخاصة وأساليبهم في كسب الاتباع ومع ما يؤخذ على وسائلهم في ذلك فإنها أفادت في إدخال كثير من الوثنين في الإسلام وتاب بسببها كثير من الفساق والمتلصصين وأشغلت أوقاتهم بذكر الله والعبادة وطلب العلم في بعض الحالات ٠

السلوكيات والعبادات :

١) إنه مع أهمية القدوة والصحبة للمتعلم والمتربي فإن القادرية يبالغون فيها حتى يسدون أبواب الخير في وجه من لم تكن عنده بيعة لشيخ يطيعه الطاعة المطلقة أو العمياء أحيانا .

٢) ولبعضهم عبادات مبتدعة أصلا وبدع في عبادات مشروعة بأصلها بالتحديد في الأعداد والأوقات والهيئات وهذا مانتج عنه :

٣) الانحراف الخلقي لدى بعضهم واتباعهم لشهواتهم وأهوائهم ومنافرتهم من ينكر عليهم أو يوجههم من أهل العلم حتى يصل ببعضهم :

٤) إلى رؤية الفضل على الغير والتدابر والتفرقة بين الأسرة الواحدة والخلاف والنزاع بين القبائل إلى غير ذلك من أمراض القلوب التي يدعون معالجتها .

أغلاط تاريخية : تتمثل في الأنساب أحيانا وفي ادعاء اتصال أسانيد أحيانا لا يمكن تاريخيا أن تتصل كالسلاسل القادرية بصفة عامة .

٥) وكما ظهر في فصل الختام فإنه قد رجع شيوخ كبار عن النمط الصوفي الذي ثبت لديهم انحرافه وطلب بعضهم الخلاص لنفسه وسعى في إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وإن كانت مواقفهم في ذلك متفاوته حسب تفاوتهم في العلم والجرأة وحب العاجلة . والمطلوب من الموجودين الإنابة إلى الله تعالى ومواصلة جهود أولئك الشيوخ في الإصلاح والتصحيح .

والله أعلم

المراجع

والملحقات

المراجع والملحقات

كلمة :

وصلت مراجع هذا البحث إلى ثلاثمائة مرجع منها أربعون من المخطوطات التي تعتبر مصادر البحث الاساسية ، ومع أنه جرى توثيق كل مصدر أو مرجع عند أول ذكره فإنه مما جرت به العادة أن تثبت أهم المصادر العلمية التي أمدت البحث بمواده الأساسية أو ساهمت في بنائه مساهمة ظاهرة أن تثبت في خاتمة البحث لما في ذلك من الاعتراف العلمي والفائدة الواضحة للباحثين لذا نبرز هنا أهم المصادر المخطوطة والمطبوعة تاركين المراجع الثانوية أو الهامشية على ماجرى من توثيق لها في ثنايا الرسالة ٠

المخطوطات :

١ . الأدلة الشافية الكافية في إبطال حجج مدع المعية الذاتية ، تأليف : الشيخ أحمد أبو المعالي ٠ مخطوط بدار الثقافة بانواكشوط تحت رقم : (١٨٠٩) ٠

٢ . برهان أهل الجهر بالذكر ، نظم : الشيخ عبد الله بن داداه ، مخطوط خاص ٠

٣ . بهجة الناظر في فضائل الشيخ عبد القادر أو البهجة الصغرى في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني تأليف : عبد العزيز الديريني . يراجع ما ذكر عن هذا المؤلف في ترجمة الشيخ عبد القادر . الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٨٩٩) ٠

٤ . تاريخ الإسلام ، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، (مكروفيلم تحت رقم (٢٩١٧) جـ ١٣ ٠

٥ . تاريخ إدوعيش ومشظوف ، تأليف : الشيخ سيديا بابه ، مخطوط خاص ٠

٦ . التخليص والنجاة ، تأليف : الشيخ التراد ، مخطوط خاص ٠

٧ . تنبيه المريدين على ما نحن عليه من أمور الدين ، تأليف : الشيخ التراد بن العباس مخطوط خاص ٠

٨ . الجرعة الصافية والنفحة الكافية ، تأليف : الشيخ سيدي المختار الكنتي ، مخطوط بزاويته في أنواكشوط .

٩ . جذوة الأنوار في الذب عن مناصب الأولياء الأخيار ، تأليف الشيخ سيدي المختار الكنتي ، مخطوط خاص . وتوجد منه نسخة من مكتبة الكتاني بخزانة القروين بفاس تحت رقم : (٨٩٥) .

١٠ . جواز الانتقال من طريقة إلى طريقة أخرى ، تأليف الشيخ التراد . جوابا لسؤال . محمد فال بن محمد محمود ، مخطوط خاص .

١١ . الدر النصير في علم الكلام وحقيقة التوحيد ، تأليف : محمد بن البوصيري الملقب (بداه) مخطوط خاص .

١٢ . دقائق الحقائق في حقائق الدقائق ، تأليف : الشيخ التراد ، مخطوط خاص .

١٣ . ديوان شعر الشيخ محمد المامي ، زاوية علم الشيخ بانواكشوط .

١٤ . ديوان الشيخ سيديا بابه مخطوط خاص جمع وترتيب : عبد الله بن باباه .

١٥ . الرد على الحسن القطفي ، تأليف : محمد يحي الولاتي ، مخطوط خاص .

١٦ . رد الشيخ المحفوظ بن بيه على القائلين بمعية الذات ، مخطوط خاص .

١٧ . رد سيدي بن حين على أسئلة محمد عبد الله بن آده ، مخطوط خاص .

١٨ . رسالة الشيخ سيدي أحمد البكاي إلى أهل مراكش ، الخزانة العامة بالرباط (د ١٠٧١) .

١٩ . الصوارم الهندية في حسم دعاوى المهدية ، تأليف : الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي مخطوط خاص .

٢٠ . الضياء المستبين في كرامات الشيخ محمد فاضل بن مامين ، تأليف : الشيخ محمد فاضل ابن الحبيب ، مخطوط خاص .

٢١ . الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد ، تأليف : الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي ، مخطوط خاص ، ومنه نسخ بزاوية الشيخ بانواكشوط ودار الثقافة تحت رقم (٣٥١) .

٢٢ . غبطة الناظر في ترجمة مولاي الشيخ عبد القادر ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (د / ١٦١٧) .

٢٤ . الغلاوية ، تأليف : الشيخ سيدي محمد الكنتي مخطوط خاص .

٢٥ . كشف الاستار عن نسب آل اجيه المختار ، تأليف : الشيخ التراد .

٢٦ . كشف اللبس عن المسائل الخمس ، تأليف : الشيخ سعد أبيه ، مخطوط خاص .

٢٧ . المدرسة الكنتية القادرية بأزواد وغرب إفريقيا ، تأليف : محمد المديوني مخطوط بزاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي بانواكشوط .

٢٨ . مطية المجد ، نظم : الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين ، مخطوط بدار الثقافة بانواكشوط تحت رقم (٢٠٨٦) .

٢٩ . المنة في اعتقاد وطريقة أهل السنة ، تأليف : الشيخ سيدي المختار الكنتي مخطوط خاص .

٣٠ . نصيحة أولاد الزوايا والطلبة عن الدخول في طريق زنادقة المتصوفة الجهلة الكذبة ، تأليف : الشيخ محمد يحي الولاتي . مخطوط خاص .

٣١ . نظم الشيخ سيدي بابه للعقيدة في الاسماء والصفات مع شرحها مخطوط خاص .

٣٢ . نظم الشيخ محمد سالم بن عدود لمختصر خليل . مقدمة النظم . مخطوط خاص .

٣٣ . هداية الطلاب ، تأليف : الشيخ سيدي المختار الكنتي . المقدمة ، مخطوط خاص .

٣٤ . وسيلة السعادة ، نظم للشيخ المختار بن بون ، مخطوط خاص .

المطبوعات :

٣٥ . الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى ، بحث تاريخي مذهبي تأليف صالح باجية ط ١ تونس (بدون) .

٣٦ . الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود الناشر دار الانصار ط ١ سنة ١٣٩٧ هـ .

٣٧ . إبراهيم أنيس وآراؤه ، تأليف : محمد الطاهري ميغرى الفلاني البرناوي ط دار العربية بيروت ط ١ سنة ١٤٠١ هـ .

٣٨ . الإبداع في مضار الابتداع تأليف الشيخ علي محفوظ ، نشر دار الباز .

٣٩ . ابن الجوزي وتربية العقل . تأليف : عبد الرحمن صالح عبد الله ط ١ مكة المكرمة سنة ١٤٠٦ هـ .

٤٠ . أبو حامد الغزالي والتصوف . تأليف عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية ط ١ الرياض .

٤١ . التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشر تأليف : محمد بن الطيب القادري تحقيق هاشم علوي . منشورات دار الاوقاف الجديدة بيروت . (بدون) .

٤٢ . الأثــر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين ، تأليف : السيد محمد أبو العزم داوود . الناشر المكتبة الفيصلية ، ط سنة ١٤١٢ هـ .

٤٣ . أحمد زروق والزروقية تأليف الدكتورعلي فهمي حشيم ، الناشر : دار مكتبة الفكر ، طرابلس . ليبيا ط ١ سنة ١٣٩٥ هـ ٠

٤٤ . إحياء علوم الدين ، تأليف : محمد بن محمد بن محمد الغزالي دار العلم بيروت ط ٣ ٠

٤٥ . إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي ، الناشر: مطبعة السعادة ط ١ سنة ١٣٢٦ هـ ٠

٤٦ . الأدب المفرد للإمام البخاري ، تحقيق وتقديم كمال يوسف الحوت ، نشر عالم الكتب ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ ٠

٤٧ . أدب الإملاء والأستملاء تأليف : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، الناشر: دار الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤٠١ هـ ٠

٤٨ . إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الناشر : دار المعرفة بيروت ٠

٤٩ . أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، نشر: صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات ٠

٥٠ . استحالة المعية بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات ، تأليف : الشيخ محمد الخضر بن مايا يأبي ٠ نشر: المحمودية بالقاهرة ط ١ ٠

٥١ . الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء ، تأليف : فيليب فونداس الفرنسي تعريب : محي الدين القليبي ، دار الفكر الإسلامي ط ١٩٧٠ م ٠

٥٢ . الاستقامة لابن تيمية تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ، نشر: مؤسسة قرطبة ط ٢ سنة ١٤٠٢ هـ ٠

٥٣ . الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ، لأحمد بن خالد الناصر السلاوي ط المغرب .

٥٤ . الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ، طبع على هامش الإصابة في تميز الصحابة الناشر دار الشعب (بدون) .

٥٥ . الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، تأليف : حسن أحمد محمود ، نشر : دار الفكر العربي ط ٣ .

٥٦ . الإشارة في تدبير الإمارة تأليف : أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي القروي تحقيق : على سامي النشار ، ط ١ الدار البيضاء سنة ١٩٧٥ م .

٥٧ . إضاءة الدجنة للمقري مع شرحها للداه محمد بن أحمد الشنقيطي ، الناشر : مطبعة الفجالة الحديدة بالقاهرة (بدون) .

٥٨ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف : الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الناشر : عالم الكتب بيروت .

٥٩ . اعتقاد فرق المسلمين والمشركين تأليف : الإمام الرازي ط الكليات الأزهرية .

٦٠ . الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام تأليف : عباس بن إبراهيم ط ١ الرباط .

٦١ . الأعلام ، تأليف : خير الدين الزركلي . الناشر : دار العلم للملايين ط ٢ سنة ١٩٨٩ م .

٦٢ . اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية نشر دار الفكر .

٦٣ . الاكتساب في الرزق المستطاب ، تأليف : محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة تحقيق : محمد عرنوس نشر : دار الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ .

٦٤ . إكمال إكمال المعلم ، تأليف : محمد بن خلفة الوشتاني الأبي ، نشر : دار الكتب العلمية بيروت .

٦٥ . أنتشار الإسلام ، وأشهر مساجد المسلمين في العالم ، تأليف : محمد كمال حسن ط ١ سنة ١٩٧٦ ط ١ (بدون) .

٦٦ . البرهان في أصول الفقه تأليف : إمام الحرمين محمد بن عبد الملك الجويني تحقيق : الدكتور عبد المنعم الديب ، توزيع دار الانصار بالقاهرة ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ .

٦٧ . بغية المستفيد لشرح منية المريد : تأليف سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمرى التجاني ط دار الجيل بيروت (بدون) .

٦٨ . البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي ، تأليف : أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسيني ط السعادة سنة ١٣٨٩ هـ .

٦٩ . البداية والنهاية لابن كثير الناشر : دار الفكر العربي (بدون) .

٧٠ . البدعة تحديدهاوموقف الإسلام منها ، تأليف : الدكتور عزت علي عيد عطية ، الناشر : دار الكتب الحديثة (بدون) .

٧١ . بذل الوسع في تفسير الآيات التسع ، تأليف : الشيخ سيدي المختار الكنتي ط ١ دمشق .

٧٢ . بلاد شنقيط المنارة والرباط ، تأليف : الخليل النحوي ، ط تونس سنة ١٩٨٧ م .

٧٣ . بهجة المجالس وأنس المجالس : تأليف الحافظ بن عبد البر ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، الناشر : دار الكتب العلمية القاهرة ط سنة ١٩٨١ م .

٧٤ . بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها . شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد عبد الله بن أبي جمره ، الناشر : دار الجيل ط ٣ سنة ١٩٨٤ م .

٧٥ . البوصيري المادح الأعظم للرسول صلى الله عليه وسلم ، تأليف : عبد العال الحماطي ، نشر: دار المعارف كتابك ، عدد ٣٤ .

٧٦ . البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب تأليف : ابن عذاري المراكشي ، تحقيق ، ومراجعة الدكتور إحسان عباس ، الناشر : دار الثقافة ط ٣ سنة ١٩٨٣م .

٧٧ . البيان والتبين ، تأليف : الجاحظ : عمرو بن بحر ، الناشر : دار الفكر للجميع ط سنة ١٩٦٨ م .

٧٨ . تأويل مختلف الحديث ، تأليف : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ .

٧٩ . تاج العروس تأليف مرتضى الزبيدي ، الناشر : مكتبة الحياة .

٨٠ . تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ومدرسته العلمية تأليف : الشيخ هاشم الأعظمي ط ١ بغداد سنة ١٣٩١ هـ .

٨١ . تاريخ العراق الأخير تأليف بدرى محمد فهد (بدون) .

٨٢ . التبرك المشروع والتبرك الممنوع ، تأليف : علي بن نفيع العلياني ، نشر: دار الوطن الرياض ط ١ سنة ١٤١١ هـ .

٨٣ . التجانيــة ، تأليف : على بن محمد الدخيل الله ط الرياض دار طيبة سنة ١٤٠١ هـ .

٨٤ . تحفة الالباب بشرح الانساب نظم عمود النسب ، لأحمد البدوي ط قطر سنة ١٤٠٥ هـ .

٨٥ . التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، تأليف : فالح بن مهدي آل مهدي نشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط ٢ سنة ١٤٠٦ هـ .

٨٦ . تخريج الأربعين السلمية في التصوف للسخاوي تحقيق : علي حسن علي عبد الحميد الناشر : المكتب الإسلامي ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ .

٨٧ . التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، تأليف : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي نشر : دار الكتب العلمية ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ .

٨٨ . ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك . تأليف : القاضي عياض اليحصبي ، تحقيق : عبد القادر الصحراوي وغيره ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ .

٨٩ . التشوف إلى رجال التصوف ، وأخبار أبي العباس السبتي ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي عرف بابن الزيات ، تحقيق : أحمد التوفيق ط ١ بالمغرب سنة ١٤٠٤ هـ .

٩٠ . التصوف المنشأ والمصدر ، تأليف : إحسان إلهي ظهير ، نشر: ترجمان السنة ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ .

٩١ . التصوف في تراث ابن تيمية ، تأليف : الطبلاوي محمود سعد . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ط سنة ١٩٨٤ .

٩٢ . التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف : أبو بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي ط القاهرة ١٩٦٠ .

٩٣ . تلبيس إبليس ، تأليف : عبد الرحمن بن الجوزي ، أبي الفرج البغدادي ، تحقيق : السيد الجميلي ، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ .

٩٤ . تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب . لابن الفوطي ، تحقيق : مصطفى

جواد نشر : وزارة الثقافة والإرشاد ، وإحياء التراث القديم .

٩٥ . التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع ، تأليف : محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي . قدم له وعلق عليه محمد زاهد بن الحسن الكوثري ط بغداد .

٩٦ . تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظواهر ، تأليف : الشيخ بداه بن البوصيري على الآله الكاتبة .

٩٧ . التوسل أنواعه وأحكامه ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر: المكتب الإسلامي ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ .

٩٨ . ثبوت النسب دراسة مقارنة ، تأليف : ياسين بن ناصر بن محمود الخطيب ، الناشر : دار البيان العربي جده ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ .

٩٩ . الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لمحمد بن أحمد الأنصاري ، القرطبي ، نشر : دار إحياء التراث العربي .

١٠٠. جامع بيان العلم وفضله تأليف ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي ، الناشر : دار الكتب العلمية .

١٠١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، وأحمد شاكر نشر : دار المعارف ط ٢ .

١٠٢. جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي ، دار الكتب العلمية .

١٠٣. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، تأليف : محمد بن محمد ابن سليمان ط ١ سنة ١٣٤٥ هـ .

١٠٤. جمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، الناشر : دار المعارف بمصر سنة ١٣٩١ هـ .

١٠٥- جنـة المريدون المريد ، تأليف : الشيخ : سيدي محمد الكنتي على الآلة الكاتبة .

١٠٦. جواهـر المعاني . لعلي حرازم ، الناشر : دار الكتاب العربي بيروت ط ٢ سنة ١٣٩٣ هـ .

١٠٧. كتاب الحسين عليه السلام تأليف علي جلال الحسيني ، الناشر: المطبعة السلفية بالقاهرة .

١٠٨- حاضر العالم الإسلامي تأليف : لوثروب استوارد الأمريكي نقله إلى العربية عجاج نويهض مع تعليق الأمير شكيب ارسلان ، الناشر : دار الفكر ط٤ .

١٠٩. الحاوي للفتاوي تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الناشر : دار الكتب العلمية ط سنة ١٠٤٣ هـ .

١١٠. حلية الأولياء الأصفياء للحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، الناشر: دار الفكر .

١١١. حياة الداعية إلى الله في موريتانيا: الشيخ عبد الله بن داداه بحث أعده عبد الله سراج في المعهد العالي لاعداد الائمة والدعاة في مكة المكرمة عام ١٤٠٨ هـ .

١١٢. حياة الشيخ سيدي بابه بقلم محمد بن أبي مدينه على الآلة الكاتبة .

١١٣. حياة الشيخ سعد أبيه ، إعداد محمد يصلح بن الأمانه .

١١٤- دائرة معارف المعلم بطرس البستاني ، الناشر : دار المعرفة لبنان .

١١٥. دائرة المعارف الإسلامية ط العربية .

١١٦. دراســة شخصية الشيخ المصطفى بن الشيخ القاضي ، إعـداد محمد مصطفى بن أحمد ومبارك ، المعهد العالي للدراسات والبحوث ، انواكشوط سنة ١٤٠٥ هـ .

١١٧. كتاب الدعاء للإمام الطبراني ، تحقيق الدكتور محمد سعيد بن محمد حسن البخاري الناشر : دار البشائر الإسلامية بيروت ط سنة ١٤٠٧ هـ .

١١٨. الدعوة إلى الإسلام ، تأليف : السير توماس وارنولد ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وغيره مكتبة النهضة المصرية ط سنة ١٩٧٠ م .

١١٩. الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني . لحسن عيسى عبد الظاهر ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٠١ هـ .

١٢٠. دليل خارطة بغداد المفصل ، تأليف مصطفى جواد وأحمد شوشة ، نشر : المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٥ هـ .

١٢١. دولة السلاجقة ، تأليف عبد المنعم محمد حسنين ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ط عام ١٩٧٥ م .

١٢٢. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ، تحقيق : محمد الاحمدي أبو النور ، الناشر : دار التراث (بدون) .

١٢٣. كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ، الناشر: دار المعرفة .

١٢٤- ذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي : نشر : دائرة المعارف العثمانية الدكن الهند ط ١ سنة ١٣٩٨ هـ .

١٢٥. ذيل الروضتين في تراجم رجال القرنين السادس والسابع تأليف : شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي .

١٢٦. رحلة بن بطوطة ، المسماة : تحفة النظار في غرائب الأمصار . شرحه وكتب هوامشه طلال حرب ، الناشر : دار الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ .

١٢٧. رحلة الحج إلى بيت الله الحرام بقلم العلامة الشيخ : محمد الأمين الشنقيطي الناشر: دار الشروق جدة ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ .

١٢٨. كتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية ، الرياض ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ .

١٢٩. الرد على المنطقين لابن تيمية نشر: إدارة ترجمان السنة ط ٣ سنة ١٣٩٨ هـ .

١٣٠- رسائل بن عزوز المكي ، تحقيق على الرضا التونسي ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ .

١٣١. الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ، تأليف : محمد بن على الشوكاني نشر : دار الكتب العلمية سنة ١٣٤٨ هـ .

١٣٢. رسالة الشرك ومظاهره ، تأليف : سبارك بن محمد الميلي ، نشر الجامعة الإسلامية ط ٢ سنة ١٤٠٨ هـ .

١٣٣. رسالة العبودية لابن تيمية نشر : مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٢ هـ .

١٣٤- الرسالة الفقهية للشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني . تحقيق الهادي حمد وزميله . الناشر : دار الغرب الإسلامي ط ١ سنة ١٤٠٦ هـ .

١٣٥. الرسالة القشيرية : تأليف : أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشري ، تحقيق : عبد الحليم محمود وزميله ، الناشر : مطبعة حسان .

١٣٦. رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم بهامش جواهر المعاني المتقدم .

١٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : محمود الألوسي البغدادي ، نشر : إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٣٨. الروح لابن القيم ، نشر : دار العلوم الحديثة .

١٣٩- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، تأليف ميرزا محمد بن باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني . الناشر : مكتبة اسماعيليان طهران وقم ط سنة ١٣٩٢ هـ .

١٤٠- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام تأليف : أبي القاسم ابن عبد الله الخثعمي السهيلي ، تحقيق طه عبد الرؤف سعد ، نشر: دار الفكر .

١٤١. الزهر النضر في نبإ الخضر للحافظ بن حجر ، ضمن مجموعة الرسائل المبيرية .

١٤٢. السلسبيل المعين في الطرائق الاربعين ، تأليف : محمد بن علي السنوسي الخطابي ط سنة ١٣٨٨ هـ .

١٤٣. سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء على الأمة ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر : المكتب الإسلامي ط ٥ سنة ١٤٠٥ هـ .

١٤٤. سلسلة عقائد السلف ، كتاب النزول وكتاب الصفات كلاهما للحافظ ابن الحسن علي بن عمر الدار قطني ، تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ .

١٤٥. سنن أبي داوود ، تأليف : سليمان بن الاشعث السجستاني ، إعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد ط ١ دار الحديث بيروت سنة ١٣٩٣ هـ .

١٤٦. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ، تأليف : محمد عبد السلام خضر الشقيري .

١٤٧. سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني ، نشر: دار الفكر .

١٤٨- سير أعلام النبلاء ، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : مصطفى جواد الناشر : مؤسسة الرسالة ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ .

١٤٩. شجرة النور الزكية : تأليف محمد بن محمد مخلوف ، الناشر : دار الفكر ط ١

١٥٠ .شخصية الشيخ أحمد أبو المعالي إعداد ، محمد يحي بن الشيخ محمد الحابوس ، المعهد العالي للدراسات والبحوث انواكشوط سنة ١٤٠٤ هـ .

١٥١- شذرات الذهب ، تأليف : عبد الحي بن العماد الحنبلي ، الناشر : مكتبة القدس القاهرة (بدون) .

١٥٢. شرح تحفة الذاكرين ، للإمام الشوكاني . نشر : المكتبة الثقافية . بيروت .

١٥٣- شرح حزب الإمام النووي لأبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي الشرقي تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي دار الإمام مسلم ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ .

١٥٤. شرح رشد الغافل للشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ط ١ مصر سنة ١٣٥٥ هـ .

١٥٥. شرح السنة للإمام البغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط ، نشر : المكتب الإسلامي ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ .

١٥٦. شرح متن الأربعين النووية للنووي تحقيق الشيخ عبد الله الانصاري ، الناشر : مكتبة جده .

١٥٧. شرح نظم : الحجر الاساس لمن أراد شرعة خير الناس ، تأليف : الشيخ بداه بن البوصيري . المطبعة الوطنية بانواكشوط ط سنة ١٩٧٣ م .

١٥٨. شعب الإيمان ، تأليف : البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد الناشر : دار الكتب العلمية ، ط ١سنة ١٤١٠ هـ .

١٥٩. شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون تأليف : يوسف مقلد ط ١ الدار البيضاء سنة ١٩٦٢ م .

١٦٠. الصحاح تأليف : اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق عبد الغفور عطار ط ٣ سنة ١٤٠٤ هـ

١٦١. الصفات وكتاب النزول كلاهما تأليف علي بن عمر الدار قطني تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ .

١٦٢. صفة الصفوة تأليف ابن الجوزي ، الناشر: الدكن الهند ط ٢ سنة ١٣٨٧ هـ .

١٦٣. الصفدية لابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ط ٢ سنة ١٤٠٦ هـ .

١٦٤- الصلة بين التصوف والتشيع تأليف : كامل مصطفى الشيبي ، الناشر : مكتبة النهضة ببغداد سنة ١٣٨٦ هـ .

١٦٥. الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل سميح عاطف الزين ، الناشر : دار الكتاب البناني ط ٣ سنة ١٤٠٥ هـ .

١٦٦. صحيح البخاري ، دار المعرفة بيروت .

١٦٧- صحيح مسلم بشرح النووي ط دار الفكر ١٤٠١ هـ .

١٦٨. صيد الخاطر ، تأليف : عبد الرحمن بن الجوزي ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت .

١٦٩. عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي تأليف القاضي ابو بكر بن العربي نشر : دار الفكر .

١٧٠. العبر في خبر من غبر للذهبي تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد الناشر مطبعة الحكومة بدولة الكويت ط سنة ١٣٨٦ هـ .

١٧١. العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر تاريخ ابن خلدون الناشر : مؤسسة جمال للطباعة والنشر . بيروت ط سنة ١٣٩٩ هـ .

١٧٢. عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية . تأليف عثمان عبد المنعم عيش ط ١ سنة ١٣٩٦ هـ مكتبة الأزهر .

١٧٣. عقيدة أم البراهين للسنوسي . مع شرحها لأحمد بن عيسى الانصاري ، الناشر: المكتبة الثقافية ، بيروت (بدون) .

١٧٤. العقيدة الطحاوية بتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز ، نشر : مكتبة الطرفين .

١٧٥- العقيدة في ضوء القرآن الكريم ، تأليف : صلاح عبد العليم إبراهيم ، الناشر : مكتبة الأزهر ط ١ سنة ١٤٠٢ هـ .

١٧٦. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تأليف : أحمد بن على الحسني المعروف بابن عنبة . ضمن مجموعة رسائل الكمالية في الأنساب : الناشر دار الشعب .

١٧٧. عمل اليوم والليلة ، تأليف : أحمد بن شعيب النسائي دراسة وتحقيق فاروق حمادة الرباط سنة ١٤٠١ هـ .

١٧٨. العواصم من القواصم ، تأليف : القاضي أبو بكر بن العربي ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ، ط مكتبة أسامة بن زيد سنة ١٣٩٩ هـ .

١٧٩. عوارف المعارف تأليف : ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ .

١٨٠. الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض تأليف : القاضي عياض اليحصبي ، دراسة وتحقيق ، الدكتور محمد بن عبد الكريم ، الناشر : دار العربية للكتاب . لبييا وتونس ط سنة ١٣٩٨ هـ .

١٨١. الغنية لطالبي طريق الحق ، تأليف : الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني ، ط دار الألباب دمشق .

١٨٢. فاتق الرتق على راتق الفتق ، تأليف : محمد المصطفى بن محمد فاضل (ماء العينيين) الناشر : دار الفكر بهامش نعت البدايات وتوصيف النهايات .

١٨٣. فتاوي الإمام الشاطبي ، تحقيق محمد ابو الاحفان ط ٢ سنة ١٤٠٦ هـ .

١٨٤- الفتح الباطني والظاهري في نثر ونظم الورد القادري ، تأليف : محمد حبيب الله ابن ما يأبى ، الناشر : مطبعة العلوم المصرية بمصرسنة ١٣٤٥ هـ .

١٨٥. الفتح الرباني بترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ط ٢ ٠

١٨٦. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تأليف : الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، ومحمد حجى ٠ الناشر : دار الغرب الإسلامي ط ١ سنة ١٩٨١ م ٠

١٨٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف : الشيخ عبد الرحمن ين حسن آل الشيخ دار الفكر ط ٧ سنة ١٣٩٩ هـ ٠

١٨٨. فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم ، تأليف : محمد حبيب الله بن ما يأبى ، الناشر : دار الفكر ط سنة ١٤٠١ هـ ٠

١٨٩. فتوح الغيب ، تأليف : الشيخ عبد القادر الجيلي طبعه ووثقه محمد سالم البواب ، الناشر: مطبعة دار الالباب (بدون) ٠

١٩٠. فوات الوفيات، تأليف : محمد شاكر الكتبي تحقيق : إحسان عبد القدوس ، الناشر دار صادر ٠

١٩١. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، تأليف : الفرد بل الفرنسي ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ط دار الغرب الإسلامي ٠

١٩٢. الفروق اللغوية تأليف : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري تحقيق : حسام الدين القدسي ، نشر : دار الكتاب العلمية بيروت (بدون) ٠

١٩٣. فهرس الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تأليف عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، الناشر : دار الغرب الإسلامي ٠

١٩٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ٠

١٩٥- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز بادي ، الناشر : دار المعرفة بيروت ٠

١٩٦. قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، تأليف : يحي التاد في (بدون) .

١٩٧. قيام دولة المرابطين ، تأليف : الدكتور حسن أحمد محمود ، الناشر دار الفكر العربي .

١٩٨. طبقات الصوفية تأليف : عبد الرحمن السلمي ، تحقيق : نور الدين شريبة ، الناشر : الخانجي بالقاهرة ط ٣ سنة ١٤٠٦ هـ .

١٩٩. التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ، الناشر : الكتب العلمية ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ .

٢٠٠. طبقات المدلسين، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط ١ مكتبة المنار .

٢٠١. الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية لابن القيم ، تحقيق : محمد حامد فقي ، نشر: دار الكتب العلمية .

٢٠٢. الطريقة الشرعية وبراءتها من الطرق المنحرفة وضلالتها (القدسية) نظم محمد بن سعيد الأخضري ، نشرالرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية، بتحقيق رئسها الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

٢٠٣. ظهر الإسلام ، تأليف : أحمد أمين ، الناشر : دار الكتاب العربي بيروت .

٢٠٤. كتاب الفقية والمتفقة ، تأليف : أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الناشر : دار الكتاب العلمية .

٢٠٥. كتاب الإمام عبد الله بن ياسين تأليف : إبراهيم الجمل (بدون) .

٢٠٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، الناشر : مكتبة المتنبي ببغداد .

٢٠٧. كشف المحجوب ، تأليف : علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي ، الهجويرى ترجمة الدكتوره : إسعاد عبد الهادي قنديل ، مراجعة : أمين عبد المجيد بدوي نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر سنة ١٣٩٤ هـ •

٢٠٨. كنتة الشرقيون ، تأليف : بول مارتي الفرنسي ، تعريب : محمد محمود ودادي ، ط دمشق (بدون) •

٢٠٩. الكوكب الوقاد ، تأليف : الشيخ سيدي المختار الكنتي ط حجرية دكار سنة ١٣٩٢ هـ •

٢١٠. اللباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين ابن الأثير الجزري ، الناشر : دار صادر •

٢١١. اللمع ، تأليف : عبد الله بن علي الطوسي أبو نصر ، تحقيق : عبد الحليم محمود وزميله • الناشر : لجنة التراث الصوفي ، ط دار الكتب الحديثة ، مصر سنة ١٣٨٠ هـ •

٢١٢. مجموع فتاوى ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن القاسم بمساعدة ابنه محمد ، الناشر: مكتبة المعارف ، الرباط . المغرب سنة •

٢١٣. المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني . رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود بالرياض أعدها : محمد الصوفي بن محمد الأمين . نوقشت في ١٦ / ٩ / ١٤٠٦ هـ •

٢١٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق الرحالى الفاروق وعبد الله إبراهيم الأنصاري ط ١ سنة ١٣٩٨ هـ •

٢١٥. مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بن العباس ، تأليف : الشيخ ظهر الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني الناشر : وزارة الاعلام بالعراق بغداد سنة ١٣٩٠ هـ تحقيق : مصطفى جواد •

٢١٦. المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي للذهبي ، تحقيق مصطفى جواد وناجي معروف ط سنة ١٣٩٧ هـ .

٢١٧. مذهب المخوف على دعوات الحروف تأليف الشيخ ماء العينيين نشر: المكتبة الشعبية بيروت (بدون) .

٢١٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف : عبد الله بن سعد بن علي اليافعي اليمني ، أبو محمد ، الناشر ، الأعلمي للمطبوعات بيروت . ط ٢ سنة ١٣٩٠ هـ .

٢١٩. المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر مع شرحه الدر الثمين والمورد المعين تأليف : محمد بن أحمد ميارة المالكي ، الناشر : دار الفكر .

٢٢٠. مرويات غزوة الحديبية (جمع وتخريج ودراسة) الشيخ حافظ بن محمد عبد الله الحكمي . نشر : الجامعة الإسلامية .

٢٢١. مساهمة في إبراز الأدوار الفكرية والسياسية للشيخ ماء العينيين ، تأليف : عبد الله بن محمد الأمين ، انواكشوط سنة ١٩٨٤ م .

٢٢٢. مشارق الأنوار للقاضي عياض نشر المكتبة العتيقة بتونس .

٢٢٣- المشترك وضعا والمفترق صقعا ، تأليف : أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد (بدون) .

٢٢٤. مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ، تأليف : الشيخ محمد الخضر بن ما يأبى ، الناشر دار البشير بعمان الأردن سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٢٥. مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، تأليف : برهان الدين البقاعي تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ط ١٤٠٠ هـ .

٢٢٦. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تأليف : عبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي ، الناشر : دار الكتاب الدار البيضاء ط ٧ سنة ١٩٧٨ م .

٢٢٧. معجم البلدان لياقوت الحموي ، دارصاد بيروت ط سنة ١٣٨٨ هـ .

٢٢٨- معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة ط بيروت .

٢٢٩. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية ط قطر .

٢٣٠- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار للذهبي ، تحقيق : بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤط ، نشر مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٤ هـ .

٢٣١. المعسول : تأليف المختار السوسي ط المغرب (بدون) .

٢٣٢- المغني لابن قدامة مكتبة الرياض الحديثة ط سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٣٣. المغني في الضعفاء تأليف الإمام الذهبي ، نشر إحياء التراث بقطر .

٢٣٤- مقالات الإسلامين واختلاف المصلين ، تأليف : الإمام أبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري . عني بتصحيحه هلموت ريتر . الناشر : دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن ط سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٣٥. مقدمة ابن خلدون . تأليف عبد الرحمن بن خلدون ، الناشر : دار الكتاب اللبناني بيروت ط سنة ١٩٨٢ م .

٢٣٦. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، لحافظ السيوطي ، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ .

٢٣٧. الملل والنحل للشهر ستاني ، الناشر : دار الفكر .

٢٣٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تأليف : ابن الجوزي ، نشر: دائرة المعارف العثمانية حيدر باد الدكن ط ١ .

٢٣٩. المنقذ من الضلال ، تأليف الإمام أبوحامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد تحقيق : عبد الحليم محمود ، الناشر دار الكتب الحديثة ط ٨ سنة ١٣٩٤ هـ .

٢٤٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، تأليف : ابن تيمية تحقيق : محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام .

٢٤١. المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق ، تأليف : محمد بن علي السنوسي الخطابي ط ١ ليبيا سنة

٢٤٢. المنهيات للحكيم الترمذي ، دراسة وتحقيق : محمد عثمان الخشت ، الناشر : مكتبة القرآن القاهرة .

٢٤٣. الموافقات في أصول الأحكام للإمام الشاطبي ، نشر : دار الفكر سنة ١٣٤١ هـ .

٢٤٤- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ط ١ دار الكتب العلمية .

٢٤٥. موسوعة التاريخ الإسلامي : تأليف أحمد شلبي : الناشر : مكتبه النهضة المصرية ط ٣ سنة ١٩٧٨ م .

٢٤٦. موسوعة المختار ابن حامد على الآلة الكاتبة .

٢٤٧- كتاب الساقية الحمراء ، تأليف : محمد الغربي ط المغرب (بدون) .

٢٤٨. الموضوعات لابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر : المكتبة السلفية في المدينة المنورة ط ١ سنة ١٣٨٦ هـ .

٢٤٩. الموطأ للإمام مالك ، تحقيق : سعيد محمد اللحام وزملاؤه نشر: دار العلوم ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ .

٢٥٠. الموفي بمفرقة التصوف والصوفي ، تأليف :كمال جعفر الأدفوي تحقيق : محمد عيسى صالحية ط ١ في الكويت سنة ١٤٠٨ هـ .

٢٥١. النبذة الشريفة النفسية في الرد على القبورين ، تأليف : أحمد بن ناصر بن

عثمان آل معمر ، تحقيق : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم نشر دار العاصمة الرياض ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ •

٢٥٢. ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي ط المغرب (بدون) •

٢٥٣. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، تأليف : علي سامي النشار ، الناشر: دار المعارف ط ٧ سنة ١٩٧٨ م •

٢٥٤. نشـــر البنـود على مراقي السعود تأليف : الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ •

٢٥٥. نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي : تأليف آدم عبد الله الألوري ، الناشر: دار العربية بيروت ط ٣ سنة ١٤٠١ هـ •

٢٥٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف : أحمد بن محمد المقري التلمساني ، دار صادر بيروت •

٢٥٧. نيل الابتهاج للتنبكتي • ط بهامش الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ، الناشر : دار الكتب العلمية (بدون) •

٢٥٨. نيل المراد من كلام الشيخ التراد على الآلة الكاتبة / محمد بن أحمد ناه ط ٢ أنواكشوط •

٢٥٩. نيل الأوطار للإمام الشوكاني ، نشر: الكليات الأزهرية •

٢٦٠- واقعنا المعاصر ، تأليف : الشيخ محمد قطب نشر : مؤسسة المدينة ط ٢ سنة ١٤٠٨ هـ •

٢٦١. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، تأليف : أحمد بن الأمين الشنقيطي ط ٤ في جدة مطبعة المدني سنة ١٤٠٩ هـ •

٢٦٢. هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف : اسماعيل باشا البغدادي ط وكالة المعارف باستانبول سنة ١٩٥١ م •

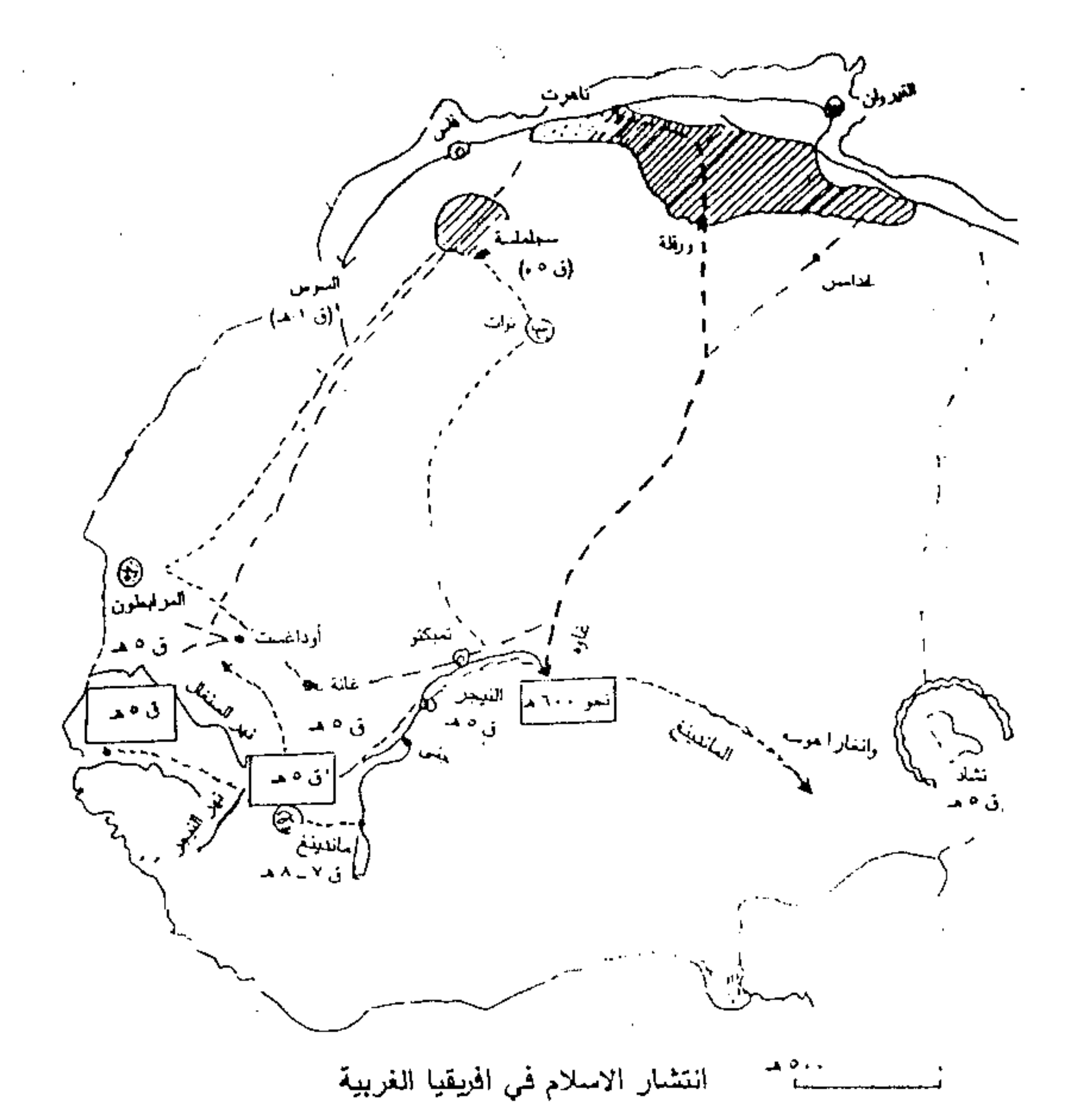
٢٦٠. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، تأليف : أحمد بن الأمين الشنقيطي ط ٤ في جدة مطبعة المدني سنة ١٤٠٩ هـ .

٢٦١. هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف : اسماعيل باشا البغدادي ط وكالة المعارف باستانبول سنة ١٩٥١ م .

الملحق الأول

خرائط توضح ميدان البحث وتظهر عليها

أسماء أماكن كثر ذكرها أثناء البحث



انتشار الاسلام في افريقيا الغربية

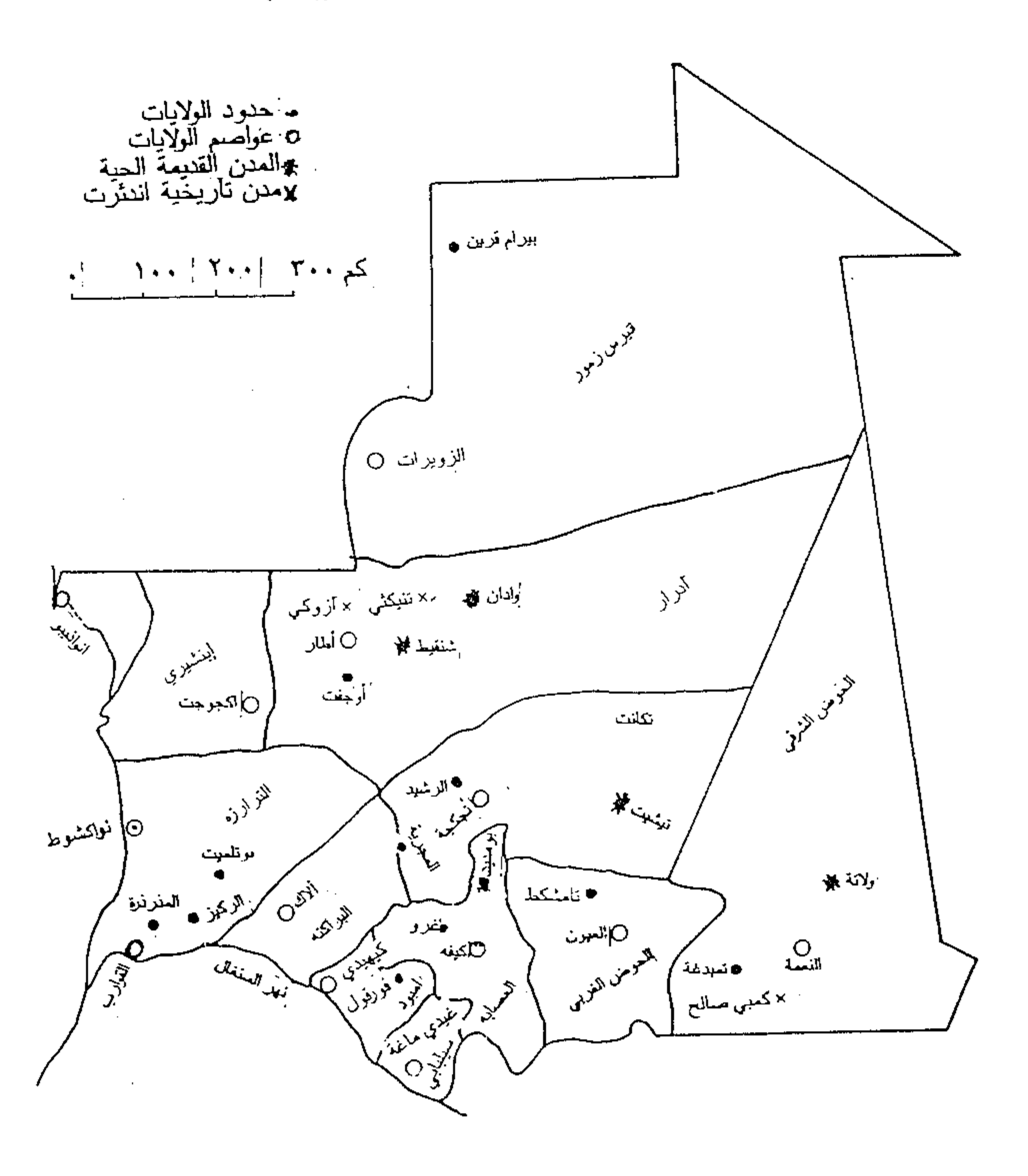
---- طريق الفتح العربي ـ الاسلامي ⊙ مراكز ورابط نشر الاسلام

--- خطوط التجارة العربية

المغرب
تندوف
الجزائر
الساقية الحمراء
الصحراء المحتلة
وادي الذهب
(ريو دورو)
فور ترنكيه
فورجورو
المحيط الأطلسي
بور اتين
أطار
شنقيط
أكجوجت
تجكجة
تيشيت
بوتيليميت
نواكشوط
ألاك
تمشكط
ولاتة
بغية
روصو
كيفا
النعمة
العيون
نهر السنغال
كيهيدي
داكار
السنغال
مالي
جمهورية مالي
٥٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠ كم

(المدن المهمة في موريتانيا)

الجمهورية الاسلامية الموريتانية



بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي نعم قلوب أوليائه بأسرار خفيت عن مدارك العيون، ومن لطيفة كيف شاء
بما شاء في الحركات والسكون، فسبحان من إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، رتب الله
المسببات على الأسباب ترتيبا لا يعلمه إلا العالمون، نعم الله أهل وداده بالعلم عنه فهم يتحدثون
وابتلى المنكرين على أوليائه فهم في غيهم العمية يترددون، تكثر عليهم الآيات والعبر وهم لا يعتبرون
كيد على هؤلاء حملهم على التشبث بأذيال أوليائه وهم لا يحبون [illegible] حتى كأنهم
مملوكون(?) يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون، أحمده سبحانه
إذ لا يقضي أحد بتحميده، وأشكره جل وعلا على ما منح من فضله ومزيده، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله المختار من خليقته، صلى الله عليه وعلى آله
الفضلاء وصحابته، هذا وإنه عن لي أن أذب عن حرمات أولياء الله الصالحين بما أمله من نصوص
كتاب الله ونصوص سنة خير خلق الله المرسلين، وما أجمع عليه السواد الأعظم من العلماء الراسخين
من وجوب تعريفهم وتعليم تحقيقهم في مقامات التمكين، والسبب في ذلك ما بلغني
مستفيضا من خروج رجلين متعوذين(?) [illegible] أحدهما [illegible]
يحكمون على تكفير من يلفظ بقول الأولياء الصالحين بغير نص معه ولا حجة من [illegible] التكذيب
به ما جاء صريحا في نص الكتاب المبين، وهو قوله تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اعلم أيها الأخ الناصح والمحب الواضح أنا نفتتح في تفسير هذه الآية التي تفسير من يستحق الولاية وعن
الولي قال ابن عباس هم الذين يذكر الله برؤيتهم كما أخرجه الطبراني بسنده عن سعيد بن جبير قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله من هم فقال هم الذين إذا رؤوا ذكر الله وقال زيد(?)
هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الأعمال إلا بالتقوى وذهب قوم إلى أنهم المتحابون في الله كما
جاء عليه ما روي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله لأناسا ما هم
بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله من هم قال
هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم
لعلى

محمد عبد الحي الكتاني

فاس

والمحصلة لليقين من العمليات، فتكتفي فيها بالأدلة الظنية وإنما هو من المعتقدات
فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي كما أجمع على ذلك جميع الأمة وأئمة هذه القاعدة
أئمة الجرح والتعديل من الأصوليين كالقرطبي وابن الصلاح والإمام السبكي والنووي وغير
أولئك وتبينت مما اختلف فيه قوليه والله عبدانه نعلمه في الرياحين وكلب العبادة
أو انتحال مذاهب الغوايات في العمار بمنته في هذه العجالة من الحق الذي لا غبار عليه، والله
والسبيل الذي لا يعول إلا عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وإليه المرجع والسبيل، وهو الله
المعتمد والكفيل، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الرسول وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
قال المؤلف ولما من الله بجمع هذه العجالة وتسويد صفحتها تعيينا لجزوة الا
الأنوار في الذب عن مناهجها وإيضاح أدلة الأخبار، والله أسأل أن يمدها بالقبول، ويجعل
جامعها بالسول والمأمول، ونحن من استعملها بأنوار المواهب، وكمال العنايات، ويثبت
قومه على الصراط المستقيم، والمنهج القويم، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وكان الفراغ من جمعها وتدوينها عشية يوم الاثنين تاسع
عشر رمضان عام 1225

كملت بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل صبيحة
يوم الجمعة 2 رجب عام 1266 ذي القعدة

بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فهذا الضياء المستبين بإملاء
الشيخ محمذ العاقل بن الشيخ محمد الأمين لمؤلفه الشيخ محمد فاضل بن الحبيب

حمدا لمن فتح ببركة أوليائه أقفال مقفلات القلوب وفتق بوجاهة
مكانتهم منه رتق مستغلقات الغيوب وأزال بهم سدل الحجاب عن كل
محجوب فأفاض عليهم بعد إزالة الحجب أنوار فيضه أيما هبوب وجعل
خدمتهم وذكر مناقبهم من جملة الكروب وسببا لمغفرة الذنوب فسبحانه
يصير المكدود والمقصي مقربا ومحبوبا أي محبوب وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له شهادة أكون بها عنده مقربا مخصوصا بإدراك ما أبتغي منه
وبكل مطلوب وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ما طلع فجر أفق طالع ومال إلى الغروب
وبعد فإنه ما زال يخطر ببالي ويختلج في خاطري أن أضع كتابا مختصرا
أذكر فيه بعض كرامات شيخنا الشيخ محمد الفاضل ومناقبه الشريفة
الرفيعة القدر المنيعة وبعض سيرته الحميدة وآدابه القرآنية متكلا
به على مولاي أهل تلك الحضرة المقدسة المطهرة مع علمي أني لست
ممن يهتدي بمنارهم بل ولا يمكنه أن يسرح في تيارهم لكن الطمع يحمل على
تجشم الأمور العظام وتنبيه الحر نفسه وما هي متلبسة به من أسباب
الملام فعسى الله أن لا يخيب من استشفع إليه بهم وتوسل إلى جنابه
الكريم بجنابهم فإنهم الوسيلة الكبرى وبذكرهم تتنزل الرحمات وبحبهم
تسهل المستصعبات وتنفتح المقفلات قال بعض أئمة حديث الطائفة
وسميهم عند ذكرهم تتنزل الرحمات

فالزم مجالسهم تنل بركاتهم وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

ولربما أشرع في هذا الكتاب إن شاء الله متيمنا بعون الملك
الوهاب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب
وسميته الضياء المستبين في كرامات الشيخ محمد الفاضل
ابن محمد الأمين فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء
الطريق أردت أن أرتب الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب
وخاتمة أما المقدمة ففي التعريف بالشيخ رضي الله عنه
وأرضاه ومتعنا بحياته وعافاه وجعلني في كنفه إلى حالته ومعاده

وعصياننا بجاه ما الصفات ذاته من حسنها واسأله اللهم بالعلي العظيم
بحق الشيخ ومن ينتسب إليه وبحق ما تجليت به وتفضلت به عليه
أن تفتح على جميع من يريده وأن تنصر كلهم على كل عدو لهم واسأله
اللهم بحق الدعوات المستجابات وبحق الأسماء والآيات أن ترزق
شيخنا محمد الأمين بكرة وأصيلا وذكرا جليلا وتصحبه العافية بكرة وأصيلا
وزوارا ومقيلا وأن تجعلنا من أهل محبته حتى نعلم بمحبته أن فينا
أحبتني محبة خاصة لكون بالدنيا من خاصة الخاصة وأن تجعلني
أكمل الناس لديه حبا وأكثرهم له مودة وأن تجعلني أقرب منهم إليه كرامة
قسمة وأن تجمع بين الجميع من الإخوان والخلان وأن تحشرنا جميعا
مع أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن تعتق جميع
المذنبين من أمة الشفيع من النار وتغفر لهم ذنوبهم إنك أنت الكريم
الغفار وأقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وأستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم
وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا
ولا حياة ولا نشورا اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولا تشغل خواطرنا
وأصدارنا ولا يبتلونا بمن يسيئنا بالدين واغفر للمؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وإمام المرسلين وعلى آله كلهم وأزواجه وذريته الطاهرين
الطيبين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

انتهى الضياء المستبين من كرامات الشيخ محمد الأمين طه ...
الشيخ محمد الأمين على بركاته محمد وصل الله إلى أهله
يد الفقراء عنهم وعلى كثيرة شيخ الحرمين شيخنا
الشيخ أحمد الطيب أطال الله عمره بالأولياء ...
وهذا قيد وسمي بمحوة الخميس ثالث
ذي الحجة عام ١٣٩١ هجرية
على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام وعلى آله وأصحابه
فسلام الله على الجميع

1

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله ناصر الحق وأهله كاسر الباطل ومذهب محله والصلاة والسلام على خيرة رسله مؤسس الدين وجامع شمله ودامغ الباطل ومجتث أصله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم حشر الخلق لفصله فمن إملائه من عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى عيبة النصح وصنيعة الرحيم أعيان الخلف وأخلاف السلف نخبة الدين وخيرة الملتزمين وصفوة العلماء المهتدين عموما وخصوصا الفاضل الشيخ الصالح بن محمد البشير والسلطان المؤيد بعون الله المحي وسيدي الله تكوى بن أق بن آكب الشيخ ومن يشار إليه من جهته أو يرجع إليه في سلمه وحربه السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ما لازمت الفلك حركاته وخصصتنا بالمبكل المارق من ذلك أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأوصيكم ونفسي

بتقوى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

مبارك الابتداء ميمون الانتهاء

كتاب الكرايه والتلاميذ من كرامات الشيخين الوالد والولد الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار رضي الله عنهما ونفعنا وجميع المسلمين بهما آمين آمين آمين

الحمد لله الذي منح أولياءه كرامات خوارق وتلايدها، واسلم اليهم مقاليد الحقايق وكنوز فرايدها، واتحفهم من لطايف الدقايق والبسهم عوايدها، واباحهم موارد الرقايق فكملوا موارد ابريها بحرا ماهرا النفوس وهي فوائد عوايدها وهدموا اسوارها، واطلعوا من اسرارها، وادركتهم الشمايل وقبلوا مكايدها، ومن فوائدها بلهما ومقاصدها، وازينت لهم الدنيا فجردت نفوسهم عنها واستنكروا ابريدها واستنوروا الكاينات ومقاصدها، فولت عنهم وفرت الوامهم، وتقلت منهم تحسيناتهم في مخاضهم أيضا كما وهم رفوف يقلبهم الحق بالحق في تقلبهما تهالدا، تميين الحق بذات شمال الحق والواس وردها عن ودادها ونحيتهما زورا، او ملكتها هلكة وفناء هابناء وجنسها دايما وجمعوا بها تحقيقها أو ارتفاعها ابتهاجها وخشيتها من ان يبقوا بالثلاث كلها فيه، وانشروا في ديوان الحق مما جرا فيها وكافوا بما لايهما ولا اهماه وتحيروا على حقيقتها بقاموا بحقيقتها وما لها اسوة امام الانبياء وفرق العلماء الاولياء صلى الله عليه وسلم صلاة الرضى صلاة يفيض بها علينا وبين ضر وعلى آله العمول وصحابته الغر وآل واستمد به سبحانه من الكاسيات في نصرة كرامات الاولياء الاعيان واستكمل سالكا الكرامة في نصر ما خص به الشيخين من خوارق العادات وقلب الاعيان واستخرج من كنوزات العثرات في ادعا راسي او المعجزات استعينه على استيضاح اوجه البشارات في ايضاح وجوه العبارات والاشارات واصلي على جمال الجمال فعله صاحب الوان سالكي بحر الوجود فبله واسلم عليه وعلى آله الكرام وصحابته الاعلام ائمة الارشاد والاعلام الذين مضوا الجوزاء بالاقدام في مواكب الحتم والاقدام رضي الله تعالى عنهم اجمعين والحمد لله جم منهم آمين آما بعد فيقول عبد ربه الخفي به المحتفي ببسوء كسبه محمد بن المختار بن احمد بن ابي بكر الكنتي جبار الزوادي ادار الله قلبه وجعله في مضانه قابلا لما من الله الكريم على بلايطال المرديين المعمرين حول سلكة اعلام الائمة عين اعيان الامة ثابت الغرم المكي في رتبة الكفاية والتمكين مجمع البحرين وارثة العمريين شيخ الكرامة ومحي الحقيقة حجة الاسلام وحجة الاتام الى الفيام

هذه مقدمة الرسالة الغلاوية التي كتبها الشيخ سيدي محمد بن
الشيخ سيدي المختار فيها انساب كنتة وتاريخهم وتجارة
ادو الحاج وكثير من انواع العلوم

1

حمدا لمن افاض بكل علو من يعطى العلم حقه وتوفيقه
ويعطي على الامة دينها القويم وينفي عنه تحريف المبطلين
وتنبيهه وفضله على ذلك من يعتمد عليه ليحكم اجره ويرفع
ذكره وتعليه وشكرا لعباده ذلك عليه بما صح عن الصادق
المصدوق مما يثبت كل كامل الايمان وتسليمه
حيث قال لو كان المومن في جحر ضب لقيض الله فيه منافقا
يؤذيه احمده على منة الصدق والتصديق واشكره على
نعمة التوفيق وحلاوة التحقيق وملازمة الحق وان لم يكن في
الحق [illegible] من صديق واصلي على نبي الرحمة الشفيع
في الاراحة من الزحمة بالمقام المحمود لكافة الامم
وخاصة الامة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
اولي النبوة والنجدة والقوة في ذات الله والشدة صلاة وسلاما
يبقيان ليس لانفصالهما مدى الى يوم تبعث فيه الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة
هذا وانه من عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن
احمد بن ابي بكر الى علامة عبد الله [illegible]

وهذا

الشيخ سيبو التي كتب أنه استكتبها
وتولى مقابلتها بنفسه لأواخر جمادى
الأولى من سنة اربعين وثماني
والف فكان بين الأولى
وهذا بالتي نقل عليها تاريخ النسخة
مائة وخمس وستون سنة

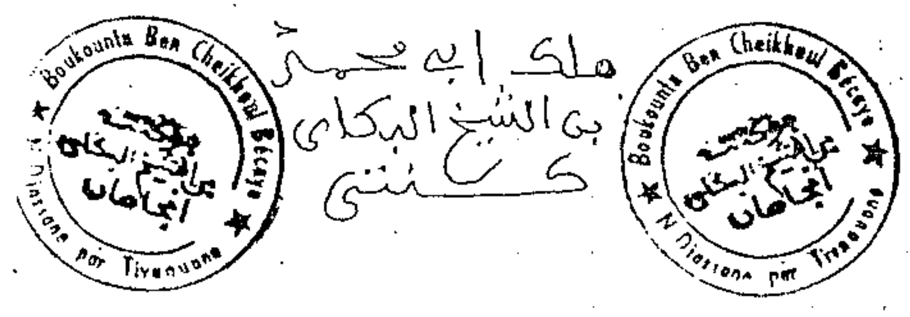
بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الجنة في اعتقاد أهل السنة

قال الشيخ العارف الرباني إنسان عين الحقيقة المحمدية
ولسان ترجمان الرقائق القدسية الحقائقية النورانية مجمع
بحري الشريعة والحقيقة وحامل راية السنة البيضاء
والطريقة إمام الأئمة وخلاصة الأمة أبي الأنس أبي
الأنوار شيخنا السيد المختار كان الله له وأخذ بما يحبه
ويرضى له ومختار ابن السيد البكاي بن السيد أبي بكر الوافي
الكنتي أعاد الله تعالى علينا من بركاته وبركات أسلافه
في سكناته وحركاته آمين يا رب العالمين

الحمد لله

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وترفعنا
بها أعلى الدرجات وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات
وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات انك ربي ...



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مجاري الابتداء ميمون الانتهاء
للأدلة الشافية الكافية
في إبطال حجج شرح المغنية الزنيخ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فهذا
تأليف الغوث الكامل والعالم العلامة والسيد الأفا
ضل والحبر الفهامة منار الولاية الكبرى وعلم الد
راية الشهير وسراج الهداية المبين أوحد العلماء
العاملين وخاتمة الفضلاء المحققين وإمام أفاضل
الوجوه العارفين الجامع من علوم الباطن وتشريع
الكلم شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ أحمد
السالك الأجداوي وعليه من الله سحائب الرضوان ما دام
نبات نعتب السارية أفاض الله علينا وعلى المسلمين من بركاته
وأسبغ علينا وعليهم من بركاته آمين قال المؤلف
الله يروح فرسه بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه بالعظمة والجلال المتوحد باستعمال
نعوت الكمال والجمال المتقدس عن الشبه كله والأشباه والأمثال
المتعالي عن الأغيار والحلول بالمكونات المتقدم كلمة في ذاته
ومعاناته عن مصاحبة المخلوقات ومماثلتها بالكينونة
في الأماكن والجهات والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم الأئمة الأعلام السادات الذابين
عن سنته والحامين لشريعته وإبطال أهل الزيغ والبدع
ارتكاب الشبهات بقواطع البراهين والأدلة الساطعات

أما بعد

الحمد لله الذي قال وما من غائبة في السماء والارض الا في كتـ[اب]
مبين وجعل قلب المومن عرشه اوسع وعينه لنفوذ
لتجليه في اسرار صنع ربه المتقن الفتاح العليم وعوضه على
الاسرار واحتوائه على الكون بالحكمة تبارك رب العالمين والصلاة
والسلام على من بعثه للخلق اجمعين واتى بعلوم الاولين والاخرين
محمد سيدنا ومولانا الذي فضله الله به على الامم السالفين [illegible] على
والكل وعلى جميع نعمه التي لا يحصيها اقوال القايلين وعلى [illegible]
[illegible] والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين اما
بعد فانه [illegible] بعض اخواني حين طال [illegible] وفاض الجهل و[illegible]
وكثر الهرج في اهل زمانه عما يعلم في خاصة نفسه في
دينه وان ادله على من يقتدى به في ذلك وهل هو موجود او
[illegible] اهل [illegible] الى ما يضع [illegible] الجهل [illegible]
[illegible] باهل الاقتداء من اهل الافتاء والاقراء [illegible]
في ما ذكر احتاج الناس الى ادنى دليل [illegible]
عليه السلام ان الله تبارك وتعالى اذا اراد شيئا [illegible]
الى [illegible] وقال الشاعر ولاكن البلاد [illegible] وقال [illegible]
[illegible] بعدما احدثوا من الفجور وقال صلى الله عليه وسلم
اذا [illegible] ما استطعتم وقال [illegible] والعلما
[illegible] وقال العلوي [illegible]
[illegible] الى [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم بالتسليم

الحمد لله الذي بعث رسوله الصادق الامين بقوله عز من قائل فان
تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا
وما على الرسول الا البلاغ المبين ونشهد انه بلغ الرسالة
اكمل به هذا الدين من بعده وبينه احسن تبيين [illegible]
صلى الله عليه وسلم حتى حذر امته ان يبتدعوا
من بعده وسنة الخلفاء الراشدين وحذرهم من الابتداع
مثل المبتدعين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه اجمعين
ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

اما بعد فقد بدا لي ان اضع هذا مما يليق [illegible] الفرق بين الذكر
المشروع وغير المشروع فاقول وبالله الحول والقوة
اعلم ان ما لم يكن من الذين سنة فلا بدعة اذ السنة تقابلها البدعة
كما ان الاسلام يقابله الكفر والطاعة تقابلها المعصية
والسنة كما يعلم كل من له ادنى اطلاع بعلم الشريعة واعتنى به
هي قوله صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره فكلما جاء عن
رسول الله مما يتعلق بالدين فهو سنة والذي ورد طلبه والندب
اليه والترغيب فيه والتحضيض عليه في الكتاب والسنة وورد انه مما
يحتاج استغفار [illegible] لا يستثنى منه عليه [illegible]
على كل حالة كقوله تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
وكقوله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وغير ذلك من الآيات
مما جاء في الكتاب والسنة كثير معلوم مما لم يحدد وقتا ولا قدرا
ولا كيفية ولا هيئة فهذا القسم من الذكر لا بدعة فيه ولا يسمح من
رغبة في التحديد والاعتداء بالامر الشرعي تركه واما ما حدد بالامر
~~[illegible]~~ فلا بد من النظر فيه والحث
عنه حتى يتبين هل هو مأثور عن الشارع ام لا فان كان مأثورا
فهذا القسم ليس بالمحال [illegible] فان كان غير مأثور عنه
فهو ابتداع وتشريع مع الشارع ونعوذ بالله من التشريع
بالسنة [illegible] جعل [illegible] والله [illegible]
فهو ابتداع ومعصية شنيعة والعياذ بالله تعالى

رسالة [illegible] في الذكر المشروع وغير المشروع

متابعتها
المدة ستة اربعة
الذكر [illegible] [illegible]

الشيخ التراد = وصايا = الفيض اللدني في وصايا أهل الإذن.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم

اللهم ارحم بفضلك المؤلف والكاتب والناظر والمستمع

أما بعد فهذه وصايا من العبيد الضعيف الراجي الله
ابن الشيخ التراد لمن أعطي الإذن في تلقين الأوراد
من أتباعه الذين كتب له عليهم الفضل والفتح
بفضل الله وسماها الفيض اللدني في وصايا أهل
الإذن اعلموا وفقنا الله وإياكم أن أول ما أوصيكم به
أن لا تنقلوا قدما واحدا إلا على أثر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما استطعتم ولا تتكبروا عن سؤال العلماء عما لا تعلمون
وتعلمه وما أتيتم من مسائلكم بفتيتنا هذه فلا تعملوه
ولا تحتاجون إلى السؤال عنه بعد كتبنا لكم ذلك ومما أوصيكم
به الحذر من انتقال الأنوار من قلوبكم بالتباعد عن الاقتفاء
الأولى الإمام لمن في مخالطة الناس ونزع إلى باطنه فإن دوام ذلك
يفسد القلب ويذهب الأنوار ولا تغتروا بمخالطة الأقطاب فإنهم إ
لهم رسوخ في الكبرياء خاصا بهم الثانية التفضل في مسند
الشيخ اعتقادا ومحبة وادعى غنى عنه أو مكابرة معه أو
إهمال المشاركة معه فيه ذلك غاية الكيد والهلاك وكل من
يلبس الله به الأنوار ينزع عنها به حفظنا الله وإياكم ومما
أوصيكم به أن لا تشتغلوا بطلب إقبال الناس عليكم بالتبديل
وعليكم بالخمول ولا تستحكموا إهانة الناس لكم وجهلهم بحقكم

كتاب تنبيه المريدين على ما خفي عليهم من الدين الإسلامي والعلـ
العاملين فرقة المتقين واستاذ العارفين وبستان الفائزين
شيخنا الشيخ التجاني أبي العباس أحمد الله به عشيرة السلف
الطاهر والنقا) من نجل النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس
وأعطاه الخلافة في الدنيا والآخرة حين لا تخفى من أحد خافية
وصلى الله على والنبي محمد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم محمد
فليعلم أيها الأخ المريد للأحباب الحصول على منشورك التي تحبه
وللأخ من عند الله مريدا غيره في غير ما حرقة نازلة فاضلى
الطي فيما عتق في حلي رفقة القوم غير شيخنا الشيخ محمد بن
بيض وجهه الله وجعله من التيمن وجعل من الشيخ والأحب وربه
سبيلي واستاذ في من الأمر من الغيب فتح الله علي فيها وجعلني
داعيا إليها وهي مرام من ذكر الله علي من العاملات مع ذات
الحق ... والمكشوفات والمشروحات والنشاعر الحي ماتـ و
الكيـ...ات وراعات الذوقية والاستعطار فيما في كتب من العبادات
من كل مجد تصفى الاعتقادات والإخلاص والصدق في النيات
في سائر المجاهدات أن تكون أعتبر الإلهي رب الأرضين والسماوات
ممن أدرك ذلك فتحت له أبواب السعادات وصب عليه من الأنوار والفيو
ضات والأسرار والتجليات والمعارف والفتوحات والمواهب والكشو
فات ما تقصر عنه العبارات التي مسلكها الحضرة بحيث إذا سلك في التشابه
كالاستواء والنزول والهوية والضحك مذهب السلف الذي هو الوقف
والتسليم دون التفسير والتأويل والكيف والتشبيه والتعطيل

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده انه من كان يبدأ الى من بلغ
الله اهله وختم بالخير عمله اخ وفقه الله سيد محمد احمد بن محمد بعد
السؤال عن حالك وطلب الدعاء لك ان الذي طلبته مني من الجواب للورقة
التي عرضتها عليك من عند ابن عبد الجليل واستفسرت من حالك فليس
امتناعا استثقالا مني لذلك وانما كان لعدم زيادة من
التعصب لما هو فيه حتى كان الكلام معه سفها والوسائل اذا لم
يترتب عليها مقصود شيء على انه تشريع ولو كان الكلام معه جاريا
لكفاه ما كتبه الشيخ التواتي من الاستدلال في المسألة التي ليس له فيه
الا حركة الا طابع بطبعه وحتى قوله بما لا طائل تحته وخرج عما هو بصدده
فنازع بقول اللغة مشتركا وتارة يجعله صريحا في معنى الذات وكل ذلك
ما قبل نفسه في نسب الكلام من علماء لا مذا استفسار بحمله ولكنا لم
نستعمل الا اسعافا لك فيما طلبت اعلم ايها السيد انه كتب ما نصه ان قول
ان معية ذات الله تعالى لخلقه ثابتة بالنص الصريح من الكتاب والسنة
المعصومين من الخطأ يحتمل اما الكتاب فقوله تعالى والله معكم
ومالهم يتناجون من النجوى واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم افضل الايمان
الايمان ان يعلم ان الله معه حيثما كان ومعلوم ان مع لا تحتمل معنى غير
المصاحبة فيصرح بحثه فيها اهو جوابه ان نقول اما قوله ان
معية ذات الله تعالى لخلقه ثابتة بالنص في الكتاب الى اخر كلامه
فاسمي فيما استدل به من النص فلعله ان كان ثابتة
بالنص غير ما ذكرت والا فليس يفيد نص على ان معية
الله بالذات فلو قلت معية الله لخلقه ثابتة بالنص وسكت
لسلمت من نسبتك للنص ما لم يكن فيه اذ النص قال فيه العلماء
في ما اخذ السعود معنى له في الفصل الاصل وبعد الذي الذي
فيه يستعمل نصا اذا افاد ما لا يحتمل غيرا وكما قال ان

سلسلة الذهب فى الورد القادرى

*ـ اخذ الورد القادرى شيخنا ووالدنا الشيخ الحاج عمر الشهير بالحاج بَنِبَا الكسنى عن شيخه الشيخ سِيدِى بَابَ * عن شيخه ووالده الشيخ محمد الخليفة * عن شيخه ووالده الشيخ سِيدِى الكبير * عن شيخه الشيخ محمد الخليفة * عن شيخه ووالده الشيخ المختار الكنتى * عن شيخه الشيخ عال بن النجيب * عن شيخه الشيخ الامين ذى النقاب * عن شيخه الشيخ اعمر الشيخ * عن شيخه الشيخ احمد * عن شيخه الشيخ على بن احمد * عن شيخه الشيخ احمد * عن شيخه الشيخ محمد الرقاد * عن شيخه الشيخ احمد الفيرم * عن شيخه الشيخ عمر المعمر * عن شيخه الامام المغيلى * عن شيخه الامام السيوطى عن شيخه الامام الثعالبى * عن شيخه الامام محمد ابن العربى المغربى * عن شيخه الامام ابن مرزوق التلمسانى * عن شيخه الامام المشذالى * عن شيخه الامام ابى حامد محمد الغزالى * عن شيخه الامام الشاذلى * عن شيخه الامام عبد السلام بن مشيش * عن شيخه الامام محمد بن العربى الحاتمى * عن شيخه الامام عبد القاهر السهرودى * عن شيخه الشيخ على ابن هيتا * عن شيخه قطب دائرة الاقطاب محيي الدين الشيخ عبد القادر الجيلى * عن شيخه الشيخ ابى الوفا على تاج العارفين * عن شيخه الامام الشنبكى * عن شيخه شيخ الطائفة الصوفية الامام الجنيد النهاوندى * عن شيخه الامام السرى السقطى * عن شيخه الشيخ معروف الكرخى * عن شيخه الشيخ داود الطائى * عن شيخه الشيخ حبيب العجمى * عن شيخه الشيخ الحسن البصرى